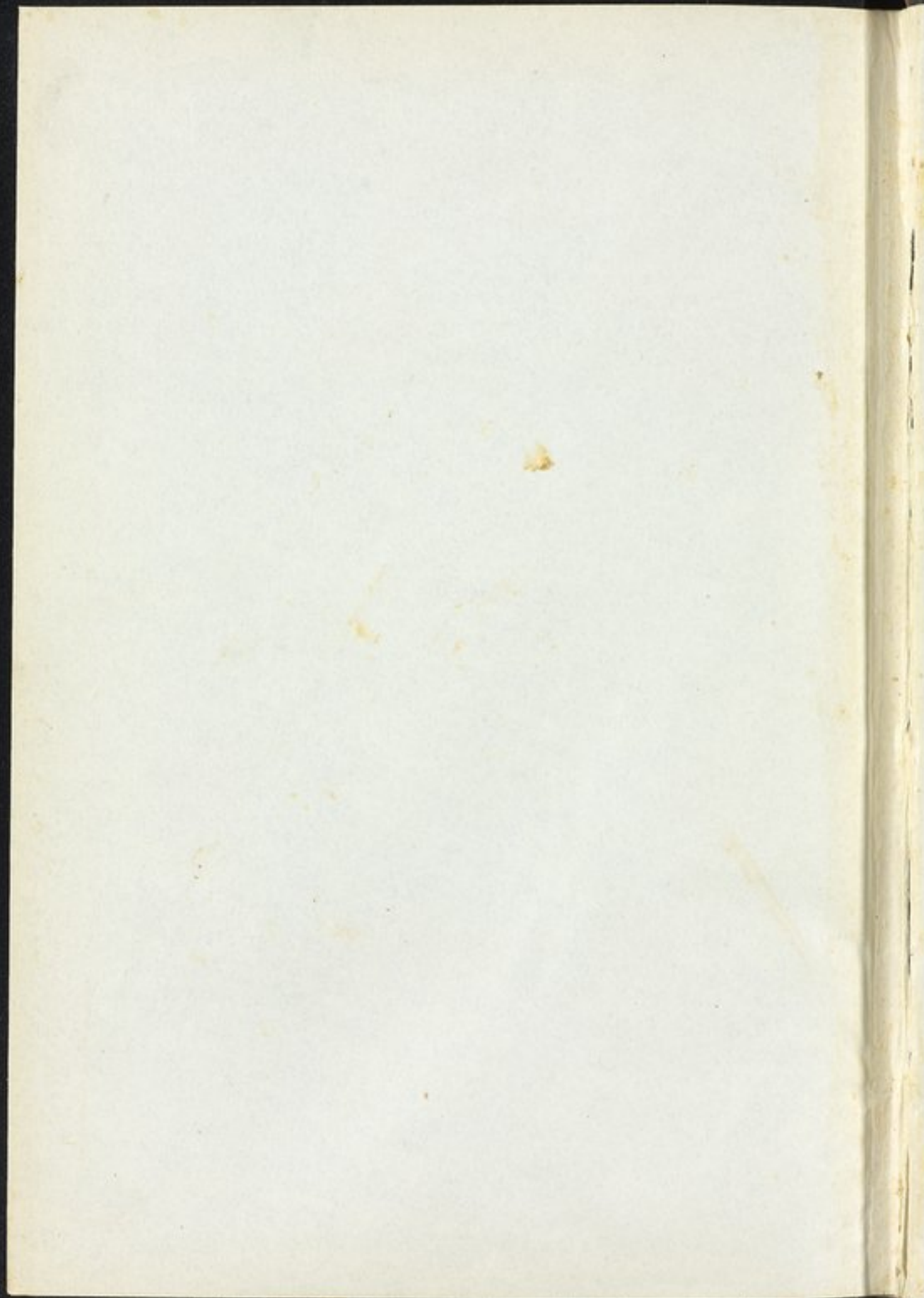


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY



VAR. 7629.

(vol:2)



دور الآداب

في

معركة التّحذّر والبناء

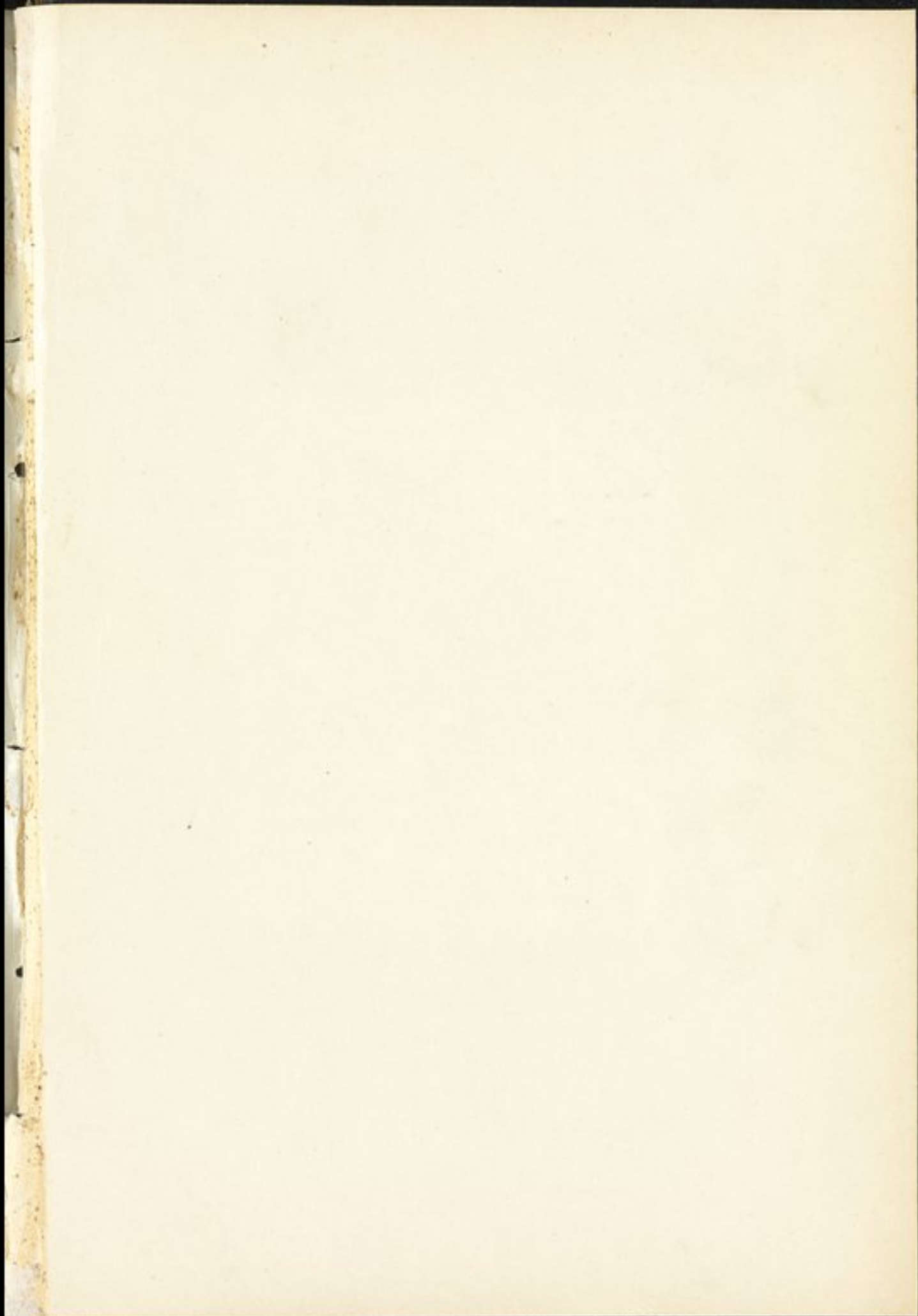
مؤتمر الآداب العرب الخامس

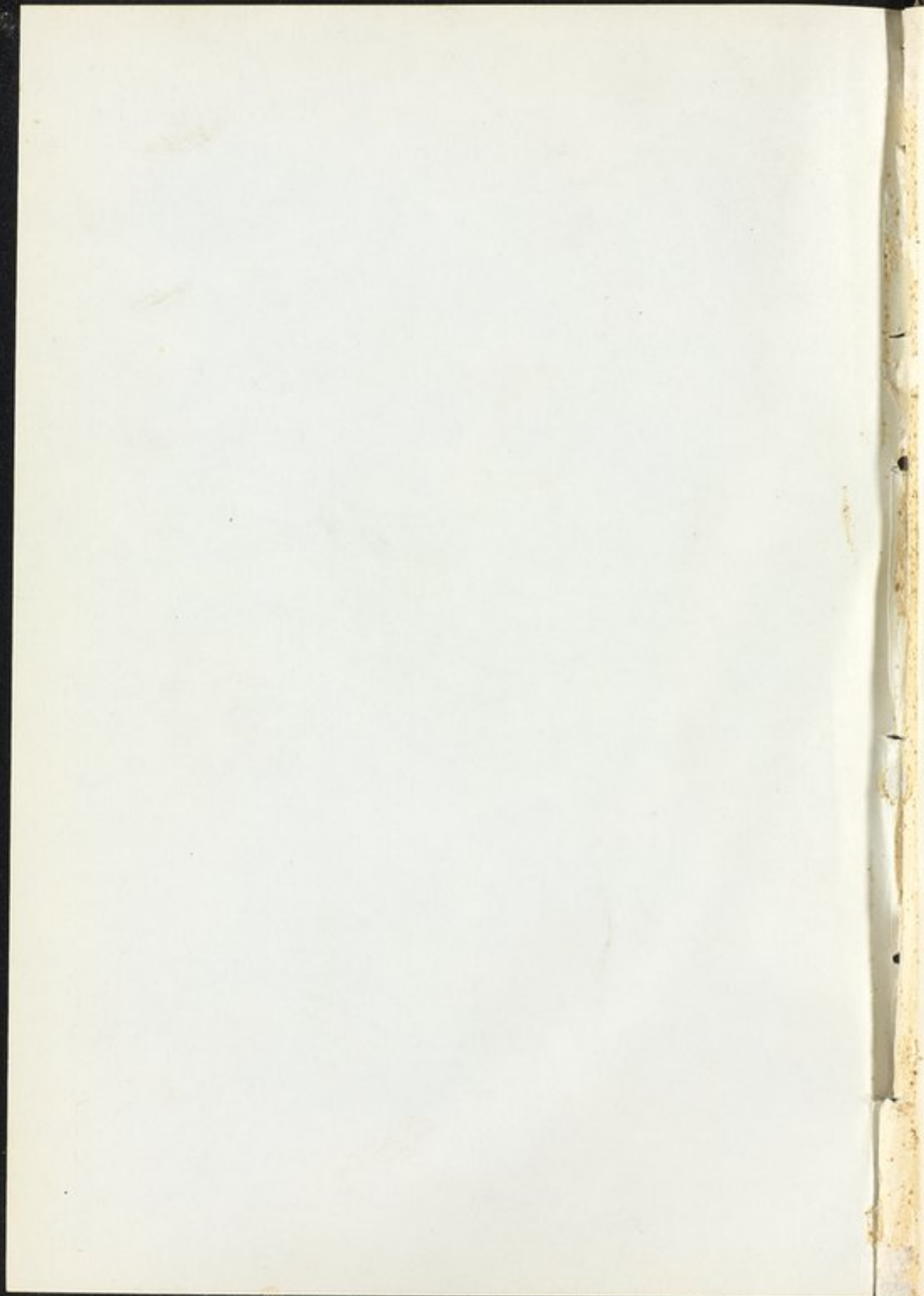
١٥ - ٢١ شباط ١٩٦٥
بغداد

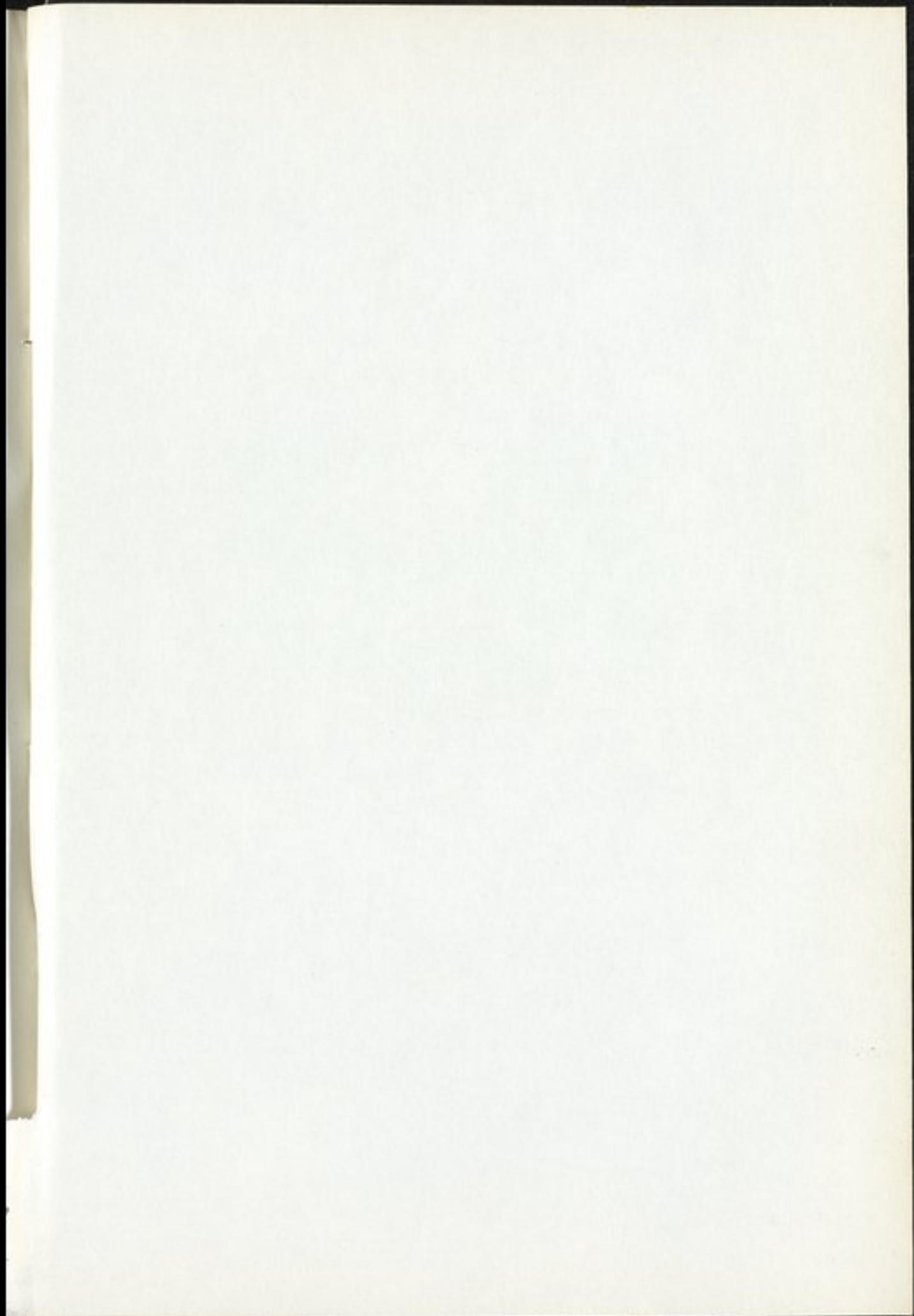
القسم الثاني

الأدب والثورة

الأدب والبناء









دور الأدب

في

معركة التحرير والبناء

مؤتمر الأدب العرب الخامس

١٥-٢١ شباط ١٩٦٥
بغداد

القسم الثاني

الأدب والثورة

الأدب والبناء

PJ
7501
.M8
5
1965
v.2

الناشر
عبد الحميد العاني
مطبعة العاني - بغداد
١٣٨٤ - ١٩٦٥

أصدرته
الجنة التحضيرية لمؤتمر الأدباء العرب الخامس
نسقه وأشرف عليه

الدكتور أحمد مطلوب عبد الجبوري

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الأدب والشورى

فصل في معرفة

الثورة والأدب

بقلم

محمود سليم الحوت

قد يكون الفرنسيون من أشد شعوب الأرض اعتزازا بقوميتهم ، ووثوقا من أنهم ، كرواد ثورة تحريرية عالمية ، شعب أعطى للقارة الأوروبية ، وغيرها من قارات الأرض معاني جديدة للحرية ... وللديمقراطية السياسية التي سرت بعد الثورة الفرنسية ، وتحطيم البستيل عام ١٧٨٩ الى شتى بلدان الغرب الأوروبي . فالعالم أجمع . ومع ذلك فان حرب التحرير الجزائرية ، قد حملت قسيما فرنسيا عاندا من الجزائر آنذاك ، على التصريح بما تردد على شفاه الكثيرين من جنود فرنسا المحاربين ، قائلين : « انه لمن المخجل ان يكون الانسان فرنسيا ! » .

وانني لعلى ثقة تامة ، من أية حرب تحريرية صادقة ستجبر الاستعمار ، أياً كان نوعه ، على التصريح بمثل هذا القول . ولهذا فان كلمة الثورة ... الثورة الصادقة العارمة ... الثورة المنظمة الخلاقة ، يقوم بها شعب ... اي شعب مغلوب على أمره ، بعزيمة أكيدة ، وتصميم حاد صارم ، لجديرة بان تزعزع أركان المستعمرين ، وتلقي الفزع في قلوبهم ، ومن ورائهم الرجعيون ، والنفعيون ، وكل من لا يرى له وجودا الا بوجودهم ، وسلطانهم .

وقد يكون الاعلان العالمي لحقوق الانسان ... تلك الوثيقة التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من كانون الاول ، عام ١٩٤٨ ، نتيجة حتمية لسلسلة من الثورات العالمية ، الدموية منها والفكرية . ونحن نعلم ان هذه الوثيقة انطوت على ثلاثين مادة منها ما يقول ان لكل

انسان الحق في مستوى من العيش كاف لضمان الصحة والهناء له ولاسرته ،
ومنها ما ينص على انه لا يسترقي ولا يُستعبد أحد ، ومنها ما يصرح بأن
البشر كلهم يولدون أحرارا متساوين في الكرامة وفي الحقوق ... الى
غير ذلك من مواد انسانية خيرة .

ومهما كان في ذلك من مكاسب للبشرية كلها ، الا ان الكثيرين
يعتقدون بأنها حقوق نظرية ما زالت الامم المتحدة عاجزة عن اقرارها فعلا
لا نسا بحيث تتمكن الشعوب ولاسيما المستضعفة ، والمغلوبة على أمرها ،
من التمتع بها عمليا ، فلا تكون مخدرا من المخدرات التي اعتاد فرضها
الاقوياء على الضعفاء . ولهذا فان على كل شعب حي ان يغتصب حقوقه
اغتصابا ، غير منتظر من مستغليه في الداخل والخارج ان يتكروا عليه ،
في الوقت الذي يشاؤون ، بحق لا يكونون هم انفسهم بحاجة اليه ، أو أنهم
لا يتنازلون عنه الا لدعاية مسمومة مفرضة ، تخدر من حماسة ذلك الشعب
القومية ، أو تخفيف من أحقاد غيره من الشعوب .

* * *

والثورة التي نعني في بحثنا هذا (Revolution) قد أصيب مفهومها
بفوضى استعمال ، لا في اللغة العربية فحسب ، بل وفي شتى اللغات الاجنبية
كذلك . فكثيرا ما يستخدم الادباء والمفكرون من عرب وأجانب في هذا
الميدان كلمات عديدة مثل التمرد ، والانقلاب ، والفتنة ، والعصيان ،
وغيرها من الكلمات التي وان حملت بين طياتها بذور الثورة ، الا انها
لا تعني الثورة في معطياتها الحديثة .

وقد يرى البعض ان الثورة في معناها المعاصر المعروف ، انما هي
ذلك النضال المشبوب في سبيل تغيير السلطة الحاكمة من ايدي طبقة
اقتصادية مغايرة ، كما يستعمل البعض الاخر كلمة الثورة للدلالة على تغيير
أساسي جذري في الحكومة أو دستور البلد السياسي ، يقوم به عدد كاف
من الأفراد ، بالعنف عادة ، وقوة السلاح ، نتيجة لاسباب داخلية ظالمة .
وكان فيكتور هيجو قد اجترأ تعريفا للثورة فقال انها « فورة غيظ

الحقيقة ، • والحقيقة هذه التي يعيها ، تلك تأتي ان يكون الانسان عبدا
للانسان ، وذلك لا يتم ، كما يرى نفر من فلاسفة الاجتماع ، الا بعد تمهيد
علمي وتنظيمي ، ونشوء ايدولوجية ثورية مطلقة ، مما يضفي على بعض
الحركات الانقلابية لونا من القداسة والايمان الحاد بها ، وذلك على الرغم
من انها ليست بوحى ولا نبوة • وهم يرون كذلك ان هذه الايدولوجية
هي طريق أية حركة ثورية الى انتصارها وسيادتها ، مما يعطي المجتمع
تركيبا روحيا وماديا يجدد النظم والعلاقات الاجتماعية والسياسية ويقتلع
جذور التركيب التقليدي البائد •

ولهذا لا يتفق أصحاب الرأي وبعض المؤرخين الذين أضفوا على
حركات التمرد المعروفة التي عمت القارة الاوروبية عام ١٨٤٨ ، صفة
الثورة •• فقد كان ينقص تلك الحركات المفهوم الثوري الكامل ،
والاندفاع الشعبي المطلق ، وامثالها من حركات التمرد عبر عصور التاريخ
الطويل •

ومع هذا وذاك ، فالثورة كانت حتى القرن التاسع عشر لا تعني أكثر
من اضطراب شعبي ، وان قيل انها اتخذت معناها السياسي قبيل عام ١٧٨٩ •
وعلى الرغم من انها اتخذت معنى حديثا خلال القرن التاسع عشر ، الا ان
فلاسفتها يرون ضرورة خلق مبدأ فلسفي جديد ، ومفهوم شعبي عام يتمكنان
من البلوغ بالثورة الى غاياتها الطبيعية المثلى •

ولست في موقف لتنفيذ ما يطلقون عليه اسم الثورة الصامتة التي
تتحقق عن طريقها الديمقراطية الاجتماعية على يد المنظمات الشعبية الهادئة ،
ومقارنة تلك الثورة بالتحريك الثوري الذي يتم بالقوة والعنف ، وان كان
يجدر بنا التنويه بأن الديمقراطية الاجتماعية في نظر الطرفين النقيضين
كليهما انما تهدف الى تحرير الفرد من الوان الطغيان والظلم ، وهو
التحرير الذي يعطي الديمقراطية الحديثة وجهها الجديد • ولا يعني
هذا ان ليس هنالك من نظام يجب ان يسود الا ما هو قائم في المعسكرين :
الاميركي - الانجليزي من ناحية ، والسوفيتي من ناحية أخرى •

هذا ، ومهما اکتنف كلمة « الثورة » من اضطراب وغموض ، وتعددت تعاريفها في مختلف البلدان من شرقية وغربية ، فانها لا تعدو في مفهومى - كعربى قومى - كونها الحياة العارمة الفوارة التى لا ترفض الظلم بشتى أنواعه من سياسى واقتصادى والاجتماعى وفكرى فحسب ، بل تعمل بتنظيم مدروس جاهد للقضاء عليه قضاء مبرما ، لتحل محله الحرية والعدالة ، والمساواة ، وكل ما يؤدى الى سيادة الانسان العربى ، وسعادته بوحدته المطلقة في وطنه الكبير .

* * *

ولسنا في حاجة الى القول بأن التاريخ مليء بالثورات . لا بل انها أقدم من التاريخ ، فقد عرفها الانسان في كل بقعة دب فيها من بقاع الارض انها شغل الانسانية الشاغل عبر الادهام ، حتى لتكاد كتب التاريخ تحدثنا عن ثورة تحت كل نجم حقبة قصيرة أو طويلة من أحقابه العديدة . والثورات ، في شتى أشكالها ، لا تميز بين جنس أو لون أو دين أو طبقة . . . فقد يقوم بها الاحرار كما يقوم بها العبيد ، وينتفض لها الايمان كما ينتفض الالحداد ، ويلتهب بها الابيض كما يلتهب الاسود والاصفر والاسمر . فالضغط والظغيان هما اللذان يولدان انفجار النفس البشرية في الافراد والجماعات والشعوب والامم على اختلاف ما كلها ومشاربها . . . حتى جماعات الطير والحيوان تتحد في كثير من الاحيان وتعلنها ثورة شعواء مدمرة على الظلم الوحشى ، أو تهديد الحياة باسترقاق ومسوت فكيف بالناس يستعبدون وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!

واننا لنرى ان الاسلام ، ان لم يكن أضخم ثورة عرفتها الانسانية جمعا في تاريخ نضالها الطويل ، فهو من أعظم ثورات الارض ، وأشرفها ، وأسمها نتائج ، وأبعدها أهدافا وغايات . انه ثورة السماء والغبراء معا على أعداء الحياتين ، ثورة الضمير النير النابض على مسوديه وقاتليه . . . ثورة الفكر الشريف الحر على معهريه . . . ثورة الايمان الهادى على الالحداد المضل الضال . ثورة الجمال والفضيلة والخير والنور على القبح والرذيلة

والشر والظلام ... انه ثورة الحق تطلعا الى الحق المطلق في كل زمان
ومكان .

لامجال ، سيداتي سادتي ، لتعداد ثورات التاريخ .. والتاريخ اذا
ما سار ببطء كلي خلال بعض القرون ، فانه يجد بالسير ويلهث جاهدا في
بعض أعوامه وأيامه . وقد يحتاج المرء الى مجلد رحب واسع كثير الصفحات
لذكر مجموعة واحدة من ثوراته العديدة . غير ان ذلك لا يحول دون
التلميح ، على سبيل المثال بالثورات الكبرى التي عرفها العالم الغربي منذ
القرن السابع عشر ، حيث نرى حتى في بلاد الدم الأزرق البارد ، ثورة بعد
أخرى للاطاحة بالوهية الانظمة القائمة . يثور كرومويل لينشى الجمهورية
الانجليزية (عام ١٦٤٨) ، وتشتعل ثورة أخرى (عام ١٦٨٨) لتؤدي الى
« اعلان الحقوق » ، ولتشق الطريق الى الروح الديمقراطية التي
أخذت تنتشر فيما بعد بأرجاء القارة الاوروبية ولاسيما بعد الثورة الفرنسية
... ويتزايد الضغط الانجليزي بجبروته المعروف على مستعمراتهم
الاميركية ، فيهب الشعب الاميركي بقيادة جورج واشنطن ، معلنا حرب
الاستقلال ، فيقهر المستعمر ويستدل ، وتعلن الحقوق (عام ١٧٧٤)
ويتبع الاستقلال في الرابع من تموز ، عام ١٧٧٦ .

وكأن هذا الشهر على موعد مع ثورات عارمة أخرى ... ففي فرنسا
كانت بشاعة الظلم قد بلغت بالنفوس التراق ، فاحتم الغليان وانفجر بثورة
من أخطر ثورات الانسان على أعداء الانسان . انها الثورة الفرنسية التي
بدأت فعلا في الرابع عشر من تموز ١٧٨٩ ، حيث انقض النوار على حصن
البستيل في باريس ودمروه وعصفوا بالانظمة البالية ، وزعزعوا أركان
الملكية حتى مسحوها ، وأصبحت فرنسا جمهورية (عام ١٧٩٢) ، ومن
تم عمت روح هذه الثورة التاريخية الكبرى في سائر اوربا ، والعالم ،
تمخضة بمبادئ الديمقراطية الحديثة ، ومنحصرة في كلمات ثلاث :
« الحرية الاخاء ، المساواة » .

ولا عجب ان يطلق المؤرخون على عام ١٨٤٨ عام الثورات . فقد

واجهت انجلترا قلاقل عنيفة واضطرابات شديدة خطيرة ، وان تحدث فيها ثورة بمعناها الدامي ، وأما في فرنسا فقد أجبر الثوار والاحزاب التحررية ملكها لويس فيليب على التنازل ، معلنين فيها الجمهورية الفرنسية الثانية . . وانتفضت القارة الاوروبية بكاملها انتفاضة عنيفة عمت المانيا ، والنمسا ، وبولندا ، وبوهيميا ، وايطاليا ، وغيرها مما أدى بالنتيجة الى سن الدساتير الجديدة ، والنيل من قوة الحكم الفردي والحد من سطوته ، والتوسع في حريات الشعب ، وتوطيد النظم الديمقراطية العامة . . وناهيك بما أحدثته الثورة الصناعية في اوروبا ، بالاضافة الى أحداث الثورة السياسية ، من تغييرات جمّة في مفاهيم الحياة المادية والاجتماعية .

وتتقدم مع الثورات فيما بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر دخولا في القرن العشرين فتواجهنا ثورة البلقان (١٨٧٥ - ١٨٧٧) على الدولة العثمانية سعيًا من تلك البلدان (البوسنة والهرسك والجبل الأسود وسربيا وبلغاريا) لاغتصاب استقلالها الداخلي ، كما تهب في وجه ما يسمى بالرجل المريض ثورات تركيا الفتاة ، منذ عام ١٨٧٦ لادخال النظام البرلماني ، واخضاع السلطان واجباره على اجراء الانتخابات ، وعزله في النهاية . . كما لا ننسى ثورة أتاتورك عام ١٩٢٣ التي أسفرت عن اعلان الجمهورية ، وبالتالي الغاء الخلافة وعزل آل عثمان (١٩٢٤) وفصل الامور الدينية عن المدنية في الدستور . وبالاضافة الى الحركتين النازية والفاشية في المانيا وايطاليا ، تشير الى الثورة الاسبانية (١٩٣٦) التي تمت بعد مراحل من استقالة الملكية ، واطلاق الجمهورية ، ونشوب الحرب الاهلية ، بسقوط مدريد في يد البيض واطلاق حكومة فرنكو في مطلع نيسان ١٩٣٩ .

ولا ريب ان أعظم ثورة اوروبية وقعت بعد الثورة الفرنسية ، وفرضت مفهومها وأيديولوجيتها على جزء كبير من العالم هي الثورة الروسية التي ابتدأت في بتروجراد في ١١ آذار ١٩١٧ . . فقد أخذت القاعدة الشعبية في تلك البلاد المترامية الاطراف تتسع وتعمق منذ أوائل القرن التاسع عشر ،

وتزداد فعالية الحركات الثورية فيها بازدياد صلتها مع الشعب ، الى ان وقع الانقلاب الشيوعي وانتهى حكم القياصرة ، واستلم البلشفيك زمام الامر بقيادة لينين وتروتسكي في ٧ تشرين الثاني من العام الذي بدأت فيه تلك الثورة الكبيرة ، التي جسدت الديمقراطية الماركسية ، واراقتها في اعطاء السلطة للكل الشعبية ، وعملت على ان الشعب ليس صاحب تلك السلطة فحسب ، وانما هو الذي يجب ان يمارسها عن طريق منظماته المتفرعة الكثيرة .

* * *

وقد يطول الحديث ويتشعب في تناوله المراحل التي مرت بها ثورات العالم العربي في شتى بلاده وأقطاره طلبا للتخلص من الحكم العثماني وطفغياته ، والتحرر من الاستعمار الوحشي الكريه في جميع أشكاله والوانه ، من انجليزي ، وفرنسي وايطالي ، واسباني .. كأننا لم نكتف بمعاركنا الطويلة المريرة منذ أوائل القرن السادس عشر حتى اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ أو اعلان الثورة العربية على الاتراك في الثاني من حزيران ١٩١٦ بعد ان علق جمال باشا والي سوريا السفاح ، وقائد الجيش التركي الرابع ، عددا من أبطال العروبة المناضلين وشبابها المثقفين الاحرار على أعواد المشانق في بيروت ودمشق ، اليومين المشؤومين ٥ آب ١٩١٥ و ٦ أيار ١٩١٦ . أما ظلام الاستعمار الغربي الجشع الرهيب فقد ران على دنيا العروبة وتمطى بصلبه ، واردف اعجازا وناء بكلكل وكأنه ليل امرئ القيس غفر الله له بهذا الوصف العجيب !! وانه لكارثة طامة عامة يعيش عليها المستعمر بنهب الثروات المادية والبشرية في البلاد التي تبلى به . والاستعمار كان وما زال متأكدا من ان عالمنا العربي ممر طبيعي يصل الغرب بالشرق والشمال بالجنوب ، ويعرف انه مركز استراتيجي لا مثيل له في الدنيا كلها ، ولا تفوته حقيقة ان هذا العالم ثروته هائلة يقوم على رأس كنوزها النفط ومشتقاته ، فهو يستमित ، كما يقول صديقنا نقولا الدر في كتابه « هكذا ضاعت وهكذا تعود » في الاستيلاء عليه بكل

وسيلة ممكنة ... ذلك « ان الله سبحانه وتعالى جعل بلادنا في اوضاع
تمكن أهلها من التحكم في رقاب قارات ثلاث ، عسكريا وتجاريا ، برا
وبحرا وجوا ، » .

فكيف لا يطمع بنا الاستعمار ؟ كيف لا يقتل كل وعي فينا ؟ كيف لا
يرى في القومية العربية خطرا ممينا على حياته يهدد وجوده بالفناء ؟ كيف
لا تصطك مفاصله ويدب الفزع في اوصاله من مجرد فكرة الوحدة العربية
الشاملة؟! ولا ريب ان « جون جلوب » في كتابه « بريطانيا والعرب » ،
قد أبدع في وصف هذه المخاوف عندما قال : « ان دولة مقاتلة عظيمة ،
ناطقة الدعائم في الشرق الاوسط ، يمكنها ان تضرب في اوربا أو آسيا
أو أفريقيا حسب رغبتها ... أو ان تشن الهجوم ، في أية جهة تشاء ،
على اوربا أو آسيا أو أفريقيا ... وهي تستطيع ان تفصل اوربا عن
آسيا كليهما عن أفريقيا .. كما تستطيع ان تفرق الحلفاء بعضهم عن
بعض ، وان تبدهم الواحد تلو الاخر » .

وقد يكون « أبو حنيك » قد تخيلت في مجال أوهامه ، وهو يكشف
الستار عن مخاوف الاستعمار ورعبه ، دولة كبيرة أخرى واقفة للمعسكر
الغربي بالمرصاد ، غير انه لا بد كذلك مدرك تمام الادراك ، هو وغيره
من أرباب الذهنية التي تخشى اتحاد العرب ، ما سيكون للقومية العربية
ووحدتها من ثقل في موازين العالم كما كان لنا في سابقات العصور . ولا
ريب أنه قد قرأ أمثال قول الشاعر العربي :

وتسير الفتوح فهي على السند ، وفي الغرب فوق هام فرنسا
وتضج الشعوب بشرا كما لو زف أهل الفتوح في الكون عرسا
أولم يحملوا المشاعل بالارض ويعطوا الطغاة في العدل درسا
ويشيعوا روح الحضارة أنقى جوهرا ، يا أخي ، وأطهر حسا
أولم يدرس الزمان عليهم كيف كانت قواعد الحق ترسى
ويعم السلام في الارض طرا وتسر الشعوب قلبا ونفسا
سل رجال التاريخ يا غرب واذكر من بنك الكبار من كدت تنسى

يخبروك اليقين عن كل فعل
كيف قمنا به عصورا طوالا
واذا قامت العراقل طودا
كان حكم العروبة الفذ للمخلق
وهم رافلون مجدا وأمنا
لم نكن امة تجيع البرايا
مثلما يفعلون في كل قطر
قد حكمنا الانام بالامس لكن
أو لم تصبح الجزيرة بعد الفتح ،
معجز في الوجود جنا وانسا
لم نندس يدا ولم نجن رجسا
لم نهن قوة ولم نشك ياسا
حساما يذود عنهم وترسا
يستفلون راية العرب حُسا
وتمص الدماء نهشا ولحسا
حكموه فزاد شؤما ونحسا
سلمهم كيف حكمنا كان أمسا
والعرب سادة ، فردوسا؟^(١)

هذه القوة الهائلة ، ولا سيما اذا تمكنت من ان تكون قوة ضاربة عند
اللزوم ، ارتعب وما يزال يرتعب منها الاستعمار ، ولذلك لم يكد يسطر
جناحه الثقيل على العالم العربي ، بالخديعة والغدر والقوة في أماكن
الضعف ، حتى اخذ يثير التمرات والطائفيات ، ويفذي الشعوبية ، ويفسد
الضمائر ، ويشتت الازهان والفكر ، ويعمي البصائر ، ويحيك المؤامرة
تلو الاخرى ، ويرسم المخطط الرهيب تلو المخطط الرهيب ، ويحتل ما
يمكن احتلاله من دنيا العرب المجزأة ، ويفاوض الحكام مينا الغدر
للسعوب ، ويدعم الموالين ، ثم يعمل بالنهاية على خلق دولة في الصميم
العربي يدر بها على العدوان الدنيء وينقض منها على العرب أجمعين انى
شاء وكيف شاء .

غير ان ذلك كله لم يبلغ به شأوه ، فلم يستطع ان يحقق جميع
أهدافه ومراميه وان كان الواقع قد اوحى اليه بانه السيد المسيطر . قال أبو
ذر الغفاري : « عجبت لمن لا يجد القوت في بيته ، كيف لا يخرج على
الناس شاهرا سيفه ! » . . . هذا فيما يتعلق بالجوع وحسب ، فكيف
بالعرب لا يتورون وقد شعروا ان قوتهم مهدد بالتهب ، وعرضهم مهدد
بالعار ، وحریتهم مهددة بالاصفاد ، وكرامتهم مهددة بالذل ، وأمجادهم

(١) من ديوان « ملاحم عربية » - للمؤلف .

مهدة بالضياح ، وكيانهم كله مهدد بالدمار !؟

ولا يضيرهم انهم مستضعفون عزل من السلاح الا سلاح الايمان ...
فقد قال المارشال فوش : « ان الروح البشرية المضطربة ، أعظم أسلحة
الانسان » فلا عجب ان نرى العرب في كل مكان ، وقد كانت روحهم تغلي
كالبركان حقا ونقمة ، وتطلعا الى الحرية ، يهبون هبة الاسود ديس
عربنها ، فيضرمونها ثورة تحررية في مصر والشام ، وفلسطين ، وهذا البلد
الامين ... ولا يريحون الاستعمار في أى غيرها من الاقطار ، منذ ان
رفرت أعلامه البغيضة في العالم العربي بعد الحرب العالمية الاولى ، وقبلها
في بعض اقطاره بزمن طويل .

* * *

والجدير بالذكر اننا لا نستطيع في هذا البحث المقتضب ان نلم بتفاصيل
ثورات العرب في السنوات الاخيرة ، وان كان من المجدي ان نشير الى ثورات
تحررية اربع كان لها الاثر الفعال في دفع القومية العربية نحو وحدة العرب
الشاملة خطوات واسعة جبارة . فالفكرة الثورية التي تطوي عليها قوميتنا
لم تعترف بالواقع المريض ، بل تمردت عليه ، واعترفت بواقع قوي سليم
يؤكد لها ان القيمة الحضارية الانسانية للشعوب العربية انما تكمن في
وحدتهم ، ولهذا فقد أخذت تطلق تباشير قدرتها على تحرير الانسان العربي
في كل جزء من اجزاء وطنه الكبير ، وعلى اقامة « مجتمع عربي
متحرر من الاستغلال ، والاستبداد الداخلي ، والاستعمار الخارجي ، يظله
- كما يقول كمال الدين محمود رفعت - نظام اقتصادي ، يهدف الى
تحقيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين » .

ومهما قيل في القوميات ، ومفهومها الاجتماعي الذي يصعب تعريفه ،
والنظريات العديدة التي تكتنف مقوماتها (كما بين ساطع الحصري في
كتابه : ما هي القومية) كالنظرية الالمانية التي تعتمد وحدة اللغة أساسا ،
والفرنسية التي تقول بمشيئة المعيشة المشتركة ، والساليانية التي ترى وحدة
الحياة الاقتصادية أساس القومية الاول ، والدينية التي ترى وحدة الدين
هي الأساس ، الى غير ذلك من عديد النظريات ، فان الكثيرين من مفكرينا

يعربون عن القومية بانها ماضيها المشترك ، وحاضرنا المشترك ، ومستقبلنا المشترك ، ويرون في وحدة اللغة ، ووحدة الارض والطبيعة والتاريخ المشترك ، والمصير المشترك ، ووحدة الثقافة ، ووحدة المصالح من اقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية وعسكرية ، مقومات أساسية للقومية العربية .

هذا ، وفي بحث للدكتور قسطنطين زريق بعنوان «دروس من الماضي» يقول : « واذا نحن درسنا الحياة العربية على ضوء تاريخها الماضي وواقعها الحاضر ، ومستقبلها المرجو ، وعلى ضوء التطور البشري ، لم نجد فكرة يصح ان يلتف حولها ابناء هذه البلاد ، وان يكافحوا في سبيلها سوى الفكرة العربية القائمة على أسس قومية صحيحة ، الخالصة من كل شائبة ، المتغلبة على كل عصبية ، المفتحة لنور العقل ، المتصلة بجذور الماضي السليم ، المتطلعة الى آفاق المستقبل المشرق » .

وفي الوقت الذي نرى بعض مفكرينا يعودون بمراحل القومية الى نهاية الدولة العثمانية ، حيث بدأت المرحلة العاطفية والتغني بالامجاد ، وشحن الهمم ، نجد ان بعض المفكرين الاخرين يوغلون بتاريخ القومية العربية فيصلون بمرحلتها الاولى الى عصور الجاهلية ، ثم تتبعها مرحلة الاسلام ، فمرحلة الحكم التركي ، واخيرا مرحلة الاستعمار الذي هندس كارثة فلسطين ، ثم مرحلة الانطلاق العربي ، والثورات الحديثة الكبرى ، وعلى رأسها ثورة الضباط الاحرار في مصر عام ١٩٥٢ ، وهي الصرخة المدوية المجلجلة التي « قفزت بالدعوة العربية من عالم الفكر الى عالم الواقع المحسوس » .

ولقد عرف الدكتور منيف الرزاز القومية في كتابه « تطور معنى القومية » بقوله انها « شعور ابناء الامة الواحدة بان ثمة ما يجمعهم الى بعض ليكونوا امة واحدة ، وما يميزهم عن الامم الاخرى ، سواء كانت هذه الميزات حضارية ، أو تاريخية أو اقتصادية أو سياسية » . ولا شك ان هذا الشعور العارم هو الذي دفع بالعرب الى الالتقاء في نضالهم المقدس ضد الاستعمار الغاشم فكانت ثورة جمال عبدالناصر الخلاقة ، وثورة أحمد بن بللا الجبارة ، وثورة عبدالسلام محمد عارف المدمرة البناء ، وثورة عبدالله

السلال التحررية الانسانية التي اعادت للانسان العربي في الجنوب اليمني
حرية وكرامته ، ومسحت عن جبين البشرية لطفة سوداء .
هذه الثورات الاربعة التي خاضها العرب بتحد لم يدفع وتصميم صارم
لا يعرف الهزيمة ولا يخشى الموت ، والتي شهدها العالم أجمع وهو يكاد
لا يلتقط أنفاسه في سنوات ما بعد العقد الخامس من القرن العشرين ،
برهنت للعالم كلها على أن القومية العربية قوة غالبة تغذ السير رغم كل
الصعاب والعراقيل نحو هدفها الاول وهو تحقيق الوحدة العربية للامة
العربية جمعاء ، علما أكيدا بأن هذه الوحدة انما هي حياة العرب الكريمة
ووجودهم الصحيح السليم .

وما هذه الثورات الا امتداد فوار مواردنا الذي لم يكل ولم
يمل ، اذ « ان كفاح أي شعب ، جيلا بعد جيل - كما يقول قائد الثورة
المصرية المظفرة - بناء يرتفع حجرا فوق حجر ٠٠٠ وان ثورة ٢٣ يوليو
هي تحقيق للامل الذي راود شعب مصر ، منذ بدأ في العصر الحديث يفكر
في ان يكون حكمه بأيدي أبنائه ، وفي ان تكون له نفسه الكلمة العليا في
مصيره » . ولا ريب ان هذه الثورة التي اصبحت في نظر العالم اجمع استاذة
بين الثورات التحررية ، والتي جعلت شعارها منذ نشوبها « النظام - الاتحاد
- العمل » ، قد اجترحت المعجزات وفعلت الاعاجيب كما انها أثبتت - على
حد قول قائدها العملاق - ان لكل شعب ثورتين : « ثورة سياسية يسترد
بها حقه في حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، او من جيش معتد
أقام في أرضه دون رضاه ٠٠٠ وثورة اجتماعية تنصارع فيها طبقاته ثم
يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لابناء الوطن الواحد » وقد اقتضت
التجربة الهائلة التي امتحن بها الشعب العربي في مصر ان تعيش الثورتان
معا في وقت واحد ، وبذلك أمكن خلق وعي مرهف في بلاد العرب كلها
يتطلع بلهفة الى انبثاق فجر جديد .

وكما قامت هذه الثورة التحررية تقلب أسس المجتمع العربي في
مصر ، وتطلق به في طريق القومية العربية ، وتقضي على الاستعمار ،
وتحطم موازينه ، وتذف في وجهه بأهدافه وخططه وأساليبه ، وتنزل الضربة

تلو الضربة بعيمليته الرجعية والشعبوية ، كذلك هبت ثورة الجزائر في وجه دولة من أوحش دول الاستعمار ، غير آبهة بما لها من قوة وعتاد ، ولا حاسبة لاسلحتها المدمرة المؤيدة بأسلحة حلف الاطلسي كله حسابا . . . حتى نيف عدد شهدائها الابرار على المليون ، وهي ثابتة في ميدان الشرف كأعظم ما يكون الثبات ، الى ان اغتصبت حقها من أشدق الوحوش ، ورفعت علم استقلالها خفافا في سماء الحرية والكرامة ، بعد ان أثبت أبطالها أرجلهم في مستنقع الموت ، وقالوا لها من تحت أخامصك الحشر . وجميل ان يدرك ابن بللا واخوانه الاحرار الميامين ان مكاسب ما بعد الاستقلال ، وبناء صرح نهضته الشامخ ، والحفاظ على ما بين الاقطار العربية من اخوة ووحدانية شاملة مرجوة لا تقل شأنًا عن معركة الاستقلال ذاتها ، بنفس العزيمة الصادقة ، والايمان القوي ، والتصميم الحاسم ، والتضحيات تلو التضحيات .

أما الثورة العراقية الاخيرة التي ابتدأت مراحلها بضربتها الاولى في ١٤ تموز ١٩٥٨ والتي ما زالت تعمل بحزم وعزم واخلاص وتفان لتحقيق الوحدة بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة ، فالتحدث عنها لا يخرج عن التفتي بقائدها العارف المختار ، واخوانه الميامين الاحرار ، الذين لم يرضخوا لطفيان ، ولم يثن عزمهم تهديد بموت ، ولكنهم وقفوا ، وما في الموت شك لواقف ، وقفة سوف تتحدث عنها الاجيال بعد ان تتحقق الوحدة الميمونة بين الجمهوريتين العربيتين الكبيرتين وتعلم الدنيا ان لا مناص من تحقيق الوحدة الكبرى ، والله أكبر ، والعزة للعرب .

ثم ما عسانا نقول في تلك الثورة العربية العنيدة في اليمن والجنوب العربي . . . تلك الثورة التي قالت عنها حتى الصحف العالمية المعادية للقومية العربية ، انها ثورة نجحت في اعزاز كرامة الانسان ، وقضت على أعجب مظاهر الجهالة والتخلف في العالم ، ومسحت عن وجه البشرية لطمخة القرون الاولى . وانها لمعركة أظهرت بوضوح للعالم أجمع طبيعة الحرب الضروس بين الوحدة والاشتراكية ، وبين الاستعمار والرجعية من جهة أخرى ، ولهذا تجلى ، دون عجب ، تأييد العرب في كل مكان لثورة اليمن ،

كما تجلى وقوف الثورة في الجمهورية العربية المتحدة ، الى جانب تلك الثورة التحررية المظفرة ، وبذلك برهن النضال العربي على قدرته في شطب المستحيل من قاموس القوة والارادة .

وبمثل هذا النضال تتضح امامنا الطريق .. طريق التحرر والاتحاد والتقدم ، وهي التي يقول فيها استاذ علم من أساتذة التاريخ (الدكتور فلسطين زريق) انها « الطريق الوحيدة التي تكفل لنا البقاء وتضمن الحفاظ على الكيان . وقد نزل في أرضنا عدو غاصب وأقام دولته في بقاع وطننا وأوسطها مركزا ، وأعد عدته لتمكين هذا الاغتصاب ، بل لتوسيع نطاقه ، وهو يهددنا كل يوم بسلاحه وعلمه وأثره في المحافل الدولية . فصراعنا وايام صراع موت أو حياة ، وزوال أو بقاء . »

ولا أظنكم في حاجة الى معرفة المزيد عن هذا العدو ، الذي بدأ الفلسطينيون ، بتأييد من أشقائهم العرب ، كل العرب ، يطرقون عليه أبواب صراع الموت أو الحياة . وانها لمعركة مريرة قادمة ، ان كتب لنا فيها النصر ، وسيكتب باذن الله ، انتقل بنا المنطق الثوري الى تحقيق أعظم هدف حلم به العرب منذ كان العرب .

* * *

في غمرة هذا النضال ... ترى أين أدياؤنا ، ومفكرونا ورجال القلم فينا ؟

ان وراء كل ثورة في العالم مفكرين وادباء يتمرّدون على اوضاع ما قبل الثورة فيلهبون النفوس ، ويلهمونها ، وبعثون فيها وعيا خلاقا يقف على الحقيقة المرة الاليمة فلا يرضى بها ، وانما يشور عليها بعد نقدها ايجابيا يشعر معه الشعب أخيرا بأن بقاء مثل تلك الحال من المحال . واذا ما عدنا مرة ثانية للثورة الفرنسية لوجدنا ان دعائها من الادباء والفلاسفة والمفكرين كثيرون ، وبذلك لا يعود الفخر في هذه الثورة الانسانية الكبرى التي قادتها من أمثال ميرابو ، ودانتون ، وروبسبير وغيرهم من الاعلام الثوريين فحسب ، وانما كان وراءهم من الاعلام الادباء من مهدوا للثورة اروع تمهيد ، فتناولوا أنظمة الحياة كلها من سياسية ودينية واجتماعية واقتصادية فعروها ،

وفضحوها ، وتهكموا عليها ، واعطوا الحياة من شعبيتهم وتقدميتهم بالاضافة الى واقعتهم وتفاؤلهم بعلبة الانسانية فيما بعد ، ما عبد طريق الثورة الى النجاح ، وبالتالي دفع التيار الفكرى العنيف في العالم ، وحمل الشعوب على التفكير بتطوير مصير الانسان باسلوب نورى جديد وجرأة لا تهاب الموت فى سبيل الحياة •

وقد بدأ الادباء الفرنسيون بث هذه الروح الجديدة منذ الربع الاخير من القرن السابع عشر لتجلى فى القرن الذى يليه • وقد ظهر تطور كبير فى روح النقد باعمال Pierre Bayle (١٦٤٧ - ١٧٠٦) وأعمال Bernard de Fontenelle (١٦٥٧ - ١٧٥٧) • على ان البارون دى مونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧١٥) ربما كان أول مفكر كبير فى القرن الثامن عشر ، فقد ضرب بمؤلفاته المثل الرائع فى التفرير ، ونقد الحياة الفرنسية ، وتحليل أسباب بزوغ الحضارة وسقوطها • أما كتابه الخطير « روح الشرائع L'Sprit des Lois » فقد درس فيه مميزات الانظمة الحكومية المختلفة ، من جمهورية ، وملكية ، ودكتاتورية ، كما نظر فى متطلبات الديمقراطية ومخاطر التوتاليتاري ••• وكان لهذا الكتاب تأثير فى تكوين النظرية القائلة بفصل السلطات (التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية) فى الدستور الفرنسى • ولا شك ان المارد الجبار فى ميداننا هذا ، انما هو فولتير (فرنسوا ماري ارواة ١٦٩٤ - ١٧٧٨) • فهو أقوى صوت وداعية لفلسفة الانقلاب الاجتماعية طوال خمسين عاما ، فقد جعل هذا الاديب المفكر الثائر من الانظمة القائمة ، والطبقات الارستقراطية من سياسية ودينية تدعم تلك الانظمة ، اضحوكة القارة الاوروبية جميعها • ونحن اذا ما تركنا جانبا كل ما أنشأ هذا العبقري من أعمال شعرية ملحمية أو فلسفية ، وما دبح من روايات تفقد أهميتها فى الوقت الحاضر ، فاننا ما نزال أمام عدد من أعماله التى تعتبر من الروائع العالمية فى النقد والتوجيه •

وقد يكون جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) من بين اولئك العباقرة الفرنسيين الثوريين ، أهم من شغل حيزا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر • ولا ريب انه اختط طريقا أكثر ايجابية من فولتير نفسه ، فعالج

شتى العناصر التي تخلق المجتمع الجديد ، وكان لمؤلفاته الاثر البالغ في نشأة الثورة الفرنسية ، والحركة الرومانسية . . فكما كان Descartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠) بشير عصر العقل ، فقد كان روسو بشير عصر الرومانس ، وأول من اعطاه تعبيره الكامل . والمعروف ان أهم أعمال روسو كتاباه : « العقد الاجتماعي Le Contrat Social » و « أميل Emile » . وهو في الاول يحلل المفاهيم الرئيسية للحياة الاجتماعية ويؤكد على مبدأ سيادة الشعب ، بينما يبني كتابه الثاني على التجربة لا على ما اكتسبه من المؤلفات . وأميله هذا يعتبر الاساس المكين للأراء العصرية في تطور التعليم . . . ولا عجب ان يعتبر روسو أحد الكتاب الذين تمكنوا بأفكارهم السياسية والتعليمية ، وشعورهم الرهيف بالطبيعة ، من الاسهام الكبير في تكوين العالم الحديث .

وقد يكون من المفيد ان نشير في هذا الصدد الى تلك الموسوعة الفرنسية الضخمة ، موسوعة الفيلسوف الفرنسي دنيس ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤) التي انشئت ما بين (١٧٥١ ، ١٧٨٠) رغم العديد من الصعوبات والعراقيل في خمسة وثلاثين مجلدا ، خلال ذلك العصر المضطرب للجيش ، فبرهنت على ما تستطيع جبايرة العقول به من عمل خالد . وقد يصح ان نذكر هنا عددا من مشاهير الكتاب الفرنسيين آنذاك أمثال :

جان دالمبير (١٧١٧ - ١٧٨٣)

كلود ادريان الفتيوس Helvétius (١٧١٥ - ١٧٧١)

اتيان بونيه دي كونديلاك (١٧١٥ - ١٧٨٠)

بول هنري دولباخ d'Holbach (١٧٢٣ - ١٧٨٩)

فرانسوا كويسني Ouesnay (١٦٩٤ - ١٧٧٤)

آن روبر جاك تيرجو (١٧٢٧ - ١٧٨١)

اندرية مورلليه (١٧٢٧ - ١٨١٩)

كما يحسن ان نشير الى كل من المركيز دي كوندورسيه (١٧٤٣ - ١٧٩٤) وجوليان اوفرورا دي لامتري (١٧٠٩ - ١٧٥١) ، وغيرهما ممن كان لهم أثر شديد فعال في الثورة الفرنسية ، بل في تطور جميع النظريات

الاجتماعية فيما بعد الثورة . واذا ما أردنا المزيد من اظهار ملامح ذلك العصر الصاحب بأرائه وافكاره واصلاحياته ، لابد لنا من الاشارة المخاطفة أيضا الى ان بيير دي ماريغو (١٦٨٨ - ١٧٦٣) ، وكودرلوس دي لاكلو (١٧٤١ - ١٨٠٣) ، وآبي بريفوست (١٦٩٧ - ١٧٦٣) ، ونيقولا آدم رستيف دي لا بريتون (١٧٣٤ - ١٨٠٦) ، ورجاك هنري برنردان دي سان - بيير (١٧٣٧ - ١٨٤) ، وغيرهم كثير .

والشيء القريب يشير انتباه الباحثين ، ويروونه ظاهرة جديدة بالاهتمام ، هو ان ذلك القرن الثامن عشر لم يتمخص في فرنسا عن روائع شعرية مشهورة في عالم الشعر ، وان ظهر عدد من الاعمال الشعرية قد تكون أهمها قصائد الشاعر جاك ديلت (١٧٣٨ - ١٨١٣) التهذيبية ، كما شاهدت نهاية ذلك القرن الجياش بالاحداث شاعرا موهوبا ، هو اندريه دي شنيه (١٧٦٢ - ١٧٩٤) الذي نجح في خلق مواضيع شعرية جديدة جعلته من طلائع المدرسة الرومانسية التي ظهرت في القرن التاسع عشر .

* * *

واذا ما انتقلنا الى ثورة ١٩١٧ الروسية التي مسحت وجودا بكامله واحتلت مكانه وجودا اخر ، نجد كذلك ، انه ظهر قبل ان يضرب لينين وحزبه ضربتهم الكبرى في تلك الثورة الاشتراكية ، عدد كبير من الابداء العمالقة الذين كان لاعمالهم الفكرية والادبية أثر عظيم في الاصلاح الاجتماعي وتمهيد السبيل لتلك الثورة الخطيرة في تاريخ الانسان ، وانتشار الشيوعية كمذهب جديد ذي وزن وثقل في الموازين الدولية . وقد تمكن هذا الرعيل من تصوير حياة الفاقة والضياع والبؤس والشقاء ، وغرس بذور الثورة في أعماق الحياة ، على طبقة الزعماء من قياصرة ونبلاء وحكام ورجال دين . ويأتي في طليعة اولئك الابداء الذين أصبحت لهم شهرة عالمية ، فيدور دوستوفسكي (١٨٢١ - ١٨٨١) ، صاحب « الجريمة والعقاب » ، و « الاخوان كرامازوف » ، و « المعتوة » وغيرها من القصص ذات التحليل السكولوجي العميق ، التي لم تكن بذات أثر شديد في الحركة الروسية الفكرية فحسب ، وانما كذلك على كتاب القصة الاوربيين العصريين . ثم

ذلك الدرامي وكاتب القصة القصيرة انطون تشيخوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤) ،
وليوتولستوى (١٨٢٨ - ١٩١٠) ، ومكسيم غوركي (١٨٦٨ - ١٩٣٦)
مصور الحياة الشعبية ازوع تصوير بما وضع من مؤلفات مثل « حياتي وانا
ولد » و « الشاردون » ، و « الام » واضرابها • ونيقولاى غوغول (١٨٠٩ -
١٩٥٢) ومن ازوع قصصه « الارواح الميتة » ومسرحيته العظيمة « مفتش
الحكومة » •

وفي بداية هذه الثورة الروسية التي اوشك ان يمر عليها نحو من
نصف قرن ظهر عدد من الادباء الذين حملوا لواء المعارضة لادب ما قبل
الثورة ، ومن هؤلاء الشاعر ن • س • جوميلوف (١٨٨٦ - ١٩٢١) ،
والشاعرة حنة اخمانوفا (١٨٨٨ -) على ان هنالك فريقا ، يعرف
بالمستقبلين ، طالب بتدمير جميع التراث الادبي في سبيل خلق ادب جديد
لحما ودما ، يقضى على « جمالية » الرمزيين ، و « اكاديمية » الكلاسيكيين ،
وفي (طلبة هذا الفريق المتطرف ايجور سيفرياتين (١٨٨٧ - ١٩٤٢)
وفيليمير خلينيكوف (١٨٨٥ - ١٩٢٢) ، والشاعر الكبير فلاديمير ف •
مايفسكى (١٨٩٣ - ١٩٣٠) الذى وسم بطابعه تلك الحركة الادبية
الجديدة ، بتكريسه بعد عام ١٩١٧ كل ما لديه من موهبة وطاقة للثورة ،
واعتقاده بأن كل شاعر سوفيتي يجب ان يستلهم الوحي الاشتراكي ويطبعه
طاعة عمياء • ولم يكن ينافس ماياكوفسكى في شعبيته آنذاك الا الشاعر
سيرجي ا • أسنين (١٨٩٥ - ١٩٢٥) الذى كان يعتبر نفسه « آخر
شعراء القرية » • والواقع ان أسنين كان يتمتع بشاعرية غنائية رائعة ، الا
انه كان عاجزا عن الانسجام مع النظام الجديد •

وقد ادى التضارب في المطالب الادبية خلال سني الثورة الاولى ، والحرب
الاهلية الى ظهور تيارات ادبية دفع بها النظام البروليتاري لتوجيه الصراع في
سبيل ثقافة بروليتارية على نطاق دولي ، حتى ان التاريخ الروسي الذى سبق
الانقلاب قد أسقط من الحساب كانه انساني عام !! الى حد ان
لوناشرسكى قوميسير التربية السوفيتية قد اوحى عام ١٩٢٣ « بالغاء تعليم
التاريخ والادب الروسي ، واعادة كتابة من جديد ، لان تاريخ روسيا ، حتى

ولادة لينين ، وظهور الحركة البروليتارية ، كان تاريخ فوضى وجهل وظلام
واستبداد لا يستحق ان يدرس . فتاريخ روسيا يبدأ بشكل واضح جدي
منذ ابتداء الثورة ، لذا ، وجب نبذ ثقافة روسيا قبل الثورة ، لانها ثقافة
اقطاعية ، بورجوازية ، بائسة .

ومع ذلك فاننا نشاهد في تلك الفترة ظهور مدرستين جديدتين : الاولى
معتدلة ، يؤيدها بعض الرسميين من ذوى المكانة الرفيعة وعدد من الكتاب
والادباء الذين يرون انه من المستحيل خلق أدب بروليتارى بأمر رسمي ،
وان قيما كثيرة يمكن ان تستمد من الادب البورجوازي والثقافة البورجوازية ،
والثانية متطرفة تؤيد فكرة الديكتاتورية الادبية الحكومية ، وتدعو لادب
طبقي لا هوادة فيه .

والظاهر ان الفكرة المعتدلة سادت الى حين ، ففي عام ١٩٢٥ اتخذت
اللجنة المركزية للحزب الشيوعي قرارا كان في مصلحة المعتدلين الذين تركوا
احرارا يكتبون ما يشاؤون . وبذلك قل التأكيد في الادب السوفيتي على
المواضيع التي تملئها الاحكام الاشتراكية . ومنذ عام ١٩٢٣ زاد التأكيد على
القيم الدائمة ، والثوابت العالمية في التصرف البشرى . فعلى الرغم من ان
الوجدان الشيوعي كان ما يزال سائدا في بعض الروائع الروائية ، كما وليد
العاصفة ، وكيف ألين الحديد ، لنيقولاى اوستروفسكي (١٩٠٤ - ١٩٣٦) ،
فان مجالا واسعا في الروايات الاخرى قد أفسح للعواطف العادية ، والقيم
الانسانية . كذلك نرى الحماسة قد ازدادت للقصص التاريخية الذي
استخدم فيه المفهوم الماركسي لاعادة تفسير الماضي بغية مطابقته مع الحاضر ،
كالرواية التاريخية الرائعة « بطرس الاول » التي عالج فيها تولستوي عهد
ذلك القيصر العظيم كفترة انتقال مماثلة لفترة الجيشان الهائل في روسيا
السوفيتية . ومن هذا الضرب الادبي اعمال ألكسي شابيجين (١٨٧٠ -) ،
١ . نوفيكونوف - بريوي (١٨٧٧ -) وغيرهما . أما روايات يوري
تيناووف (١٨٩٤ -) التاريخية فذات اختلاف كبير ، فقد حاول تيناووف
فيها اعادة خلق شخصيات الماضي ، والعصر الذي عاشت فيه . وواضحة
تماما في معظم هذا القصص التاريخي قوة الحافز الوطني مع التأكيد على بطولة

الماضي كمثل للمحاضر السوفييتي • أما أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد تطور هذا الاتجاه الى وطنية عنيفة ، لذلك نرى في العديد من قصص الحرب ، وقصائدها ، ومسرحياتها التي ظهرت بعد عام ١٩٤١ ، موضوعين تجليا وسادا وهما : حب تربة الوطن ، والكراهية المريرة للعدو • وعلى هذا الاساس نجد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي ، قد اخذت تلك الحرب العالمية الثانية تنكل بالكثيرين من مشاهير الكتاب السوفييت ذوي الميول البرجوازية ، وتأمّر ببدل المزيد من الجهود ذات اللون الشيوعي •

* * *

بعد هذا العرض الموجز للثورة وأدبها بصورة عامة ، نكرر سؤالنا : ترى أين يقف ادباؤنا ، ومفكرونا ، ورجال القلم فينا من ثورة القومية العربية في سبيل وحدتها بوطنها العربي الكبير ؟ لقد انتهت جميع مراحل قوميتنا ولم تبق الا ضربانها الاخيرة • واتتهت كذلك الحركات الادبية التي واكبت تلك المراحل ، كما ان القصائد العربية من طراز « تنبها واستفيقوا ايها العرب » قد أدت واجبها في اثارة الهمم والعزائم ، وشحن الطاقات الوطنية ، والهيب الشعور القومي منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا • ان مفهوم الادب للثورة قد تغير مع تغير التكتيك الثوري ، ومفهوم الثورة نفسها لدى الشعب العربي ، ولا سيما بعد ان قلمت أظافر الاستعمار وخلخلت أضراسه ، وعقّص ذنبه ، ولم يبق الا دق رقبتة بتدمير ربيته التي اقامها في فلسطين ، والقضاء على ما تبقى من آثاره في بعض الجيوب والمعاقل •

لقد اتضح لنا ان الوحدة العربية قضاء محتوم ، ومع هذا الاتضح تبينت لنا معالم كل معركة يقدر لنا ان نخوضها ••• انها ليست معركة شعب عربي منزو في قطر واحد من اقطار العروبة ، وانما استقر رأينا جميعا على أنها معركة الجماهير العربية كلها ضد الاستعمار ، والصهيونية ، وضد الرجعية والشعوبية في شتى الاشكال والالوان •

وطبيعي ان يتحتم علينا التنبه الى ثوبين مختلفين قد يتخفى وراءهما الاستعمار ، ويتظاهر معهما بالبراءة الكاذبة المصطنعة • اما الاول فهو الثوب الاقتصادي يلجأ اليه عادة بعد حملة عصاه ورحيله ••• وهو استعمار جديد

يقوم على مص الدماء بطريقة غير مباشرة ، الثاني فهو الثوب العقائدي والغزو
الفكري ، وهو في حد ذاته ثوب قديم قلما تنبها اليه لمغالاته في الظهور
بالبراءة من جهة ، والتواء أساليبه وفنونه في البث والدس بغية التشكيك
الخيث بقيمة شعورنا الوطني القومي ، وقيمة ما لنا من تراث وأمجاد لغوية ،
وفكرية ، وأدبية على مدى عصور التاريخ . وهو يعلم تمام العلم ما للغة
العربية المجيدة وتراثنا الضخم من أثر فعال جذري في وحدة الشعوب
العربية ، وقوتها ، ومدى فعاليتها في تحقيق أهداف القومية العربية التي
شعر شعورا أكيدا بانها من أشد التيارات الاجنبية ، بالنسبة اليه ، قوة وعنفا
ومصارعة لاهدافه وغاياته .

وقد ثبت لنا ، بما لا يدحض ، كيف انه ترك المجال حتى للعقائد
المستوردة التي تنكرها أنظمة حياته ، وغض النظر عنها في أحيان كثيرة منذ
نهاية الحرب العالمية الاولى . ولربما قال قائل ان الذين أخذوا بتلك العقائد
السياسية المستوردة قلة بالنسبة للقوميين العرب الاحرار ، وانهم لم يعتنقوها
الا لشعورهم ، آنذاك بالفراغ السياسي الذي منيت به بلدان معينة في عالمنا
العربي . وجوابنا على مثل هذا القول ينطوي على شقين : الشق الاول هو
أن القومية العربية التي تدين بها اليوم جماهيرنا الساحقة أصبحت معتقدا
راسخا يملأ الفراغات ، والجيوب ، والمطبات في جونا السياسي كله ، والشق
الثاني هو ان أية عقيدة سياسية مستوردة من اى مكان ، ولا تنبع من ضميرنا
الحي ، انما تنطوي على خطورة ، وتؤدي مهما كان لونها واتجاهها الى
شيء من الضياع والتمزق في صفوفنا التي نريدها متماسكة كالبنيان المرصوص
يشد بعضه بعضا .

واذا ما تناولنا غزو الاستعمار الفكرى وجدناه لا يقل خطورة ، ان لم
يزد على الغزو العقائدي . والاستعمار في هذا الحقل فنان استطاع ان يوحى
للكثيرين بان كل ما يأتي من الغرب فهو عظيم ، حتى اذا ما قبلناه واعتنقناه
هان تحطيم التقاليد والعادات التي تعتبر دعامة من مقومات حياتنا وصخرة
ينهض عليها اعتزازنا بملتنا العربية الشرقية . وكثيرا ما اوحى لنا ، لغرض
في نفسه ، بأن المستشرقين قد قدموا لنا خدمات جلى ، بأبحاثهم ، واحيائهم

الكثير من ذخائر تراثنا المدفون . وانا ، مع كل منصف ، لا أدفع ذلك ، ولا أنكره . فليس كل مستشرق صاحب غرض ، ولا كل من قام بمهمة فكرية أو أدبية أو تاريخية منهم مدفوعا ، أو يقبل الدفع لدس رخيص وافتئات على أمجاد عربية لا ينكرها منهم الا كل مضل ضال . لذلك وجب علينا ، ادباء ومفكرين التنبه الى مثل هذا النفر المعسوب العينين الذي يستوحي في ابحاثه الاستشراقية أهواء حكومته . فمنهم من شكك بالقرآن الكريم ومنهم من شكك باللغة العربية المجيدة ، ومنهم من حاول ان ينال من عظمة التاريخ العربي ، ومنهم من نفذ الى الشعر والادب موحيا بان شعرنا قاصر ومضمونا ، وادبنا فارغ خال من القيم الانسانية العالمية . وانها لدعوة ما لبثت ان ألفت بيدورها في تربة الشعوب الذين حاربوا الفصحى تباكيا على اللهجات المحلية ، وحاربوا القرآن لانه دين والدين لله والوطن للجميع ! وحاربوا الشعر العربي والادب العربي لانهما لا يستطيعان أن يؤديا ما تؤديه مفاهيم الشعر والادب الحديثة المستوردة التي نبذها حتى أصحابها الغربيون أنفسهم بعد ان ماعت خلال العصور منذ أيام طيب الذكر جان جاك روسو حتى أيامنا هذه .

وقد يضطرنا الموضوع الى التنويه بان ثمة جماعة من شعرائنا وادبائنا يخشى ان يكونوا قد ضاعوا في متاهات المذاهب الادبية التي عمل الاستعمار على بثها بروية وفن ، متظاهرا بحرية الفكر ، ومشجعا كثيرا من الافراد والفتئات على اعتناقها ، والدعوة اليها والعمل على نشرها بغية الالهاء اولا ، والبليلة ثانيا ، والضياغ ثالثا واخيرا . ولهذا رأينا عددا من المدارس الفكرية ، والفنية ، والادبية ، تنتشر بقدره قادرة في شرقنا العربي بعد ان مجها ونساء بحملها عالمهم الغربي ، فاذا بنا نختلف من أجلها ونحترب لا بل يحمل بعضنا بهزء وسخرية على المفاهيم الاصيله بغية التشكيك فيها ونبذها وبالتالي ، تنفيذاً للمخطط المرسوم وتحقيقا لغاية من الغايات الاستعمارية الهدامة .

واننا لنرى جميع هذه المدارس الادبية ، قد ظهر منذ ظهور الاشتراكية ، ومنها ما هو اشتراكي بالفعل الا ان الاشتراكية العربية الملائمة للوجود العربي تعلم تمام العلم ان ذلك الضرب من المدارس

الاشتراكية لم يوضع لنا قط ، ولا يناسب الواقع العربي في كثير من معانيه ومرامييه . أما عدد تلك المدارس الادبية الدخيلة المستوردة فكثير . وقد يكون أهمها نوعان : أما الاول ، فهو ما يدعى بالمدارس المثالية ، ومنها : (١) مدرسة الادب للادب ، أو مدرسة عبادة الجمال ، وهي تعرف أحيانا بالمدرسة التعبيرية (٢) عبادة الاحساس ، أو المدرسة التأثرية (٣) الهيومانية أو المدرسة الانسانية الجديدة (٤) المدرسة الكلاسيكية الجديدة (٥) السريالية وهي مدرسة من مدارس اللاوعي (٦) الوجودية . واما الثاني فهو ما يعرف بالمدارس المادية ، واهمها (١) مدرسة الادب الهادف (٢) مدرسة الواقعية الاشتراكية (٣) مدرسة الجبرية المادية ، او الحتميات الاقتصادية^(١) .

والواقع ان الاديب العربي الذي يعيش هذه الحقبة الثورية من تاريخنا الحديث ، له مفاهيمه الادبية الخاصة التي تنبع من ضمير قوميته ، ووحدته ، وامته . وهو اذ لا ينكر كل ما جاء في تلك المدارس الفكرية ، والفنية ، والادبية ، ولا يرفض فكرة انها ربما كانت يوما ما ، ذات جدوى في الارض التي نشأت عليها ، لا يرى قطعيا انها تطابق ما نحن عليه في عالمنا العربي وانها تلائم أهدافنا وغاياتنا ، وتخدم الفكرة العربية جملة وتفصيلا . وكل ما عدا ذلك تفكير غير سليم لن يأتي لنا بأدب خلاق ينشر الوعي في الجماهير العربية . . ذلك الوعي الكامل الذي أصبح اليوم ضرورة حتمية لمواجهة شتى مشاكل المجتمع العربي الوجودي الاشتراكي التعاوني الجديد . هذا الوعي الذي نحن في أمس الحاجة اليه لا يتم الا بالدعوة للمنظمة المدروسة الى الثورية الجماعية في كل مرفق من مرافق الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية . . دعوة جامعة تشمل الطالب في مدرسته ، والعامل في مصنعه ، والموظف في مكتبه . . دعوة تتناول الفن والادب والشعر والقصة والغناء والموسيقى بحيث يأخذ أربابها بالتعبير عن مضامين الماضي المجيد ، والحاضر المتفائل بمستقبل الوجود الزاهر أفضل تعبير .

ولا أعتقد ان هنالك مجتمعا يخلو من نعمات نشاز . فللرجعية من

(١) يراجع كتاب « الاشتراكية والادب » للدكتور لويس عوض ، لتنفيذ هذه المدارس الادبية والرد عليها .

سياسية واجتماعية وفكرية أبواق قد يخفت صوتها تارة ويعلو تارة أخرى
•• هذه الرجعية يجب ان يقف ادباؤها لها بالمرصاد حتى يستطيعوا ان
يخرسوا كل نبأة تصاعد من أنفاسها بين الحين والحين • ولنعلم ان الوجود
القومي حي نابض ، ألا ان الوعي الفكري ، وهو أبرز مظاهر الحياة
الكريمة الحرة ، لا بد ان يعمل بجهد وتركيز حتى يستطيع ان ياخذ
بيد الشعور المنبثق من ذلك الوجود في طريق اصاله الى حقيقة غاياته •

وللادب الثوري في هذه المرحلة وظيفة قد تكون من أخطر وظائفه
العاملة ، الا وهي تعقب ما يرسم الحكام من سياسة ، وما ينفذونه من
مخططات ، فيحاسبهم في سبيل الاصلاح ويضع أيديهم على كل خطأ
اجتماعي ، وبذلك يؤدي رسالة قلما يحسن غير أدباء الثورة أداءها • ثم
ان هؤلاء الادباء خير من عبر عن شتى عواطف الجماهير وأحاسيسهم ••
وظلما نفتت هذه الجماهير عن كل ما يخلج في نفوسها بالسنة الكتاب
وأقلامهم • ولما كان الادب الثوري قادرا على تدمير العقائد الهدامة ،
والافكار الرجعية البالية ، فانه يصمد كذلك في وجه التيارات الاجنبية في
مجتمعنا ويمنعها من أخذ مجراها ، والتأثير في نفوس الناشئة من أبناء الوطن
العربي • وهو عنيد جدا في حفاظه على مكاسب الشعب ومستطيع فعلا
ان يرتفع بالثورة الفكرية الى مستوى الثورة السياسية •

والادب الثوري يتجه الى الشعب في تجربته الكبرى ، فالمعروف
ان الثورة الفرنسية ، كما يلاحظ مؤرخوها ، ولم تتخذ حقيقتها كثورة ذات
دوي عالمي الا عندما تركزت على الجماهير ، والا عندما استمدت من تلك
الجماهير قاعدتها الشعبية • فكلما اتسعت القاعدة الشعبية وعمقت أغوارها ،
كلما هان الالتقاء على النضال المشترك الذي لا يحول دون تحقيق أهدافه
حائل •

ولنعلم أخيرا ان أماننا معركة حياة أو موت •• معركة بقاء او زوال •
واننا لخائضوها بكل ما أوتينا من عزيمة وقوة • والله معنا والسلام عليكم
ورحمة الله •

محمود سليم الحوت
من وفد فلسطين

الادب والثورة

بقلم

عبد خضر

للتورة في الادب مفهومان رئيسيان :

أحدهما ثورة الادب على الادب حينما يرى حاملو لوائها عقم الالوان
الادبية السائدة وسوء اتجاهها ، أو ركودها وقصورها في التعبير عن
اهتمامات العصر ، واستهلاك طاقتها اما في الزينة الشكلية والجري وراء
الخيالات البعيدة عن الواقع ، واما في مواكبة القوى المسيطرة المعادية للتحرر
والتقدم .

والمفهوم الاخر للثورة في الادب هو التعبير عن الثورة السياسية سواء
في التمهد لها واثارتها ، أو في تعزيزها ومتابعة خطواتها في تحقيق ما قامت
له من اهداف قومية واجتماعية وازاءة طريقها وتعميقها في النفوس .

ولنتظر بعد في المفهوم الاول ، لنرى هل نشأ ادب ثوري على مقتضاه
في حياة العرب الثورية التحررية التي كان فجرها يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢
والتي لا تزال في نموها المطرد ؟

أو نسأل بشكل آخر : هل لا بدت هذه الثورة أسباب فنية تدعو الى
الى ان يثور ادب جديد على الادب السائد ، أو ان ما حدث انما هو
تطور اقتضته طبيعة الاحداث والتحويلات في الحياة العربية الجديدة ؟
لكي ندرك ذلك ، أو لكي نسلط عليه ضوءا كاشفا نستطيع ان تبين

على هداة حقيقة الامر ، يحسن ان نعود قليلا الى اوائل النهضة الادبية العربية
في العصر الحديث •

كان الادب غارقا في الحلبي واثواب الزينة وكان هم الادباء وقصاراتهم
أن يحاكو القدماء لا في تعبيراتهم وتراكيبهم اللغوية فحسب ، بل كذلك
في معانيهم وخواطيرهم • وكانت أثقال الزينة والتقليد تعوق الادباء عن
الحركة في الحياة الواقعة والتعبير عنها بجد وصدق •

ونارت على ذلك الانجاء الاتباعي (الكلاسيكي) مدرسة أخرى هي
ما سميت بمدرسة الابتداع (الرومانسية) تأثرا بالأصل في ادب الغرب •
وكان مبعث هذه الثورة الرومانسية شعور الفرد بالتميز مع شعوره بالضيق
والغربة ازاء مجتمع غارق في الظلام مغلوب على أمره ، لا يرى الايديب
فيه متنفسا الا في الخيالات واجترار الآلام الفردية ، فيدفعه اليأس منه الى
أجواء بعيدة عنه ، لم يستطع ان يتلائم معه فأعترب عنه •

ولكن فريقا آخر ثار ثورة أخرى ، تأثرت هي ايضا بالانجاءات
الغربية ، ولكن في الشكل دون المضمون • احس هذا الفريق بعوامل
الضيق في البيئة كما احس بها في نفسه ، فلم يفصل بين آلامه وجسروح
المجتمع ، ورأى في الوقت نفسه الوانا من الآداب الاجنبية ترتبط ببيئاتها
وتلتصق بانسانها العادي فتصور وتعبّر على الواقع الملموس ويأتي تعبيرها
نابضا بما في صميم الحياة من اتفاض أو ثورة على الركود •

هذا الفريق هو فريق الواقعية الادبية ، وهو ما سمي في النصف
الاول من القرن العشرين بالمدرسة الحديثة ، ويتلخص مذهب هذه المدرسة
في استعارة الشكل الادبي الغربي لمضمون عربي قومي ، وكان الشكل هو
البناء القصصي بأنواعه... القصة القصيرة والرواية والمسرحية • والمضمون
يتركز عند ابراز الشخصية العربية وتصوير البيئة العربية ، والتعبير عن
الانسان العربي بمشكلاته وتطلعاته ، ولم يظفر الشعر بنصيب كبير من
هذا الانجاء لا في الشكل ولا في المضمون •

كانت الواقعية اذن في نهضتنا الادبية الاولى اوائل هذا القرن هي

الثورة الادبية المغيرة التي نارت على الكلاسيكية متمثلة في العكوف على القديم واستهلاك الطاقة في محاكاة أساليبه وزخرف تراكييه ، وعلى الرومانسية متمثلة في سوء اختيار ما يترجم الى العربية وفي ما يحاكي نماذجها الغربية المتقهرة أمام زحف الواقعية في مواطنها ، وكانت تلك الثورة أساس التغيرات التي استمرت واتصلت بوقتنا الحاضر ، وان كانت قد تعرضت في سيرها الطويل لموجات من المد والجزر ، كان أبرزها عودة الرومانسية الى الظهور أو الاستشراء ، فانها لم تخف تماما في الفترة التي أعقبت الانتكاسات الوطنية وطغيان المستبدين من أنصار الغزاة المحتلين ، مما جعل بعض الادباء يسأفون الهرب من الواقع المؤس الى الخيالات البعيدة ، وبعضهم وجد في التاريخ ملاذا اما للاستيحاء المطلق أو محاولة الربط بالحاضر والايام اليه .

فلما كانت الثورة الاخيرة - سواء بعد انفجارها في ٢٣ يولييه أو في حالة كونها جنيئا قبل ذلك - اتسعت رقعة الواقع وانحسرت موجسة الهرب والخشية منه .

وهذا يسلمنا الى المفهوم الثاني للادب الثوري وهو كما سبق التعبير عن الثورة السياسية وما يلابسها من أهداف قومية واجتماعية واطاعة طريقها وتعميقها في النفوس .

لما كانت الثورة جنيئا لم يتخل الادب عن رعاية الجنين بل غذاه بوسائل مختلفة ، منها أعمال تشريحية توميء مثل قصص نجيب محفوظ التي تنتهي بالثلاثية المشهورة ، ومنها نقد صريح في بناء أدبي مثل الذي كتبه يوسف السباعي في قصة « أرض النفاق » ومسرحية « وراء الستار » وقصص قصيرة كثيرة ، وصور فيه بصفة خاصة مهازل الاحزاب السياسية والانتخابات والصحافة . وفعل عبدالرحمن الشرفاوي مثل ذلك في رواية « الارض » ولجأ علي أحمد باكثير الى الرمز في مسرحية « مسمار جحا » اذ شبه بهذا المسمار ما كان يتذرع به الاستعمار في البقاء .

وشارك الشعر بكثير من القصائد ، ونجد التزام الشعر بالاهداف القومية

في العراق أقوى واغزر .

وفي أعقاب انفجار الثورة انطلق الادب من عقاله ، وشارك في الثورة على الاوضاع القديمة وظفر بأعمال كبيرة عنيت بتصوير الجو الذي نبت فيه الثورة وبيان حتميتها عن طريق التجسيد الادبي .
من تلك الاعمال رواية « أنا الشعب » لفريد أبو حديد ، ورواية « الشارع الجديد » لعبد الحميد جودة السحار ، ورواية « رد قلبي » ليوסף السباعي ، ورواية « شيء في صدري » لاحسان عبدالقدوس ، ومسرحية « الصفقة » لتوفيق الحكيم ، « والمزيفون » لمحمود تيمور .

والواقع أن الكتاب القصصيين عنوا بتصوير ما كان قبل الثورة من آثار الاستعمار في فساد الحكم واستغلال النفوذ وسوء التوزيع أكثر مما اهتموا بما بعدها من انجازات قومية واجتماعية ومن تأثير هذه الانجازات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وصراعاتها وتطوراتها .

ومن القصص التي تناولت احداث ما بعد الثورة أو ما بعد انفجارها - فالثورة متجددة ولا تزال قائمة - عدد من الروايات ليوסף السباعي عني فيها بتاريخ مراحلها ، منها « نادية » و « جفت الدموع » و « ليل له آخر » ، ورواية نجيب محفوظ « السمان والخريف » ورواية « لا شيء يهم » لاحسان عبدالقدوس ، ورواية « أصابعنا التي تحترق » للدكتور سهيل ادريس .

ولعل مشاركة الشعراء في هذا المجال أكبر ولاسيما شعر الاغاني ، فقد دخلت الاغنية المعركة بشكل ناضج في كثير مما قيل ، فحققت ارتقاء مستوى الاغاني الى جانب الوفاء بالاهداف القومية .

وظفرت الثورة من أجل فلسطين وابنائها المشردين بحفظ كبير من اهتمام الشعراء في مختلف البلاد العربية ، سواء منهم من كان من فلسطين أم من سائر بلدان الوطن العربي .

كما ظفرت بورسعيد باهتمام كبير من جانب الشعراء .
ونستطيع القول بان محصول الشعر الثوري فيما تلا انفجار الثورة

وجهد الشعراء في هذا الميدان أوفر من المحصول القصصي • أما النقد فإنه مع الأسف متخلف عن ركب الشعر والقصة لم يستطع أن لم يشبط بجهد وإخلاص للملاحقة وتبعه • ومما يلحظ في هذا الصيد ان اتجاه معظم النقاد في الصحف الى الكتابة عن العروض المسرحية أكثر من عنايتهم بتناول الكتابة والعمل الادبي المقروء على وجه عام • حتى لقد غدا الكتاب بالنسبة للمسرح شيئاً مهملاً يولد ولا يحتفى به من جانب النقد ، وان كان يشق طريقه الى القراء دون أن يعوقه اهمال النقاد •

••••• مما تقدم تبين ان معنى ثورية الادب في هذه المرحلة الثورية من الحياة العربية يتحقق بالنسبة للمفهوم الثاني للادب الثوري وهو التعبير عن الثورة والمشاركة في تفسير الاوضاع السياسية والاجتماعية ، يتحقق في هذا بشكل واضح يرجى ان يتبع ويكون أكثر وفاء بالاهداف والتطلعات أكثر مما فعل حتى الان •

••••• وكان تأثير الثورة في الادب من ناحيتين : الاولى انطلاقه وحرية في تناول ما كان محظوراً قبلها مما يمس المصالح الاقطاعية والاستغلاية والاستعمارية ، والناحية الثانية هي ان الادب وجد مجالاً واسعاً في التغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، فخاض فيه وان كانت التطورات والانجازات تسبقه وهو لا يزال يقف حياها مشدوهاً أو يسير خلفها مبهون الأنفاس • وهذه الحقيقة سجلتها اللجنة الثقافية بمجلس الامة في الجمهورية العربية المتحدة ، اذ قالت في تقرير لها :

« وتلاحظ اللجنة انه على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلت خلال الاثنى عشر عاماً الماضية ، فان التحول الفكري الذي ينبغي ان يصاحب التحول الاشتراكي ويسبقه ويبشر به ، في حاجة الى مزيد من الجهد ، حتى يسير التحول الفكري - جنباً الى جنب مع التحول المادي في مرحلة الانطلاق القادمة » •

على أنه ينبغي الا نسقط من الاعتبار ان الادب يحتاج الى فترة يعايش

فيها الاحداث حتى تنضج وتخمّر في وجدان الادباء وتفكيرهم • وهناك الى جانب هذا عوائق من مخلفات الماضي مصيرها الزوال المحتوم •

فاذا عدنا الى المفهوم الاول للادب الثوري ، وهو ثورة الادب على الادب والى التساؤل عن طبيعة التغيرات الفنية الملحوظة : هل هي ثورية او تطويرية ، فانا اذا نظرنا الى معنى الثورة المقرر وهو ازالة اوضاع غير مرضى عنها واحلال اوضاع وقيم أخرى محلها ، فانا نجد صفة التطور أليق بما في المجال الادبي من تغيرات فنية لعل ابرزها شكل الشعر فان ما يأخذ به أصحاب الشعر الجديد وما يقول به مناصروهم المعتدلون لا يعدو تطوير الاوزان العربية نفسها لمقتضيات في التعبير الشعري عن الحياة المتجددة •

وفيما دون ذلك نرى الاتجاه الواقعي هو هو ، مع التطور الذي يتمثل في الاقتراب من المجتمع والارتباط به أكثر من ذي قبل والتخلص من هبة الاوضاع الادبية الانية من الخارج والهجوم عليها بجرأة تهدف الى التحرر مما لا يلائم البيئة العربية وموروثها والرجوع الى أصول هذه البيئة في تراثها وفنونها الشعبية والاتجاه الى دراستها واستيعابها •

ويتمثل التطور الادبي - من الناحية الفنية - كذلك في محاربة فلول الثورة الادبية الاولى التي لم يقض عليها تماما في الماضي ، ولاسيما الجمود التقليدي الذي يرمي الى اتخاذ الادب مجرد حلية شكلية ومنتعة عقلية شعورية ، وقد استطاع الكفاح الجديد ان يحصر هذا الاتجاه في مجالات ضيقة لا فعالية لها في الاتجاه العام •

وانني اذ أقول ذلك لا أغفل عن محاولات لا تتجه الى الاهداف التحررية البنائية بل تحيد عنها الى التسكع في دروب ملتوية ، وتحاول ان تستبث في الارض العربية ما لا ينبت فيها من الوان ادبية غريبة كان يمكن ان تروج قبل ذلك أيام الهرب من التبعة القومية • أما الان وقد وضع الاديب العربي قدميه على أرضه الصلبة فانه في مكانه يشارك في صنع الحياة الجديدة على هدى الاشتراكية العربية التي تستبطن مبادئها من صميم البيئة واحتياجاتها •

ان المجتمع العربي الذي يعمل الان جادا في سبيل التقدم الاجتماعي والتحرر السياسي والتكامل القومي لا ينبغي ان يشعر فيه الاديب بالغرابة عنه وعدم الانتماء اليه وليس فيه الان مجال للاهواء أو التمزقات الفردية التي يعلو صراخها في بلاد اخرى وفي ظروف مختلفة عن ظروفنا •

المجتمع العربي يجتاز الان مرحلة تحررية وبنائية تختلط فيها المفاهيم وتلاصقها رسوبيات من الماضي المتخلف وتحاول ان تعوقها عناصر ترى صالحها الخاص في استمرار العفن ، أو تحاول ان تلبس للحال الجديدة لبوسها لتحصل على المكاسب نفسها ان لم تضيف اليها جديدا من الحرام •

واننا نرى ان أهم ما يجب ان تذرعه به ثورتنا هو الفنون التي تجسد التجربة وتثبت فيها الدلالات ، واهم هذه الفنون وأبلغها تأثيرا هو الادب ، ومفهوم ان الادب ليس مقصورا على ما يقرأ بل هو يشمل التمثيليات في المسرح والاذاعة والتلفزيون والسينما ، وكذلك الاغاني والانشيد ، واذا كانت الوسائل الاخيرة كالمسرح والاذاعة ... الخ تعمل في نطاق واسع فان القراءة تعمل في قطاع أعمق وان كان أقل سعة ، وهي التي تخرج القادة المفكرين •

يقول ميثاق الجمهورية العربية المتحدة في بيان الدور الثوري للادب والثقافة :

« ان العمل الديمقراطي سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، عميقة في احساسها بالانسان ، صادقة في تعبيرها عنه قادرة بعد ذلك كله على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة في أعماقه ، خلاقة ومبدعة ، ينعكس اثرها بدوره على ممارسته للديمقراطية ، وفهمه أصولها ، وكشفه لجوهرها الصافي النقي » •

واذا كان معظم اتاجنا الادبي قد اتجه الى تصوير الماضي السيء ونقد الاوضاع التي كانت سائدة فيما قبل الثورة ، وكان ذلك ضروريا في وقته ، فاننا نرى الان انه يجب ان ينتقل الى مرحلة البناء ويصور صراعاتها

وتطلعاتها ويتأمل ما حدث من تغيير ثورى شامل وما جد من قيم ومثاليات .
ويتبادر الى بعض الاذهان أن وسيلة ذلك مقصورة على البحث عن

النواحي الايجابية والنماذج البنائية .

ويتفرع عن هذا رأيان : احدهما يتحسس للقيم والنماذج الايجابية
ويدعو الى ان يقصر الادب تناوله عليها ويسمى هذا « واقعية بنائية » يرى
خلالها محل « الواقعية النقدية » .

والاخر يبدى تخوفه على الادب ان يجزره التمسك بالنواحي
الايجابية دون غيرها الى التخلي عن وظيفته النقدية التي تكسبه القوة .

وتقول لهؤلاء وهؤلاء : ان الواقعية النقدية ليست شيئا مغايرا للواقعية
البناء فالنقد المخلص البصير حين يلقى الضوء على المفاصد أو الاخطاء انما
يرمى الى البناء عن طريق تبيين الاخطاء فيما وقع وتجنبها فيما يأتي ،
فالواقعية النقدية حين تسلك السبيل الذى يسلك في هدم المباني الآيلة
للسقوط على ساكنيها كى تبنى في أماكنها بيوت جديدة لا تكون الا واقعية
نقدية بناءة في وقت واحد .

على ان الرواسب المتخلفة عن العهد البائد لا تزال تعيش بيننا وكثيرا
ما تصطدم بالعناصر التقدمية ، واني اعتقد ان الرسالة العظمى للادب العربي
الثورى في الوقت الحاضر هي تصوير الصراع بين القيم الايجابية والقيم
السلبية التي تصطرع الان في حياتنا اذ تجاهد الاولى كى تتخلق وتكتمل
وتحاول الثانية ان تعوقها بل هي تغلب عليها في بعض الزوايا المعتمة ،
ومهمة الادب ان يسلم الضوء على هذه الزوايا ويكشف ما يجرى فيها .

وليس من شأن الادب ولا مما يليق به ان يتخلى عن النقد ، لان
النقد هو عمله بطريقته الخاصة ، والادب كله نقد في نقد . فهو اما نقد
للحياة ، واما نقد « نقد الحياة » الاول هو الادب الابداعي ، والثاني هو ما
يسمى بالنقد الادبي .

والادب كذلك في كل زمان ومكان ، اعني ان وظيفته هي النقد

دائماً ، ولم تخل الحياة قط ، ولن تخلو ابداً ، من عنصرى الخير والشر ،
والايجاب والسلب ، والتقدم والتأخر ، وكل ما هنالك ان يغلب احد
المتصارعين على الاخر . فليست اذن هناك فترات تستدعي ادبا ينقد
فسادا ، واخرى تقتضي بحثا عن مواضع الثقة والامل . ففي اشد الاحوال
سواء نرى الادب الناجح الناقد للسوء لا يخلو من عنصر ايجابي يبعث
الامل ، وفي أكثر الاحوال استقامة واتجاها الى القيم الايجابية لا ينبغي ان
يخلو كذلك من تناول العناصر المعوقة عن مواصلة التقدم .

هذا وقد لاحظنا فيما تقدم ان الادب الثورى لا يزال حتى الان
متخلفا عن ركب الاحداث الثورية واضيف الى ذلك ملاحظة مؤسفة
أخرى ، هي ان العلاقة بين الادباء العرب والتجاوب بين الانتاج الادبي في
مختلف بلاد الوطن العربي أو بتعبير واحد هي « الحركة الادبية العربية
الواحدة » لا تزال هي الاخرى متخلفة عن ركب الحركة العربية العامة
الواحدة ، ففي الوقت الذى نرى فيه القادة السياسيين على اتصال دائم ،
والعمل القومي العام ينسق ويتقدم بخطى كبيرة وسريعة ، لا نرى مثل ذلك
وعلى نفس المستوى في المجال الادبي ، فلا يزال الادباء متوقعين في بناتهم
المنحلية ، وتكاد الحركة الادبية في كل بلد عربي تنعزل عن مثيلاتها في
باقي البلاد . ولعل من ظواهر التباعد بين الادباء العرب في الفترة الماضية
القريبة ان مؤتمراتهم نفسه ظل معطلا نحو سبع سنين ، بعد انعقاد دورته
الرابعة في الكويت سنة ١٩٥٨ ونحن لا نفقد ابدا روح التفاؤل ، كما
أعتقد ان البذرة حية دائما في الحقل العربي ، فان طرأ ما يعوقها عن النمو
فانها لا تموت ، وها هي ذى الان تنبت نباتا حسنا في بغداد العربية العريقة
اذ يجتمع بها هذا المؤتمر ، ومما يدعو الى مزيد من التفاؤل ان مؤتمر الادباء
يجتمع على أثر الخطوات الكبيرة السريعة التي تمت في الميدان القومي
العام .

لذلك انتهز هذه الفرصة السعيدة فأقترح تكوين اتحاد عام للادباء

العرب يكون شعاره « الحركة الادبية العربية الواحدة » التي تسير جنباً الى جنب مع الحركة العربية القومية العامة وتعبر عنها ، بل تتولى قيادتها الفكرية ، فتعمق الاحساس بأهدافها ، وتحرك الطاقات الكامنة في الوطن العربي الكبير .

عباس خضر

من وفد المتحدة

الثورة والمجتمع العربي الجليل

بقلم

الدكتور محمد أحمد خلف الله

سيداتي • سادتي :

حين تصفحت الموضوعات التي أقرتها اللجنة التحضيرية التي أعدت لهذا المؤتمر ، لكي تكون موضع البحث ومحل الجدل والمناقشة ، توقفت عند هذا الموضوع الذي اخترت وسألت نفسي هذا السؤال • هل كان اقتراح هذا الموضوع وطرحه للبحث والمناقشة قائما على أساس من تقدير اللجنة بأن هذه مشكلة قومية حية تحتاج الى حل سريع حاسم ، وان إعادة بناء المجتمع العربي على أسس جديدة لا يمكن ان يتم الا بالاعمال الثورية في كافة الميادين - من سياسية واقتصادية الى ثقافية واجتماعية ؟ أو كان ذلك على أساس تقدير آخر هو ان هذا الموضوع من المسائل النظرية البحتة التي تصلح كل الصلاحية لمؤتمر للأدباء يستثيرون فيه الهمم ، ويشحذون فيه الازهان ، وينضجون فيه القرائح - شأنه في ذلك شأن كثير من الموضوعات التي يظهرون فيها براعتهم الفائقة ومقدرتهم الفنية على اقامة العمل الادبي العظيم ؟ •••

سيداتي وسادتي :

لقد أحسنت الظن باللجنة وقدرت انها غير عابثة ، وقدرت أيضا ان هذا الموضوع من الموضوعات الشائكة ، وانه يلائم فطرتي تلك التي جبلت على عدم التهيب مما يتهيب منه الآخرون - وذلك ايمانا مني بأن أمثال هذه الموضوعات هي التي تمكنا - ان أحسنا تناولها وأجدنا التفكير فيها - من استخلاص النتائج الحسنة المفيدة •

انها في عرقي غنية بالقيم الثقافية التي يمكن أن تقدم خيرا كبيرا
للإنسانية •

ومناقشتي لهذا الموضوع على انه مشكلة قومية وضرورة حتمية ، انما
تبدأ من واقعا • تبدأ من النظرة الواعية نلقها على الاوضاع السائدة في
مجتمعنا العربي - تلك النظرة التي أرشدتني فيما أعتقد الى الظواهر التالية :-
أولا :- ان الوطن العربي الكبير يحتوى دولا عديدة ، وان هذه
الدول تختلف فيما بينها من حيث ايمانها بجدوى العمل الثورى في اعادة بناء
المجتمع العربي على أسس جديدة • فبعضها قد اتخذ من العمل الثورى
سلاحا ، وبعضها الآخر قد ارتضى الخطوات المتأقلمة البطيئة وسيلة •
وهنا نسأل : أى الفريقين خير مقاما ، اولئك الذين اختاروا العمل
الثورى أو اولئك الذين ارتضوا الخطوات الوثيدة ؟

اولئك الذين يؤمنون بحتمية الثورة أو اولئك الذين لا يؤمنون ؟
ذلك سؤال يحتاج الى اجابة • وتلك ظاهرة تحتاج الى تفسير - والا
قامت مقرراتنا وتوصياتنا في هذا المؤتمر على غير أساس •

ثانيا :- ان هذه الدول العربية التي اتخذت من العمل الثورى سلاحا
قد اختلفت فيما بينها : فمضى بعضها ، ولا يزال يمضى ، عاقدا العزم على
ان يصل بالعمل الثورى الى اغاياته ، وان يحقق به اقامة المجتمع العربي
الجديد • وتوقف بعضها الاخر في أول الطريق ، أو اضطربت خطاه
فأخذ يقدم رجلا ويؤخر أخرى •
وهنا نسأل أيضا : أى الفريقين خير مقاما ، اولئك الذين عقدوا العزم
وصحت منهم النية على المضي الى النهاية ، أو اولئك الذين توقفوا واضطربت
خطاهم ؟

ذلك سؤال يحتاج هو الآخر الى اجابة ، وتلك ظاهرة تحتاج هي الأخرى
الى تفسير •
ومحاولتي الاجابة عن هذه الاسئلة ، ومحاولتي التفسير لها تلك الظواهر
تضطررتني الى ان ألقى نظرة ثانية على الاوضاع السائدة في عالمنا العربي •
وهي نظرة قد أرشدتني هي الأخرى بدورها الى هذه الظواهر :-

الاولى :- ان الدول التي اتخذت من العمل الثوري سلاحا هي في الغالب الدول التي خاضت تجربة ثورية ضد الاستعمار ، ونجحت في هذه التجربة . انها التي خاضت تجربة ثورية في سبيل التحرر من الاستعمار ومما خلف الاستعمار من آثار . وانها التي لم تكد تفرغ من ذلك حتى التفتت الى الاوضاع الداخلية واخذت تعمل فيها الفأس هدمًا وبناء .
أما الدول التي ارتضت الخطوات البطيئة المتشاقلة فهي الدول التي لم تخض معركة - أي معركة - في سبيل التحرر ، أو هي تلك التي كانت معركتها هينة لينة بحيث لم تقدم لها خيرا كثيرا .

ان الذي أريد ان ألفت اليه الذهن في هذا المقام هو ان التجربة الثورية الحقة هي التي تقدم القيم الثقافية التي ترشد الى الاعمال الثورية الاخرى ، ثم هي التي تكون الفيصل في التفرقة بين شعب وشعب .

الثانية :- ان الدول التي اتخذت من العمل الثوري سلاحا هي في الغالب الدول التي نالت من الرقي والتقدم حفا وافرًا - وبعبارة أخرى هي الدول التي جددت بنائها الثقافي بحيث أصبحت قادرة على ان تقيم مدينة أو حضارة أو تأخذ منها بالنصيب الاكبر . وأما الدول التي ارتضت الخطوات الوئيدة فهي تلك التي لم تجدد بنائها الثقافي والتي لا تزال تعتبر من الدول المتخلفة نسبيًا .

وهذا الكلام معناه - في اوله وفي آخره - ان المستوى الثقافي له دخل كبير في العمل الثوري . وذلك قول لاشك فيه .
ان العمل الثوري انما ينبت اولا في أدمغة الافراد . ينبت أفكارا وتصورات . والفرد حين لا يكون متمثلا لثقافة أمته ، متصورا لأحلامها وأمانيتها ، لا يمكن ان يتصور البناء الجديد الذي ينادى باقامته ، ويعمل جاهدا على اقامته .

وهنا نستطيع ان نتصور العبء الملقى على عاتقكم معشر الادباء . انه عبء ثقيف ابناء الامة العربية بحيث يصبح كل فرد منهم قادرا على ان يساهم بنصيب في اقامة المجتمع العربي الجديد .
يقول أحد رجال التربية :- ان أهم شيء في العصر الحديث - في

ثروة الأمم - هو القوة البشرية ، من حيث أن هذا المصدر من الثروة ، هو الذي يتوقف عليه تحويل المصادر الطبيعية الى أشياء مفيدة يحسن استقلالها ، وتديرها ، وتوجيهها الى خير المجموع

وان خلق الطاقة البشرية الواعية المنتجة لا يكون بالكلام وانما يكون بالعمل الذي ينقل الاشياء من طور الى طور ، ويترجم المفاهيم الجديدة الى سلوك يترتب عليه انتاج جيل اسعد ، واقدر ، واذكى ، من الاجيال السابقة .

ان في هذا خير ضمان لعدم انتكاس الوعي . وخير ضمان لكي تبنى الاجيال القادمة فوق الاساس الذي نحاول اليوم ارساءه .
ان علينا ان نوصي بالارتفاع بالمستوى الثقافي لابناء الامة العربية الى الحد الذي يمكنهم من الحياة الانسانية الكريمة .

* * *

وهنا نلتفت ايها السادة الى تلك الدول التي لم تمض في العمل الثوري الى نهاية الشوط وانما توقفت او اضطربت خطاها - مع كونها من الدول التي ارتفع فيها المستوى الثقافي الى حد لا بأس به .

هنا أتوقف لالتقى نظرة نالته من داخل حدود هذه الدول . وهذه النظرة قد ارشدتني هي الثالثة الى ما يلي :-

ان هذه الدول من الدول التي لا تملك وحدة ثقافية عامة فقط فانما لها الى جانب الثقافة العامة ثقافات فرعية تجيء من الاختلاف العقائدي دينيا كان أو غير ديني . أو من الاختلاف المذهبي دينيا كان أو غير ديني . أو من الاختلاف العرقي . أو من الاختلاف الطبقي والاجتماعي . ان هذه الثقافات الفرعية هي السبب الاول والاخير في توقف هذه الدول او في اضطراب خطواتها .

وهنا نلمح عبثا آخر نلقيه على عاتقكم معشر الادباء . عبثا ثقيل . لانه قد أصبح من الحتم عليكم ان تعملوا في سبيل القضاء على هذه الثقافات الفرعية واقامة الوحدة الثقافية التي تكفل لابناء الامة العربية تماسكا وانسجاما .

ان الثقافة الموحدة خير ضمان لنا • انها التي تحول بيننا وبين الاختلاف
في الرأي فيما يتعلق بالمسائل الكبرى •

واتصور الان قائلا يقول انك لم تحدثنا الا عن جانب واحد هو
أثر العمل الثقافي في العمل الثوري - خطة وتنفيذا ، ولم نسمع منك بعد شيئا
عن حتمية العمل الثوري - ثقافيا وغير ثقافي - في اقامة المجتمع العربي
الجديد •

وهنا أقول :- لقد أجبنا نحن في جمهوريتنا العربية المتحدة عن
هذه المسألة • أجبنا عن حتمية العمل الثوري ، وأجبنا عن اقامة العمل
الثوري على أساس من البنيان الثقافي •

تان مما قلنا في الاول :- لقد أثبتت التجربة ، وما زالت تؤكد كل
يوم ، ان الثورة هي الطريق الوحيد الذي يستطيع النضال العربي أن يعبر
عليه من الماضي الى المستقبل •

فالثورة هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها الامة العربية ان تخلص
نفسها من الاغلال التي كبلتها ومن الرواسب التي أثقلت كاهلها • فان عوامل
القهر والاستغلال التي تحكمت فيها طويلا ونهبت ثروتها لن تستسلم
بالرضا ، وانما لابد على القوى الوطنية أن تصرعها ، وان تحقق عليها
انتصارا حاسما ونهائيا •

والثورة هي الوسيلة الوحيدة لمغالبة التخلف الذي أرغمت عليه
الامة العربية كنتيجة طبيعية للقهر والاستغلال ، فان وسائل العمل التقليدية
لم تعد قادرة على ان تطوى مسافة التخلف الذي طال مداه بين الامة
العربية وبين غيرها من الامم السابقة في التقدم ، ولا بد - والامر كذلك -
من مواجهة جذرية للامور تكفل تعبئة جميع الطاقات المعنوية والمادية للامة
لتحمل هذه المسؤولية •

والثورة بعد ذلك هي الوسيلة الوحيدة لمقابلة التحدي الكبير الذي
ينتظر الامة العربية وغيرها من الامم التي لم تستكمل نموها • ذلك التحدي
الذي تسببه الاكتشافات العلمية الهائلة التي تساعد على مضاعفة الفوارق ما
بين التقدم والتخلف ، فانها بما توصلت اليه من المعارف تيسر للمتقدمين

أن يكونوا أكثر تقدماً ، وتفرض على الذين تخلفوا ان يكونوا - بالنسبة اليهم - أكثر تخلفاً برغم كل ما يبذلونه من جهود طيبة لتعويض ما فاتهم .
ان الطريق الثوري هو الجسر الوحيد الذي تتمكن به الامة العربية من الانتقال بين ما كانت فيه ، وبين ما تتطلع اليه .

وكان مما قلنا في الثاني :- والثورة العربية تحتاج الى ان تسلمح نفسها بقدرات ثلاث تستطيع بواسطتها ان تصمد لمعركة المصير التي تخوض غمارها اليوم ، وان تتزع النصر محققة أهدافها من جانب ، ومحطمة جميع الاعداء الذين يعترضون طريقها من جانب آخر .
وهذه القدرات هي :

اولا :- الوعي القائم على الاقتناع العلمي النابع من الفكر المستنير ، والناج عن المناقشة الحرة التي تتمرّد على سياط التعصب أو الارهاب .
ثانيا :- الحركة السريعة الطليقة التي تستجيب للظروف المتغيرة التي يجابهها النضال العربي - على ان تلتزم هذه الحركة باهداف النضال وبمثله الاخلاقية .

ثالثا :- الوضوح في رؤية الاهداف ومتابعتها باستمرار ، وتجنب الانسياق الانفعالي الى الدروب الفرعية التي تبعد بالنضال الوطني عن طريقه وتهدر جزءا كبيرا من طاقته .

كما قلنا :- ان العمل الثوري لا بد له ان يكون عملا علميا .

ان الثورة ليست عملية هدم انقاض الماضي ، ولكن هي عملية بناء المستقبل . واذا تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلك انها مجرد انفجار عسبي تنفس به الامة عن كبئها الطويل ، ولكنها لن تغير من واقعها شيئا .
ان العلم هو السلاح الحقيقي للارادة الثورية . ثم هو السلاح الذي يحقق النصر الثوري .

ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي يتصدى شعبنا اليوم لمواجهتها لا بد لها من حلول علمية .
اعتقد انا نستطيع الآن ان نقرر ان الثورة ضرورة حتمية في خلق المجتمع العربي الجديد . وان هذه الثورة لن تؤتي أكلها الا اذا استندت

الى الفكر يخطط لها ، ويقودها الى النصر في معركة التقدم .
ومعنى ذلك كله ان الثورة الثقافية هي الخالقة أو الباعثة على كل
تفكير ثوري وكل تنفيذ ثوري في أى مجال من مجالات الحياة وفي أى ميدان
من ميادينها .

وهذا يدفعنا الى التفكير في الثورة الثقافية . في مقوماتها وفي وسائلها .
فليست كل ثقافة بقادرة على خلق الروح الثورية . فمن الثقافات ثقافات
رجعية ، وثقافات جامدة غير متحركة . وأمثال هذه الثقافات محتاجة الى من
يحركها فضلا عن أن يحدث بها دفعا ثوريا .
الثقافة القادرة على بعث الحياة في الأمة العربية هي الثقافة المتصلة
بالحياة النامية المتحركة ، والتي تحترم فيها كرامة الانسان وتقدس
انسانيته .

انها الثقافة التي تساعد على استثمار الموارد الطبيعية والبشرية استثمارا
حسنا تخلق به رفاهية مادية ، وتحقق به انتصارات فكرية .
والثقافة لن تكون من هذا النوع الا اذا آمنت بالعقل البشري ،
ويقدرته على الوصول الى اكتشاف الحقائق واكتشاف ما قد يقع فيه من أخطاء .
ان الايمان بهذا العقل هو الذى يطلقه من عقاله ويجعله قادرا على
ان ينتج ثقافة حية متمثلة في العلوم ، وفي الفنون ، وفي الآداب .
وهذه الثقافة الحية لن تصبح قوة فعالة في خلق الروح الثوري الا
اذا تمثلها الكثيرون من أبناء المجتمع . ومن هنا يصبح من الواجب علينا
احداث هذه القوة .

من الواجب ان تمتد الثقافة طولا وعرضا حتى تشمل كل فرد من
أفراد هذه الأمة .

ومن الواجب أن تمتد هذه الثقافة عمقا حتى تستطيع ان تقدم للمواطن
تفسيرات جديدة عن الحياة وعن دور الانسان في هذه الحياة .
وهذه الواجبات لن تتم الا اذا قمنا بثورة ثقافية . ثورة نقذ فيها
فكر الانسان العربي من خرافات العصور الوسطى ، ومن اوهام الدجالين
والمخرفين .

ثورة نقذ بها كرامة الانسان من عدوان الظلم ، وحرите من الاستعباد

• والاسترفاق •

ثورة نرتفع فيها بالمستوى الثقافي للانسان العربي حتى يسلك طريقه المستقيم نحو التقدم ونحو المستوى الافضل في الحياة - دنيوية واخروية •

ثورة تضع الانسان العربي في الموضع اللائق الكريم وتجعله العنصر الفعال في تحقيق كل تقدم في اى مجال من مجالات الحياة وفي اى ميدان من ميادينها •

* * *

سيداتي وسادتي :

ان التخطيط لهذه الثورة انما يكون بعد ان يستقر في الازهان انا في حاجة الى مثل هذه الثورة •

واشير هنا وفي ختام هذا البحث الى خطين رئيسيين لا يمكن تجاهلهما •
الاول :- كيف نحدث الثورة الثقافية ، وكيف نضبط قواها ، بحيث تحقق اهدافها ولا تنقلب الى فوضى •

الثاني :- كيف نصل بالزاد الثقافي الى المواطن العربي في كل بقعة من بقاع العالم العربي - علما منا بان الاكثريّة الكاترة من أبناء الوطن العربي الكبير ممن لا تجيد القراءة •

ان الامر الثاني يمكن تحقيقه بالوسائل السمعية لاسيما ونحن نعلم جميعا ان تعاليم الانبياء والمرسلين انما استقرت في اذهان الناس ، واصبحت قيما تضبط عقولهم ، وتحرك أعمالهم ، وتربي ملكاتهم ، عن طريق السمع •
أما الامر الاول فنحقيقه يحتاج الى العصبية اولى القوة من المفكرين •

انه من الامور التي لم تنضج بعد في ذهني - ومن هنا آثرت التوقف حتى يحين الوقت المناسب ، ويكفيني في هذا المقام ان أشير اليه ، وان استشير في الازهان وان ادفعكم الى التفكير فيه •

والسلام عليكم ورحمة الله •

الدكتور محمد أحمد خلف الله
من وفد المتحدّة
وكيل جامعة الثقافة الحرة
الجمهورية العربية المتحدّة

الأدب والثورة

بقلم

سيد الشيباني و محمد الشرفي

المقدمة

مسؤولية حماية الانسان ملقاة - اليوم - على الفن الثوري ، يرى الانسان اليوم أن العلم في تطوره التاريخي يتجه اتجاهين اتجاها في خدمة الانسان وحماية بقائه على الارض ، واتجاها آخر في خدمة (العدم) وطالما كانت المجتمعات البشرية تنقسم الى طبقات مستغلة وطبقات مستغلة فان الصراع بين الوجود والعدم وستبقى البشرية - أبدا - تتقاتل في سبيل ان تأكل الطبقة المترفة الطبقة الكادحة .

ويقول المستغلون لمجهود البسطاء أن الغنى والفقير سنة الحياة و ارادة السماء وجعلوا من أنفسهم في الارض وكلاء للسماء ، وبنوا الكنائس والمعابد لتكون منابر الدعاية لهم .

وقبل أن تتدخل السماء في شؤون الارض كان الانسان يعمل متضامنا ويطعم مجهوده جماعيا ، ولما ظهرت الكهنوتية وتمعدت الكنيسة وأرست أركانها تحملت عبء مسؤولية السماء وقامت ببيع الصفقة الروحية على عباد الله الطيبين الذين لا يملكون شيئا سوى الصلاة أما مجهودهم العضلي فقد كان ملكا للمترفين وللكنيسة ، وكم باعت الكنيسة صكوك الغفران لعباد الله الطيبين ؟ وكم قبلت اعترافات ؟ وكم أدانت ، وكم أعدمت من هؤلاء البؤساء ؟ ولكن في سجلها لم تدين يوما ما في تاريخها غني ؟ لماذا ؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا سوى قداسة البابا !؟

ولم يتحمل مسؤولية الدفاع عن عباد الله الطيبين سوى الابداء الذين يصارعون بالحروف ، فهم لا يملكون البلطات ، ولا السيوف ؟ بل كان سلاحهم مجموعة من الكلمات المضيئة ، واليوم تقع مسؤولية الدفاع عن مخلوقات الله البائسة على هؤلاء الابداء الذين يحملون بذور الانسانية القادمة والذين يعتبرون أرقى احساس المجتمع .

وفي واقعنا العربي يتحمل الادب اليوم المسؤولية العظمى في سبيل اعادة حقوق المتعيبين الذين هضموا طوال التاريخ ولم يعد هناك اليوم من يستطيع أن يقول ان الغنى والفقر سنة الحياة سوى اولئك الذين يملكون كل شيء ولم يعد مطلب الاشتراكية جريمة الا في دساتير الدول البورجوازية التي هي أداة قمع طبقية تحمي المترفين من غضبة البؤساء تحمي الرأسمالية من العمال وتحمي الاقطاعيين من الفلاحين ، وتحمي السادة من العبيد ، اذن مفهوم ثورة الادب لدينا ليس كونه يعظ المترفين أن يرحموا المعدمين فتلك وسيلة سلفية من بقايا سيطرة الكنيسة والمعابد ، فاذا رأى راء عاريا يسير حافيا وراء شخص حسن الهندام فلا يجب أن يقول أن هذا شيء طبيعي لانه حتى هذه المرحلة التاريخية من تطور البشرية ليس هناك شيء أو وضع اسمه (طبيعي) فكل شيء في نظرنا لا يزال غير طبيعي ، والذين يملكون المبررات هم الذين ارتكبوا الجريمة ، فالمحامون غير الثورسين مثلا في نظرنا هم شركاء القتلة واللصوص لان وظيفتهم ليست أكثر من تبرئة المجرم وادانة البريء ، لان المجرم يملك أتعاب المحاماة أما البريء فلا يملك سوى حقه في كونه (انسانا حقيقيا شريفا) والانسانية الشريفة بكل أسف - شيك بلا رصيد لا تقبل النقابات ولا البنوك صرفه في أي مصرف والامن العام والاستخبارات أليست وظيفتهما تتبع المجرمين واللصوص في المجتمع ؟ ولكن من هم المجرمون ومن هم اللصوص ؟ اذا أردنا أن نعرف ذلك فحق علينا أن نكون شرفاء وكوننا شرفاء يجعلنا في قفص الاتهام ؟ لان المجرم لا يخاف مجرما مثله بل يخاف ضده وهو المواطن الصالح !

فمثلا ؟ لماذا صلب المسيح ؟ ولماذا صلب اسبارتاكوس ؟ ثم لماذا اعتبر

فلاسفة الاسلام ومفكروه الاول زنادقة؟ حتى الآن لم يجد الشرفاء جوابا
سليما؟ ولماذا أعدم لوركا؟ ولماذا طرد شارلي شابلن من نيويورك رغم أن تمثال
الحرية فيها أجمل تمثال في العالم؟ ولماذا طرد بول روبنسن من الولايات
المتحدة؟ ومن هو الذي قتل كندي؟ وروزفلت؟ ومن الذي شرذ ناظم
حكمت؟ (وقتل الورار) وغيرهم؟

ان الذين يملكون الجواب الحقيقي عن كل هذه الصور من
الجرائم البشرية هم وحدهم الذين يعتبرون في نظر القتلة مجرمين تماما
مثل المقتولين •

(فهواردفاست ، وشارلي شابلن - مثلا - يعتبران مجرمين خطيرين
في نظر السيد مكارثي والسيد دالاس - ؟

وفي وطننا العربي يوجد نفس الشيء طالما فيه مخلوقات بشرية واشباه
مخلوقات بشرية •

فتورة الادب تعني في نظرنا الثورة على المجرم الحقيقي عدو الشعب
وعدو الشعب العربي لا يختلف عن عدو الشعوب الاخرى مطلقا ، فنحن
نرى أنه باسم الشعب نعدم طلائع الشعب ، وباسم الشعب تنهب أموال
الشعب وباسم الشعب نفسه يحارب الشعب؟ فهل يمكن القول أن الذين
يستغلون الشعوب هم الذين يدافعون عن حقوق الشعب؟ ان ذلك اشبه بمن
يأتمن الذئب على القطيع : ولكي يكون الادب ثوريا فعليه أن يناضل
لتغيير المجتمع كينيا وهذا يعني الا يصبح المجتمع قسامين قسما منتجا وقسما
مستهلكا بل يجب أن يكون المجتمع قسما واحدا أي منتجا ومستهلكا
لانتاجه ، فالمجهود الذي يبذله العامل والزارع يعود اليه بشكل منافع متنوعة
متبادلة •

ربما يرى البعض أن هذا خلطٌ في الامور ، فيقول أن لا دخل
للادب في الاقتصاد والسياسة والفلسفة ونحن لا نرفض هذا الاعتراض بل
نحن موافقون عليه لكن موافقتنا مشروطة بشرط موضوعي هام ، وهو أن
نلقي عقولنا وبالغاء عقولنا فقط نكون متفقين ، لاننا اذا ابقينا عقولنا فانها

- أي عقولنا - كثيرة الفضول فسوف تحشرنا في الفلسفة وتقول لنا أن الانسان ثمرة التاريخ والتاريخ لا يعمل الا بواسطة الانسان فهما مترابطان وكل شيء مترابط ، فالغني مرتبط بالفقير والرابط بينهما هو عنصر استغلال الغني للفقير ، وهكذا تصبح الحياة المجتمعية مترابطة في علاقات وشروط ذاتية ، وخارجية ، وحينما نقول أو نصل الى هذه القوانين العلمية فأين نضع (اللامتئين - والعدميين الخ) هذه المصطلحات الفنية الجديدة ، وبدون أن ندري نصبح بقدره قادر بشرا مجرمين في حق الشعب ويصبح تطبيق نصوص الدساتير والقوانين الجنائية لازما علينا لاننا ن فكر وتلك مصيبة الادباء في وطننا العربي وفي كل وطن بوجوازي ، ولا يسعنا بعد ذلك الا أن ندعو الله سبحانه وتعالى أن يصلح أمور العباد طالما كانت ممارستنا للإصلاح جريمة ولكننا نحن معشر الادباء لا نستطيع الا ان نكون مجرمين في نظر المترفين فلك فريضة تاريخية علينا والا ما كان بإمكان الشاعر سعيد الشيباني أن يقول :

لن نغمد السيف حتى يذهب بددا	من أرضنا مترفاها ، غاصب وغبي
حتى يعود الى الضيعات مالكها	ويصبح الحقل ملك الفالح النعب
والمصنع الزاخر الانتاج يغدو الى	عماله صانعي الخيرات والطيب
حتى يلاقي في أمن وفي دعة	محبوبة جها ، معتزة وأبي
حتى نحرر بالقبلات موعدنا	في الحب من موجة الارهاب والريب
لن نلطم الخد ان جارت مصائبنا	فليس من يلطم الخدين بالعربي
لن نلقسي القلم المسموم ناية	حتى نرى ظالمينا أعجب العجب
حتى نعيد الى الكلمات قيمتها	في العلم والفن والتاريخ والأدب
وان شمس أفاق من مراقدها	فأي نلج على القمات لم يذب

فمهمة الادب الثوري هو التصدي لكل التحركات الساعية ضد مصالح الشعب الذي يشرب المترفون دمه خمره ويرفعون له الشعارات باسمه .
والادب العربي في كل فنونه تقصد الادب الثوري - قد التزم وسيبقى

أبدا ملتزما الدفاع ضد القوى الشريرة التي تسعى الى تدمير العالم ، والقوى التي نحارب وحدة العالم العربي وحرية وحقه في اختيار الطريق الديمقراطي والاسلامي وهي ليست قوى خارجية عن الوطن العربي فقط بل ان ركائزها داخل الوطن العربي هي أشد خطورة وأشد شراسة وكل حبة لا تجد تربة صالحة لا تنمو ، وما كان في استطاعة الاستعمار أن يقتحم الوطن العربي ما لم يجد المترفين والرجعيين يروون مزرعته وصباه في حقل الشعب ، والحقيقة أن الادب العربي الثوري لم يقف متفرجا بل ناضل بجسارة ضد الطغاة والجلادين والدخلاء والعملاء ، ونستطيع من هنا أن ندرك الدور الذي يقوم به الادب الثوري في تحول المجتمعات ولأن الاديب انسان فان فعاليته غائبة وهي جعل المجتمع المتناقض مجتمعا منسجما والفن عامة - أى الفن الثوري له فعاليته في وجدان المجتمع فأغنيا (فيروز) مثلا (سوف أحيأ) و (سترجع يوما الى حينا) واغنية عبدالوهاب (فلسطين) تعمل في الوجدان العربي أكثر مما عمله مليون خطبة تلقى في مركز السياسة العربية ، فعالية الفن في المجتمع العربي ايجابية ثورية صلبة ، واذا عدنا الى الماضي وجدنا تاريخ الادب العربي يعرفنا أن مولد شاعر لقبيلة عربية كان يعني مولد القبيلة ذاتها وأن بيت هجاء لشاعر يدمر قبيلة وبيت مدح لشاعر آخر يرفع قبيلة لم تكن معروفة على مدى طويل وحتى العصر الحديث لا يزال للادب فعاليته الموضوعية وأقرب دليل هو قصيدة نزار قباني (خبز وحشيش وقمر) لقد احدثت ضجة عظيمة في سوريا ولا يستطيع أحد أن ينكر خوف السياسيين الرجعيين وديهم الاستعمار من الادباء الثوريين في الوطن العربي وغيره لقد كان (ناظم حكمت) يهز بشعره كراسي الاسياد في تركيا ، و (بابلو نيردا) لا تزال كلماته تردد في شوارع امريكا الجنوبية وعلى شواطئ الكاريبي وقناة بنما ، وما كان يهرب قيصر الفولجا سوى جوركي وماياكوفسكي ، ولم يلق نوري السعيد وعبدالله وقاسم سوى حروف شعراء العراق العمالقة رغم أنهم لا يملكون أكثر من الشعر ، وحينما تفكر بثورة العراق يقفز الى أذهاننا طلائع هذا الشعب الثوري ، كالرصافي ، والجواهري والبياتي وخالد الشواف ، وعلي

الحلي ، والسياب ، ونازك الملائكة ، وكاظم جواد وهلال ناجي وعدنان
الراوي وغيرهم فعدينان الراوي حينما يقول :

والمملك الطغاة بدعة قوم يرثون الطفيلان بالاسباب
يا بلاط الكفر المقيم نهدم يا بلاطاً أقيم بالاسباب
أضباب يملأ اليأس قلبي وغوي يستذل جرابي
يا روابي (دمشق) يا (حلب الشهباء) يا وميض كل شهاب
يا دماء في ميلون كموج في حمى (اللاذقية) الصخاب
ناصرى " أنا يقيني بالله وبالشعب وحدة الغلاب
ستعود الاعلام اعلامنا السماء مرسومة على الاهداب

لم يقل ذلك ابتغاء مرضاة ملك أو بلاط ، بل من أجل الشعب الذي
هو يقينه والشاعر خالد الشواف حين يقول :

يا ساسة العرب سقيتم شعوبكم من كرمة الخور القتال ما فصدنا
ملائمو مسمع الدنيا بجعجة جوفاء ليس لها في العالمين صدى
أن الشعوب اذا ضاقت بواترها فما تقوم الا بالدم القودا
ماذا تقولون للتاريخ ويلكمو اذا بعار الليالي حدث الابدنا

فهو لم يكن لينذر الساسة العرب ، بل كان يستحث الشعب العربي
على الثورة ضد هؤلاء الساسة الاستعماريين العملاء ، وعبدالوهاب البياتي
الذي منح حياته للحرف الشريف المعذب لم يكن الا مدا ثوريا لشعب
نوري •

أيها الحرف الذي علمني حب الحياة

أيها الحرف الاله

آه لا تطفى مصباحك آه

كل ما اكتبه محض صلاة

لك ، للعلم ، ما اكتبه محض صلاة

وسلاحي في يدي ضد السلاطين واحفاد الغزاة

أيها الحرف المعذب

أيما تذهب أذهب

ثم ينهي قصيدته بقوله :

لتهب العاصفة

لتهب العاصفة

وما العاصفة سوى الثورة ضد السلاطين واحفاد الغزاة وكل قطر عربي يرتبط في ذهن الشعوب في ذهن الجماهير الكادحة بأدبائه وفنائه .
وكما يرتبط العراق بفنائه كذلك السودان والجزائر ، و ج . ع . م .
وتونس واليمن وكل الأقطار العربية الأخرى فصورة السودان الثورة نجدها في شعر محمد الفيتوري ، ومحبي الدين فارس وجيلي عبدالرحمن وتاج السر الحسن كطلائع مثقفة تقود نضال هذا الشعب الذي عبثت به أيدي المستعمرين وحاولوا تجزئته كما جزأوا اليمن والمغرب والشام ، والفيتوري لم ير في السودان جزءا منفصلا عن باقي شعوب أفريقيا العربية والأفريقية ففي قصيدته (البعث الأفريقي) يحرض أفريقيا على الثورة ضد السادة المستعمرين :

أفريقيا

أفريقيا استيقظي

استيقظي من حلمك الأسود

قد طالما نمت ألم تسأمي ؟

ألم تلمي قدم السيد

قد طالما استلقيت تحت الدجى

مجهدة في كوخك المجهد

مصفرة الأشواق ، معتوهة

تبني بكفيها ظلام الغد

جوعانة تمضغ أيامها

كحارس المقبرة المقعد
عريانة الماضي بلا عزة ،
تتوج الاتي ، ولا سوّدد

وارتباط الادب بقضية الشعب أصبح مطلباً بل واجبا انسانيا والفيتوري
هذا الشاعر الانسان لم ير في تونس زعماءها ولكنه رأى الشبابي ذلك
الشاعر العملاق الذي غدا شعره يدوي في الوطن العربي ويردد صوت النذير
بانكسار القيد ، ويخاطب الشاعر السوداني الشاعر التونسي العظيم ، كما
خاطب البياتي ناظم حكمت قائلاً :

يا معجز الارض بفن السماء
ومعجز الموت بسر الخلود
كم زحزحت كفاك من صخرة
سدت على الفجر طريق الصعود
وكم مشت روحك في هوة
صاحبها خلف الزوايا طريد
وكم حضنت الشوك مستغرقاً
في فكرة مملوءة بالورود
وعشت كالمنبوذ في أمة
هدت قواها مومياء الجمود
ومت لكن الذي لم يمت
هذا البناء الضخم ، هذا القصيد
شعر كاشواقك يغزو السماء
أمداده كالسنديان العتيد

والشبابي مفخرة الشعر العربي الثوري وعمود ضخّم من أعمدة الادب
الثوري الحق ، وكما ناضل الادباء العرب في قضايا بلادهم العربية والانسان
العربي المتطلع فقد ناضلوا من أجل الانسان اينما حل ، ولذلك يتساءل
الشاعر اللبناني خليل حاوي عن مولد بطل السلام والانسانية ذلك البطل

الذي هزم قيصرية (روما دون رماح ودون سيوف) •
انه يبحث عن البطل العربي الذي يخلص هذا الاسمان العربي
المعاصر من مأساته السوداء ويقفز به الى صباح الخير والسلام :
أترى يولد من حبي لأطفالي وحبي للحياة
فارس يمتشق البرق على الغول ، على التين
دب ماذا هل تعود المعجزات ؟
بدوى ضرب القيصر بالفرس
وطفل ناصري وحفاة
روضوا الوحش بروما
سحبوا الانياب من فك الطغاة
رب ماذا ،

رب ماذا ؟ هل تعود المعجزات
أما صلاح عبدالصبور فلم يكن حوار له للغاصبين حوار سياسي محترف
بل كان يمثل صوت الشعب الحقيقي الذي يواجه الغاصبين بكل صلابه
وجبروت وعناد وقد خاطب عدوه بلغة الشعب
سأقتلك

من قبل أن تقتلني سأقتلك
من قبل أن تغوص في دمي أغوص في دمك
وليس بيننا سوى السلاح
وليحكم السلاح بيننا

وانا اذا تذكرنا مواقف العرب التحررية البطولية سنجد بور سعيد
رمزا لبطولة الشعب العربي وقد كان الادب الثوري العربي لا سيما الشعر
سلاحا رهيبا في هذه المواقف ضد الغزاة والطامعين كما أنه ارتبط ارتباطا
قويا بمطالب الشعب العربي في التحرر والاشتراكية والوحدة فليس هناك
شاعر ثوري لم يناضل بحروفه الشريفة ضد الغزاة المستعمرين في
فلسطين الحبيبة وفي جبال وهران الصامدة وفي بور سعيد العتيدة وفي اليمن
السعيدة وعلى النهرين ودمشق والنيل من أجل الحياة الكريمة ومن أجل

العروبة الموحدة ومن أجل الانسان العربي العملاق ، وكما عنى الشاعر
سليمان العيسى في سوريا بالوحدة العربية :

ويمور الحشد اطفالا وشبابا وشبابا
ينسجون الوحدة الكبرى دماء وغلابا
لوحوا بالنير من بغداد يستدني الرقابا
فتركناه ولما يبد في الافق سرايا
ومضينا نهب الساح كما شتا خضابا

كذلك عنى بها شعراء اليمن وردتها السنة الادب في كل ميدان
يقول الشاعر عبدالله البردوني :

أنا توحدنا هوى ومصائرا وتلاقت الاحباب بالاحباب
أترى ديار العرب كيف تظافرت فكان صنعاء في دمشق روابي
وكان مصر وسوريا في مارب علم وفي صنعا أعز قباب
اليوم القي في دمشق بني أبي وأبت أهلي في الكنانة ما بي
وأبت اجدادي بني غسان في ربوات جلق محتتي وعذابي
وأهيم والاسام تنشر ذكرهم حولي فتضح بالعطور نيابي
دعني أغرد فالعروبة روضي ورحاب موطنها الكبير رحابي
فدمشق بستاني ومصر جداولي وشعاب مكة مسرحي وشعابي
وسماء لبنان سماي واهلها أهلي وأصحاب العراق صحابي
بل اخوتي ودم الرشيد يفوز في أعصابهم ويضح في اعصابي
فاترك جناحي حيث يهوى يحتضن جو العروبة جيثي وذهابي

ويقول الشاعر محمد الشرفي :

يا وحدة الاممال أناها هنا في كل درب
أمل تداعبه أنامل موكب نشوان صب
يهفو لوحده الكبيرة بين أنشوان وحب
فطفل من أفق القلوب كأنها خفقات قلب

تزهو بركب شامخ الاضواء يجرى أثر ركب
فيكاد يفشى الناظرين صياحها الاسنى ويصبي
أهلا بقافلة العروبة يلتقي شعب بشعب
وتمر تيارا يزاحم منكب الدنيا بجنب

هذا واننا نستطيع أن نقول بجرأة وثقة أن اتجاه الادب العربي اليوم هو اتجاه ثوري واقعي يجمع بين عكس الواقع الصادق وبين التحويل الثوري لهذا الواقع وتقصد بالواقعية في الفن تأكيد حوادث الحياة الموضوعية المتراكمة وأمام الادب اليوم جبهات نضال متعددة ، فليست الحرب على القديم هو هدف الفن ، بل هدفه تحويل الواقع العربي الحالي الى واقع أفضل ونرى أن مؤتمرات الادباء العرب يجب ان تتحول الى جبهة عربية موحدة وان تتخذ موقفا ايجابيا في سبيل الدفاع عن مبادئ الانسان العربي والعالمي والعمل على تحقيق انسانية هذا الانسان والا كانت هذه المؤتمرات ضجيجا في صحراء لا صدى له •

لسنا نؤمن بأن الادب للادب ، بل الادب من أجل الكادحين ليس رقبلياًوه بل ليتخذوه سلاحاً ضد استغلال الانسان لآخيه الانسان ، وضد السلطات العاشمة التي تتحكم بمصائر الجماهير الديمقراطية الشعبية من أجل حرية العمال والفلاحين المنتجين وهذا يعني أن الادباء سوف يواجهون جميع السدود المجتمعية والاسوار ، ولكن يجب اقتحام جميع الاسوار في سبيل فجر الانسان العربي ، فقد آن للذين استضعفوا في الارض أن يتوروا ليملكوا زمام مصيرهم ، وعلى الادباء وحدهم تقع مسؤولية توعية الجماهير العاملة وتنظيمها للقيام بدورها التاريخي ضد عدو الانسانية الثنائي الاستعمار والرجعية •

ان الوجدان القومي العربي غدا حقيقة موضوعية لا خيال شاعر ولا نغم موسيقى ، بل ممارسة عملية لبناء وطن عربي واحد تحت راية واحدة ، ولواء واحد ، تلك حتمية التاريخ والذين لا يؤمنون بالتاريخ فانا ندعوهم أن يتصدوا للتاريخ ، والذين ينطلقون من ذاتيات طبقية مريضة عديمة ،

هم وحدهم الذين يحفرون لانفسهم قبرا بأيديهم ، ونحن سوف نساعدهم
بكل امكانياتنا على ردم قبورهم ، وأدباء اليمن يمدون أكفهم الى أدباء الوطن
العربي بصلاية واصرار وجرأة متحدين القيود والحدود كافرين بالجمود
والنعصب والذرائع والاقليمية الضيقة .

وإذا تناقضت الوسائل فلا يجب أن تتناقض الاهداف الواحدة والذين
لا يؤمنون بحتمية الوحدة العربية هم وحدهم مسئولون عن عدمهم لأنهم دمي
في أيدي الاستعماريين والرجعيين يفلسفون لهم ويطورون مفاهيمهم في
محااربة الشعب العربي وجوابنا اليهم هو انهم :

لن يردموا أبدا نهر الحياة وقد تدافعت فيه كالحمى سواقينا
ان العروبة قد قامت قيامتها فليشمخ الشعب ولتسقط اعادينا

سعيد الشيباني

الفصل الاول

الثورة في الادب اليمني

بقلم : محمد الشرقي

ان الثورة في الادب معناها الارتفاع بمستوى الادب عن كل ما من شأنه تشويه الحياة الجميلة وثورة الادب معناها الحياة الجميلة التي تدعو لها الانسان .

حياة العدل والسلام حياة الخير والجمال-حياة المجتمع الاخلاقي الكريم وثورة الادب معناها الادب المسئول الذي يعيش مع واقع الحياة فيتلمس جوانب الخير والحق والجمال فيها ويحاول أن يبلورها في أذهان المجتمع الذي يعيش فيه ويفضح من يحاول تشويهها أو دفن ضوئها ولمعانها .

والادب المسئول هو أدب الثورة ، وهو الادب الذي ينطلق من التقوقع والانعزال وينزل الى الواقع ثورة عارمة ضد العقليات المتخلفة والتقاليد الجامدة والظلم المستشري والباطل المستحکم والجمود المفروض .

انه الادب الذي ينزل الى الشعب الى المجتمع ينير طريق المستقبل ويلهب جلود المتسلطين والمستعبدين والرايضين على جراح الشعب وانيه بسياطه الالهية ويصب على المتخلفين بالشعب والآكلين حقوقه والناهبين خيراته حمما ونارا تقذف بهم من عروشهم الطاغية الى حيث يجب أن تضعهم ارادة الحياة الجميلة والى المكان الذي يجب أن يكونوا فيه فكل تشويه للحق والخير والجمال ليس له في أدب الثورة الا الموت والاحتقار .

وكل التقاليد المختلفة الجامدة يحكم عليها أدب الثورة بالاعدام . وان الطغاة والجلادين الذين يحاولون طمس ارادة الحياة وتفتيحها ويحاولون كبح جماح زحفها المتطلع انما هم في نظر أدب الثورة حشرات سامة وأوبئة منتهة ولصوص في هذه الحياة لا يستحقون حياة أنهم في محكمة أدب الثورة جناة ليس لهم مصير لديه الا القبور .

ان أدب الثورة أدب انساني يتمتع فيه الانسان بكل الحقوق كاتسان

فلا عبودية ولا ظلم ولا قهر ولا استغلال ولا استعلاء لكل انسان حريته
وكرامته وادميته ، ولهذا فادب الثورة دائما هو وحده لسان الشعوب المظلومة
وحنجرة الجماهير الكادحة وهتاف الانطلاق والتقدم •

انه صوت الحقيقة المكظومة وانه الحياة التي يجب أن يحيها كل
انسان على هذه الارض ،

وهو بالتالي ثورة على الادب المتوقع أو ما يسمى بالادب (البرعاجي)
ذلك الادب الضيق المنزول الذي يهرب من الحياة ويتوقع في مكان بعيد
لا يتحدث فيه الا عن نفسه ولا يرى الا ذاته يناجيه وتناجيه •

ان الادب الثورة ثورة على ادب الابراج العاجية ، فادب الابراج
عنده ادب جبان يهرب من مواجهة الحقيقة وينفر من الرسالة الملقاة على
عاتقه سيما في المجتمعات المتخلفة والشعوب المتبلاة بأعداء الحريات أعداء
الحياة •

ولا يجوز لادب ما في مجتمع متخلف تهيمن عليه ارادة اعدائه • أن
يهرب عنه وينزوي في برجه دون أن يقوم بدوره في فضح هؤلاء الاعداء
وكشف اذليلهم وتعميق معنى الثورة في نفوس المجتمع الذي يعاني منهم
كل شر ووبال •

لا يجوز للادب أن ينزل عن مجتمه المحاط بأعدائه فانهزله هروب
عن رسالته في توعية الجماهير ودفع عجلة التحرر الى الامام ،
وانعزله أيضا رضاء بالقبح والتشويه لمعنى الحياة ومشاركة لمعاول
الهدم والتخريب التي لا يهمها الا ان تبقى ولو على أشلاء الحياة وحطام
الوجود •

لهذا فادب الثورة مصنع الجمال والحق والخير فهو لا يهرب وانما
يفوص في أعماق الواقع يبارك الجمال والحق والخير ويحارب كل من
ينحرف ويهبط بمستواها الاخلاقي الكبير •

ورجال ادب الثورة أدباء انسانيون لان أدبهم انساني ، أدباء احتضنوا
واقع مجتمعاتهم واحسوا باحساسهم ومشاعرهم أدباء لم يهربوا من آلامها
الى مكان لا ألم فيه •

ولم ينفروا عن جراحها بحيث يقون بلا جراح •

ولم يغطوا اعينهم عما يجري فيها من جمود عن التقدم وروضوخ
للأوضاع المتخلفة وانسياق مع دعاة التأخر والتقهقر الى الوراء ولم ينافقوا
بغية جاه ولم يستسلموا للذل بغية تقرب من ظالم أو مستعبد •

ولم يمرغوا جباههم على أعتاب ملك متسلط أو أمير متكبر ، ولم
يرضوا لانفسهم أن يكونوا معاول هدم وتخريب في ركاب طاغية أو سلطان •

انهم جعلوا انفسهم مشاعل تمزق الظلام وتهتك استاره • لقد باعوا
حياتهم للحقيقة حقيقة الخير والحق والجمال فاندفعوا في طريق الهدى عمالقة
شامخي الرؤوس ينقبون عن الحقيقة ويتحملون كل تعب والم في سبيل
اكتشافها ليهدوها لمجتمعاتهم وشعوبهم الراضحة تحت عقليات حكامها
المتخلفة وتحت تأثير تقاليد الموروثة وتحت نوايس الضلال والأنطواء
والانعزال ، هاموا بالحرية فهتفوا لها وتغنوا بالحنان الجميلة فرددها
الشعب معهم •

كرهوا الظلم والظلام فهاوى على اقدامهم اشلاء ممزقة تبصقها وتلعنها

الاجيال •

تعشقوا العدل والسلام والكرامة الانسانية فعاشوا لها واعطوها
عصارة افكارهم وعقولهم لانهم كرهوا ان يعيشوا بلا ضمائر لهذا فنحن
نجدهم في كل شعب طلائع ثورية مهدوا للثورة وفتحوا لها طريق
الانطلاق والتقدم •

فأدباء فرنسا فولتير وديدروا وغيرهم هم طلائع الثورة الفرنسية

الكبرى •

وأدباء روسيا مكسيم غوركي وغوغول وتشيكوف ودوستوفسكي
وغيرهم هم طلائع ثورة لينين الاشتراكية وحين قام جورج واشنطن
بالثورة الامريكية ضد الاستعمار البريطاني كان قد مهد لثورته أدباء أمثال
توم بين وبنيامين فرانكلين حيث كانوا بأدبهم يفضحون مظالم الاستعمار
البريطاني لامريكا ويدفعون الشعب كي يناضل ويشور ويستमित •

ان أدباء الثورة في كل مكان هم المحركون للشعب والمفجرون
لاحقادها في وجه الظلام انهم دينمو الثورات في كل مكان ونقصد بادباء
الثورة هنا أولئك الرجال الذين امتزجوا بروح الشعب وغاصوا في اعماقه
وقدموا له من عصارة أفكارهم وخلاصة جهودهم وعيا ومعرفة سليمة بواقعه
المريـر واضاءوا له الطريق السليمة لزحفه المقدس .
انهم الادباء الذين عاشوا للحقيقة وكرسوا جهودهم لتعميقها في
اذهان الشعب .

أما الادباء دعاة الهدم والتخريب الذي لا يقصدون بأدبهم سوى
بعث الفتن ونشر الفوضى دون أن يستمدوا ثورتهم من روح الشعب ومن
صميم حياته فليسوا بادباء ثورة انهم آلات مسخرة في يد الشر والباطل تنخر
في جسم الشعب وتدفعه الى هاوية سحيقة ليس له فيها ارادة ولا اختيار .
ان ادباء الثورة هم الذين ليس لهم من هدف سوى كشف الحقائق
للشعب والنهوض به من مدارك الجهالة والظلال كي يتور على واقعه
المزري ويستبدل به واقعا أنسانيا كريما . واذا كان كل شعب
من شعوب العالم يفاخر بأدبه الثوري وادبائه الثوريين ، فان الوطن
العربي يفخر أيضا بادبائه الثوريين وادبهم الثوري ، واليمن كجزء من
الوطن العربي يفاخر بادبه الثوري وادبائه الثوريين .

(بداية الثورة في الادب اليمني وأول مرحلة من مراحلها) .

في عام ١٩١٩م ١٣٣٧هـ كان جلاء الأتراك الأخير من اليمن وسيطر
الامام يحيى بن محمد حميد الدين على البلاد سيطرة كاملة وتجاوبت معه
اليمن كلها لامور .

منها انه قاد المعارك ضد الأتراك وخاضها بنفسه حتى أجلوا عن
اليمن وسحبوا كل قواتهم منها .

ثانيا : تنصيبه اماما شرعيا لانه من اسرة علوية فاطمية التي لا تكتمل
شروط الامامة بدونها .

ثالثا : لما عرف عنه الشعب اليمني من ذكاء وقدرة على قيادة المعارك
وتصميمه في جلاء الأتراك عن اليمن .

رابعا : لان الشعب والامام كلاهما يتمتع بعقليات متخلفة يرجع عهدها الى خمسمائة قرن حيث انزل فيها الشعب انزالا تاما عن كل ما يحدث في العالم من تطور وافكار وتجديد ومحاولات لرفع مستوى الانسان من ظلمات القرون الوسطى وبقي مسرحا للتنازع القبلي وصراع الائمة فيما بينهم فما ان يقوم امام في منطقة حتى يقوم آخر في منطقة أخرى وكل يدعي انه أحق بأخذ الامامة من غيره لخصائصه التي لا تتوفر في منافسه وكان يجد كل منهم مؤيدين ومناصرين • خامسا نكبة البلاد العربية كلها بالاستعمار وتأخرها وتحالف قوى الاطماع عليها فلم يجد الشعب اليمني من حوله الا ظلاما دامسا اينما توجه •

سادسا : انشغال الشعب بالحروب والقتال فيما بينه وفيما بينه والاتراك أخيرا مما أدى الى رسوخ العادات القبلية والتقاليد الجاهلية في نفسه وبقي شعبا قبليا عشائري الحكم عميق الصلة بروابطه القديمة المتخلفة واذا كان الاستعمار في البلاد العربية الاخرى استطاع أن يغزوها ويدخل فيها شيئا من الحضارة فقد صعب عليه غزو اليمن لطبيعتها الجبلية وشراسة أبنائها أمام الدخيل •

لهذه الاسباب وغيرها انقاد شعب اليمن للامام يحيى وحكمه بسلطة روحية جافة متعصبة لكل قديم وكان ذكيا في قيادة الشعب بها مع ظروف أخرى كانت تساعد منها الاسباب الاولى •

وقد اعتمد في أوائل حكمه على بضعة نفر من الاتراك لتنظيم المالية والاقتصاد والشئون العسكرية فقدموا اليه مشروعات اقتصادية زراعية وصناعية كما تضمن بناء مدارس وضرورة ارسال بعثات الى الخارج لتلقي بعض متطلبات الحياة في محيط البناء والعمل والنهوض بالشعب فارسل بعثتين الى العراق ثقافية وعسكرية وبعثتين الى ايطاليا للطيران والطب نجحت الاولتان وتخلفت الاخرتان أو لم تذهبا •

وتردد في بناء المدارس ولكن بعد الحجاج بعض حاشيته قام ببناء أو فتح مدرسة دار العلوم اثبت منهج الدراسة فيها على ما يريد فقرر فيها

دراسة كتب الفقه التي تتحدث عن اختلاف الفقهاء في مسائل الدين وعن آل البيت والتشيع بهم ومحبتهم ومنع كل علم حديث من جغرافيا وهندسة وحساب ولغات وغير ذلك لثلا يهتم الجيل بشيء من متطلبات القرن العشرين ومنع كل كتاب حديث اجتماعي أو سياسي في المدارس وفي السوق •

وعادت البعثان العسكرية والثقافية من العراق وعند اعضائها المام بالتطور والحضارة في العالم وقد اكتسبو شيئا من التفكير والوعي لاساليب الحياة الجديدة •

وتخرج في مدرسة دار العلوم رجال متفقهون في الدين الا انهم استطاعوا ان يحصلوا على كتب حديثة ويطالعوها وكانوا يسمعون همسات قليلة عن تطورات العالم الحديث من خلال الحروب العالمية وما كان لديها من امكانيات حربية هائلة ومصانع وآلات لاسيما والاستعمار البريطاني بدأ يتسلل بقواته وامكانياته للاستيلاء على الجنوب اليمني المحتل وسيطر عليه منطقة منطقة بعد دخوله الى عدن اليمنية بأساليب الخداع والمسكر عام ١٩٣٩م •

ومن هنا استغل الشباب وجود مطبعة كانت للاتراك فأصدر السيد أحمد عبدالوهاب الوريث أول مجلة سميت (مجلة الحكمة) ظهر فيها لأول مرة الحديث عن الادب وعن الشعب والاستعمار وعن السياسة بصورة قليلة ، الا ان الامام رضي عنها لتحديثها عنه وعدم مناقشتها لمتطلبات الشعب بصراحة ووضوح وعدم اهمالها لما يقال فيه من مداخل وفي هذه الفترة ظهر لأول مرة شعر يتضمن كلمة (شعب) (اصلاح) وبدأ يتبلور نوعا ما الوعي بالظروف والتأخر الذي كان يعيشه الشعب اليمني آنذاك وبدأت المجلة تطرق مواضيع جديدة كان لها أثرها القيم في نفوس طلائع الشباب •

أما البعثان التي جاءت من العراق فقد أهملها الامام اهمالا كاملا كانت النتائج عكسية في غير صالحه فقد انضمنا الى الشباب الذين تلقوا دراستهم داخل اليمن وواصلوا جميعا السيرة الى وعي أعمق ومقارنة واقعهم

بواقع الشعوب الاخرى وعرفوا أن الامام متعصب للانكار القديمة متحجر
أمام كل جديد ، ويأتي دور الادب في هذه المرحلة .

كل الادب في هذه الفترة لم يطرأ عليه شيء من التجديد الا كلمات
قليلة ظهرت في المقالة والشعر ، والشعر بصورة خاصة محصور في مدح
الامام أو مرثاة لصديق أو قريب أو تهنئة بمولود أو عيد في أساليب المتبني
وابي تمام والبحتري وغيرهم من الشعراء القدماء وفي نفس الصياغة
والاوصاف مع انعدام شيء واحد وهو استهلال القصيدة بالغزل كما كان
عليه الشعراء القدماء ، الا انه حدث تجديد قليل في موضوع القصيدة
المادحة على أيدي الشباب أمثال احمد عبدالوهاب الوريث والسيد زيد
الموشكي والسيد محمد محمود الزبيري وغيرهم فقد كانوا يدعون إلى
الاصلاح وبناء الشعب من خلال مدح الامام تمشياً مع افكارهم الجديدة .
وتبلور الوعي عندهم أكثر من الادباء الاخرين المتحجرين والمنغفلين على
انفسهم ، وتعد هذه التجربة اولى مراحل الثورة في الادب .

يقول الزبيري في مدح الامام :

يا حامل الشعب الكبير بقلبه الشعب في طيات قلبك يخفق
جدد له عصر الجدود بعزيمة لو مست الماضي لجاءك يشرق
لاتبه حجرا ولكن فيلقا ينساب فيه للمنايا فيلق
خذ بالقلوب ففي يديك زمامها والقلب يقرن بالولاء ويوثق
وانشر ضياءك في سبيل حياتنا فمسيرنا في غير نورك موبق

(تجربة أخرى مع الامام)

وفهم الشباب الواعون محاربة الامام يحيى لهم واهمالهم ولا سيما
أدباؤهم وعرفوا ان استجداء الاصلاح بواسطة المدح لا يجدي شيئاً ولا
يغير من عقلية المتحجرة مثقال ذرة واخذوا في مصارحته بضرورة الاصلاح
وبناء مدارس وادخال العلوم الحديثة عليها والاخذ بيد الشعب الى مستوى
أرفع لكنه عرف تفتحهم الفكري وتبلور عقلياتهم وتمردوا على اوضاعه

البالية فالصق بهم تهمة (اختصار القرآن) ورماعهم في السجون معتمدا في ذلك على الشعب الذي لا يعرف الا الامام ولا يكذبه في شيء ووقفوا أمام عقلية تعتبر التغيير والتجديد والعلوم الحديثة كفرا وخروجها على مبادئ الاسلام مروقا عن الدين كما هالهم أكثر من ذلك تشديده على كل واع ومنعه دخول المجالات والصحف والكتب الحديثة الى اليمن في المدرسة أو في السوق كما حرم دخول الراديو الى اليمن وآلات الطرب لان الدين يمنع الغناء ويمنع استعمال آلة مصنوعة بأيدي النصارى يقول الاستاذ الزبيرى في كتابه ثورة الشعر واصفا طبيعة المرحلة (كانت طبيعة الشباب الاحرار اليمنيين قبل الحرب العالمية واثنائها يقتحمون بافكارهم الشابة المتفتحة علما ضخما معقدا جديدا عليهم مليئا بالالغاز والاحتمالات والمناهات هم يتمون بيثهم واسرهم ومجتمعهم وعواملهم الوراثة ودولتهم الى ما قبل خمسمائة عام أو تزيد لكن كتب عليهم ان يفتحوا اعينهم على عصر آخر غير العصر الذى يتمون اليه وان يكونوا جسرا يعبر الشعب عليه ويقطع مسافة قرون طويلة وتلك رسالة من أصعب الرسائل التي يتحملها جيل من الاجيال) ...

فكيف يستطيع الادب والادباء ان يؤدوا رسالتهم في هذه الظروف الهائلة التي أحاطت بالشعب ، ان أمامهم عقبات :

- ١ - عقلية الشعب المتخلفة .
- ٢ - استحواذ الامام على مشاعر الشعب وتمسك الشعب بوجوده والتأمين على كل ما يقوله ويفعله .
- ٣ - عدم وجود أي وسيلة في ايديهم لنشر الوعي في صفوف الشعب واذا وجدت افتراضات وجدت افتراضا فمن ذا الذي يسمح بوجودها .

يقول الزبيرى :

- انه جيل محاط بعوامل ضغط هائلة من عالمين اثنين .
- عالم شعبه المعرق في القدم الذى تسوده نواميس الموت والتحجر .

وعالم الشعوب العصرية الحديثة التي تلوح له بسحر حياة لا يستطيع ان يحيها بطريقة طبيعية كما هي مهما تكلف وتكيف ولو عاشها فإنه بدون شك سيعيشها اسانا غير متكامل لانه سيكون مخلوقا شائها ينقصه الضمير وينقصه الخلق أيضا •

ومن هذا الواقع المرير خرج الاحرار ينصحون الامام ويصارحونه ولكنه رماهم في السجون بدعوى (اختصار القرآن) وبتهمة (الحرية) التي كان مجرد ذكرها جريمة لا تغنر واخذ الاحرار يستعطفون الامام بالشعر لعله يفكهم من الاسر لبدأوا تجربة أخرى ضمن محاولاتهم الاصلاحية •

يقول الزبيري :

(وقد نجح الشعر هنا في افناعهم باننا لسنا لهم من الاعداء فاطلقوا سراح البعض بعد تسعد أشهر ولكنهم ظنوا اننا سنرضى عنهم وتعايش معهم بمجرد ان يقدقوا علينا من أموال الدولة ومناصبها فلم يتغيروا بعد اطلاقنا من السجن في شيء ما غير الاستعداد لمساومتنا من الناحية الشخصية) •

واعادوا التجربة مع الامام بواسطة الفكر الديني الذي كان يدعيه ويحكم الشعب ويسجن ويقتل باسمه طمعا في تليته واستجابة لمطالبهم ولكنه كان متحجرا جامدا يأخذ من قصائدهم المدح ويرمي ما في طياته من توسل واستعطاف للنهوض بالشعب والاخذ بيده فهو اذا سمع •

أنت الخليفة بعد جدك أحمد فانهض بشعبك واصلح الاحوال

حفظ الشطر الأول واصم اذنه عن الشطر الثاني •

وقد كانت اوضاع اليمن في هذه الفترة اوضاع نفاق ومحاربة لكل تفكير وفتوح كما كانت فترة انغلاق وعدم وجود اي مفهوم للحرية السليمة في اذهان المجتمع فكما نجد معروف الرصافي الشاعر العراقي يصف اوضاع العراق في أيام المستعمرين في قصيدته « الحرية في سياسة المستعمرين » فيقول :

ان الكلام محرم	يا قوم لا تكلموا
ما فاز الا النوم	ناموا ولا تستيقظوا
يقضي بأن تقدموا	وتأخروا عن كل ما
فالخير ان لا تفهموا	ودعوا التفاهم جانبا
فالشر أن تتعلموا	وتثبتوا في جهلكم

* * *

من شاء منكم ان يعيش اليوم وهو مكرم	فليس لا سمع
ولا بصر لديه ولا فم	لا يستحق كرامة
الا الاصم الابكم	

* * *

طربا ولا تنظلموا	واذا ظلمتم فاضحكوا
مر فقولوا : علقم	ان قيل هذا شهدكم
ليل فقولوا مظلّم	أو قيل ان نهاركم

فاننا نجد نفس الاوضاع في اليمن كما نجد الادب هنا يضج بنفس
الشكوى ويحترق بنفس الالم لتلافي المأساة انذاك في الوطن العربي كله
لوجود التحالف الرجعي الاستعماري في الشعوب العربية وها هو شاعرنا
الاستاذ محمد الزبيري يعكس لنا صورة قاتمة من المرحلة ويردد نفس
الجروح في قصيدته (مصرع الضمير) .

مت في ضلوعك يا ضمير وادفن حياتك في الصدور
اياك والاحساس فالدنيا العريضة للصخور

لا تطمنن الى العدالة فهي بهتان وزور
لا تسببن الى الثقافة فهي داعية الثبور
حطم دماغك انه يؤذي الخليفة والامير

لا تنطقن الحق فهي خرافة العصر الفريير
لا تتصبر للشعب ان الشعب مخلوق حقير
لا تطمحن فلسفت أكثر في الحياة من الحمير
لن ترتدي غير اللجام ولن تذوق سوى الشعر
واحذر تصدق رؤية العينين أو نبض الشعور
فاذا نظرت دجى فأعلن انه الصبح المنير
واذا ترى الشيطان عريدا فقل ملك طهور

(تجربة أخرى)

عرف الاحرار اليمينيون تحجر الامام وجمود عقليته وانه لا يمكن ان
يستسلم لمطالبهم مهما حاولوا سواء بالاستعطاف والمدائح أو بواسطة الدين
وانهم لن ينالوا منه الا التعذيب والتنكيل لكن ماذا يعملون ؟ ان الشعب
في أيدي جلاديه يسيرونه على ما يريدون نتيجة تغلغل حكمهم واوضاعهم
وافكارهم في نفسيته ونتيجة عزلهم له وحرمانهم من كل نفتح وتطور
فكل تحد يقوم به الاحرار للطفاة انما يقضي عليهم دون ان يحققوا للشعب
أي فائدة وانتقلوا الى مرحلة جديدة ، لقد ظهر في ايام الامام يحيى ولي
عهده أحمد وكان نائبه في تعز ظهر على الاحرار وفي اذهان الناس رجلا
حازما قويا متطورا من خلال ما كان يقوله من وجوب الاصلاح ونقد سياسة
أبيه والتبرم من اوضاعه كما كان يرفض في كثير من الاحيان أوامر أبيه
فظن الاحرار به خيرا وانقلبوا اليه في تعز يعيدون نفس التجربة .

لقد كانوا يمدحونه شعرا ويدمجون مطالبهم في مدائحهم واظهروا
شيئا من التجديد في أساليب المدح لكنه خاف .

يقول الشاعر الزبيري :

(ان القضية ولدت هناك في تعز في صورة قصائد طنانه كنا نلقبها
على الجماهير في محاولات الاعياد الضخمة لولي العهد لقد كان عملنا يومئذ
بعتبر تقدمية ونهضة وجرأة على تطوير الأساليب القديمة في الادب والشعر

وجرأة على الظهور والطموح والتبشير بوجود عصر حديث لم يكن للناس به في بلادنا علم وقد فطن ولي العهد أحمد الى هذه المغزى العميق لحركتنا . هناك كنا ندرك اننا نهز طموح هذا الرجل ساعات من الوقت ولكنه عندما يعود الى عنصره المستبد ورواسب طغيانه كان يجزع ويتألم لان الجماهير عرفتنا ولان الادباء قدموا الينا شعرا ونثرا واظهروا اعجابهم بملامح الادب الحديث . وانقلب ولي العهد على مر الايام الى طبيعته وخلع ازياه المسرحية وصرح على الملأ بانه سيلقى الله ويده مخضبة بدماء الادباء وان من يقرؤون كتب طه حسين والعقاد والرافعي سيلقون الموت) .

لقد مر الاحرار مع ولي العهد أحمد بنفس التجربة التي مروا بها مع والده وقدموا له نفس المدائح التي تمجده وتطالبه بتغيير الاوضاع والظاهرة البارزة في أدب هذه التجربة انه قل عنصر الاطراء والمدح في القصيدة وكثرت الاشادة بالقادة الذين يصلحون شعبهم ويحاولون تطويره والاخذ بيده كما نرى في شعر الاستاذ زيد الموشكي في قصيدة الى ولي العهد ابن الامام يحيى يبدأها بقوله :

هناك يخلد من عزت به الامم نجم تضيء به الدنيا وتبتسم
نم يقول :

الناس حولك قد جاءوا بأنفسهم
يهدونك الطاعة العمياء لتقدمهم
وذاك واجبهم يا ابن الامام لكم
الجهل قد ساد والامراض مطبقة
والعالمون بمرآنا ومسمعنا
ان الخلافة قد جاءتك راضية
والناس راضون والايام مقبلة
وأنت ماذا الذي تنويه ان ملكت
هل الجهالة عنهم سوف تكشفها ؟
وهل تبيد الاسى والبؤس عن وطن
حرصا على ان تعيد اليوم مجدهم
ممن شكوه الى من سمعه صمم
فأين واجبكم بالله نحوهم
والفقر منتشر والجبل منصرم
نغشاهم دوننا الخيرات والنعم
تهتز نحوك من شوق وتبتسم
والكل متفق والشمل ملتئم
كفاك يوم انعقاد التاج أمرهم
وهل تزول بك الامراض والالام
قاسى من البؤس ما يعمي وما يصم

ثم يظهر لنا الشاعر زيد الموشكي الامل الذي عقده الاحرار على ولي العهد
أحمد :

حاشاك تهنا ومن ترعاه في تعب وتستريح وفي احشائه ضرم

ومن هنا انزوى ولي العهد أحمد عن الاحرار ومكث يحاربهم
ويؤلب عليهم ويتخذ معهم نفس أساليب والده وهم في صنعاء وكاشفهم
بالعداء وانه لا يمكن ان يسكت عنهم ما داموا لم يكونوا كغيرهم من دعاة
النفاق والافلام المأجورة يمدحون ويطـرون دون ان يتدخلوا فيما لا
يعنيهم *

كان يريدون ان يظلوا عبيدا خاضعين لجموده وتحجره وان يهيلوا
التراب على تفكيرهم الفكري وتطلعهم الحضاري لكنهم احرار نوار
وافكارهم وادبهم ومبادئهم نورية لا يمكن ان يهنوا ويرضوا بواقع الشعب
الاليم وان يهادنوا جلاديه وظالميه ، لقد كانوا في اوضاع تلخص فيما
يلي :-

- ١ - حكام متعصبون للقديم يحاربون كل جديد ينفرون من كل
تفتح فكري ومن كل تجديد في أى ناحية من نواحي الحياة *
- ٢ - اعتمادهم على الدين واستغلاله كأداة يضللون بها الشعب
ويحكمون باسمها الجماهير فما ان يحسوا بالخطر من طليعة الشباب حتى
يلصقوا بهم التهم وينشروها في اذهان الشعب الجاهل تمهيدا لتعذيبهم
وسجنهم أو قتلهم ، من تلك التهم (اختصار القرآن) الصقوها بالاحرار
لئلا يتقبل منهم الشعب اي فكر جديد وای دعوة للتغيير *
- ٣ - تصميمهم على عدم بناء مدارس وتطعيمها بالعلوم الحديثة
اذ فتحوا مدرسة دار العلوم ولم يقرأوا فيها الا الكتب الصفر وكتب
التشيع وغيرها من العلوم الجامدة ليبقى الشعب متمسكا بالامامة الظالمة
جاهلا لكل التطورات السريعة التي يعيشها العالم في الربع الاول من
القرن العشرين *
- ٤ - تحريم كل وسائل التوعية الحديثة فليس هناك صحف وليس

هناك مطابع الاصحيفة واحدة ومطبعة قديمة خلفها الاتراك خاصة بالامام
ونشر عفوناته وتحجره كما منع دخول الراديو الى اليمن في بداية
انتشارها ومنع دخول الصحف والكتب الحديثة وحرم استعمال آلات
الطرب لثلاث تنقل الانسان اليمني الى عالم آخر مستندا الى الدين فسي
تحريم الغناء •

٥ - تغذية النظام القبلي المتعصب والتقاليد العشائرية الجاهلية وقرار
الحدود بين قبيلة وبين قبيلة أخرى وتسليط الشيخ على ابناء القبيلة وتشجيعه
بمرتب يتقاضاه كل عام من خزانة الدولة اضافة الى ذلك تغذية الفوارق
المذهبية والطائفية والعنصرية •

فكيف يصبر الاحرار على هذه الاوضاع ؟ وكيف يرضون بهؤلاء
الحكام ؟ وكيف يستطيعون ان يجذبوا اليهم الشعب والشعب في أيدي
طفاته وجلاديه لا يصدق الا الامام ولا يتفاهم مع أحد غير الامام وليس لهم
أية وسيلة لتوعيته بواقعه وتعميق معنى الحرية والتقدم في اذهانه فماذا
يعملون ؟

لقد وضحت المعركة بينهم وبين الحكام فالبوا عليهم الناس تمهيدا
للفتك بهم والاطاحة بحياتهم وهنا انفلتوا من قبضة الطغيان وانتقلوا بأفكارهم
الثورية الى مدينة يمنية خارجة عن حكم الامامة الى عدن حيث يوجد فيها
الاستعمار البريطاني في أولى مراحل الاحتلالية للجنوب اليمني المحتل •

الادب في مرحلة اليقين الثوري :

لقد اكسبت هذه التجارب الاحرار الادباء يقينا ثوريا كبيرا ووسعت
مدارك الادباء اكثر واكثر وفتحت لادبهم آفاقا جديدة من التبلور والنضج
كما خلقت أدبا ثوريا رائعا متفجرا بروح الشعب صاحب مزاج في وجه
أعداء الشعب ، فقد وصل الاحرار اليمنيون الى عدن اليمنية المحتلة
مطاردين ومصممين على بدء حركتهم الثورية من هناك ، وكان من بينهم السيد
زيد الموشكي والسيد أحمد محمد نعمان والسيد محمد محمود الزبيرى
وكلهم أدباء ثوار •

فما أن يصل الشاعر محمد الزبيري الى عدن اليمنية المحتلة
حتى يحس بأنه خرج من سجن رهيب تعيش فيه ظلمات القرون الوسطى
حيث تلجم الافواه وتكبت الحريات وتخذم المشاعر فيقول :

خرجنا من السجن شم الانوف كما تخرج الاسد من غابها
نمر على شفرات السيوف ونأتي المنية من بابها
ونأبى الحياة اذا دنست بعسف الطغاة وارهابها
ونحتقر الحادثات الكبار اذا اعترضتنا باتعابها
ستعلم أمتنا ركبتنا الخطوب حنانا بها

وهناك في عدن اليمنية تكونت الجمعية الكبرى وكان من أعضائها
أحد أبناء الامام يحيى السيف ابراهيم شارك الاحرار في نضالهم ضد
أوضاع أبيه وذلك في عام ١٩٤٣ وظهرت أول صحيفة باسم الاحرار
اليمنيين سميت (صوت اليمن) ومن هنا بدأ الادب الثورى يؤدى رسالته
الكبيرة فظهرت القصيدة الثورية والمقالة الثورية ، لهذا نحن نلمس في
الشعر الثورى انطلاقة كبيرة جديدة في ميدان التجديد فهو شعر شعبي
انسانى قوى العبارة رائع المعنى نارى الاسلوب يناقش مشاكل الشعب اليمنى
بكل حرارة وقوة وينزل على الطغاة ضربات قاسية يوسعهم تقريبا وتهديدا
ويحدد مصائرهم ويفضح اوضاعهم البالية ويستنهض الشعب لمواجهةهم
ويلومه على تبعيته لهم والرضوخ لاسواطهم وأساليبهم الوحشية فرى
السيد زيد الموشكي يقول في قصيدة تزيد على سبعين بيتا يخاطب طاغية
اليمن .

ستقرع بعد اليوم ندم سنا اذا ما فؤاد الشعب باح بما جنا
ولبى أباة الضيم أصوات هائف بهم اسمعت اصواته الانس والجننا
ينادى باعلا صوته قائلا لنا ألا استيقظي يا أمة اليمن الوسنى
لقد طال هذا النوم حتى كأنكم أوى منكم الاقصى الى الكهف والادنى
ولكنه كهف شديد ظلامه مخوف واهل الكهف نالوا به أمنا

ألا ايقلبوا احلامكم وتبهاوا
ألا فانهضوا فورا ليسلم عزمكم
أميطوا جلايب الجهالة عنكم
فما في الحياة الذل خير لعاقل
أما فيكم من غيرة وحمية
فما الغرب أولى بالعلا في الدني منا
وكونوا يدا كيما نذود الردى عنا
وعن عزمكم واستنطقوا الضرب والطعنا
وفي موته بالعز ليس يرى غبنا
على الدين والارحام والارض والابنا

وانطلق الادب اليمني الثوري من أحضان الضراعات والاستعطاف
والمدائح فلم يعد محصورا ساجدا على أعتاب طاغية ولم يعد متمسحا
راكعا لصاحب الجلالة ولمولانا الامام فما ان انتقل الاحرار اليمنيون الى
عدن اليمنية التي جعلوها مركز اشعاع لهم وما ان تفلتوا من قبضة الطغاة
بأديهم وافكارهم وروح شعبهم اليها حتى نرى الادب اليمني يدخل مرحلة
جديدة في معركة نضالية عنيفة تخلد فيها وتداولته اللسان في كل
اليمن . أما الادباء الذين رضوا بان تبقى جباههم متمرغة في الاوحال وان
يبقى ادبهم محنطا راکعا على أقدام الابتهالات والمدائح في امجاد طاغية
فقد انتهوا وانتهى ادبهم ودفنتهم كبرياء الادب الثوري في المكان الذي
اخاروه لانفسهم بين الاوحال وعفونات صاحب الجلالة ومولانا الامام ولم
يبق خالدا على السنة التاريخ تردده حناجر الثورة والشعب الا ادب
الاحرار المتمردين على نواميس العبودية والذل أمثال شاعر الثورة الكبير
الاستاذ محمد محمود الزبيري .

كفرت بعهد الطغاة البغاة
وأكبرت نفسي عن ان أكون
وعن ان يراني شعبي الذي
وعن ان يراني شعبي الذي
أأجنوا على ركبتي خاشعا
ألعتقه .. خجرا قاتلا
وما زخرفوه وما زيفوه
عبد الطاغية توجوه
يعذب عونا لمن عذبه
يعذب عونا لمن عذبه
لجنة طاغية حنطوه ؟
لشعبي وأكثر فيه الولوه ؟

أتمنو لطاغية جبهتي ؟ فمن هو؟ من أصله؟ من أبوه

« آفاق جديدة للادب اليمني »

لقد كان الشعر في اليمن في الربع الاول من القرن الحالي محصورا في مدح طاغية أو التهنة بمولود أو مرثاه لميت أو تهنة فقيه لفقير بمولود أو بعيد كما كان الادب العربي كله قبل الثورة الحديثة ولكنه تخلف في هذه الموضوعات في خلال الربع الثاني من القرن الحالي على أيدي فريقيين من الشباب •

١ - بعثة ثقافية درست في العراق ورجعت •

٢ - مجموعة من الشباب استطاعوا ان يتأثروا بالحضارة والتطور والتجديد في الحياة من خلال مطالعاتهم للكاتب الحديثة والادب الحديث في تلك الفترة رغم منعها ومؤاخذه من يستوردها او يقرأها كما اسلفنا •

وقد قلنا ان الادب بدأ يتطور على مراحل ••

١ - مرحلة تجارب الابداء مع الامام يحيى وولي عهده احمد وفيها اصبح الادب النوري خليطا من المدح والتهنة •

٢ - مرحلة اخرى اكثر صراحة من المرحلة الاولى اكتسب الادب معاني اكثر فقد كانت تناقش القصيدة فيها مأساة الشعب من ظلم وجهل وفقير ومرض وتدعو للحكام للالتفات اليها وهذه المرحلة لم تكسب الادب الا الفاظا وعبارات جديدة اما الفنية والجمال والقوة فقد انعدمت منه •

٣ - اما المرحلة الثالثة فهي الطفرة الكبيرة بالادب نحو التجديد وتبدأ من بعد مطاردة الحكام الاحرار وانتقالهم الى عدن في اوائل العقد الخامس من القرن الحالي وقد قدمنا ان الادب ولا سيما الشعر خرج

بتجارب كثيرة في المرحلتين الاوليين اكسبته قوة في العبارة وحرارة في
الاسلوب وروعة في المعنى وتدققا في الخيال وابداعا في خلق صور جديدة
وقد تجلت هذه الظاهرة الحية اكثر ما تجلت على يد الشاعر الكبير محمد
محمود الزبيري الا لان المرحلة مرحلة ثورة فقد اتسم الادب بطابع خاص
هو التمرد على الطغيان وفضح أساليبه واستنهاض الشعب للثورة مع قليل
من مشاركة الوطن العربي في نضاله واتفاضاته ضد الاستعمار والاحتلال
الاجنبي ولا نستطيع ان نسجل من ادب هذه الفترة الا الشعر وكذلك
بالنسبة للمراحل التالية وقد ظهرت المقالة الثورية وظهر كتاب كثير اشر
صدور صحيفة « صوت اليمن » في عدن اليمنية ، الا انه ليس لدينا منها
اي نص نعرف به تطورها ومن المفهوم ان المقالة في هذه الفترة خرجت عن
أساليب الفقهاء وتمردت على اساليب الخطب من سجع الخطب ومقابلة
وتتميق بحكم الرسالة الثورية التي حملها الاحرار اليمنيون على عاتقهم
فهم يكتبون لا للفن الادبي وانما يكتبون للثورة التي تتطلب من الكاتب ابراز
المأساة على حقيقتها امام جماهير الشعب وعلى اي حال فهو انطلاق بها من
قوالب السجع واساليب الخطب وكتابة العلوم فيها الوضع وفيها التناسق
وفيها الموضوعية البحتة .

اما القصة والمسرحية او الملاحم فلم تظهر في هذه المرحلة وقد ظهرت
فيما بعد ولكنها قليلة جدا والذي نعرف من ادب القصة « مأساة واقى الواقى »
قصة للاديب الكبير محمد محمود الزبيري قص فيها احداث اليمن واوضاعه
وثوراته على شاكلة رسالة الغفران لابي العلاء المعري .

ولم توجد المسرحية الكاملة بالمعنى الحديث لانعدام المسرح في اليمن
الى اليوم فقد كان الحكام يمنعون كل شئ من اساليب التوعية حتى السينما.
لم تغز اليمن الا بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م .

(ثورة الشعر)

لقد ابتلى الشعب اليمني بالامامة الرجعية المتعفة منذ قرون وقد ورت عنها جمودا في الفكر وتصلبا في العقيدة وتعصيا للتقاليد الموروثة . وكانت هذه الامامة تحكمه بسلطة روحية دينية جامدة تدعى لنفسها انها ظل الله في الارض وان بقاءها مستمد من ارادة الله فلا يجوز ان يناوىء متقلديها احد ولا ان يلصق بها احد شيئا من المساوىء لعصمتها ومشيتها في الطريق الاقوم وتدعي انها لا تعمل ولا تحكم الا بحسب توجيهات الله وارشاداته فكل عمل وقول منها ان هو الا وحي يوحى فهي امامة خاصة ومملك لاسرة واحدة لا لوم عليها أن عزلت الشعب عن العالم وتركنه في احضان الثالث الرهيب ، الفقر والجهل والمرض ولا لوم عليها اذا حرمت على الشعب اليمني كل نور يتسلل اليه من حضارة القرن العشرين فهي معصومة عن كل خطأ وكل ما تفرضه على الشعب من تخلف وظلام انما هو من الدين ونابع من الاسلام وقوانينه .

لقد جعلت الدين ركيزتها الاولى وعمودا لها ، فما أن وصل الاحرار اليمنيون الى عدن المحتلة حتى بدأوا في تعرية دين الطغاة الزائف فيقول الشاعر محمد محمود الزبيري

أيها الظالم الذي يتباهى انه ابن الوحي او سبط طه
تشهد الناس يركعون حوالبك دهورا ويخفضون الجباهها
تتوخي بان تكون شريك الله فيهم او ان تكون الله
لا تبالي سمعت انغام موسيقى تغنيك أو سمعت الآها
كلها لذة الالهية النكرا في سمته وفي معناها
واذا جئت للمصلي رأيناك نفاقا موحدا أو اها
ان تكن انت مؤمنا بالله فلماذا تكون انت الاله

وكان حكم الامامة يضلل الشعب بانه لم يبق على الدين الاسلامي الحنيف الا اليمن اما الشعوب العربية فليست الا بلاد كفر وأباحتية .

يقول الزبيرى

فيا ملكا لج في بطشه
وداس البلاد واخنى بها
ودب لأمته في الظلام
ديب اللصوص لاسلابها
وذر الغبار باجفانها
وصب السموم باعصابها
وقال لها مصر أرض الفجور
تفيض الخمور بابوابها
وبغداد عاصمة الملحين
ومكة نهب لاعرابها
وما الارض الا لنا وحدنا
ولكنهم غالطونا بها

وتمضي الامامة في غيها تذبج وتقتل وتسجن مدعية ان ذلك من الدين وتسمي الناصح لها والنائر على اوضاعها البالية « باغيا كافرا » وكانت تسمي متفتحي الافكار والمتطلعين الى حياة حضارية تقدمية تسميهم « احرارا » أي مارقين عن الدين فتنزل بهم الضربات القاسية وتقول للجماهير ان وحشيتها دين وقتلها وسجنها عدل يقول الزبيرى

طعناته قدسية نزلت بها البركات والآيات والاحكام
عمل الورى في رأيه كفر وما يأتيه فهو شريعة ونظام

ويمضي في نفس القصيدة يفضح الامامة المتألهة ويكشف للشعب فرديتها وظلمها وبتشمها واحتقارها للجماهير ومجازاتهم بالاحسان والوفاء والطاعة والمؤازرة بطشا وتكبيلا •

وتذل أمتنا لفرد واحد
لا تستقاد لمثله الانعام
نسدى له اموالنا ونفوسنا
ويرى بانا خائنون لثام
نبني له عرشا يسود فينتني
سجنا نهان بقله ونضام
كم سبحته ألسن فتجرعت
منه مذاق الموت وهو زؤام
كم من اب واسى الامام بروحه
باتت جياعا بعده الايتام
يمتص ثروة شعبه ليميته
جوعا ليسمن آله الاعلام

وكانت الامامة أيضا تحرم على الناس نصحتها فنصحها جريمة لا تغتفر
 اذ كيف ينصح الرجل أسرة معصومة تقديسها السماء وتباركها الارض
 فهي أسرة منحدره من صلب النبي عليه الصلاة والسلام ورثت عنه اخلاق
 النبوة وظهر الانبياء الا أنها من المؤسف أدعت لنفسها العصمة التي أنكرها
 النبي عليه الصلاة والسلام بحكم انه بشر يخطئ ويصيب •

يقول الزبيرى

تظن السموات تعنوا لها	وتحتوا خشوعا لاحسابها
وأن النبوة صارت لها	تبه بها وبألقابها
وانا عبيد خلقنا لها	لنبقى سجدوا باعتبارها
وليست بشيء سوى أنها	عجوز تجن بألعابها
تغذى البلاد بأسواطها	وتسقي الرعية من صابها
رجالهم عند سجانها	واموالهم عند سلابها
نصحت فقالوا هدمت البلاد	وزلزلت ببيان أقطابها
وما أنت والنصح في أسرة	تنال السماء بأسابها
وقد نزل الوحي من أفقها	وحل النبي بأثوابها
وما الحق والعلم والعالمون	الا قرابين محرابها
حذار الخطابة ان السجون	تهش اليك بترحابها

ولان الدين كما قلنا هو العمود الفقري لحكم الامامة فقد
 ركز عليه الشعر تركيزا كبيرا فما تقرأ أي قصيدة للشعراء في تلك المرحلة
 حتى نجد فيها اهتماما خاصا بدين الطغاة •

وقد بدأ الاحرار في عدن اليمنية المحتلة يمهدون لثورة عارمة تكتسح
 الطغيان وتنقذ الشعب من ضلاله وتجاوب معهم احرار من الشباب في صنعاء
 فكانوا ينشرون الصحف والمنشورات ويتلقفها في صنعاء شباب يوزعونها على
 الشعب خفية وعلى الرغم من تخريب بيوت الاحرار اثر انتقالهم الى عدن

كبت الأستاذ محمد الزبيري والأستاذ زيد الموشكي إلا أنهم قابلوا ذلك بلا
مبالاة وما زادتهم اجراءات الامام التعسفية من هدم بيوتهم وطردهم صغارهم
منها وتشريدهم الاقوة وتصميما ومضيا في اثاره الشعب وتحفيزه
واستهاض حميته واحفاده بقول الأستاذ زياد الموشكي من قصيدة طويلة

ساد في ذا الزمان كل خميس سافل واستكان كل رئيس
أصبحت زمرة النفاق بعز وأولو الفضل في غناه وبوس
يابني شعبنا نهوضا فقد طال نواكم بين ذلة ونكوس ..

التمهيد لثورة ١٩٤٨

وعندما عنفت الحركة الثورية على يد الاحرار في عدن اليمنية
المحتلة بدأ التخطيط للثورة المقبلة في صنعاء وفي عدن وقد قام الاحرار في
صنعاء بجذب مشايخ القبائل وتأييدهم وتغييرهم في أمكنة سرية ودفعهم الى
الثورة والقضاء على الحكام الظالمين وتجاوب معهم بعض من المشايخ بالتوعية
المباشرة وانضم اليهم بعض من حاشية الامام يحيى وبعد ان ضمنوا قتل الطاغية
على أيدي بعض المشايخ فكروا فيمن يرشحونه خلفا للامام .

واستقر رأيهم على ترشيح عبدالله الوزير لاسباب :

- ١ - منها مراعاة لتقاليد الشعب في القائد فقد ورث عن بيت حميد
الدين ان من شروط قائد الشعب ان يكون اماما من اسرة علوية فاطمية .
- ٢ - مراعاة للقبائل المتشعبة ولأن لاسرة آل الوزير اتصلا بقبائل
كثيرة يتقون بها كما قيل .

٣ - على الرغم من ان المرشح الجديد يتمتع بعقلية متحجرة جامدة
كالامام الا انه روعي فيه ظهوره امام الشعب كما قيل كشخصية كبيرة بجانب
الامام يحيى من جهة ومن جهة اخرى ليواجه الشعب برجل له مميزات
الامامة في الحسب والنسب والكفاءة وقد قيل ان الاحرار ارادوا ان يجعلوا
هذا التغيير كخطوة أولى في طريق البناء السياسي والاجتماعي تليها خطوات
ويدرسون الشعب ونفسيته ومدى وعيه واستعداده لتقبل الثورة وكان من

ضمن الاحرار في صنعاء الرجل العظيم فضيل الورتلاني الجزائري والقائد
العسكري العراقي جمال جميل الى جانب البعثة العسكرية التي عادت من
العراق ولاقت من الامام يحيى كل اهمال .

لكن نجاح الثورة القادمة لم يدرس دراسة كاملة الا ان الاحرار
اعتمدوا على بعض المشايخ الذين استطاعوا ان يجذبوهم اليهم وعلى ما يقال
من ان المرشح الجديد له شعبية عند الكثير وعلى الوعي الضئيل الذي خلقته
حركة الشباب في بعض الناس فمن خلال صراعهم العنيف مع الامام يحيى
وولي عهده ايام وجودهم في صنعاء وتعز ثم من خلال حركتهم الثورية في
عدن .

لكن اكثر المشايخ في شمال اليمن والمواطنين في انحاء اليمن ليس
لديهم علم بأي شيء من هذه الاحداث اضافة الى أن الرجعية العربية محيطة
باليمن من كل جانب .

ولم ينس الادب اليمني في تمهيدته للثورة القادمة الاقلام المأجورة
والالسنه الموبوءة التي مازالت تمجد طغاة الشعب وتسبح بحمده وتنسى
مشكلة الوطن ومأساته واتعابه فنرى شاعرنا الاستاذ محمد الزبيري يلتمح الى
هؤلاء :

باعوا الضمائر للمهانة مثلما	تبتاع للحمل الثقيل سوام
واذا ثوت بين الضلوع بهائم	قويت على حمل العصا الاجسام
يتناولون الى شؤون مالهم	علم بمعناها ولا المام
لا يحسبون الدين الا انه	عند الامير دراهم وطعام
كتبوا وما هذا الذي بمقالهم	الا وباء في النهى وسقام
ساموا الصحائف ان تنوء بجيفة	نفحت فظنوا انها الهام
يتشدقون فتسخر الفصحى بهم	ويحررون فتضحك الاقلام
تالله ما عز امرؤ ودعائه	نفر كاشباح الظلام طعام
يعفون عن طغيانه وبلادهم	تلحى على أناةها وتلام

ويقدسون خناجرا فتحت لها جرحا بقلب الشعب لا يلتام
سيحاسبون فقد دنا لحسابهم يوم يسوء الخائنين ظلام
وسيندم المتزلفون ندامة الوثني يوم تحطم الاصنام

وظهر الادب في آخر المرحلة أدبا يتفجر ثوورة ، ومستنهضا بقوة وحرارة وعنف الى جانب أنه أخذ في تعبير الشعب لبقائه راضخا مستسلما للطغاة بالرغم من بطشهم وتنكيلهم به وليس عندنا من النصوص الا القليل لاستشهاد ادباء تلك المرحلة عقيب ثورة ١٩٤٨ وضياح اتاجهم الادبي وليس أمامنا الا الشاعر الزبيري الذي استطاع أن يفلت من بين مخالب الطغيان ويطلع اتاجه خلال العامين السابقين وهو بحق صورة حية لأدب المرحلة ومن ابرز ادبائها وشعرائها •

يا قوم هبوا للكفاح وناضلوا ان المنام عند الذمام حرام
تستلمون الى قساة مالهم خلق ولا شرع ولا أحكام
ولقد صرتم ثلث قرن لم يصن اعراضكم صبر ولا استسلام
لن يبرح الطغيان ذنبا ضاريا ما دام يعرف أنكم أغنام
فتكلموا كما يصدق أنكم بشر ويشعر أنه ظلام
وتحركوا كي لا يظن بأنكم موتى ويحسب أنكم اصنام
طار الورى متسابقين ومالكم في السبق أجنحة ولا أقدام
ان لم تطيروا للسماء فكيف لم تمشو وتمشي الشاء والانعام

ويدعو الشعب الى التسليح بالعلم لانه السلاح الوحيد الذي يمكن أن تقوض به عروش الطغاة وفي الدعوة الى العلم نلمس مأساة الجيل اليمني في ذلك العهد ذلك الجيل الذي اشقاء جهله وتركه ينساق للطغاة ويؤازرهم على مطاردة وسجن وقتل الاحرار طليعته الواعية المتفتحة يقول الزبيري :

علموا النشء في الحياة الصعودا واخلقوهم بالعلم خلقا جديدا
وابشؤهم من وهدة قبع الاباءفيها دون الانعام رقودا
فتعوا بالاحلام حيناً من الدهر فبادوا وخلفونا عبيدا

لم نجد مذ جئنا الى الارض الا
 ما نرى في الظهور الا سباط
 أمة في الفلاة ضيعت النور
 واستمرت في حيرة تقطع العمر
 موهت حولها الحقائق بالوهم
 فتجلت لها البغاث نسورا
 وترى حية فتحسبها سبحة
 ليس الا بالعلم يستيقظ الشعب ويمحوا عنه الخطوب السوداء
 ان في العلم بلمس العالم الرازح تحت الشقاء دهرا مديدا

« ثورة عام ١٩٤٨ م »

في عام ١٩٤٨م انتفض الشعب اليمني بقيادة طلائعه الثورية في أول
 ثورة دستورية عربية تقوم ضد الملوك الرجعيين في العالم العربي كله وقضت
 على الامام يحيى واعلن أول ميثاق وطني في البلاد العربية وأعلن أول دستور
 لليمن منذ فجر الاسلام وتشكلت حكومة الثورة بزعامة الامام عبدالله الوزير
 وجاء الاحرار من عدن اليمنية المحتلة وقد عين كثير منهم في حكومة الثورة
 فماذا حدث ؟

لقد كان أمام الثورة عقبات ذكرناها فيما قبل رجعية عربية وشعب
 جاهل وحكم حميدي متغلغل في أعماق الشعب ، اضافة الى أن اغتيال الطاغية
 يحيى الذي يقده عوام الشعب أثار كثيرا من الحميات الجاهلية والعقيدة
 المتغلغلة ، فما أن تفرق أولاد الامام المقتول في القبائل وتفلت ولي عهده احمد
 من قبضة الثوار الى منطقة لواء حجة حتى بدأوا في تضليل ابناء الشعب العوام
 واستنهاض عاطفتهم الدينية للاخذ بثار ابناء رسول الله الذين انتهك حرمتهم
 « الاحرار الدستوريون » وقتلوا الرجال منهم وفضحوا « نساءهم الشريقات »
 و « افسدوا في الشعب » •

وسرعان ما تعاونت الرجعية العربية والاستعمار مع جهالة الشعب
واقطاعية وفوضائه واصحاب المصالح فيه وكتبوا للقبائل الجامعة حوالة بنهب
مدن اليمن وأخذ ما فيها من تجارة واموال فاذا بنا نرى مدينة صنعاء عاصمة
الثورة تحاصر ثلاثة أيام وتدخلها القبائل تنهب وتسلب بيوت المواطنين الامنين
وتعتقل وتسجن كل من يأمر أولاد بيت حميد الدين باعتقاله وسجنه فما
بقي بيت الا ونهب ولا متجر الا وأخذ ما فيه ولم يكتف الناهبون بأخذ
الاناث والاموال بل عمدوا الى استباحة النساء وهتك الاعراض وارتكاب
أفصح الجرائم في جانب ابناء الشعب الامنين ولما أنتهى المغيرون من نهب كل
شيء رجعوا الى البيوت يهدمونها يأخذون ابوابها ونوافذها وعمت الفوضى
والتدمير والخراب كل بيت وشارع وسوق فلم يراع احد من ابناء الشعب
ولم تراع حرمة ولم يقم للانسان أية قيمة .

وافعمت السجون بالمعتقلين ومن بينهم الامام الجديد عبدالله الوزير
وكثير من الزعماء العسكريين والمدنيين والقبليين وظهر الامام احمد انذى
كان ولي عهد أبيه وقبل أن يصدر أحكامه بالقتل والذبح أصدر أمره بالعفو
عن كل مشترك في الثورة وصدق الناس كذبه فظهر منهم من صدق وفر
الكثير .

وهنا بدأ يقتص لايه من رجال الثورة فقطعت الرؤوس وامتلأت
ساحات الاعدام بجثث ورؤوس الاحرار الشهداء وجرت على الشوارع
والأسواق في كل مدينة وتركت للكلاب والوحوش تأكلها امعانا في الارهاب
والتعزير واستوى الطاغية على عرشه وفي كل بيت مأتم وفي كل شارع جنازة
والسجون مملوءة بالرجال كل منهم منتظر دعوة الجلاد ليساق الى ساحة
الاعدام بدون محاكمة أو استجواب . إضافة الى هذا فقد اتفقت أحقاد
الناس فيما بينهم وسيطرت على الموقف الفوضى والفوضى فكانوا يأخذون من
يريدون الى السجن والقتل بحجة أنه (دستوري حر) أي من جماعة
الاحرار الذين أرادوا نقل اليمن من النظام القبلي العشائري والحكم الفردي
المتأله الى اوضاع دستورية حضارية واصبحت كلمة (دستوري) لغنة يهرب

منها كل انسان وخيم على الشعب سحابة سوداء من الرعب والخوف واستعاد اصحاب المصالح المصالح مركزا أقوى وأعنف وانساق في ركاب الطغيان الرؤوس واستجابة المحارب ونهب المدن اليمنية بانه عمل انساني استوحاه من الدين و الاسلام وان الثورة ما هي الا فتنة أراد بها البغاة نقل اليمن من الاسلام الى الكفر .

وأخذ عامة الناس يرددون مع الاذئاب واعداء الشعب بطولات الامام ومواقفه البطولية في أيام والده وبعدها من هذه البطولات أنه يستخدم الجبن والعمارة وأنه يصفد الاحجار ويكبل الاشجار ومنها أنه كان شجاعا متمردا حتى على والده القتل فكان يخالف اوامره ويتحدى ارادته وسمى في بعض المناطق (أحمد الجني) بعد معركة دارت بينه وبين قبائل تهامة الزرانيق في حملة وجهه معها والده لقمع المتمردين .

ومن هنا نعرف أن حكم الامام الجديد لم يستقر الا على جث القتل والارهاب وافعام السجون بالرجال وعلى التنكيل بالمواطنين الابرياء ونهب بيوتهم وتهديمها بالاضافة الى التركة التي خلفها ابوه وجده في الشعب وهذه التركة تكون : من الجهل والفقر واستغلال الدين كسلاح يضرب الشعب به ويضربه بالشعب ثم بقاء التقاليد القديمة الامامة لها وهذه التقاليد القديمة وتنفيذ الامامة لها وهذه التقاليد الموروثة هي القبلية والمذهبية والعنصرية والطائفية .

والطاغية أحمد هو نفسه الذي تحدثنا عنه في أيام ولاية عهده وهو أشد وأضرى وأعنف بعد انتصاره على ثورة ١٩٤٨م وقد قام خطبيا في جموع المهنيين له بالنصر في تعز قائلا :

(وهل ترضون بأن نخرج المعادن ونقب على البترول ونستعين بالنصارى ونحن مسلمون ؟ هل ترضون بأن نأتي بتقاليد النصارى وافكارهم الى بلادنا ونحن مسلمون ؟)

هنا أعلن للشعب عن حكمه وانه لا يمكن أن يتقدم بالبلاد أو أن يرفعها الى مستوى القرن العشرين ولا لأن يصلح من احوالها شيئا لان الاصلاح

كما يزعم لا يكون الا بواسطة النصارى الذين لا يجوز أن يمشوا بأقدامهم
على أرض الشعب لانهم كفره مدنسون •

وأعلن مرة أخرى بعد انتصاره متحديا للشعب قائلا (أنتي لا بد أن
أنفذ أمرى ولو كان أعوج من رجل الكلب)

هذا هو الامام الجديد وهذا هو عرشه وطغيانه فماذا موقف الشعب
منه ؟ أما الشعب فهو مشدود الى تقاليد و غارق في جهالته ليس بيده شيء
فقد خرج من نكبة ١٩٤٨م ميلادية وهو على ما تركه الائمة السابقون الا
أنها اكسبت طلابه الثورية الوليدة وجيله الجديد شيئا من الوعي والتفتح •

أما عامة الناس من المواطنين أصحاب المصالح والانتهازين فهم هم قبل
الثورة وبعدها • لكن ما موقف الادب من هذه الفترة وبماذا خرج ؟

أدب الثورة بعد نكبة ١٩٤٨م ميلادية

من الادباء من قطعت رؤوسهم واستشهدوا ومنهم من فروا الى عدن
اليمنية المحتلة أو الى بلاد اجنبية أخرى امثال الاستاذ محمد محمود الزبيري
والاستاذ عبدالكريم العنسي والاستاذ عبدالله عبدالوهاب نعمان والاستاذ احمد
المعلمي والاستاذ علي عبدالعزيز نصر •

ومنهم من نجا من سيف الطاغية ومكث في السجن أمثال الاستاذ
احمد بن حسين المروني و ابراهيم الحضرائي ومحمد بن علي المطاع وظهر
على أيديهم عقيب النكبة أدب مأساوي حزين يصور مرحلة يائسة مرعبة
ليس فيها الا أشباح الضحايا وجثث الشهداء وهي تجر في الشوارع والاسواق
والا صرير القيود والاصفاد والا الاحرار وهم في ساحة الاعدام وفي أيدي
الزبانية والغوغاء اسرابا اسرابا يزجون منهم في السجون
المظلمة القائمة بعد أن قطعوا المراحل و طافوا على الشوارع في سلسلة تضم
مجموعة منهم مشكوكة على اقدامهم ورقابهم وفي أيديهم ومغلق مقلقة
لا يستطيعون أن يتحركوا الا جرا وسحبا ، يقول الشاعر الزبيري في تصوير

هذه الحالة الرهيبة :

وطوقوهم جميعا ضمن سلسلة
يكب بعضهم بعضا بمنكبه
اذا تحرك فيهم واحد صرخوا
كل امرئ منهم خطب لصاحبه
ضافت رقابهمو في الغل واحترقت
اذا أستعاث أسير من متاعبه
فن من البطش والتعذيب مبكر
سيقوا جياعا ولم يسمح معذبهم
وسار من خلفهم جند زبانية
يستمنحون من الاسرى ما كلهم
ويصف عسكري الامام
والعسكري بليد ما له فطن
كان ابليس للطغيان رباه

كما نرى الشاعر عبدالكريم العنسي الذي نجا من قبضة الطغيان وفر
الى عدن اليمنية يسأل أحد اليمنيين وقد عاد من جولة في الاقطار العربية
عندما وجد هناك وهل رأى الفضائع التي تركها طغاة اليمن .

وما الذي شمت في أرض الكنانة من ظلم وجور على شرع السموات
كيف (الجباية) كيف الكشف عندهم كيف «التايفذ» في جمع الاتاوات
كيف الولاة وكيف الجند حولهم للاتهاب وتكيل الجماعات
ماذا بسورية صف لي وما شهدت عينك بالله من من قهر واعنات
كيف (المغالق والاسكاك) ماذا ترى كيف القيود لاقدام بريشات
كيف السياط واعقاب البنادق في ظهر الهداة الميامين الطويات
وما بلبنان من ظلم ومن سغب ومن هناء ومن خسف وويلات
وهل هناك دعاة العلم قد عشقوا فن النفاق وتلفيق اقترامات
وهل بلبنان يا مولاي حامية عانت ولانت كأجاد العصيمات
ان انفذوا واحدا منهم لأرملته قاموا جميعا يهزون الهـروا

ويصف ابراهيم الحضرائي تفاهة المنتصرين ونذالتهم حين قدم البطل
العراقي جمال جميل أحد محركي الثورة في اليمن ساحة الاعدام
فيأتي له أحد أولاد الامام فيضربه بالسوط في فمه وهو يتحدى الطغيان
ويعدهم بثورة أخرى •

وسطا على الضرغام كلب أجرب اذ صار رهن قيوده الضرغام
هلا برزت اليه (اسماعيل) اذ لا الكف موثقة ولا الاقدام
قالوا تلبس بالجريمة ويجههم إلى الملائك ينسب الاجرام
زعم لعمرى يسخر التاريخ من ترداده وتفقهه الأيـام
وهقد مال بعض الادباء بعد النكبة الى الرمزية فرى أحدهم يصف
المأساة في قصيدة بعنوان (النور الشهيد)

حطمت مصباحي

والليل يرزح تحت وطأته الوجود

وخنقت صوتي في فمي

وصهرت لحنني في دمي

وكسرت قيثاري

والكون يصغي للنشيد

وارتميت على التراب

أبكي بلا دمع

وأنوح بالصمت البليغ

وأريق سؤر الروح

فوق حطام آمال الشباب

وأذيب لحن الثكل

فوق رفات اشلاء الرباب

ودعت افراحي

والشمس تدلف للغروب

والبحر ساجي الموج

يرهب ظلمة الليل العنيد
يهفو الى النور الجريح
ويدع الضوء الذبيح
والافق في شفق الاصيل
نشوان كالحلم الجميل
وأنا المعذب بالدجى والنور
حين ان لا أدري
ماذا وراء الليل ؟

الفجر ؟

لا

الفجر مقتول السنا
خفته كف الهول
وهو يمهد فرحته وليد
يا دمعة الافق الطريد
ذوبى على الفجر الشهيد

ويصور الشاعر نفسه اليأس الذي أطبق على جماهير الشعب والخيبة
التي منوا بها والضباب الذي تكاثف أثر النكبة يقول :

في هوة اليأس

حيث الافاعي السود تنفث بالسموم
والخير يجأر موثقا
والشر يزأر مخنقا
أشعلت نبراسي
وجثوت اوقده بزيت عواطفي
وأصد عنه مطبقات مخاوفي
والقلب يخفق حائرا
والروح يصرخ نائرا

الا انه على الرغم من النكبة والارهاب والتكيل الذي أعقب الثورة فاننا نجد أدب الثورة لم يهن يستسلم ولم يخضع لانه أدب شعبي انساني نادر ولانه دائما يعيش مع الامل يستلهم منه قوته وارادته والامل في أدب الثورة ليس الا الشعب القوى الجبار الذي لا يمكن أن يغلب أو تقهره ارادة الطفلة وجبروت الظلم ان ادب الثورة يؤمن بالشعب ايمانا قويا كيفما كانت ظروفه ومهما لاقى الادباء الثوار منه .

فنحن نرى الشعب اليمني يشد في عضد الطفلة ويساعدهم على القضاء على ثورة ١٩٤٨ ويأتي بالاحرار الى الطفلة للقتل والسجن لكننا لا يمكن أن نفكر به لانه في ذلك كله مشدود الى عوامل تاريخية عديدة ومنها الجهل الذي فرضه عليه حكاهم قرونا طويلة وعزله عن العالم واقرار كل مخلفاته ورواسبه الجاهلية العمياء ، ثم ان فشل الثورة لا ينحصر في هذه العوامل المحلية وانما عوامل خارجية كان لها اثرها الكبير وبرزها الرجعية العربية والملوك الرجعيون في السعودية ومصر أيام (فاروق) لهذا فالادباء الثوار وادبهم الثوري لم يكفر أبدا بالشعب ولكنهم مضوا في طريقهم يبنون مرحلة جديدة من الكفاح والنضال من أجله يقول الشاعر الزبيري :

وأمنت بالشعب يوم جثا	أمام الطفلة على ركبتيه
ويوم انبرى في ذهول الهوان	يرمي مكاسبه من يديه
ويوم مددنا شعاع الصباح	له فانزوى وحى مقلتيه
ويوم عصرنا رقاب الطفلة	ذئابا علينا صلالا عليه
فأطلقهم من هوان الاسار	ذئابا علينا صلالا عليه

ويرجع أدب الثورة يحرك غضب الشعب على الطفلة ويستنفره للقضاء عليه والخروج من واقفهم المزري يقول الشاعر ابراهيم الحضرائي :

حتام يا وطني اراك تضام	وعلى أديمك تعبد الاصنام
والام يرتع الطفلة ويعتسى	عرش التابع معشر أقزام
حتام يمضي للرزية والاسى	عام ويأتي بالفجعة عام
اليوم بالزفرات عام قد مضى	ولى تشيع نعشه الآنام

ولى وقد طعن السعيدة طعنة يرجى لها الاحراز لا تلتام
نصبت على الاعواد فيه جهرة جثت الاسود كأنها أغسام
ويقوم الشاعر عبدالكريم العنسي مستنهضا الشعب ومذكرا له بأعدائه :
انسيت الهوان اذ خلع السوط على ظهرك الجريح وساما
انسيت القيود والسك والاعلال والركل والعرى والسقاما
انسيت السجون تمتن الاعراض فيها وتستحل الحراما
وتبيد الشباب جهلا واسرا وتبيح التكلى وتبكي اليتامى
خيم الجهل فيك فانتفض الآن وحطم عرش الطغاة انتقاما
ويقول في قصيدة أخرى

ان ياشعب أن نفك القيودا وترينا بطولمة وصمودا
وترى الدهر حادنا يترك الدنيا حديثا مدويا وتشيدا
وتذيق العدى الحمام وتصلى مهجة الظالم العنيد وقودا

كما نجد أحد الادباء عبدالله نعمان من عدن اليمنية المحتلة يهني
الاحراز السجناء بسجنهم وعملهم الجبار الذى قاموا به من أجل شعبهم في
ثورة ١٩٤٨ م

هوت الصواعق وأرتمى الاعصار فتفجرت من جانبيه النار
وتدافعت كتلا على أصواتها البركان والهلكات والاختار
فتركتموها باسمين كأنسا فرشت لكم في مئتها الازهار
ومشيتمو شم الانوف كأنكم قدر تهاب لقاء الاقدار
سيروا وحسبكم فخار أنكم في وجه طاغية الورى نوار

الادباء الشباب :

خيم على اليمن صمت رهيب ويأس خلال اربعة أعوام بعد ثورة ٤٨
لم نسمع فيه الا صرخات الادباء المشردين تأتي مدوية عالية من مهاجرهم
تستهض الشعب وتلومه على رضوخه وبقائه في ظلامه الكئيف تحت
أسواط الجلادين وفي داخل الشعب وخارجه أدباء شباب يتلمسون طريقهم
في الظلام يفتحون أعينهم الى خارج وطنهم فيجدون حضارة القرن العشرين

تغمر الأرض خصبا وتفتح وينظرون شعبهم فلا يرون الا ظلاما مخيفا
يقفز بهم الى الورا الف عام ويصفون فلا يسمعون فيه الا أنين الشعب
وجراحه الدامية .

وتقوم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م في مصر وتنقل العالم العربي الى
آفاق جديدة من التفتح والانطلاق وتصل أصدقاؤها القوية الى اذن كل شاب
يمني في الداخل وفي الخارج فايقتل النفوس وبعثت فيها أملا كبيرا للحياة
الجديدة التي يتطلبها كل انسان كما كشفت عن حقيقة الشعب العربي وانه
لا يمكن أن يخضع لاية رجعية أو استعمار وأن مصيره ليس بأيدي
جلاديه .

هنا رأى الادباء اليمنيون المشردون ملجأً يؤون اليه ومكان يحتمون
به لمواصلة كفاحهم ونضالهم فاتاحت لهم ثورة مصر العربية الكبرى مجالا
للتحدث في صوت العرب وسمحت لهم باصدار صحيفة صوت اليمن التي
كانت تصدر في عدن قبل ثورة ١٩٤٨ فتحدثوا الى الشعب اليمني كثيرا من
خلال الاذاعة والصحافة .

كل ذلك والادباء اليمنيون الشباب يعون ما يسمون ويتأثرون بما
يشاهدون واذا بنا بعد فترة قصيرة نفتش على الادب والادباء فنجد طليعة
شبابه من أقوى الطلائع الثورية أخذت رسالة النضال والكفاح الى جانب
طليعة الشعب الاولى من الادباء والاحرار وتلمس الحياة على ايديهم
فنجدها شابة متفتحة مندفعة نائرة .

أما الادب فقد احدثوا فيه ثورة كبيرة قفزوا به الى الاداب العالمية بكل
قوة واندفاع ومن طليعة الادباء الشباب في شمال اليمن وجنوبه الاستاذ عبدالله
البردوني ولطفي جعفر أمان وعبد عثمان وابراهيم صادق وسعيد الشيباني
ومحمد الشرفي ومحمد عبده غانم ومحمد سعيد جراده ويوسف الشحاري .
(مدارس الادباء الشباب)

وقد اتقسم الادباء الشباب الى أقسام بحسب البيئة التي أثمرت فيهم
وتأثروا بها وبحسب منابع التعليم التي عرفوا منها :
١ - القسم الاول أدباء درسوا داخل اليمن في مدارسها المتخلفة

وفي مناهجها التعليمية المحصورة في الفقه والفروع والكتب القديمة الا أنهم استطاعوا أن يتأثروا بالكتب الحديثة ويأخذوا منها ويعرفوا تطور الادب والتجديد فيه من خلالها اضافة انهم عاشوا في قلب مأساة وطنهم يحسون المجتمع من حولهم يأسا كل واحد من المتزلقين والمنافقين يحاول أن يتقرب الى الامام ويقدم له ما استطاع عليه من شعر أو نثر مستجديا رضاه ومغفرته •

فانساق بعضهم مع المتزلقين أول الامر فقدموا قصائد المديح والنفاق لغرض الظهور والبروز أمام الناس وقد كان أي أديب لا يظهر كشاعر أو ككاتب الا اذا بدأ انتاجه بهذه الوساطة لانعدام الصحافة الحرة والانعدام وسائل النشر حتى برزوا وعمق وعيهم وشعروا بمأساة وطنهم تعنف من يوم الى يوم وانصرفوا عن هذى الطريق فمنهم من رجع الى نفسه يناجيها وتناجيه في أدب رومنتيكي حزين مع قليل من أدب الثورة الواقعي ومنهم من رجع الى الشعب يصف اوضاع الامام ويفضح أساليبها في حكم الشعب ومن رواد الادب الرومنتيكي في شمال اليمن الشاعر عبدالله البردوني ، وديوانه من أرض بلقيس شعر رومنتيكي حزين كله ألم وشكوى وحنين وخلود الى الطبيعة وجمالها ، وهو أول من بدأ في انتاج الشعر الغزلي بالصورة المعروفة حاليا بعد ان كان محرما وجوده في تقاليد الطغاة وكفرا وخروجا عن التقاليد الاسلامية •

٢ - القسم الثاني أدباء تلقوا دراستهم في الخارج واتصلوا بالحضارة الحديثة اتصالا مباشرا فتأثروا بانتاج أدبائها وشعرائها وعكسوا صور التجديد والتلوين على أدبهم •

٣ - القسم الثالث أدباء تلقوا دراستهم في الخارج أو في عدن اليمنية المحتلة وعاشوا هناك وهم في أدبهم كأدباء القسم الثاني تجديدا وتلوينا الا انهم كانوا أكثر تأثرا بمأساة بلدهم لوجودهم ما بين فكي رحى الاستعمار في الجنوب اليمني المحتل والامامة الرجعية المتعفنة في الشمال وأبرز أدباء القسم الثاني والقسم الثالث الشاعر عبده عثمان والشاعر

لطفي جعفر أمان ففيهما تتجلى أصالة الموهبة الشعرية والابداع في
اتجاههما •

الا انا لا ننسى هنا ان تنبه الى ان كل الادباء الشباب في الداخل
وفي الخارج مع ادباء المرحلة الاولى المشردين قد اتسم ادبهم بطابع خاص
لا يمكن أن ينعدم في أي واحد منهم هذا الطابع هو الحديث دائما عن
مأساة الشعب اليمني فقد شدتهم اليها شدا كبيرا حتى انا نرى أدبانا في
الخارج يشقون بالحضارة التي يعيشونها لانها في بلد غير بلدهم ولانها
من نصيب أمة غير أمتهم العربية في اليمن •

ومن هنا ظهر على أيدي الادباء اليمنيين في الخارج ادب خاص
يمكن أن نسميه « أدب الغربة والتشرد » وهو ادب ثرى متفجع مأساوى
نأسر •

كما انا لا ننسى ان نقول أن الادب اليمني ككل أخذ يواكب التجديد
في الادب العربي منذ ظهوره على أيدي ادباء الاقطار العربية الذين
تأثروا بالاداب العالمية وذلك رغم العزلة المفروضة على اليمن ، وهذه
المواكبة جاءت من طريقين :

الاولى : تأثر بعض الادباء بالكتب الحديثة التي بدأت تحطم الاسوار
وتصل الى اليمن بكثرة رغم محاربتها ومنعها •
الثانية : تلقى البعض الاخر من الادباء تعليمهم في القاهرة وغيرها
وتأثرهم بالحضارة تأثرا مباشرا •

« واقع الشعب في هذه الفترة » •

الشعب في عهد الامام احمد هو نفسه الذي عرفناه في عهد الامام
يحيى واوضاعه امتداد لاوضاعه القديمة الا ان الوعي ازداد في اليمن
لاسباب :

١ - تلاحق الاحداث والانتفاضات في الشعب ضد الطغاة ومواجهتهم
له بكل عنف وبطش •

٢ - تلاحق الثورات العربية ضد الاوضاع المتخلفة والاستعمار
وأهمها ثورة ٢٣ يوليو العربية الاصيلة .

٣ - تكاثر المهاجرين اليمنيين وهروبهم من الفقر والجوع والظلم
والكبت والحرمان .

أما أوضاع اليمن فتتلخص بما يأتي :

١ - التقاليد المتوارثة من مذهبية وعنصرية وقبلية وتعصب جاهلي
وتغذية الحكام لها .

٢ - الدين ما زال هو السلاح الوحيد في أيدي الطغاة يضربونه
بالشعب ويضربون الشعب به .

٣ - تصميم الحكام على عزل اليمن وفرض التالوث المخيف الجهل
والفقر والمرض على الشعب اليمني فلم يغيروا في نظامهم البالي ولم يحاولوا
تصنيع البلاد أو شق الطرق أو احياء الزراعة أو اخراج المعادن أو عمارة
المدارس الحديثة .

وهذا هو الواقع المرير الذي واجهه الادياب الشباب منذ نعومة
أظفارهم وبدأوا في تقويضه ومحاربته فمنهم من واجهه اول الامر مواجهة
متخفية وانتج ادبا قليلا في مناهضته الا ان المأساة كانت فوق احتماله
فتهرب منه واستسلم لليأس ورجع الى نفسه وظل أكثر اتاجه أدبا
رومنسيا حزينا مثل الشاعر عبدالله البردوني كما قدمنا اذ نراه في ديوانه
من أرض بلقيس شاعرا رومنسيا من الطراز الاول وقد قفز بالادب اليمني
قفزة كبيرة في قصائده الباكية والغزلية ، يقول في قصيدته راهب الفن :

ساهر الجرح لم ينم	كيف ينفوا على الضرم
مؤلم كلما بكى	سخر الجرح وابتسم
لا تسل عنه أنه	ضاع في زحمة الظلم
شاعر يعزف الشقا	ويغنى الدجى الاصم
حار في الحب قلبه	حيرة الصمت في القمم
راهب الفن صدره	للصبايات مزدحم

أو قصيدة أنا ومنها :

ما بين الـوان العـنا • وبين حـشـرجة المـنى
ما بين معـتـرك الجـراح • وبين أشـواك الفـنا

ما بين مزـدحم الشـرور اعـيش وحـدى هاها
لم ادر ما السـلوى ولم اطعم خـيالات الهـنا
الحـب والحـرمان زادى والغـذاء المـقتنى
وحـدى هنا خـلف الـوجود وخـلف أطـياف السـنا
وهنا تـبـتـنى الحـياة وما الحـياة وما هنا
أنا من أنا الاشـواق والحـرمان والشـكوى أنا
أنا فـكرة ولهى معانيها التـضـنى والضـنا
أنا زفره فيها بكا الفـقر وأثم الغـنا
وقصـيدة • فلسـفة الجـراح • ومنها :

متألم مما أنا؛ متألم حار السـؤال وأطـرق المسـتفهم
ماذا أحـس وآه حـزنى بـعضه يشـكو فاعـرفه وبـعض مـبهم
بى ما علمت من الـاسى الدامى وبى من حـرقه الـاعماق ما لا أعلم
بى من جـراح الرـوح ما أدري وبى اضـعاف ما أدري وما أتوهم
وكأن رـوحى شـعلة مـجنونة تـطفئ فـتضـرمنى بما تـضـرم
وكأن قلبى فى الضـلوع جـنازة أمـشى بها وحـدى وكل ماتم

وإذا رأينا الشاعر البـردنى يشـكو هذه الشـكوى المـرة ويتـقطع آلاما
وحـرمانا فانما يـصور الفـترة التى عاشها الشـعب الـيمـنى بعد نـكبة ١٩٤٨ م
وانينه انما هو انين الشـعب المـحروم الجـائع لـقد كان يـمر الشـعب الـيمـنى
بـمرحلة من أسوأ المـراحل بؤسا وحـرمانا وبأسا وفى القرن العـشرين الذى
ظـهـرت دول العالم تـفيض بالخـيرات على بنـها بينما لا يـجد الـانسان فى
الـيمن الا كـوخه المـظلم ومـزرعته القاحلة اولا يـجد شيئا الا الارض العـراء
فـراشا والسـماء ظلالا بينما الطـغاة فى قـصورهم مـنعمون بين شهواتهم ولذاتهم
لا يعيرون الشـعب ادنى التـفات لا يفهمون كيف يـصلحون ويرفعون مـن

مستوى الفلاح والعامل وانما يعرفون ارسال لصوصهم من الحياة والكشاف
والجنود يرسلونهم على الشعب ينهبون ويسلبون كل ما تغل الارض من
ثمار ومحاصيل حتى لا يبقى للكادح أى شيء ، ولهذا فالبردوني يتأثر
لمنظر شيخ متسول في الطريق ليس له مأوى ولا حياة يقول :

مررت بشبح أصفر العقل واليد يمر على ظهر الطريق ويختدى
ثقل الخطى يمشي الهوينا بجوعه واحزانه مشي الضرير المقيـد
ويمضي ولا يدري الى اين ينتهي ولم يدر قبل السير من أين يتدي
ويزجي الى الاسماع صوتا مجرحا كئيبا كاحلام الغريب المشرد
ويستهض الصوت التحيل كأنه رفات حنين في بقايا تنهد
تراه على عكازه نصف ميت يطل عليه الموت من كل مشهد
ويسئل أين القبر لكن بينه وبين سكون القبر اخلاف موعـد
يمد اليد الصفرا الى كل غابر ولم يجن الا اليأس من مدة اليد
فيلقى على الكف التحيل جبينه ويسئل هل في الارض ظل لمسعد

ثم يعكس لنا صورة المجتمع الذى يعيش فيه انذاك ويصف لنا
الواقع الذى يرى الارض كلها شرا وويلات :

هو الشر ملء الارض والشر طبعها هو الشر ملء الامس واليوم والغد
وهذا غبار الارض آهات خيب وهذا الحصى حبات دمع مجمد
واحقاد مظلوم وآنام ظالم وذلة مهزوم وأوزار معتدى

وهذه الايات انما هي صورة لليأس المطبق الذى خيم على الشعب
آنذاك حتى لم يبق في الارض ظل من الخير ولا بصيص من النور والامل .
وتمر فترة من الزمن وتأتي أحداث في اليمن تخرج كل أديب من
عزلته وتدفعه للمشاركة في تقويض اوضاع الامامة الرجعية فاذا بنا نرى
الادباء يبدأون في مواجهة الواقع مواجهة صريحة لا غموض فيها ولا لبس
فقد عرفوا أن أهم ما تركز عليه الامامة انما هو التعصب للتقدم وتغذية التقاليد
التوارثية فأخذوا في مناهضتها وتعريتها أمام الشعب ليصحو من غفوته

ويستيقظ على ما تحيكه له الامامة من شر وحرمان وعزلة لهذا فنحن نرى
الشاعر البردوني يخرج من عزلته ويكشف جانبا من طبيعة المرحلة وما ورت
فيها الشعب من تفاخر بالجدود ومن حقائق مغلوطة نتيجة الجهل المفروض
ويقول :

يا بن أمي أنا وانت سواء	وكلانا غباوة وفسولة
أنت مثلي مغفل تتلقى	كل أكذوبة بكل سهولة
فسمي بخل لرجال اقتصادا	والبراءات غفلة وطفولة
ونسمي شراسة الوحش طغيانا	ووحشية الرجال بطولة
ونقول الجبان في الشر أنسى	ووفير الشرور وافي الرجولة
ونرى أصل عامر تربة الارض	وسعدا نرى النجوم اصوله
فننادى هذا هجين وهذا	فرقدى الجدود سامي الخؤوله
نزع الانتقام حزما وعزما	وشروب النجيع حر الفحوله
لا تلمني فلم الملك .. لماذا ؟	يحسن الجهل في البلاد الجهوله

ويصف في قصيدة أخرى نوعية حكم الانمة ووحشيته وتحجره
وتغذيته للتقاليد الجاهلية في عصر يمد اجنحته الوارفة الى كل شعب والى
كل أرض .

وما حكمهم جاهلي الهوى	تقهقه من سخفه الأيـم
واسطورة من ليالي جديس	رواها الى تغلب جرهم
ومطعمهم رشوة والذباب	اكول اذا خبت المطعم
ودولتنا كل ما عندها	يد تجتني وحشا يهضم
وغيد بغايا لبسن النظار	كما يشتهي الجيد والمعصم
وسيف أثيم يجز الرؤوس وقيد	ومعتقل مظلم
وطغيانها يلتوى في الخداع	كما يلتوى في الدجى الارقم
وكم تدعي عفة والوجود	باصناف خستها مفعم
وآنامها لم تسعها اللغات	ولم يحو تصويرها ملهم

ويصرخ الشاعر علي عبدالعزيز نصر في وجه الفرقة المذهبية باسم
شوافع وزبود فطلما أحدث الائمة بسببها صراعا عنيفا بين ابناء الشعب الواحد
وأثاروا بها احقادا وضغائن بين أبناء جنوب اليمن المنتمين الى المذهب
الشافعي وابناء الشمال الزيديين وطلما غدوا في الشمال تقاليد القبيلة من
حب للقتال وحمل السلاح وصرفهم عن الارض والزراعة وسلطوهم على
أبناء الجنوب الوداعين في أرضهم الخصيبة بصفة •
« جنود أو عرايف »

أبدا وأقسم يا تعالب
ان البلاد بلادنا
فيها ترعرع شعبنا
وبحبها أبد سيجتاز المتاعب
عبر القرون
ما زال يلهمنا البطولة سد مأرب
في أرضنا عشنا ومازلنا
وفيها لن نخون
عهدا سيرعاه البنون
أنا أولو بأس : وأقسم يا تعالب
ان سوف يمحو شعبنا
ليل المتاعب
يا من تثيرون الزوابع
نحن اليمنيين كل رجائنا
في أرضنا
ان ينقضي ليل المطامع
ان ينقضي العهد الذي
بذر الشقاق
« فرق تسد »

كانت وما زالت
سياسة غاشم
بذر الشقاق
في أرضنا
يامن تثيرون الزوابع
هل تعلمون؟؟
تهتم وسوف يلفكم ليل المناعب
أبدا وأقسم يا تعالب
ان البلاد بلادنا
والشعب شعبي
كلنا فيها حباب
في الجهل : في الحرمان في سجن المظالم
تجيا « ذمار »
كما تعيش « تعز »
بل تجيا « الحديدية »
لا فرق بين الظلم
في بلد تدير شؤونه أيد بليدة
لا فرق الا انا .تسكعون
مشردون نجيا كقطعان السوائم
زادى وزاد أخي البطالة والضياع
وسوى النزاع
لا شيء في ارضى فماذا تحسدون
وفي المذاهب أي شيء تنكرون
هل ادخلتكم سجن حجة
أو يريم تلك المذاهب
أنا في (حريب) وفي (العزاعز)

أنا في « الطويلة »
في « وصاب » أعيش
أنسانا يمانى التراث
فلا زيود ولا شوافع
يامن تيرون الزوابع
والارض لم تثبت وما تثبت مذاهب

أما الادباء اليمينيون الذين تشرذوا الى خارج اليمن او درسوا فتمسح
في أكثر أدبهم تجسيدا لمأساة وطنهم حتى انهم يشقون بحضارة البلد الذي
يعيشون فيه ومن الخصائص التي أكسبوها في الادب التلوين في الشعر
والخروج عن الاوزان التقليدية والشعر الكلاسيكي الى أساليب جديدة
وهي المعروفة في الشعر الحديث بالتفعيلات كما جددوا في الموضوع وتعمقوا
في المعنى أكثر وابرز ظاهرة نراها في شعرهم هي مأساة الغربة والشرذم وهذه
قصيدة للشاعر عبده عثمان بعنوان القيود :

أمشي ولا أعي
كأنني أمام مصرعي
أقول مقطعا
لكنتي أرثي به ضياع مقطع
ياوترا يشن بين أضلعي
أخاطب الجدار والجدار لا يعي
ولا يبوح
وحدي أنا وراء أنوح
ويا قلوبا كلها جروح
مشاعري لا تستطيع حملها
أو تغلق الابواب دونها
كم مرة حاولت ان أكون كالاصم
نزحت خارج الحدود

فتشت عن قبو من الجليد
لكنها ظلت تشدني قيودي
يا أجرفا كأنها جبال
مشاعري مشدودة لها
لكنتي أحبها أحبها
جعلت من قلبي مواطنا لها
زرعته بالبن بالنخيل
بما حواه باوزير او تبين
زرعته أسكنت
في رحابه اليمن

كما نجد أيضا الاستاذ محمد الزبيرى طليعة شعراء الثورة في الفترة
الاولى يصور لنا قصة التشرد ومأساته في قصيدة (الحنين الى الوطن)
أبرع تصوير وأدقه يصور لنا الانسان النائر البعيد عن وطنه المعذب
المطارد عن شعبه وشعبه في مخالب الطغيان والجبروت •

ذكريات فاحت بريا الجنان	فسبت خاطري وهزت جناني
عمر في دقيقة مستعاد	ودهور مطلة في نواني
فكان الماضي تأخر في النفس	أو استرجعت صداه الاماني
ما وجدنا وراءها غير غابات	وحوش من الدماء قواني
لم تهوم للنوم عين ولم تهدأ	لنا مهجة من الخفقان
ما يهب النسيم الا وجدنا	طيه زفرة من الاوطان
تحمل الطل للرياض وتذكي	في الحشا لفحة من النيران
آه ويح الغريب ماذا يقاسي	من عذاب النوى وماذا يعانى
كشفت لي في غربتي سوءة	الدنيا ولاحت هنانها العياني
كلما نلت لذة اندرتني	فتلفت خيفة من زمانني
واذا رمت بسمة لاح مرأى	وطني فاستفزني ونهاني

زفراني طوفى سماء بلادى
 اطفىء لوعتي بها واغمسي روحى
 وصلى جيرتي وأهلي وأحبابى
 وانترى في تراهم قبـلاني
 وسليهم ما تصنع الروضة الفنا
 هل رثاني هزارها هل بكانى
 وطنى أنت نفحة الله ما تبرح
 صنع الله منك طينة قلبى
 هاك ما قد طهرته لك في دمعى
 شعلة القلب لو أذيعت لقالوا
 وانهلي من شعاعها الريان
 فيها وبردى ألحـباني
 وقصى عليهم ما دهـباني
 واملأى رحب افقهم من حناني
 وأدواحها الطوال الدواني
 ورقها هل شجاء ما قد شجاني
 لاعن قلبي ولا عن لساني
 وبرى من شذاك روح بياني
 وما قد صهرته في جناسى
 مر عبر الاثير نصل يمانى

وكان أدباء اليمن في الخارج مشدودين بالطبع ليس الى شمالهم
 المستقل الرابض تحت كابوس الامامة بل والى الجنوب اليمني المحتل
 والى الوطن العربي ككل كاخوانهم الادباء في داخل اليمن فنرى الشاعر
 سعيد الشيباني عندما يخرج من آفاق «اشواقه المراهقة» ويصغي الى شعبه في
 الجنوب اليمني المحتل يصف الوحشية والقرصنة من رجال الاحتلال الانكليزي
 وذلك في قصيدته رسالة (تي اس اليوت) الشاعر الانكليزي الكبير •

تعال

الى أرض الضنى والعذاب
 أريك ما لم تكن
 من قبل قد أبصرت
 عينك في دنياك أو في الخيال
 لا في الرجال الجوف لا في البياب
 يا شائخا يرثى ذهاب الشباب
 تعال نفتح هاهنا في الجحيم

بابا على عينيك من ألف باب
كيما ترى ذلك (الفريقي) الذي
أرداه ماء البحر ضد العباب
أود يا شاعري
حقا هنا أن ترى
اني يرد الجميل
مواطننا يأكل (صبارة)
وغاصبا يحرق تمر النخيل
مزارعا يجثو على ضيعة
في حقله أراداه كف الدخيل
تعال
الى أرض الضنى والخراب
لكي ترى عينك نهر العذاب
نهازها المصلوب صلب المسيح
وليلها في نعمة يستريح
وليس فيها ضباب
ولا ركام الثلوج
فالشمس في أفقها
مصلوبة لا تدور
تلقى على أرض لهيب الهجير
أقدم ولا ترهب اليها الولوج
أرض الضنى والعذاب
مقبورة خلف سور
حراسها
قوم غلاظ مغول
من أرضكم - يا شاعري - قادمون

جاؤا كما قالوا الينا بنور
يطاردون الليل يستعمرون
ما خرب الحادون والجاهلون
أرضي أنا يا شاعري قد غدت
من فضلكم حقا بلاد الخراب
فليس في افقها شيء يسمى نجوم
حتى عصافيرها سفاحة كالصقور

وظل ادباء اليمن في المهجر يراقبون أحداث وطنهم وانتفاضاته وبطولاته
التي تتجلى من حين لآخر على أيدي ابنائه المتحدين للطفيسان في قمة
بطشه وجبروته والملازم محمد عبدالله العلفي عندما يتحدى مع زميله
الملازم عبدالله اللقية الطاغية أحمد ويصان عليه الرصاص فينحدر الملازم
محمد العلفي عندما علم بان الطاغية لم يمت بعد ويقبض على البطل الملازم
ويربط بينه وبين الملك اليمني ذى نواس الذي اقتحم بعربة البحر
الفيود والسلاسل لعله يعترف بزملائه المشتركين معه في الحادثة ويلاقي
كل عنف وازهاق بقلب شجاع وتحدي كبير فكما سجل هذه البطولة المجسمة
في شخص اللقية والعلفي أدباء اليمن في الداخل نرى شاعرا في القاهرة
يعيش معها ويتلفظ بمعانيها الحساب ويتأثر بانتحار البطل محمد العلفي
عبدالله اللقية ليتلقى على أيدي الجلادين أنواع العذاب والتكيل والتجويع وانتقال
لم يجد من يتجاوب معه وهو الشاعر عبده عثمان فيقول في قصيدته (واحد
من الناس) :

معذرة اذا غمست في دماك ريشتي
حلقت في سماك باحثا عن أمتي
يا فارسا ماذا تركت لي

ماذا اذن بعد الذي صنعه أقول
شوقتي للضرب والطعان
حقرت لي معارك الكلام
ما كنت قديسا ولا مسيح
بل واحدا كالاخرين
تثقله الانات والجروح
ونظرة تبكي وعين لا تبوح
وتتمتات ذلة وهمسة انكسار
ياليت عاصفا يمر
يالته يحرك السحاب
يا فرحة الحقول لو يطل أب
وظل ما يلوح في طريقه
عواصفا تزيد من حريقه
الضيم والهوان
والخوف ان يقال انه جبان
والنار أي صيحة تطارد النسيان
ما كنت شاعرا جواده الاوهام
أو طامعا طارت به الاحلام
التاج والقصور
وموكب عليه تنثر الزهور
وانما كنت السجين في القيود
والغائب الذي يود أن يعود
يصيح في بحار التيه
وظفلنا الذي
يستفهم المساء عن أبيه
« أخيليا » الذي

طال انتظاره
واستفهمت طرودة عنه الرياح
وكم وكم تشوقت الى شهيد
قيارة تمنحه قيارة
يا روعة الشهيد
ومادرت بأن واحدا
من جيشها المهزوم
في صدره معارك وفي عيونه وجوم
يهم أن يدمر الحدود والتخوم
وذات ليلة كادت تطل في سمائها النجوم
وكادت الغيوم أن تهاجر
صنعا تنفست دورا حدائقا مائرا
وراح ذو نواس
يعلن باسم الشعب ساعة الخلاص
يا سيفه المصنوع من دما
وصوته المنسوج من رعود
لكنها ودياننا
جبالنا أضاعت الصدى
ولم يحد وراءه جدار
فأقبحم البحار غاضبا حزين
لعله يلقي هناك نائرين

وهذه قصيدة تسجل حدثا هاما في تاريخ الشعب اليمني وهو عملية
تحدي الطاغية احمد من قبل الشهيد محمد العلفي ورفيقه عبدالله اللقية بينما
كان الطاغية يقطن أنه قد أمات الشعب وقهره ودفنه حتى لم يبق فيه نائرا
ولم يوجد فيه بطل وقد كان هذا الحدث من عوامل تفتح الوعي الثوري
وتعميق معنى الثورة في نفوس الشعب اليمني وكما سجل هذا الحدث الهام

الشاعر عبدة عثمان كذلك خلدها بشعره الشاعر سعيد الشيباني فيقول
بعنوان (دفقة الشروق) مخاطباً هذين البطلين :

كأغصن الزيتون خضرة رأيت أجنح الحمام
جوادك الذي امتطيته بلا لجام
وضعت سيد الاقدار في مجاهل المجهول دون باب
ما عاد خالداً كما سبق
جهنم أبتنى أسوارها
لتحرق العصاه في عشية بها احترق

يا دفقة الشروق والبروق والمطر
اجتزت شائك الدروب والجبال والحفر
أقسمت لو أتوا بالشمس في اليمين
وبالشمال لو أتني قمر
ما أنت تارك سبيلك الذي بدأت والسفر
لا يومها فكرت كيف ترسم المآب
ولا يشست رغم طعنك السماء من ظفر
يا فارساً مزقت بالمشاعل الغسق
لولاك خافق الكلمات ما خفق
ولا لسان الشعر أرسل الحروق أو نطق

وقد كان الادب الثوري بعد الانتفاضات المتلاحقة يتنبأ للثورة في كل يوم وينادى بها ويحفز شعور الشعب لها فلا ترى أى شاعر يتحدث عن الطغاة الا ويتوعدهم بيوم الثورة المقبل بيوم الخلاص المجيد حتى أنه يشعر الانسان من خلال الادب الثوري أنه لم يبق بين الشعب وبين الثورة الا نوان معدودة حتى تتفجر أحقاد الشعب في وجه الطغاة والجلادين ، يقول الشاعر محمد الشرفي في قصيدة بعنوان (مع الثورة) :

روي غليلي وامسحي مدمعي
 يا ثورة الاحرار هبي فما
 وابسمي للنور وأمضي على
 واكسحي عنف الدجى فلمنى
 فطلما أمتد على أفقنا
 يجتر في أعينا حرقنة
 نغفو وأشباح المنى حولنا
 نحلم بالنعمى وما حلمنا
 ونعبر الدرب وفي خطوننا
 يا ثورة الاحرار يا من بها
 هيا فركب النور مهتاجه
 وشعلة الحق تصب السنى
 فانتفضي في الظلم واطوي به
 وطهري منه شموخ الحمى
 وامحي ظلام الشعب دكي الدجى
 دعي زحوف الفجر تنساب في
 وانتفضي كالعاصف المفزع
 للحر بعد اليوم من مضجع
 ومض الدم المهذور كالزعزع
 تحرق ولهان في الاضلع
 يأكل ديانا ولم يشبع
 كالأفعوان الهاجم المفجع
 ظامئة للجدول المترع
 الا سراب جائع البلقع
 ذل المهين الخائف الموجه
 حلم الصباح الحالم الاروع
 فيه جراح الموكب المبدع
 في مقلة الزحف وفي المسمع
 صحيفة العرش المدمى الدعى
 من رجسه من ليله الاشنع
 لن تبقى من دنياه الا النعي
 مواكب الشعب ضياء دعى

وهكذا ظل الادب الثوري يساير الحركات والانتفاضات الشعبية
 ويسجلها ويهدد الطغاة بها حتى وصل الطغيان الامامى الى مرحلة الانهيار
 والضعف والخوف من الشعب اذ أصبحت أشباح الاحرار تقم مضاجعهم
 وتزلزل بقاهم بلا يهدأون الى أحد الا الى مجموعة من الزبانية المرتزقة
 وحتى الحرس الخاص كانوا يغيرونهم من يوم الى يوم خوفا من الشعب
 التائر فهم يحسون في كل واحد حقدا عليهم وفي كل فرد ثورة تنفجر في
 وجههم حتى بلغ بهم الحد في يوم من الايام أن أصبحوا يتهمون الخدم
 والعبيد والجوازي أنهم يدبرون ضدهم المؤامرات أو يقومون بأخذ الاسرار
 الملكية واعطائها للاحرار فحياتهم كلا حياة ووجودهم كلا وجود •

وظل الادب الثورى في اليمن يؤدي رسالته الثورية في توعية الجماهير ومناهضة الطغيان الامامى وفضح جرائمه وتجاوب الادب بين الادباء في الداخل وفي الخارج فوجهوه وجهة واحدة تندد بأوضاع الامامة المتخلفة وتصب عليها سياط اللعنات حتى بدأ الطغيان مرحلة الاحتضار .

وبينما كان أدب الثورة ولا سيما الشعر يقال ويتداوله الناس بصورة متخفية وبأيد مرتعشة من الخوف والرعب اذا به يواجه الطفاة مواجهة صريحة ويتناشده الناس علانية دون خوف أو وجل دون أن تستطيع الامامة وزبانيته اتخاذ أي شيء من القمع والارهاب وقد أخذت تجارب في الفترة الاخيرة فهي اذا اتخذت أي إجراء عقابى ضد الادباء فانما تزيد الطين بلة وتضرم النار على نفسها .

وقد أذهل الطفاة وأرهبهم تلاحق الثورات والانتفاضات والتحديات من ابناء الشعب اليمنى ضدهم كما أذهلهم الاندفاع الثورى وثورات الشعوب العربية من حولهم على جلاديها وطفانها وملوكها ومستعمراتها .

فكما اثرت فيهم وأقضت مضاجعهم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م الثورة العربية الاصيلة كذلك ارهبتهم ثورة العراق الخالدة في ١٤ تموز ١٩٥٨م وثورات سوريا المتلاحقة على الحكام المفسدين .

أما الثورات والتحديات لهم من قبل الشعب فقد خوفتهم وهدمت احلامهم وعرفتهم أن الشعب أقوى من طاغية وأنه لا يمكن أن يستسلم للحديد والنار فقد انتقل بهم الشعب من ثورة ١٩٤٨ الى انتفاضة ١٩٥٥م بقيادة المقدم احمد التلاتا الى انتفاضة المشايخ في عام ١٩٦٠ الى العمل البطولي الذى قام به البطلان الشهيدان عبدالله اللقية ومحمد العلفي لقد أحسوا بعنف الشعب وقوته من خلال هذه الاحداث حتى دفعت الطاغية أحمد الى الاحتجاب والانزال في قصره وترك ولي عهده البدر يداري ويجامل ويخادع ويمكر دون أي جدوى وحتى دفعت بالعرش الحميدى وزبانيته الى مرحلة الاحتضار وهي مرحلة كان يرتكز فيها حكمهم على

أوهام ضعيفة وبقايا خوف وارهاب من ماضيهم الاسود الدامي •
ونلمس ضعف حكمهم وانهاره من خلال الادب الثورى فنحن نرى
الشاعر عبدالله البردوني يأتيهم في مناسبة من مناسباتهم وفي عيد جلوس
الطاغية ليخاطبهم قائلاً :

عيد الجلوس أعر بلادك مسمعا تسألك أين هناؤها هل يوجد ؟
تمضي وتأتي والبلاد وأهلها في ناظريك كما عهدت وتعهد
ياعيد حدث شعبك الظامي متى يروى وهل يروى وأين المورد
حدث ففي فمك الضحوك بشارة وطنية وعلى جينك موعد
فيا السكوت ونصف شعبك هاهنا يشقى ونصف في الشعوب مشرد

ويتحدث عن الثورة الكامنة في نفس الشعب :
ولقد تراه في السكينة انسا تحت السكينة غصبة وتمرد
تحت الرماد شرارة مشبوبة ومن الشرارة شعلة تتوقد
ويرمي الطغاة بهذه القذيفة على مسمع منهم ومرأى :
فليكتب المستعمرون بغيضهم وليخجلوا وليخسأ المستعبد

ويتحرج الشاعر قليلا من مهاجمتهم فيحاول ان يتخلص من المأزق
ولكن بعد أن صب عليهم سياط الثورة خوفا من انتقامهم أو تخفيفا من
العقاب فيما لو أخذوا عليه هجومه فيقول :

فالشعب يطغى كالسيول يقوده ملك كأن الشعب فيه مجسد
ملك اذا انتضت الحسام يمينه لفظ المنيّة والحسام هو اليد
ولكنهم لم يتخذوا معه اجراءا عقابيا خوفا من اضرار
السخط عليهم وزيادة حقد الجماهير على تصرفاتهم فأبي تصرف عقابي لا
يزيد الثورة الا عمقا ولا يزيد حقد الشعب الا تأججا •

وكانوا يسمعون هتاف الثورة من فم الادباء فلا يعملون شيئا يسمعون
الشاعر محمد الشرفي وهو يقول :

يا أخي لاتم على الظلم وانفض مرقد الذل والكرى الفضاح
وانطلق في الظلام كالعاصف الجبار كالموت كانطلاق الرياح

وابسم للمنون يبسم لك الحلم تغورا على وميض الكفاح
وانهل العز من ميادينك الحمر فحمر الدماء مرقى النجاس
لا تدع عصابة اللصوص بدياك جحيما من العذاب الماحي
تخفق الفجر في صدور الملايين وتهنأ بحقها المستباح
فاستفق للكفاح فالشعب أن نار انتهى كل ظالم سفاح
أو يقول مثلا منددا بالمتزلفين من الذين كانوا يمرغون جباههم في
مدح طاغية ويعتصرون افكارهم شعرا للتحديث بأمجاد جلاد في المناسبات
والاعباد كذبا وزورا ونفاقا :

بدعة الذل ان تراني أهني تاج لص بسيف أكلي ودفني
لست يا عيد مادحا من أراء شدى وحش يقات جرحى وحزني
يكسني سندس الملابس في العيد وجسمي من لفحة الشمس مخني
وأبنة رافل على ملعب الصفو وأبني لم يبلغ القوت مني
وأنا في الجراح أشكو من البؤس وأطوى من شقوتي الن لون
وطريقي مرصع بالجراح الحمر بالشوك بالشقاء المعني
هل أهني يا عيد عرشا من الظلم تراخي في عيشه المطمئن
لو رأني (قرشا) لأخمد انفاسي على لمعه وأغمض جفني
أو رأني أكابد الموت لارتاح وأنهى بقية الروح مني
فرحة العيد عنده ذلة الشعب وان ينطوى على كل سجن
ولذيد الحياة ان يلمح الحر على سيفه بقية مفني ...
وتتجد وجدانات الادباء في داخل اليمن وخارجها ويعبرون عن هذه
المرحلة الحاسمة من تاريخ الطغاة في شعرهم تعبيرا صادقا فيه أرهاص بالثورة
وفيهما وعد للشعب ووعد للجلادين فيصرخ الشاعر سعيد الشيباني من
القاهرة مهجر دراسته في قصيدته « النور والديجور والفجور » مبشرا
بالثورة المقبلة :

ناديت :

لكن صوتي الداوي يموت بلا رجيع

يا شمس أيلول الجميلة

روح « الوار »

ماياكوفسكي

هل ضن الصباح

أن تطلعي حتى ولو بعد الغروب - ولو شعاع

صنعا تموت تموت في ليل الرياح

ضاعت منائرهما مع الاصدقاء مذ ضاع الصباح

وبعد شكوى عنيفة من طول الليل وجبروت القلام في قصيدته الطويلة

يقول أخيرا تحت عنوان النداء الاخير :

ورجعت أصرخ من جديد من جديد

يا شعب يا غابات أزهار وسور من حديد

قم واشعل الشمس السديمة من لهيب الجرح

يا صحو الشيد

يا شعب يا بركان فيزوف

متى بشراي يوم الاندلاع

هذي موائنا ببحر الشوق تحلم بالشراع

أما الشاعر الكبير عبده عثمان فيصرخ من القاهرة بهذه الصرخة

المدوية في قصيدة بعنوان ((عندما نلتقي)) :

لا بد أن يعود « ذويزن »

ونلتقي في مأرب وحضرموت في عدن

يا صرخة التراب يا وطن

غدا ترى سنابك الخيول

تدوس آلهه

وتنتهي حكاية الدخيل أبرمه

وتخفي عيون ليلة المشووه

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (ليس الا الثورة) مخاطبا الشعب وفيها

صوت الثورة العميق وقوته وتفجره العنيف :

بالله أما قاسيت الموت
ما عطشت روحك للدم
اني أدعوك لشرب الدم
أشربها خمرة
أشرب وأبن اليمن الحره
فوق الانقاض
فوق قصور الاسياد
يا شعبا يا جيشا ما وجد القاده
اني أدعوك الى الثورة

ولم تمض أيام بعد تدهور العرش الامامي وتضعفه ومرحلة احتضاره حتى تتحفز المشاعر وتستعد لثورة قوية مجتاحة وتحركت ضمائر الشباب من الضباط الاحرار وهبوا في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م في ثورة اليمن الخالدة يحطمون قصور الامامة الرجعية المتعفة ويعلنون ارادة الشعب واهدافه العربية الاصيله .

ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ :

كانت ثورة ٢٦ سبتمبر هي الثورة الحاسمة في تاريخ اليمن الحديث فقد قامت في أعقاب ثورات وانتفاضات كثيرة أكسبتها تجارب واكسبت الشعب وعيا ثوريا وأعدت له طليعة قوية من الشباب المثقف والضباط الشباب الواعي وتجاوب مع الثورة كل الشعب اليمني في شماله وجنوبه على الرغم من الظروف المحيطة به من الرجعية والاستعمار التي ظهرت بعد أيام من قيام الثورة .

ولا ننسى هنا أن نقول شيئا وهو ان الجنوب اليمني المحتل بما فيه عدن بصورة خاصة أصبح بعد قيام ثورة الشمال اليمني بركانا نائرا على المستعمرين والعملاء فما أن سمع ابناء عدن والجنوب اليمني ثورة الشمال

في صنعاء على الامامة الرجعية حتى التهب دم التراب الواحد وتحرك وجدان الشعب الواحد وتمردت وحدة اليمن الطبيعية فاذا بهم يهبون هبة رجل واحد لمؤازرة الثورة ومقاومة الرجعية والاستعمار وحمايتها من كل عدو وأجنبي مؤمنين بأن الثورة اليمنية هي ثورة الجنوب والشمال وانها ثورة على الرجعية والاستعمار متحدين بذلك الاحتلال البريطاني ساخرين بارهابه وطغيانه .

ومع فجر يوم الخميس في ٢٦ سبتمبر نرى الادب يتحرك لمباركة الثورة ويهنيء الشعب بثورته وفجره الجديد ففي الساعات الاولى التي نسمع فيها أصوات الثوار يعلنون مبادئ الثورة واهدافها نسمع في الوقت نفسه الادب جنبا الى جنب .

وهذه قصيدة للشاعر محمد الشرفي بعنوان (أنا الشعب) أذيعت من راديو الثورة في صباح يوم الثورة :

انا الشعب زمجرة من رعود	وانشودة في شفاه الخلود
اذا احتمت ثورتني فالطفاء	بقايا رماد على كل بيد
اضمد جرحي بجرح جديد	وامضي لارساء فجر جديد
خبرت الرزايا ورضت الصعاب	وجزت الحتوف وصمت اللحدود
ولقتني الدهر من بطشه	معاني الطموح وبأس الصمود
وعرفني من أنا فانتفضت	وحطمت سجنني وقيد ركودي
والهبت عزمي بجمر الجراح	واشعلت حقدى بعزمي الحديدي
وأومأت للشعب ان تستريح	وترقب مني اجتياح السدود
وأن تنظر اليوم ما أبنتي	لنفسي من المجد رغم القيود
وما أصنع اليوم من معجزات	تنوء بأعبائهن حدودي
فحسبي انحاء لسوط اللصوص	وحسبي رضوخا لحكم العيود
فلا الصمت من خلقي لا ولا	سجود الجباه طيبة عودي
قرونا تمزقت فيها على	مخالب ذئب ووحش عبيد
ودارت على كؤوس الحتوف	دهاقا وعائيت كل شديد

وبعث الحقوق ونفض الرقود
وفي اضلعي عاصف من وقود
على مقلي قبل من تشيد
وكفر بحق ورفض عهد
جحود بأمال يومي المجيد
فهل أنخني للظلام البليد
بما حشده لسحق وجودي
ارادتها فوق كل مزيد
على كل شعب ومرقى الصعود
وفجر يرف واحلام عيد
بكفي أشلاء عمر فقيد
أمزقها لعنة في الوجود
وما هم سوى طغمة من عبيد
وشدت كراسيهم من جهودي
كما تغسل النار رجس الحديد
مخازيهم السود في لاحدود
وساموا دجى الكوخ ذل السجود
ودمع التكالى وجوع الوليد
وحزن الاسارى وشكوى الطريد
ولم يطفىء الظلم مني وقودي
أقبل لصي وأهوى مبيدي

وما اليوم الا التهاب القرون
أنا الشعب لم أتة لم أمت
ولم استكن والصبح الجميل
أأغزو الا أنها وصمة
وما هجمتي في جراحي سوى
مشاعل نوري تنير الطريق
ساسخر بالظلم والظالمين
أنا الشعب لن تستكين الشعوب
صراخ الملايين نور الحياة
وحقد الجماهير نار تشور
أنا الشعب أن نرت صار الدجى
صنعت العروش أنا وأنا
وما العرش لولا أنا الملووك
فدمعي أنا سود الخائنين
سأغسل أدناسهم من نراى
تمادوا باجرامهم واتهمت
وشادوا القصور العراض الطوال
وعاشوا على شقوة الكادحين
وناموا على أنة المتعبين
أنا الشعب لم استكن للظغاة
فلن أقف اليوم بين الدموع

وكما تحدث الشاعر محمد الشرفي في يوم الثورة تحدث كل الادباء
أمثال الاستاذ عبدالله البردوني وعبد عثمان وسعيد الشيباني وعلي بن علي
صبره ويوسف الشحارى واحمد الماخذى وعبدالرحمن قاضي وتغنوا
بالثورة المجيدة وجسدوا في شعرهم قوة الشعب وجبروته وأنه لا يمكن
أن يستكين للظغاة مهما تسلطوا ومهما تجبروا ومد في عمرهم طغيانهم

يقول عبده عثمان في قصيدة بعنوان « عندما يتكلم الشعب » :

كان السكوت كأبواب مسمرة
بالليل يلقي وشاحا من غلاله
حتى اذا ومضت في الأفق بادرة
تسأل الشارع المذعور في عجب
ولم تمر ساعة الا وقد نطقت
تلفت القصر مأخوذا على لهب
على طريد دعا أفراد حاشية
فلاذ بالكوخ بالاحراش معتصما
لم يبق في الارض في الدنيا لكم وطن
يامن رقصتم على أشلائنا زمننا
موتوا لتجيا على عز وفي شرف
اليوم قد بعثت واسترجعت نفسا
آمنت بالشعب بركاننا وعاصفة
اليوم قد علموا بالامس ما جهلوا
أني أراه وكل الناس تسامعه
اني اراه يسبر فوق مقبرة
وأقبل الفجر مختال الخطى مرحا
وصفقت قبب راحت ما آذنها

ويصف الشاعر عبدالله البردوني التقاء نوار القاهرة بشوار صنعاء في

يوم ٢٦ سبتمبر مبادئا واهدافا وثورة :

والتقوا يغسلون بالنار دنيا
واضاموا والليل يتلعب الشهب
ويمحون بالدم الاوحالا
وأم الهلال تطوى الهلالا
أي فجر أستم فيه بلالا

والرؤى تسأل الرؤى كيف ضج الصمت واستفسر الخيال الخيالا
من أطلو كصحو نيسان يكسون الربى الجرد خضرة واخضلالا
ومضى الثائرون يفدون شعبا يتحدثون باسمه الأجيالا
كالقلاع الجهنميات ينقضون يرمون بالجيال الجيالا
ويشبون ثورة رمت التاج وهبت تتوج الاجيالا
ومشت والشروق في خطوها الجبار يشال في الدروب اشبالا
ومددنا المنى فكانت عطاء سرمديا تجاوز الامالا
فلفرنا الى الحياة كموتى دفعتهم قبورهم أطفالا
وبدأنا الشوط الكبير وأعدنا لاحدائه الكبار « جمالا »
واهتدينا به فكان دليلا وأبا يحمل الجهود الثقالا
وبلونا فيه أخوا لم ترده لهب الحادثات الا صقالا
ودروب الكفاح تنيك عنه كم طواها وأتعب الاهوالا
وثنى الموت في القتال والقسى في أساطيله الحريق ارتجالا
ورمى الغزو والغزاة رمادا تخبر العاصفات عنه الرمالا
وفلولا تكابت الروح فيها مثلما تكبت العجوز - السعالا

ويأتي صوت من القاهرة من الشاعر اليمني سعيد الشيباني يتساءل
عن الحدث الضخم وماذا يسمع في وطنه اليمني وماذا يحس من يفضلة
واصداء وماذا حدث ؟ لقد أذهلت ثورة ٢٦ سبتمبر (ايلول) كل أبناء
العروبة لأنها قامت في وقت وظروف ما كان ينتظر أن تقوم فيها يقول سعيد
الشيباني في قصيدته بعنوان « صحوه الجماهير » :

دع المحبين واخبرني عن اليمن
أم ذو نواس أعاد الخيل صاهلة
أم جيش بلقيس قد نارت هوائجه
الله أكبر يا صنعاء ما صنعت
دكت عروش الألى ظنوا بأنهم
هل قام من قبره « سيف ابن ذي يزن »
من رحلة التيه في الابد والزمن
غضبان (حمير) كالأطواد كالقسن
يداك بالظلم والظفيان والفتن
هم الخوالد عبر الدهر في اليمن

ظن الطغاة بان السوط يخضعنا
وان شعبي طوال الدهر أجمعه
تلکم جماهيرنا نار مدمرة
وارسلت من غير البن موجته
بوركت يا شعب يا جبار يا جبلا
سيلا من النار والبركان محرقة
ياصوت صنعاء قد هيجت بي شجني
نسوا بأن قناة الشعب لم تلسن
لم يرتض الظلم لم يخضع ولم يهن
تحرق الظلم في سهلي وفي مدني
تذرى بكل بقايا التاج من عفن
من الجماهير تحمي ثورة الوطن
طقوس ما خلقت أسطورة الونس
ياشوق قلبي الى أهلي الى يمني

هذه نماذج حية لادب الثورة اليمني وفيها واكبنا الثورة اليمنية من
أول مراحلها وكيف بدأت وكيف تطورت في نفوس الجماهير وكيف كان
الشعب اليمني ينتقل من ثورة الى ثورة ومن انتفاضة الى انتفاضة متحديا
طغيان الامامة ساخرا بأرهابها هازنا بجبروتها وبطشها وأن القارىء ليلاحظ
أن أدب الثورة اليمني سجل حافل لهذه المراحل كلها وقد كان الشعر هو
المتنفس الوحيد الذي سجل لنا كل شيء عن الطغاة وأساليبهم في الحكم
كما صور لنا عقلياتهم المتعفنة ومبادئهم الرجعية والمتآكلة ، كما أنه واكب
الاحداث الثورية فلم تغفل منه حادثة ولم يترك انتفاضة أو ثورة الا وسجله
لهذا فيمكن أن نقول ان الشعر سجل لتطور الحياة في اليمن كما كان الشعر
الجاهلي سجلا حافلا للحياة الجاهلية ، ولم نحاول أن نتمق في دراسة
الادب الثوري في اليمن والظروف المحيطة به والملابسات الموجودة لضيق
الوقت وصغر البحث وعلى أى حال ففي الفصل نماذج هامة قد تدل
المتعرف أو الباحث على أدب الثورة في اليمن بصورة خاصة وعلى الادب
بجميع مذاهبه بصورة عامة فهناك من الادباء العرب من ينكر وجود أدب
يمني والسبب في ذلك انعزال اليمن اكثر من سبعين عاما عن العالم وعدم
وجود الوسائل الممكنة لنشر ابدانها الادبي ونبات أفكارهم الفنية فمما
لاشك فيه ان الادب اليمني يبدأ تاريخه منذ بداية العصر الحديث ولا
ستطيع أن نقول أنه تخلف كثيرا عن الادب الحديثة والتجديد والتطوير

في الادب ، انه أخذ يواكب التلوين والتجديد ويتأثر بانتاج الادباء المعاصرين العرب والعالميين رغم العزلة ورغم التخلف الذي فرضه الطغاة عليه وانعدام المدارس فيه وذلك من خلال مطالعة أدبائه للكتب الادبية الحديثة والادباء المعاصرين وفي الفصل الثاني سنين ارتباط أدب الثورة اليمني بقضايا الوطن العربي وقضايا الانسان المعاصر وموقف الادب العربي - اليمن خاصة منه - من المجتمع العربي الجديد ومدى التزامه بقضايا الانسان العربي المعاصر وقد حاولنا التركيز على الشعر اليمني واضعين ضمنه بعض نماذج للشعراء والشاعرات في الوطن العربي وجعلنا موقف الشاعر اليمني الثوري نموذجا للاديب الثورة العربي في كل الاقطار العربية .

محمد الشرفي

عضو وفد اليمن في مؤتمر الادباء العرب

في دورته الخامسة

ويقول في قصيدة أخرى :

مستغل الاسلام حتى كان الدين يبدو كسلعة (أحمدية) (*)
وكان الشرع الشريف كما شاءت امانيه للمخازي مطية
وكان الالة - حاشاه - في « صالة » (عكفية) (*) بلا ماهية

أما رواد المدرسة الابداعية (الرومانسية) فقد انجرفوا وراء تيار
ذاني وانعزلوا عن المجتمع بل جعلوا المجتمع مطية للوصول الى اهدافهم ،
وهكذا نجد الشاعر لطفي جعفر امان في ديوانه بقايا نعم - (والدرب
الاخضر) و (كانت لنا ايام) وهو آخر ديوانيه ، ففي قصيدة (أنا لست وهما)
يقول لطفي :

علي عتبات الليالي يجد بي
أراقت يد الفجر آخر قطرة ضوء
علي رمل دربي
فأفقلت شباك قلبي
فاظلم حبي
ومات وقد كان ربي

وعكسا على ما سبق نجد الفئة الثالثة أي رواد الشعر الواقعي الذين
لم يقنطوا من الشعب رغم المآسي التي يعيشها ورغم القيد والسجن والسجان
فوجد الشاعر عبده عثمان يقول :

ياليل يانعنا هنا ، وحدي وراءه أنوح
ويا قلوبا كلها جروح
مشاعري لا تستطيع حملها
أو تغلق الابواب دونها

(*) منسوبة للامام (أحمد) (*) عكفية رتبة عسكرية (عكفي)

الفصل الثاني

الثورة والمجتمع العربي الجديد

بقلم : سعيد الشيباني

يفضل وعي الانسان خاليا من كل مضمون حتى يحثك بالعالم الواقعي ليجد محتواه مستعينا بالتجربة ويفقد الفن كل محتوى منذ اللحظة التي ينفصل عن الواقع ولكون الفن ذاته معتبرا شكلا من اشكال الوعي الانساني، فقابليته لعكس الحقيقة بصورة موضوعية يغدو أمرا اساسا وانعدام الهدف الواضح للفن يدل دلالة واضحة على المعرفة السطحية للعالم وما لم يفهم الفنان جوهر الواقع وجوهر الاشياء فان انتاجه الفني يغدو بلا أثر ولقد خدم الوجدان الاجتماعي المجتمع الانساني كسلاح للنضال ضد الطبيعة وضد الواقع الاجتماعي الجامد لدفعه الى الحركة بواسطة الممارسة التعبيرية عنه والمواقف الايجابية ومن جهة هذه النظرة سوف ننظر الى الادب العربي وفي القطر اليمني خاصة وسناقش معنى الثورة في الادب والثورة في الادب التي أريد أن أناقشها هي ما يدعي في المجال الفني (بالالتزام) ولست أعني أن هناك أدبا ملتزما وأدبا غير ملتزم بل ان كل أدب هو ملتزم ولكن الالتزام ليس التزاما مجتمعيا بل هو التزام طبقي ففنانو كل طبقة اجتماعية يلتزمون الدفاع باتجاههم الفني - عن واقع طبقتهم ضد الطبقة الثورية النامية وكما يصح هذا على الواقع الرأسمالي يصح أيضا على الواقع الاشتراكي فادب - أو بصورة أعم - فن النظام الرأسمالي يلتزم الدفاع عن الرأسمالية ضد الاشتراكية والفن الاشتراكي يدافع - عن طبقة العمال والفلاحين والكادحين ضد الطبقة الرأسمالية ويكون القانون العام للفن هو أن كل فن هو فن طبقي ولن يكون هناك فن من أجل الشعب كله الا في المرحلة التي يكون المجتمع كله طبقة واحدة .

وإذا نظرنا الى الفن بكل فروع في الوطن العربي لوجدنا أن القانون

العام الطبقي للفن ينطبق على الادب العربي فهناك مدارس فنية طبقية ومن هنا سنطلق لتحديد مفهوم الثورة في الادب ومدى اتحاد الادب بالواقع العربي والواقع الانساني وسنأخذ القطر اليمني من خلال انتاج أدبائه كجزء لكل في الوطن العربي وما يحل بمشاعر الأدباء لكل حدث أو فعل مجتمعي في العالم العربي وفي العالم •

فرض النظام الاقطاعي سيطرته السوداء على الشعب العربي في اليمن خلال خمسين عاما على الأقل فجمد كل شيء في سبيل أن يطول به البقاء ولكن القانون العلمي يقول ان كل شيء متحرك في ذاته وان بدأ جامدا • وهكذا كان الشعب اليمني متحركا في صمته فكانت حركة الاحرار في سنة ١٩٤٨م ولكن الحركة لم تكن ثورة بالمعنى العلمي بل كانت ثورة الاقطاعيين المتحركين ضد الاقطاعيين المحافظين ولم تنجح الحركة لان الشروط الموضوعية الخارجية « واقع العالم العربي وواقع العالم » - لم تكن متوفرة كما أن الشروط الذاتية الداخلية للمجتمع اليمني لم تكن متوفرة ولهذين السببين فشلت الحركة في عام ١٩٤٨ وكذلك سنة ١٩٥٥ وعلى عكس هذا كانت ثورة ٢٦ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٢م •

وقد سبق في الفصل الاول تحليل الوضع الاجتماعي والسياسي في القطر اليمني خلال هذه المرحلة التي تعتبر تطبيقا لوضع العصور الوسطى في اوربا فقد كان المسجد أشبه تماما بالكنيسة وكان اللاهوت يسيطر على كل شيء وبنيت المساجد وهدمت المدارس وانتشر المرض واقفلت المستشفيات وأنهكت السلطة الاقطاعية الشعب بالضرائب فهاجر الى خارج اليمن باحسا عن الرزق وهاربا من مواجهة واقعه فكانت المأساة وكان الادب في اليمن - أعني الشعر فقط حيث لا يوجد غير الشعر واتساج الادب خليط من شعر البلاط ، ونفثات أنينية صامتة لا تسمع ولا تتعدى أذن صاحبها •

الثورة والمجتمع اليمني :

نعني بالثورة - التغيير لكل المجتمع تغييرا كيفيا والا اعتبرناها اصلاحا لا ثورة واذا طبقنا هذا المفهوم على الادب العربي في اليمن مثلا لوجدنا أن

الادب - الشعر - في اليمن لوجدنا الشعراء ينقسمون في اتناجهم الى ثلاث فئات كل فئة تعبر عن الثورة بمقدار فهمهما لها :

الفئة الاولى : المصلحون الاجتماعيون السلفيون : وهم شعراء المدرسة
الاتباعية •

الفئة الثانية : الذاتيون المنفصلون عن الواقع : وهم شعراء المدرسة
الابداعية •

الفئة الثالثة : الثوار : وهم شعراء الواقعية •

ف نجد رواد الشعراء الاتباعيين يناضلون بشعرهم من اجل اصلاح المجتمع على اساس ديني يطبق الشريعة الاسلامية الفراء ، ويرون أن انحراف الحكم عن الدين الصحيح هو مصيبة البلاد وان اصلاح الواقع وتحريكه لا يمكن أن يكون الا بتطبيق الشريعة الصحيحة والرجوع الى الكتاب والسنة ، وكان هؤلاء الشعراء يثورون ضد الاقطاع المحافظ الجامد في سبيل تحريكه ويأتي على رأس هؤلاء الشعراء الشاعر الكبير الاستاذ محمد محمود الزبيري و ابراهيم الحضرائي وزيد بن علي الموشكي واحمد الشامي والعنسي وعبدالله عبد الوهاب نعمان واحمد حسين المروني وعبدالرحمن الارياني وغيرهم من الشعراء المصلحين السلفيين الذين تأثروا بثقافة السيد جمال بن الافغاني والشيخ محمد عبده وحسن الزيات وحسن البناء وغيرهم من علماء الدين وما كان بمقدرة هؤلاء الادباء تخطي واقعهم وثقافتهم الدينية وكانوا ثوارا بالنسبة للجمود المطلق في واقع اليمن يومئذ ويظهر هذا في قول الشاعر محمد محمود الزبيري :

من لا يمانه وقد ملاً الكعبة كفار حراسها الاغبياء
تركوا بيت الله يحتله الاعداء والمشركون والشركاء
يقشعرون التسييح من حرم الله اذا همهمت به الحنفاء
من لتشريعه الرحيم ودين القوم فيهم تناحر ودماء

كم مرة حاولت أن اكون كالاصم
نزحت خارج الحدود
فتشت عن قبور من الجليد
لكنها ظلت تشدني قيودي -
يا أحرفا كأنها جبال
مشاعري مشدودة لها
لكنني أحبها .. أحبها
جعلت من قلبي مساكنا لها
زرعته بالبن والتخيل
بما حواه (ياوزير) أو تبين
زرعته اسكنت في رحابه اليمن

وقد ظل الشاعر عبده عثمان مرتبطا باليمن (بشعبه) وظلت القيود
والجبال تشده اليها رغم ليلها ، وما كانت القيود والجبال الا الاحساس
بالمسؤولية الوطنية تجاه شعبه .

وابراهيم صادق في قصيدته الطويلة (عودة بلقيس) وقصيدته (اليمن)
نجده يخاطب اليمني كالآتي :

يا أيها اليمني
قد طال الكرى
قد آن أن نجيا
وأن تنحرا
كي نهدي ،

اليمن (السعيد) حضارة ،
ونعيد للدينا (معين وحميرا)

والشاعر سعيد الشيباني حينما يخاطب السفاحين (الامام والرجعية
والاستعمار) :

لم ينع الشعب ولم يطلب من محمد أو من المسيح أو من الله أن

ينقدوا الشعب من مأساته بل قال :

يا تركة شبت بلحم الشباب

شاخت ولما تذق

طعم الاسى والعذاب

ما أتم الا بقايا كلاب

مسعورة تعوى على كل باب

ما عاد من عمرها ،

في حوزة التاريخ الا القليل

فأن اردت البقاء

تقاسمين الدخيل

خيرات حقل البن تمر النخيل

فلتقلعي الاقمار من أفقنا

ان تقدري وتصلبي المستحيل

هذه نماذج للشعراء اليمنيين بفئاتهم الثلاث (المدارس الثلاث)
ونستطيع أن نستنتج (الموقف) المجتمعي للشاعر من خلال اتجاhe الفني
ومن هنا نستطيع ان ندرك مفهوم الثورة في الادب العربي اليمني :

الثورة والمجتمع العربي الجديد

لم يكن الادب بمعزل عن المجتمع العربي - سواء في اليمن أو خارج
اليمن أي في باقي الاقاليم العربية ونستطيع أن نخص أن الشعر في العراق
والسودان كان ثورة ضد الاوضاع السياسية الرجعية وداعية للثورة سواء
في الشيوخ أو الشبان ويمكن مثلا بالنسبة للعراق أن يجد القارىء الكثير
في شعر الرصافي والزهاوي والجواهري - وهم من الشيوخ الذين يهزأون
بالاوضاع والحكام ويدعون الى الثورة ، وفي الشباب هناك شعراء لا يحصرون
في العراق (خاصة) ومنهم شعراء عقائديون ملتزمون عرفت
مواقفهم الثورية الصلبة ضد الطغاة وكانوا منارا للشعب
ليكسح اصنام بغداد ورثة هتلر والتار فالياتي وخالد الشواف والسياب ،

وعلي الحلبي ، وعدنان الراوي ، والكنعاني ، وهلال ناجي وكاظم جواد ، ونازك والسماوي وغيرهم فقد كان لكل منهم مواقف وطنية كل من خلال طبقته ومعتقداته وحدوده الذاتية ، ومنهم من ثبت ومنهم من تغير ولكن الموقف العام كان ضد الطغيان وكانوا طليعة الحركة الثورية عام ١٩٥٨ •

وهكذا كان الحال في السودان فان (محمد الفيتوري وجبيلي عبدالرحمن وتاج السر الحسن ومحبي الدين فارس) لم يكونوا مطمورين بل برزوا من خلال الاحداث ، وفي الجزائر لم يخفف اسم الشعراء (محمد العيد) مالك حداد ومفدى زكريا) فقد كانوا بحق شعراء الثورة الجزائرية العملاقة ولسنا بحاجة الى نماذج في هذا الشأن فدواوين هؤلاء الشعراء وغيرهم في الاقطار العربية موجودة فنجد سوريا تقتنر ابدا بشعر شوقي بغسداوي وسليمان العيسى وبعض اشعار نزار قباني وفي لبنان وهي منبع الفكر العربي نجد الشعراء يتمردون على ميعه الحياة ويطلبون الثورة ويبدو ذلك واضحا في شعر خليل حاوي وفي مصر (ج.ع.م) لم ينكر أحد قدرات شعر كمال عبدالحميد وعبدالمعطي حجازي وبعض اشعار صلاح عبدالصبور ، والشاعر الشعبي صلاح جاهين وكمال عمار وفؤاد حداده ولا نود أن نسرده كثيرا من الاسماء وقد حاولنا أن نقتصر على الشعر فقط باعتباره أرقى احساس المجتمع ولم نلتفت لباقي فنون الفن أو فروعه (كالرواية والقصة ، والنقد الادبي والموسيقى والنحت والتصوير والرسم وغيرها) •

ونستطيع أن نستنتج أن الادب كان مشعلا لاضاءة السراييب المظلمة التي يخنفي فيها الرجعيون والاستعماريون ولكن لا يجوز التعميم فقد كان الادب في الوطن العربي ينقسم الى أقسام ثلاثة :

(أولا) أدب رجعي تغلف بالرمز واللامبالاة وخدم مصالح الطبقة البورجوازية بدفاعه عن المثل القائل (لا جويد تحت الشمس) • (ثانيا) أدب ذاتي : وأعتبره أيضا أدبا رجعيا التزم بنسب مآسي الذات وفجر مستنقعاتها مناديا الكون والدنيا متشبهتا بلا شيء ساخطا على الحياة بينما منتجوه في بحر الترف والنعيم •

(ثالثا) أدب ثوري : وكان منتجوه عرضة للتشريد والسجون والعذاب

والتمزق ولكنهم لم يقطنوا بل ازدادوا اصرارا واصراراً رغم أن سيوف
البورجوازية على اعناقهم وانتصروا وسيتصر أدب الثورة لأنه ثمره نضال
عادل من أجل حياة أفضل ومن أجل الكادحين الحقيقيين الذين لهم وحدهم
حق الحياة لان وجودهم يساوي عملاً منتجاً .

الادب للحياة :

كان الادب الشعر خاصة - مفروضاً عليه أن يسير في ضروب محدودة
له مقدماً . فما كان للشاعر أن يكون شاعراً الا اذا استكمل الافلاح في كل
بحور الخليل بن احمد ، وأرسى سفينة في كل خليج من خلجانها وكانت
خلجان الشعر هي (المديح والرثاء والغزل ، والهجاء الخ . .) وكان قسط
كبير من ملوك العرب الدجالين وامراء هذه الامة المقلوبة على أمرها المنكوبة
المسلوبة بأيدي الاقطاعيين وحلفائهم المستعمرين ، يتمتعون بكثير من الاوصاف
الجميلة الرائعة وتعب الشعراء في نحت الصفات العالية لسفاحي الشعوب
متخذين من ذلك بأدبائهم واجدادهم اسوة وطالما كانت القصيدة ذات قافية طنانة
فهي (شعر في نظر النقاد - لارحم الله من ماتوا بل واعقبهم بمن بقوا على
قيد الحياة - وكان يستوى الحال سواء في شعراء بلاط الرياض أم (بغداد)
أم بلاط (مولاهم) باي (تونس) أم جلالة (ملك مصر والسودان) واستوى
عند بعض الشعراء بدون وعي - المهدي والمرغني ، وكرومر وجلسوب
واستولى شعر البلاطات على الشعر العربي في أغلب البلاد العربية التي كان
المسجد فيها تؤم الكنيسة أما في اليمن فقد كانت عجب عجاب لان أغلب
الانتاج الادبي كان شعراً وكان كله منصباً في مدح (مولاهم) أمير المؤمنين
الناصر للدين يحيى حميد الدين ثم نجله وشبله وولي عهده وامام اليمن
أمير المؤمنين احمد بن يحيى حميد الدين) ولعل ملوك وامراء العرب بما
فيهم (عبدالكريم) قاسم لم يجدوا ما وجد الائمة في اليمن
فقد كان الشعر في هذه المرحلة في اليمن ليس من أجل الحياة بل من أجل
العدم - من أجل السفاح (يحيى واحمد) ذرية النبي محمد (عليه السلام)

ونرى من قصيدة للنظامة احمد الشامي في ديوانه (النفس الاول) :
اذا لم تكن أنت الخليفة بعده وفاء وشكرا بل قضاء محتمسا
فلا نبضت للشعب روح ولا علت له راية حتى يكب جهنمسا
أعيد بلادي أن تجيد عن الوفا فتجحد من أسدى الجميل وانما

ونرى أنه ما لم يكن (الامام البدر) وكان يومئذ وليا للعهد - خليفة
بعد أبيه فليذهب الشعب جهنما وقد أوفى هذا الشاعر واحترم كلماته وحارب
الشعب باليمن وانضم الى خليفته البدر ، أما الجميل الذي اسداه الشعب ،
فهو ليس سوى المشانق والجهل والفقر والمرض ، وتعد هذه القصيدة من
اروع القصائد التي يتغنى بها وارثو الجبات والعمائم بعد الامام . وكل
شعراء اليمن الشيوخ بل بتعبير أدق (نظامو اليمن) مدحوا الامام حتى
عجبوا اللغة عجبين الخباز غير المتسرن ، ولكن بعضهم شفع له موقفه مع
الشعب بعد ذلك فاعتبرنا مدحه مرحلة مراهقة ، ولما رشد عاد يناضل مع
الشعب ضد الامام ويندرج تحت هذا الوضع بعض شعراء ونظامي اليمن
الشيوخ ، كالزبيرى ، والمروني ، والموشكي ، ولكن الشعراء الشباب كانوا
بالمرصاد للطغيان ولتجار الحروف والدماء فجعلوا من الشعر في اليمن
سلاحا فترى عبده عثمان الثائر الذي يعد في طليعة الشعراء الشباب يقول :

قعدت وعندي من العزم شيء يهد الصخور
وعندي براكين حقد وصيحات رعد وصور
فلي : أن أدوى بصوتي وارعش تلك القبور
وأن اطلق الوحش أدعو الى جموع النسور
وان استجيش الدياجي لاطفاء في القصر نور

ألست بمن كبلوه ودقوا عليه القيود
ألست بمن الهبته سباط تشل الجلود
وأمسي يحدق في الأفق يخشى قدوم الجنود
وقد آن لي أن أهز القلوع الى برها كي تعود

من أجل هذا كان الشعر .. لم يعد شعر بلاط ، ولم يعد للشاعر الشاب غير مذهب واحد هو الادب للحياة ، كل حرف وكل كلمة من اجل الشعب ، من أجل الحفاة العرايا من أجل الصبيان والصبايا والزهور ومن أجل حقول البن ، ومحمد الشرفي الذي لم يجاوز عمره الرابعة والعشرين لم يذهب مذهب المراهقين بل جعل شعره من أجل الشعب من اجل الحياة من أجل الثورة :

يا أخي لا تنم على الظلم وأنفض
وانطلق في الظلام كالعاصف
مرقد الذل والكبرى الفضاح
الجبار كالهول كأنطلاق الرياح
وابتسم للمنون يبسم لك الحلم
نفورا على وميض الكفاح

لا تدع عصابة اللصوص بدنياك جحيما من العذاب الماحي
تخفق الفجر في صدور الملايين وتهنأ بحقها المستباح
عصابة همها امتصاص دم الشعب وسلب الفقير والفلاح
فاستفق للكفاح فالشعب ان نار أنتهى كل ظالم سـفاح

ويمجد الشاعر علي عبدالعزيز نصر في ديوانه (كفاح الشعب) الجموع
البائسين الذين سيصدون المترفين الذين اغتوا بقرهم :

اليتامى ،
وحشة في عمق ذاتي
تترامى
والثكالى
انه حيرى بأفقي
تعالى
ودموع الابرياء
في دمائي ثورة نخدم
وأنا في القيد عزم ملهم
وسلاحي - ما سلاحي ؟
نبضات بأحاسيس الجموع

في ضلوعي
تغلي شوقاً الى الفجر
فهي يا رفاقي
حطموا القيد وسيروا
فهنا بات أسير
صامتاً يرتعد
كلما لاحت على البعد يد
هب في القيد ينادي ؟
يا رفاقي

سوف أمضي مانجا اصطخب

وغدا في مطلع الفجر يكون الموعد

ونرى من هذا أن الشعر لم يعد ذاتياً فردياً بل أصبح في خدمة
الحياة الكريمة سلاحاً للشعب ضد جلاديه وعتاته ويظهر التحدي الصارخ
للطفاة والمستعمرين اعداء الانسانية في قصيدة (العمال في السعيد) لسعيد
الشيبياني التي يقول فيها :

لن نغمد السيف حتى يذهب بددا
حتى يعود إلى الضيعات مالكها
والمصنع الزاخر الانتاج يغدوا الى
حتى يلاقي في أمن وفي دعة
حتى نحرر بالقيلات موعدا
ما يصنع السافحون اليوم في بلدي
لن نلطم الخدان جارت مصائبنا
من أرضنا مترفاها غاصب وغبي
ويصبح الحقل ملك الفالح التعب
عماله صانعي الخيرات والطيب
محبوبة جها ، معتزة وأبى
في الحب في موجة الارهاب الريب
غدا يلاقون فيه أي منقلب
فليس من يلطم الخدين بالعربي

لن نلقي القلم المسموم ثابته
حتى نعيد الى الكلمات قيمتها
حتم هذا علينا في ضمائرنا
وان شمس أفاق من مراقدها
حتى نرى ظالمنا أعجب العجب
في العلم والفن والتاريخ والادب
بالحرف نصنع فجر الكادح العربي
فأي تلج على القمات لم يذب

وتغيير وعي الشعب وعلم أن الشعر الحقيقي هو ذلك الذي ينفث ما في نفسه ذلك الذي يمجّد قوته ويدعوّه الى النضال ضد الجلاديين والسفاحين من أجل أن يعيش في أرضه ويتمتع بخيراتها ، ولم يكن الادب العربي في الاقطار الاخرى أقل نضالا ضد الظلم والاستعمار وسنرى في الاتى موقف الادب العربي في معركة البناء والتحرير :

طوفان النيل :

كانت مصر تمثل القوى الرئيسية للشعب العربي ولكن هذه القوى ظلت تحت القيود وظلت تيجان الملوك والامراء ترصع بعيون الحفاة والعرافة وظل نبيذهم دموع البائسين - كما هو الحال في بعض الاقطار العربية ان لم تكن أغلبها أو كلها - ولهذا ظل الوطن العربي كله شركة مساهمة يتمتع بها الملوك وامراء المؤمنين (كحامي الحرمين وحامي قميص عثمان) ولما قامت حركة ١٩٤٨ في اليمن ارسلت مصر سلاحا جويا بقيادة عبداللطيف البغدادي لضرب الثورة وعملت السعودية ما عملت في سبيل اخماد الحركة الوطنية في اليمن الشمالي مستعينة بنهايتها الامريكان والانجليز ، ولم يختلف موقفها الان عن موقفها سنة ١٩٤٨ وهذا على العكس بالنسبة لموقف مصر المتحررة التي وضعت بيد حكومة اليمن كل امكانياتها في سبيل الجمهورية ، وحينما استنجد الاحرار اليمنيون سنة ١٩٤٨ بمصر والجامعة العربية لم تزد سوى أن ساعدت الرجعية السعودية والامريكان والانجليز على اخماد الحركة الوطنية في اليمن فلم يكن الوعي القومي العربي قد بلغ قدرا يكفي لحماية مكاسب الحركات الوطنية ، ولم تكن مصر يومئذ سوى آلة من آلات الهدم بيد الملك فاروق والانجليز ، وفي هذه التجربة المأساوية يقول الشاعر سعيد الشيباني في قصيدة (غيث الفحم) .

فاستمطر الطغيان حامي الحرم

واستنجد الفرات والهزم

(والنيل) يومها أجاج

و (دجلة) حراسه (تيمور) و (الحجاج)
وفي الحشا من (بردى) مهشم الزجاج
يا خيبة العروبة
نستنجد الضياء من شموعها
فترسل الظلام يستييح شمعتي
ويطلق الجفاف غازيا لربوتي
تشرذ (اليمانية)
بكل قفرة وبرزخ خليج
ما بين باهت المنى وأحذب عريج
وبين قابض لجرحه وقلبه الضريح
فضيعوا ما بين عالم الدجى وعالم ضريير

ولا زال جزءا من هذا واقعا فالرجعية العربية والاستعمار الامريكى
والانجليزى لا تزال تشرذ اليمينين من الشمال والجنوب ولكن (النيل)
و (الفرات) اليوم أصبحا زلالا ويمكن لشعب اليمن أن يردهما للاستسقاء .
فالحركة الوطنية في (مصر) سنة ١٩٥٢ كان لها أعظم الاثر في الوطن
العربى واصبحت (ج.ع.م.ع) اليوم قائدة وحامية للحركات الوطنية في الوطن
العربى واسيا وأفريقيا ، ولم يكن الادب بمعزل عن هذه الاحداث .
ولعل اليمن كانت أول الشعوب العربية تفاؤلا بالحركة الوطنية في
مصر وحينما طرد فاروق واعلنت الجمهورية في مصر تنفس اليمنيون وكأنهم
قد طردوا الامام من اليمن وكان ذلك حقا ، وما كانت طردة فاروق الا
الخطوة الاولى لطرد جميع الملوك من الوطن العربى وطرد دعائمهم من
الرجعية والاستعمار ، وان كانت الثمالة لا تزال في الكأس فان الساقى
سوف يغسلها غدا . واذا كنا قد اقتصرنا أن نحدد موقف الادب في اليمن
من المجتمع العربى فما ذلك الا نموذجا للاقطار العربية التي قام الادب
فيها بنفس الدور من قبل جميع الفنانين الشعراء الذين وهبوا وجدانهم
لشعب العربى في كل مكان وكان الشعر في اليمن ثورة عارمة على الطغاة

من خلال طوفان النيل وعواصف الجزائر ، وفيضان الرافدين ، ولم يقتصر
الشعر اليمني في النطاق القومي فقد تعداه وناضل في سبيل الانسانية ، في
(الكونجوا رامزا اليها بلومبا ، وبكوبا ، رامزا اليها بشواطىء الكاريبي ،
وبيان ديان فو وماوماو ، وأيوكا) وكل الحركات الثورية في العالم وهكذا
كان الشعراء العرب تقريبا وهذا ما يدلنا دلالة قاطعة على وحدة الانسانية
وهدفها في الوصول الى الانسانية بحق وسنضع الان الادب في اليمن بالنسبة
للحركات التحررية في العالم العربي .

٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ م :

لم يشذ شاعر يمني في الجنوب والشمال عن تمجيد الشعب العربي
في مصر وعن نضاله الى جانبه ليس بحروفه فقط بل أيضا باستعداده الذي
أبداه الشعراء الشباب خاصة في القاهرة وتطوعوا لحماية الثورة العربية في
مصر ضد الاخطبوط الرأسمالي الصهيوني لقمع حركة التحرر في الشرق
الاطوسط ، ويقول الشاعر اليمني محمد الشرفي ممجدا ثورة العروبة في
مصر :

ومشيت عاصفة تهدد كل ليل بالدمار
وتدود عن شرف العروبة عاديات الانهيار
يا مصر ما كنا سوى شبح يدور بلا مدار
ونجول ما بين الظلام بلا اتجاه أو شعار
حتى أنبقت الى الحياة سنا يشع هدى انتصار
فغزوت بالانوار والوعي المهذب كل دار
ولم يكن الشرفي وحده في المعركة العربية بل كان كسل الشعراء
والادباء العرب في الميدان ، وفدوى طوقان في قصيدة (شعلة الحرية) ترى
في ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ فجر العروبة :

هبة الله السخية
هذه الشعلة أرتت البشرية

أرفعها أنت يا مصر أرفعها
للملايين الذين
ما حتى اعناقهم ذل السنين
أرفعها للملايين الذين لم يزالوا ظالمين
لينايبع الضياء

وللشاعر اليمني عبده عثمان قصائد لا تعد في ثورة مصر العظيمة ،
وحينما يخاطب طغاة النيل (فاروق وعصابتة) وجميع الطغاة لا يخشى
سيف طاغية في وطنه (الامام) بل يقول بشجاعة واصار :
موتوا لتجيا على عز وفي شرف تلك الجموع التي بالحق قد تضطرم
اليوم قد بعثت واسترجعت نفسا فهبت اليوم تفنيكم وتلتهم
آمنت بالشعب نيرانا مدمرة ريحا تهاوى على اصداثها صنم
اليوم قد علموا بالامس ما جهلوا وقد رأوه وداستهم له قدم
ويقارن الشاعر السوداني محمد الفيتوري بين أمس المستعمرة
والمستعبدة تحت ظل الاستعمار والاستبداد الملكي واليوم بعد ثورة ١٩٥٢م :

بالامس مرت بأرضي خمس وسبعون عاما
مرت فصفت عليها الطغاة والاصناما
وصبت الدم والدمع في حلوق اليتامى
ولولت في دمائي تمردا واتسقاما

بالامس ناديت أرضي فاستيقظت من كراها
استيقظت تحجب الشمس أوجها وجباها
استيقظت تنفض القيد صاغرا من خطاها
وتسترد بطولاتها وتعلي علاها

وأما شعراء مصر فلا ينكر مواقف الشاعر كمال عبدالحليم وعبدالمعطي
حجازي وصلاح عبدالصبور في نضالهم ضد الملكية الفاسدة ، فلم يصنع
أحدهم قصيدة في الملك فاروق كما صنع الشاعر محمود حسن اسماعيل

ديوانا كاملا اسماء (الملك) بل ناضلوا بشعرهم كما ناضل نجيب محفوظ
والشرقاوى في رواياتهم ويوسف ادريس في قصصه ، ناضلوا ضد الطغاة
في سبيل انتصار الشعب العربي في مصر ضد الرجعية والاستعمار وضد
الاستغلال البورجوازي للعمال والفلاحين ، فالادب أبدا في المعركة أدب
الشعب لا أدب صالات (هيلتون) والاورج وغيرها •

فلسفة : فلسطين :

مأساة صنعها الاستعمار والرجعية ضد الشعب العربي ، لتكون عظمة
خنجرة للحركة الوطنية في الوطن العربي ، ودعماها (بالعروش) والامارات
التي لا تزال بعضها قائمة تدافع عن بقائها بحرارة وعناد ، والذين يقولون
ان الاستعمار قد رحل بعصاه وأن القرن العشرين هو عصر الشعوب ، هم
ينكرون حقيقة موضوعية من حقائق التاريخ ، لان الاستعمار في الحقيقة لم
يرحل ، كما أنه لم يحمل عصاه بعد ، بل ان الاستعمار اليوم هو استعمار
(مثقف) بالعلم ومستند الى قاعدة متطورة هي الرأسمالية المعاصرة ، التي
يتشدد نظامها السياسي بالديمقراطية ، وكان لزاما على الادب أن يقف
موقفا مشرفا يفضح الدجل الجديد والحيل الجديدة للاستعمار • ان العصر
عصر الشعوب لا شك في هذا ، ولكن هذه الشعوب - في أغلب كياناتها -
يحكمها الاستعمار بواسطة عملائه السياسيين • ولا يمكننا ان نقول أن
الاستعمار حمل عصاه ورحل الا حينما تصبح الشعوب جميعها تحت ظل
نظام اشتراكي ويحس الانسان في أي بقعة من بقاع الارض أنه ليس فرد
ضمن مجتمعه بقدر ما هو فرد ضمن كيان المجتمع الانساني كله - بعرف
النظر عن القوميات والدين - فجوهر الانسان هو في كل الدنيا وانما مزقت
عضويته البشرية مصالح مستغلة وسيطرة الانظمة الاستغلاية اللا انسانية
منذ أقدم التاريخ •

ومظهر من مظاهر الاستعمار (اسرائيل هذه الدولة التي صنعها رأسمال
الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ودول الغرب والشرق الرأسمالية لتكون

منفذا الى تجسيد الوطن العربي كسوق لمنتجاتها •

والادب الثوري العربي - في معركة البناء والتحرير - لم ينس مأساة فلسطين ولكنه لم ينظر اليها مجردة بل نظر اليها نظرة تاريخية جدلية وربطها بقوى الاستعمار • ويختلف موقف الاديب الثوري العربي في نضاله ضد (اسرائيل) عن موقف الاديب الرجعي العربي في نضاله ضد (اسرائيل) أيضا • فالادباء الرجعيون يرسلون الاشعار الحزينة النادبة السوداء ويرنون حياة اللاجئين ويتوعدون اسرائيل بالاكساح والتدمير ، بينما الموقف الذي يقفونه من قضية فلسطين هو موقف (تجار) تماما كموقف نوري السعيد وعبداله ويدعون أنهم من أبناء الرسول الاعظم عليه السلام • بينما موقف الاديب العربي الثوري تاريخي متفائل ببرتقال يافا وعندليبها المغرد ، فهم يرون أن (اسرائيل) ليست سوى الاستعمار الغربي فهي اشبه بفرع لشركة رأسمالية في الولايات المتحدة أو بريطانيا أو ألمانيا الغربية أو فرنسا أو غيرها من الدول الاستعمارية ، والثوري اليمني ، أقصد الشاعر - الاديب - اليمني حمل صليب المأساة أكثر من غيره لانه يعيش في وطنه مأساة النظام الاقطاعي (الامامي) والرأسمالي (الانجليزي) ولاجئو فلسطين هم صورة للاجئين اليمنيين في المهجر ولهذا كانت (فلسطين) اشبه بواقع (صنعاء) و (عدن) خلال السنوات المظلمة وكل شاعر يمني - حتى شعراء قصر الامام يحيى وأحمد - تحدثوا عن مأساة فلسطين في بلاط الامام ، وناضل الشعراء الشباب عن فلسطين رابطين واقع المأساة بمأساة وطنهم ، وكان الادباء العرب الثوريون يرون أن واقع العالم العربي الرجعي هو الدعامة الاولى لبقاء (اسرائيل) ولا يمكن القضاء على (اسرائيل) بالخطب الطنانية الرنانة التي نسمعها من الاذاعات صباح مساء ، ولا بالتكيت والسخرية (باسرائيل) لان هذه الوسائل أصبحت (قذرة) وقذرون هم أولئك الذين يطلقونها في الجماهير الجائعة الضائعة العاطلة من العمل الحافية العارية • فقبل التمدق بالقضاء على (اسرائيل) يجب أن يقضي الشعب العربي على مستغليه وعلى المنتفعين باسهم (اسرائيل) في البورصة

السياسية ، فالمأساة كامنة اذن في واقع الوطن العربي الدجال لا في (اسرائيل) والذين يلقون الكلام على كواهنه هم المتنفعون بوجود (اسرائيل) فكيف يمكن لبعض الدول العربية أن تقاوم (اسرائيل) وهي تحت سيطرة الاستعمار الغربي ؟ ان الشعب العربي الكادح هو الوحيد الذي سيحرر فلسطين حينما يصل الى الحكم لانه وحده الذي يحسن بالمأساة ويتألم لها .

موقف الادب العربي من مأساة فلسطين :

كسابق المسيرة في البحث سنحدد بالنصوص موقف الادب - الشعر - في اليمن من مأساة (فلسطين) وسبق القول أن الشعراء في اليمن - جنوبا وشمالا - لم يبخلوا بحروفهم في سبيل فلسطين فالشاعر محمد محمود الزبيري وهو من شعراء المدرسة الاتباعية - نظم قصائد كثيرة في فلسطين ومنها القصيدة (في سبيل فلسطين) التي أخذناها نموذجا لشعراء المدرسة الاتباعية (كأحمد المروني - وابراهيم الحضرائي ، ومحمد عبده غانم ، وزيد الموشكي وعبدالكريم العنسي الى آخر القائمة) والقصيدة في ذاتها انشاء رائع للالفاظ وفيها الوعظ ، والخطبة ، أي أن الشكل هو كل شيء بينما المضمون تقريرى انشائي ولتر :- فهو يبدوها كالاني :

مراجل في أثير الشعر تضطرم وصيحة في سماء الحق تحنم
وضجة في صماخ الدهر صاحبة لها بكل بلاد مسمع وفهم
ويطول الانشاء ويطول القصيد حتى تتحول القصيدة الى خطبة :
يا قادة العرب والاسلام قاطبة زوموا فقد طال بعد الصبح نومكم
شيدوا لنا في سموات العلى حرما نظوف حول ثرياه ونستلم
فهو يخاطب قادة العرب ، ولم يخاطب الشعب ، ومهما كان فان وجدانه قد نار لهذه المأساة وأدى واجبا قوميا ، ولكن الشعر كان مجردا من عمق المضمون ، فقد اعتمد على الحماسة والارهاص اللفظي ، ويختلف هذا عن الشاعر الشاب عبده عثمان الذي يمثل الجيل الثوري الحقيقي والذي يعتبر مأساة فلسطين مرتبطة بالنظام العالمي الاستعماري فهو يربط

قضية فلسطين بقضية الكونجو رامزا (بلومبا) ومعركة الجزائر ، وباليمن ،
بل بالانسانية الكادحة ففي قصيدته (من أرض الاله والعبيد) وقد كانت
نتيجة لتجربته في أوروبا الاستعمارية يقول :

لا (يمني) وجدتها هنا
ولا سمعت صوت نائر
وبرتقال (يافا)
وعندليبها المهاجر
حكاية قد أغلقوا عليها
نوافذا ، واسدلوا ستائر
كم شوهوا (لومبا)
كم هتفوا بالموت للجزائر ،
يا غربتي يا وحشة الضمائر
في عالم غريب
وليس من يرثيه غير عابر
أما الالى في الظلام تاهوا
قد جهلوا ما لليل ما وراء
أضاعهم من فوقهم اله

وفي قصيدته (غزة المنتصرة) ويرمز بها لفلسطين لم يشر الدهس
ويلبس الحداد بل قال :

أي عين لم يمت فيها البريق ؟
لم يزل بعد منارا في الطريق
ورؤاها تتسم
من عبير الشمس ما يحدو خطاها
أبدا ما روع الليل سناها
لا - ولا الغيلان يحتل رباها
أي اصرار حداها

حين تحلم
دون قبر ، أو على اصداء مأثم
تحت سقف يتهدم
أو بخيمة
كل ما فيها تكالى
وريتيم وريتيمه
ومساء يتجهم
أبدا ما توج النجم جبينه
أى اجواء حزينه ؟
أى قلب خفقت فيه الضغينه
أنت (يا غزوة) يا من تهزين
بعذاب اللاجئين
وعويل الامهات
لتظل الكبرياء
وتظلمن سما
ويدمن سجن (عكا)
ويدمن (بيت لحم)
رفعت نحو السماء
لتظل المعركة
تفتح الباب الكبير
ويعود الغرباء
ومصايح الديار
لحقول البرتقال
فمتى يحمر أفق ؟
ويضيء الليل رشاش وبرق !
وعلى أبواب (حيفا)
قبضة سوف تدق !

ولم تكن المأساة لدى الادباء مأتما يتوارثونه كما يتوارثه السياسيون العرب ، بل كانت وقعا اليما على وجدانهم فبدأوا يفضحون السياسيين الذين تاجروا (بفلسطين) وقبضوا ارباح تجارتهم من المستعمرين ، وقصيدة الشاعر العراقي خالد الشواف (يا ساسة العرب) تفضح الساسة العرب وتعريهم أمام الشعب العربي بتآمرهم على فلسطين ، ولقد صنع (خالد الشواف) القصيدة في وضع كان الحكم الاسود الاستعماري في العراق أشد جبروته ولكنه لم يرعبه جبل المشنقة ولا سوط الطاغية (نوري السعيد) وعبداله وفيصل وبريطانيا) كما صنع البياتي والجواهري والسياب وهلال ناجي وكاظم جواد وكاظم السماوي والرصافي وعدنان الراوي وجميع شعراء العراق الثوريين ، ويجدر بنا ان نلاحظ أصالة الشعر العراقي والسوداني خاصة أقصد الشعر الحديث ، فشعراء العراق يتمتعون بجرأة حاسمة وقصيدة خالد الشواف هي نموذج لشعراء العراق في مأساة فلسطين وفي (ديوانه) لفلسطين كثير كثير كغيره من شعراء العراق ، بل ان الشاعر عبدالوهاب البياتي قد أصدر ديوانا كاملا عن مأساة فلسطين وهو ديوانه (المجد للاطفال والزيتون) وخالد الشواف لم يشتم اليهود كما يصنع السياسيون العرب بل رجع الى الواقع العربي وأبدى السبب الحقيقي للمأساة :

الى م نشكو الى الدنيا ظلانتنا
وكيف نستصرخ الايام حاجتنا
ان المؤامرة الكبرى مديرة
بالامس كانت فلسطين قضيتنا
ياساسة العرب سقيتم شعوبكم
ملاتمو مسمع الدنيا بجمعجعة
ان الشعوب اذا ضاقت بواترها
ماذا تقولون للتاريخ ويحكمو
للمسألة
ولم يسمنا سواها البؤس والنكدا
وهي التي دفعتنا أن نمدا يدا ؟
فان طوتنا فلا بعث لنا أبدا
والقدس في يومنا والباقيات غدا
من كرمة الخور القتال ما فصدا
جوفاء ليس لها في العالمين صدى
فما تقوم الا باليد القودا
اذا بعار الليالي جدت الابدا
يؤكد خالد الشواف ما سبق ان قلته ان الخطب الجوفاء لن تحزر فلسطين وحتى الان لازلت معتقدا ان بواتر الشعوب فقط هي التي ستحزر فلسطين .

والشعراء الشباب في الوطن العربي كانوا وما زالوا أكثر وعياً لقضية فلسطين التي تمتد جذورها الى كل (دكان) من دكاكين التجار العرب والاستعماريين على السواء ، وفي قصيدة الشاعر اليمني سعيد الشيباني (مقابر ومنابر) صورة لهذه المأساة ، على لسان لاجئ ، يفرد من أعمال مقبرته مبشراً بالصباح :

اني أغردا من اعمال مقبرة أضحت خيوط المنى حولي نعاينا
هذي خيامي بقصر ما لها وتد تمضي مع الموت حيناً والبقا حيناً
(يافا) طوت سفرها أيدي اليهود وما زالت بلابلها الصداح تشجينا
اني ذكرت هنا (يافا) وما بيدي غير القوافي وما جدوى قوافينا
(بغداد) أورأس كم بالقلب من كلم كمثل (عكا) كمثل (اللد) تدمينا
فيها الملايين قتلى تلك جيفتها تروى الى الدهر والدنيا ما سينا
تلكم (فلسطين) قلبي ، انها كبدى تناهشتها ضباع الغرب في (سينا)
راياتنا لم تزل سودا منكسة على جباه الدنى تحني مواضينا
ما نصر (صنعاء) أو وهران ذو أثر ولا انتفاضات نهر النيل تسينا
مأساتنا في فلسطين التي ذهبست أوراق ريح وطارت من أيادينا
لن يسلوا البن في حقلي ولا غنبي وبرتقالك يا (يافا) ينادينا
يستجد الماء من قفر بلا مطر والرمل ما أنبتت يوما رياحينا
اني لعنتك (يا بلقور) من كبد الحقد في صلبها أضحي براكيينا
كنا نصدق ما قلتم وما ذهبست منا فلسطين الا من تصايفينا
قلتم لنا أننا كنا ملائكة فلتعلموا أننا صرنا شياطينا
الله أكبر (يا يافا) اذا برزت منا النيوب اذا سلت مواضينا
انا سنجعل من جناتهم مقرا فليسقط الجذب ولتزهـر صحارينا

وكثيرون هم الشعراء الذين يمنحون الشعوب مشاعل الثورة ويفضحون محترفي السياسة الدجالية .

تلك نماذج عن معركة الادب في البناء ، وكذلك كان الادب فسي معركة (السويس - الجزائر - اليمن) وكل الحركات التحررية في الوطن العربي .

ولسنا في حصر مواقف الادب في المعركة ، ف شعراء فلسطين
 (كفدوى طوقان ، و ابراهيم طوقان و هاشم رشيد وغيرهم) ناضلوا
 بحروفهم الشريفة ضد شراسة الاستعمار الغربي في فلسطين ومثلهم
 اكان الادباء العرب في كل الاقطار ، ولا يخلو ديوان شاعر مهما كان
 اتجاهه وموقفه - من اسماء خالدة (كبور سعيد - وهران - بغداد -
 صنعاء - دمشق - عدن - عمان يافا - الخ) بل ان الادب العربي قد
 تعدى حدوده القومية مع مناضلي العالم ضد العبث بقيم الشعوب ومكاسبها
 الحضارية والشاعر اليمني كاي شاعر انسان ناضل مع (لومبا) من
 الكونغو ، ومع كاسترو في (كوبا) ومع نوار افريقيا في (ماو ماو) و
 (أيوكا) في قبرص ، ومع اليابانيين في هيروشيما ونكازاكي ومع نازم
 حكمت في تركيا ، ومع (ديان بيان فو ومع جميع الثوار في العالم .
 ونستطيع ان نقول بجرأة أن الادب العربي الثوري هو طبيعة
 الكادحين العاملين طبيعة الشعب ذي المصلحة الاولى في الثورة وتأخذ
 مواقف الشعر اليمني في النطاق القومي والانساني فقد عاش الشاعر اليمني
 - كأي شاعر عربي ثورة وانساني - في كل معركة من أجل الانسانية .
 الانسانية .

الجزائر :

ثورة الجزائر كأي ثورة وطنية ضد نفس العدو العالمي ، عدو
 البشرية ، الاستعمار ، والاستعمار متعاقد متضامن في جريمته وعدوانه
 ضد البشرية وكان موقف الادب العربي من ثورة الجزائر موقفا مشرفا
 لدى جميع الادباء الثوار في كل اطار العروبة وكان الشعراء اليمنيون
 من طلائع الشعراء والادباء في الوطن العربي والشاعر اليمني لطفي جعفر
 أمان ، وهو يرزح تحت ظل الحكم الاستعماري ويصرف النظر عن
 موقفه الاجتماعي فان ثورة الجزائر قد هزت اعماقه وفرضت عليه وجوده
 ويبدو ذلك في قصيدته (كانت هنا أرض) وهو يقصد ان الاستعمار
 حركتها في شعوب الدنيا مثبتة أصالتها ويصور في هذه القصيدة ليل
 الفرنسي كان يعتبر الجزائر فرنسية متحدية قدرات القوميات التي تنمو

الاستعمار المتهاوى من قمم (وهران) الى الجحيم ، جحيم الثورة العربية
الجزائرية :

الليل يسعل ، يسعل الليل المريض
في صدره المسلول تخنتق الخرائب والطلول
وجيئه الازرق الضخم العريض
معصب بيد الافول
سبت دروب الموت في احشائه نار الحروب
الليل يسعل في انهيار
وترش نيران الردى في وابل من بعد وابل
ومن العمالقة الحديد قوافل تزجي قوافل

فرغم أن الشاعر لطفي جعفر أمان رومانسي ذاتي غير منفعل لوجدان
شعبه في اليمن بل انصرف الى ذاته وتوقع فيها فان ثورة الجزائر وبور
سعيد لم تجعله هائما بل اجبرته على اتخاذ موقف ولو كان في نظرنا موقفا
شكليا ، والشاعر محمد الشرفي لم تمنعه اسوار الامام (أحمد) ومسانقه
من تمجيد بطولة (الجزائر) رابطا جيروت الشعوب العربية متى ما
انفجرت بها الثورة ويصف الجماهير الثورة حينما تريد التغير الفعلي في
مجتمعا فلا تلوذ الى الخطب بل :

وتلممت حقدا وضجت ثورة
وبطولة رمت الحواجز جانبا
وتشوتا ضما ن يعتصر الضحى
فأنت أنت قصيدة مسجورة
بطل تحرك كالعواصف وارتمى
وبدا على التاريخ مجد امشوقا
يا للبطولة كيف تزحف ماردا
واذا تحركت الشعوب تحركت
وتكشفت ونباتها عن أمة
والشعب بركان هدوء جراحه
لا تقهر الاغلال شعبا أنه

غضبي وهبت جحفل استشهاده
ومضت تشق مناقب الابعاد
دربا لفجر كفاحه المتهادى
غنى بها دهر ورنم شادى
قدرا يهز شوامخ الاطواد
وهبته للأجيال كف جواد
تجتاح كل معاند ومعادى
صور الابا ومواكب الامجاد
لا تستكين ولن تلين لعادى
ومض الخلاص ودفقة الميلاد
أغنى من الاغلال والاصفاد

حقا ان الشعوب لا تقهر أبدا وان قهرت مساء فان انتصارها محتوم
في الصباح ، ولعبده عثمان وسعيد الشيباني وابراهيم صادق ، والبردوني
قصائد ثورية في الجزائر تعيش كل لحظة من لحظات كفاح هذا الشعب
العربي الجبار .

كل شيء مترابط والشعر العربي مترابط في مضموناته بالواقع
العربي والانساني ولعل ابرز ما في الادب العربي اليوم هو موقفه الصلب
ضد اعداء الانسانية سواء في الوطن العربي أو غيره ، ولعل الاستعمار كان
الموضوع الرئيسي للادب العربي لان جميع الكوارث في الوطن العربي
وجميع الشعوب المستعمرة انما هي نتاج لهذا الاضطراب الخيب ، أنه سرطان
البشرية ، ويظهر هذا في الشعر أكثر منه في أي فرع من فروع الفن ، وفي اليمن
يعمل الاستعمار اليوم كل ما يستطيع في سبيل أن يحارب الجمهورية العربية
اليمنية وان يجزء الجزء الأكبر منها وهو ما تسميه بريطانيا (بالجنوب
العربي) ولكن كما كانت وهران قلعة ضد الاستعمار الغربي فان (ردفان)
هي قلعة ضد الاستعمار الاوروبي أيضا خاصة الاستعمار الانكليزي ،
والشعراء الشباب سواء في الجنوب أو الشمال كالشاعر عبده عثمان وهو
في طليعة الشعراء الشباب والذي يتزعم معركة التجديد في الشعر اليمني ،
وفي قصيدته (ردفان والقرصان) يضع موقفه من الاستعمار في وحدة
ملتحمة بحركة الشعب العربي وقضايا الانسان المعاصر ضد الطبيعة
والاستعمار :

كانت الساعة لا أدري

ولكن

من بعيد شدني صوت المآذن

ذهل الصمت تداعت في جدار الليل ظلمة

وتمطي في دمائي حب شعب ،

ثم اقمي في عروقي جرح أمه

واطلت عشرات الاحرف الحمراء ، اسراب القوافي

مد بحر لا يحد

قاعه قلب ووجد
صب فيه من زوايا الامس حقد
والصدى أى حريق
أبدا لن يستريح
لم أسلها لم أقل من أى غاب قد أتيت
أى انفاس حملت
كنت أدري ،
ما على (ردفان) يجرى
كنت أدري
ان اخواني وأهلي
أذرع تحتضن النور وأرواح تصلي
في طريق الراية الخضراء والشمس الاسيرة
وربيع ذات يوم كان في شبه الجزيرة
يملاً الدنيا شذاه وعبيره
تم ماذا ؟ كيف ضاع ؟
كيف أضحي جنة خلف البحار
رن كأس ، نغم في ليل بار
ومبان شاهقات فارعه
آلة دارت على الزيت وأين ؟
ياترى آباره مستنقع
كيف باعته سلاطين الفجور
وعبيد اللهو واللذة في تلك القصور
حدثينا
يا جبالا أطرقت فوق حقول قاحلات
وبيوت مستضامة
حدثينا
قد قتلنا آلهات الظلم أحرقنا أساطير الامامة

فلماذا تترك القرصان واللص المغامر
 يفلق البحر الذي دفع الجيل اليه (ذونواس)
 ينشد الفرسان في البحر اذا ،
 لم يعد في الارض خيل وأناس
 كيف لا كيف السكوت
 ما الذي يحيا (با أوراس الجديد)
 مالذي فيه يموت
 يا شهيدا قبره كل البيوت
 كنت حلما بالماقي
 وأينا يتلوى في السوافي وصريرا في القيود
 ومسيحا في الصليب
 ان تكن قد اكلته ، نهشته كل أحقاد اليهود
 انه مازال حيا يمنح الناس وجودا في الوجود
 آه ما أكبره
 تنبت الافراح للناس دماه
 وخطاه
 تطلب الموت ليحيا أبدا حرا سواه

ان موقف الشاعر اليمني الثوري - مثله أي شاعر عربي ثوري -
 لم يعد يتقوقع بحدوده الاقليمية أو القومية بل قد تعدت نظراته الى افاق
 الانسانية المرتبطة بقضية انسانية شعبة اليمني وامته العربية ، فمأساة
 المسيح في روما هي نفسها مأساة انساننا اليمني الذي شدد الاستعمار
 جبروته عليه في الجنوب واوجد له خلايا داخل الشمال المستقل ، ومثلها
 مثل مأساة انساننا العربي في (يافا) فاليهود الذين صلبوا المسيح هم الذين
 اليوم يصلبون وطننا فلسطين وكانت علوج روما تعينهم وتستخدمهم لقتل
 الكادحين المسلمين واليوم تستعدى بريطانيا - وكل الدول الاستعمارية
 العملاء من الشباب والشيوخ ومن ذوى السلطة •

ولكن الادب الثوري يعتبر قمة احساس الكادحين لا يترك لها
مجالاً للتافهين العملاء المأجورين ، أدب الثورة وأدب الحياة ، والادب
الثوري هو الذي يؤمن بالتاريخ ويؤمن بان المجتمع هو ثمرة لهذا التاريخ
وهو الحقيقة المطلقة في الواقع الذي يعمل على تسخير الطبقة لمنفعة المجتمع
في كل الكون ولكون الاستعمار هو العدو الجذر في كل الشعوب وما
الرجعية والعملاء والمنتفعون والمرزقون الا فرع له فان الادب الثوري
يناضل هذا (الجذر) ويعمل بكل امكانياته لقلعه من وجود البشرية في
سبيل تحقيق انسانية هذه البشرية .

وفي قصيدة الشاعر سعيد الشيباني (عندما نقرأ التاريخ) صورة
لنضال الانسان ضد هذه القوى العاشمة وصورة أخرى للقوى المجتمعية
المناضلة في سبيل تحقيق بشريتها كخطوة اولى نحو انسايتها العالمية السامية:

برك الدماء تسيل في أرضي نهور
فلتصفي يا أجيال ، صيخي يا دهور
الشعب في (ردفان) بركان يثور
يردى بليل العاقبين
القادمين
من (غرب اوربا ومن بحر الشمال)
من تركه (النورماند والسكسون)
يا وارثي (جنكيز) يا لطخات أحفاد المغول
يا سارقين (الهند) في الماضي وجوز الهند في كل الحقول
راناهبي (هونكونك ، فارموزا ، وشطان الخليج)
يا قاتلي (عشترت) يا غيلان وديان الشعوب
اعلامكم ديست بأقدام الحفاة الثائرين
في كل فج من فجاج الارض ، أقدم الحفاة الثائرين
(ماوماو ، بيانفو ، والجزائر ، والبوير ، وبور سعيد)
يا عاصفات الموت هبي في ربوعي فالحياة

في كل تل من ربي شعبي لهيب ،
ياأبي على الغرباء أن يطأوا التراب
ومزامر الرعيان في القمات صور
(الياذة الاخدود) تعزف والقبور
أيعود (أبرهة) ليقطلع النخيل ؟
أتنكس الاعلام في وجه الدخيل ؟
أسقوط (ردفان) الابية يشتهون ؟
الشمس أقرب أن تنال
من صخرة جدباء في (ردفان) نالوا المستحيل :
الموت يرقص والمدافع والزخوف
(أقبال حمير) تستضيف الموت تسخر بالسيوف
صرخات (ذى يزن) تدوى ، تستجيش الجن من ليل الكهوف
الصور ينفخ والطبول تدك أعماق الجباب
إن يستضيف الموت صفا من صفوف الشعب
هاجت من مقابره صفوف
ان الجحيم هو الجحيم
يا بيض اوربا ويازرقي العيون
يا ناهبي اللقمات من أفواه جوع الجائعين
يا مطفئين الشمع في أكواخ شعبي ، والقصور
سرجتموها من دموع الشعب الوان النيون
وزحمتوها بالبقايا الشقر في لون الخمور
أطفالكم كالزهر يرقص في منازلكم يفوح
أرضتموهم دمع اطفال القرى المتناثرين
عبر الازقة ، والذباب
يقتار، أقذاء العيون
شوهتم التاريخ والتاريخ حتما لن يكون

في صفكم يا أيها المستعمرون
مأساة (غاندى ، والفرات ، وبور سعيد)
شطان (يافا والجموع اللاجئيين)
مكتوبة بالاحرف السوداء في جبهاتكم لطخات عار
« أوراس لومومبا (انجولا) ، ديان فو ، والقلاع الشامخات
كجبال (ردفان) أفقت من سبابة
صبحا والقت في قلوبكم النضال
(استاد روما) وصمة الانسان ثمة لا يزال
يروى لنا مأساة (عيسى) والجموع الطيبين
يا لصالين يسوعكم ، أين الوصايا العشر
أين تراثكم يا سافحون
كلمات (برنارد شو ، وراسل ، أو وصايا شكسبير)
اني لاصق في وجوهكم وأبصق في وجوه ،
القابضين أكفكم السائرين
في دربكم
من لانمى الجزمات منبوذى بلادى التافهين
إني أنادى من قم المذيع نوار الجنوب
لستم وحيدى الصف ، فالكلمات قد اضحت سيوف
والشعر لن يصمت
ولن تلقى على اشعارنا غلف السدوف
نظم المدائح في الملوك وفي القصور
ولى وجاء الشعر حراكي يقول
يا صانعين الخبز يا بؤساء فلاحي الحقول
يا أيها العمال والزراع والشعراء والمتسولون
يا بائنين بلا حصير والبطون بلا طعام
متزملين البرد والعمات اشواظ الهجير

واذا صرختم بامجير الصبر
اجبتم لا مجير
من أجلكم من أجل أطفال القرى المتواضعات
من أجل غيد الحي بسماوات الحياة
من أجلهن وأجلكم نحن احترفنا الشعر ، من أجل الحياة
انا سنضع من حداث

من حداثكم أروع الكلمات ان شعرا تقول
وكما أن للرجعية والاستعمار في كل شعب من الشعوب مفكرين
وادباء يدافعون عنهما بطرق ملتوية - ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب - كذلك
كان الحال في اليمن ، فالنظاميون للمدائح في الرجعية وفي الاستعمار لم
يترك لهم الشعر الثوري مجالا يجولون فيه بل فضحهم وفضح اسيادهم
ويظهر هذا في نفس قصيدة الشاعر سعيد الشيباني حينما يوجه كلماته
لنظامي المدائح اولئك الذين يتلونون تحت كل وضع اجتماعي بشكله
الظاهر بينما هم مخلصون لاسيادهم كأخلاص الادباء الثوريين للكادحين
المستغلين فيقول :

اني أدوس قصائد الشعراء من اشعارهم يسترزقون
شعر المدائح والمراتي الكاذبات
يا ناظمي الشعر في الاسياد في الامراء في مدح القصور
تلکم قصائدکم لعنتکم بها ولعنت تجار الحروف
الشعر للبطش من شعبي وللمتواضعين الزاحفين
عبر الجبال يشدهم طلق الرصاص على الدخيل
وبشدهم للحقل اشذاء التراب
انا نخلدهم سطورا مثل آيات الزبور)
تحكي الى الاجيال من باتوا زراذيرا واضحوا في مراكزهم
صقور

احفاد (خالد والمثنى ، والرشيد)
وسفين (طارق) في مداركهم تصارع في الخليج

فموقف الشاعر من الشعراء أو بالأحرى شعراء البلاطات الذين جعلوا
من شعرهم مهزلة مضحكة ويرى الشاعر سعيد الشيباني أن شعر - ان جاز
أن نسميه شعرا - المذائح ليس سوى تحديد موقف الشاعر من الشعب
فالشاعر الذي يمدح الجلاد والسفاح انما يقوم بشحن سكاكين الطفافة لذبح
الجماهير الكادحة التي يعيش مترفو القصور وزبائنتهم على أكل لحم
الجماهير وشرب دموعهم كأسات خمر ويتشدقون باسم الجماهير ويعود
الشاعر الشيباني ليقول لشعبه ، دافعا كلماته للجموع النائرة اليمن المختلة
الجنوبية :

يا صوت شعبي في فلا (ردفان) خفاق النشيد
قم واكسح الطغيان اني حل - في يمني السعيد
لن تسمل الابصار في أرضي ولن يلوى الحديد
غضب التحدى الشامخ العملاق في شعبي العنيد
يا كاسحات الموت ، يا غضيات اقبال (السعيدة)
دكي سدود المستحيل وتركة الماضي البليدة
فمتى ؟ متى ؟ كان الغزاة العور أسياد الشعوب
تبا لهم ؟ الحقد كالجمرات يلهب في القلوب
لن يخدعونا اليوم كالماضي كما خدعوا (أخيل)
انا سنسحقهم بعقر الدار في تل وبيد
اني لكم يا ايها المستعمرون ؟
ان ترهبونا اليوم يا عور العيون
انا عرفناكم ذئابا أينما جاءت تصيد
اني لكم يا اخطبوط الموت
مصاصي دماء الكادحين ؟
اني لكم ان تخدعوا البسطاء والبسطاء سور من حديد
اني لكم - في قرنتا العشرين - يا سافحون
(بقميص عثمان) مشحط بالدماء ، وحصان (طروادة) جديد

فالسمة الجديدة للادب العربي الثورى في جميع الاقطار هو النضال من أجل الكادحين من أجل الذين كانوا دربا طوال ملايين السنين يمشي عليها طغاتهم منذ العصر العبودى حتى عصر الرأسمالية واليوم تحاول الشعوب أن تعيد لنفسها حقها في الحصول على قيمة جهدها المبذول بتطبيق النظام الاشتراكي الذى يعتبر بداية لمرحلة تاريخية جديدة للمجتمع البشرى وفي الوطن العربي يشتد الصراع بين القوى الثورية وقوى الاستعمار والرجعية اللتين تستغلان مجهود الانسان العربي لمصلحتها وشعراء اليمن الثوريون يناضلون ضد هاتين القوتين باصرار وعناد ، وفي سبيل الثورة ضد هاتين القوتين نجد الشاعر محمد الشرفي يتحد اتحادا هديفا مع الشعاعين عبده عثمان وسعيد الشيباني فيلقون في جبهة واحدة ، مع جميع الشعراء والادباء في القطر اليمني وفي الاقطار العربية الاخرى وقد ربط في شعره وحدة الهدف العربي في سبيل حياة فضلى للشعب العربي وفي سبيل وحدته الحتمية التاريخية :

(بور سعيد) من انت تاريخ مجد يلتقي فيه (خالد وجميله)
وتغني امجاد (صنعاء بغداد) ويمضي (ردفان) يحضن (نيله)
وتلاقي (دمشق) فيه (فلسطينا) على رعشة الجراح العليله
وطن واحد تلاقت عليه كبرياء النضال تحمي سبيله
صفع الليل صحوه الحر فانهارت أساطيله ومالت قتيه
شاء ما لا ينال فارتد اشلاء من العار مثقلا بالرذيله
(بور سعيد) والجرح يعوى بصدرى اين منا رؤى الصباح الطفيله
أين منا عروبة تشمخ اليوم وفي أرضها وجوه ذليله ؟
وبقايا مستعمر يخنق النور على بسمة الشفاء الجميله
أين منا (ردفان) يشرق بالدمع وتستنزف المعارك جيله ؟
و (فلسطين) شهقة في ضلوع المجد حيرى وتمتمات طويله
ودم الناثرين أحلام تأر صاحب لم نزل نحس عويله
ودموع المشردين أراجيح التباع واغنيات ثقيله
يبدو أن الادب اليمني كنموذج للادب في الوطن العربي - الثورى

لم يعد سلبيا ذاتيا بل غدا موعولا لهدم الاستعمار والرجعية ويتحد الادب العربي شعرا ونثرا - الثورى منه - في الهدف نحو التحرر والوحدة والاشتراكية هذه الشعارات الثلاثة التي غدت مطلبا شعبيا قويا لكل الشعب العربي وموقف الادب العربي الثورى من المجتمع العربي الجديد موقف صلب يهدم تركة الماضي البليد ويضع فجر الكادحين العمال من أجل حياة حرة شريفة لكل مواطن .

وقد حاولنا في هذا البحث أن نلقي أضواء على موقف الادب في معركة البناء والتحرر العربي وكساد الاقتصار يكون على الشعر اليمني - حيث لا يوجد في اليمن من الادب سوى الشعر - والتقصي الكامل في موقف الادب العربي ليس مستحيلا ، ولكن خشية من اختلاط الامور وتشعب البحث ركزنا ما استطعنا التركيز على الادب في اليمن ليعطى صورة للادباء العرب عن الشعر اليمني في المعركة رغم الظروف التاريخية القاسية التي عاشتها اليمن تحت ظل الرجعية والاستعمار .

والتي لا تزال تعاني الكثير من المآسي من هاتين القوتين السفاحتين ولا ندعي صحة أو كمالا في هذا بل هو مجهود متواضع في سبيل هدف سام كما اتنا لا نزعم أننا قد التزمنا ما يمليه علينا موضوع الاختيار من فروع البحث المقرر دراسته في مؤتمر الادباء العرب الحالي وهو الفرع الثاني (الثورة والادب) وقد التزمنا بوضع بعض الشواهد من شعر الشعراء العرب كنماذج للادب العربي وركزنا البحث في الشعر اليمني ولا سيما الشعر الثورى الذى لم تحده حدود اقليمية أو قومية بل انطلق الى الانسانية ذاتها معتبرا الشعب العربي ضمن انسان العالم ، وكانت نفرتنا للشعر اليمني من زاوية الالتزام الثورى ، ونرجو ان نكون قد وفقنا بعض الشيء في الاسهام في ميدان البناء الفنى العربي الذى يعبر عن وجدان الشعب العربي وعن اشواقه نحو الانسانية ونحو تحرير الانسانية من الاستعمار والاستغلال ودفعه الى الحب والصدقة والسلام .

سعيد الشيباني
من وفد اليمن

مُحَمَّدُ الْعِيدِ وَمَلَامِحُ مِنَ الْمَأْسَاةِ الْجَزَائِرِيَّةِ

بقلم

صالح خرفي

مأساة وشاعر (١) :

مع بزوغ القرن العشرين أطل على الجزائر شاعر ، صادف المأساة في ذروتها ، فانغمس في أحداثها وهو دون العشرين ، وتجاوب معها تجاوبا أفقده بسمة الحياة ، وسلبه نضارة ربيع العمر فانعكست الصورة على حياته الخاصة حتى اليوم . فتزهد الشاعر وترهب ، واعتصم (بمحرابه) ورمى نفسه بعيدا عن صخب الحياة المادية ، بينما ارتدى بروحه ووجدانه في صميم مأساة شعبه .

كان الشاعر ابن عشرين سنة يوم التقى نظرة على حالة شعبه ، فارتد الطرف خاسئا وهو حسير وتلاشت نضارة الشباب في ذبول الحياة البائسة ، وصوح الزهر في مهب الهواجر ، واندثرت الحياة الخاصة بآمالها الغضة ، في الحياة العامة بآمالها الغضة ، في الحياة العامة بآمالها المضنية . وحل العزوف عن الحياة محل الاقبال عليها ، واليأس منها محل الامل فيها ، واكتسى الشباب الوارف ، سمة الشيخوخة البائسة .

ان الحياة في الجزائر أصبحت سجلا متابع الصفحات ، متلاحق

(١) ولد محمد العيد في بلدة (العين البيضاء) شرقي الجزائر سنة ١٩٠٤ . قضى سنتين في جامع الزيتونة بتونس ، ورجع منه وعمره عشرون سنة ، وقضى حياته - أمدھا الله - معلما حرا في مدارس (جمعية العلماء) . ترجمته في : شعراء الجزائر في العصر الحاضر . محمد الهادي السنوسي ج ١ المطبعة التونسية ١٩٣٦ .
محمد العيد رائد الشعر الجزائري الحديث . ابو القاسم سعد الله . دار المعارف ١٩٦١ .

السطور بالآلام والمآسي ، يتصفحها محمد العيد فلا يلبث أن يقول :

سئمت على شرح الشباب حياتي	سئمت ولم أملك علي بُياتي
سئمت وان كنت ابن عشرين حجة	حوادث لا تنفك مستعرات
وأقرأ من آي الشقاوة أسطرا	على صفحات الكون مرسمات
فسطر عياييل أمضهم الطسوى	عراة على لفح الأثير حفاة
وسطر أيامي يضطرخن توجعا	من البؤس لا يفتأن مكتبات
وسطر يتامى مرهقين ، تكبهم	على جرف البلوى يد العثرات
وسطر شيوخ كالأهله شبيب	وهل شبيهم الا نذير وفاة
وسطر مشائيم غرار أذلة	يسامون بالأرزاء والنكبات
وفوقهم سطر من الخلق كله	جناة لعمر الحق فوق جناة
جناة يرى الرائي من الليل مسحة	على سطرهم والظلم كالظلمات ^(٢)

ونعثر على لوحة شعرية أخرى قائمة الالوان ، داكنة الظلال ، ذات زوايا
لا يحصيها العد في المجتمع الجزائري في أوائل هذا القرن :

قف معي اليوم في الجزائر واسبر	غور أحوالها بعين وأذن
تجد الطفل في الأزقة يلهو	والفتى يشرب الخمر ويزنى
تجد الطفلة اليتيمة تشقى	تحت خدر تنوء ، أو تحت خدن
أو لدى البيض نصرورها وقالوا :	أدركتها يد المسيح بحضن
و (النيابات) أسفرت عن مأس	بل مواس تحدها كالمسـن
كاذبات البريق من كل خـب	يعد الناس باطلا ، ويمنسى
والمشاريع والشرائع ، والآ	داب ، والكتب والنهي في تعسني
ومن اللسن في المجامع ، والاقلا	م ، في الصحف شر طعم وطقن ^(٣)

(٢) القصيدة في (شعراء الجزائر) .

(٣) القصيدة في مجلة (الشهاب) ج ٣ م ٩ مارس ١٩٣٣ .

وتفرغ ريشة الشاعر لزواية من زوايا المأساة ، تجلى معالمها وتقرب
أبعادها ، زاوية الفقر والبطالة المنفسية ، الفقر المفروض على شعب خيرات
بلاد في يد المحتكر الدخيل . زاوية الخطي المتعثرة هزالا واعيا ، على
أرض الكنوز الزاخرة والخيرات الفياضة . قصة اليد الصناع ، والفرص
المؤودة . الفكر الخلاق والابواب الموصدة . مأساة مصرع الجزائرى
المجند دفاعا عن العلم المثلث ولفذات أكباده المخلفة للفقر والضياح :

كم ضارب منهم في الارض منتشر
وعاطل صنع الكفين ، مقتدر
ومستغيث وجل الناس في شغل
وساهد لم يجد ضوءا لمنزله
وعائر الجد لم يظفر بمنتشل
وناكل واصلت تدب البنين ، فما
وأيم ويتامى حولها اصطرخوا
قالوا : متى الصبح ان الليل ازعجنا
قالوا : متى الاكل ان الجوع أحرقنا
قالوا : وأين أبونا كيف أهملنا
الموت طار به كالنسر مختطفنا
بني مات أبوكم ، لم يدع أنرا
ما حاول الرزق الا اعتاص وامتعا
مهما أتى معملا عن بابه دفعا
عنه ، وطاو وجل الناس قد شبعنا
الا الفؤاد ذبالا والحشا شمعا
حر ، يقيل عثارا أو يقول : لعا
قلب لها حن ، أو طرف لها دمعا
في الليل واصطرخت من بينهم هلعا
قالت : وماذا يفيد الصبح ان طلعا
قالت : اذا منح المعروف من منعا
قالت : به وقع الامر الذي وقعا
والموت طاح به كالسيل مقتلعا
الا الاماديح بين الناس والسمعا^(٤)

ويعتصم الشاعر بمحرابه ، محتجا على الحالة التي تسود شعبه ، لا
يفادر المحراب الا لمحفل قومي يقوم فيه منشدا ، أو جمعية (خيرية) ينبرى
فيها مهيبا ، أو الى مدرسة (حرة) يتصدى فيها لتعليم ناشئة لفظها
الاستعمار في أرفصة الشوارع ، تنوء كواهلها الغضة بصناديق مسح
الاحذية ، وتحدودب ظهورها من الاقعاء أمام أرجل السادة البيض .

(٤) القصيدة في مجلة (الشهاب) ج ٢ م ١١ ماي ١٩٣٥ .

وفي جوف المحراب تلاحق الشاعر المنزوي أشباح المأساة ، فكل
شبر في الجزائر ناطق بها مشير اليها ، وكل فتر في الارض الجريحة
مسرحة لها ، وقبل ذلك فالمأساة تنبع من قلب الشاعر ، تصطبغ بين ضلوعه ،
فأين المفر ؟ انه جهاز مرهف للالتقاط والارسال في آن واحد فليس
في مقدوره الا أن يكون الصورة الصادقة لما يكتنفه من أجواء .

استأجر (محمد العيد) ظاهر العاصمة الجزائرية ، بيتا له في سفح
(جبل باب جديد) لعله يجد في سكون الطبيعة ما يبدد صحب الحياة ،
وفي بسمتها ما ينسي الواقع المتجهم ، ولكنه فتح شبك غرفته ذات صباح ،
فقال لنا :

هذه قصيدة وضعتها متأنرا بمشاهدة فقير بائس ، لا يزال في مقبل
العمر ، يأوى في أكثر الليالي حينما يجن عليه الليل الى (جبل باب جديد)
الذي تشرف عليه نافذة غرفتي ، وفي العراء وتحت أديم المساء يقضى الليل
كله :

بدا لعيني ناعس ناعس	على الثرى ، في الصبح بالي الثياب
جات على الركبين ، حاني الحشا	والظهر هاوى الجسم ذاوى الشباب
فهاج من حزني ومن لوعتي	كما يهيج النار عود الثقاب
ورحت من شعر الى عبـرة	والشعر والعبرة جهد المصاب
وقمت أدعوه على رأسه	لعلني أحضى بعض الجواب
يا أيها الآوى الى حفـرة	في سفح طود عند ملقى الشعاب
يا أيها الهاوى على وجهه	تحت أديم الجو فوق التراب
يا أيها الملم في طمره	كالقنفد انهالت عليه الكلاب
أنومك الآن خداع لنا	أم لك ؟ أم أنك صلب صلاب
هل أنت الا بشر مثلنا	أم أنت جن زال عنك الحجاب

ويفقد المنظر مدلوله الضيق ، ليندرج في مدلول اوسع ، وتكسي
الحادثة المحدودة تموجات لا نهائية في خضم الحياة الصاخبة ، وتبخر

في نظر الشاعر اللمساة الحسية للمنظر ، ليناجي المأساة في اوسع نطاقها ،
وأعمق أعماقها ، ويجعل التاعس التاعس عنوانا صغيرا لها :

طواك عسف الدهر في حفرة بجانب الطود كطي السحاب
وملت مثل القوس موتورة بنبلها ، مشهورة للضراب
منكس العنق الى الارض ، من همك ، والههم مذل الرقاب
كأنما شخصك رمز لنا فيما تلاقى من صنوف العذاب
كأنما عينك في سهدها عين لنا راصد كل باب
أبعد ما روعتني مصبجا يلذ لي الطعم ويحلو الشراب^(٥)

ويبدو أن المأساة المريعة التي تخبطت فيها الجزائر كانت أفسى من
أعصاب الشاعر الحساسة وان الحياة الخائقة كانت أضيق صدرا من أن
تتحمل نفسا يتردد في صدر شاعر ، فاستحال الانزواء بأسا ، وآلت الإقامة
في المحراب الى برم من الحياة كلها ، وتعلقت النفس بالرحيل ، وأصبحت
الثلاثين عند محمد العيد ، تساوى الثمانين عند (لبيد) :

ان الثلاثين التي ناهزتها رسل الي من البلى ووفود
فعلبك يا عهد الشباب تحية فيحاء ما تلت العهد عهد^(٦)

ويلح الشاعر في التساؤل عن الرحيل :

طال المقام بنا والدار موحشة متى الرحيل بنا من هذه الدار
يا مانع الصفو أن تروى به كبد حيرتنا بين ايراد واصدار^(٧)

(٥) (الشهاب) ج ١١ م ٦ ديسمبر ١٩٣٠ .

(٦) (الشهاب) ج ٨ م ٩ جوليت ١٩٣٢ .

(٧) (الشهاب) ج ٩ م ١١ ديسمبر ١٩٣٥ .

ليل بهيم :

وخيم على (البيضاء) ليل من الاستعمار بهيم وأناخ الاستبداد
بكللكه على الارض الطيبة وتناول الدخيل على الشعب الاعزل بسلاحه
الفتاك ، وضأت الدار بأهلها ، ونعتت الغربان عليها :

وأغرب خطب هالني خطب موطن لنا ، منعه الشمس أسراب أغرب
كما حبست عنه الرياح ، وعارضت له دون سيل القطر من كل مسرب
بأجنحة سود كان خيالها ظلام بليل قاتم الوجه غيها
فيالك فردوسا تحولت دمنة وياوحشتا من أغرب فيك نعب
وياوحشتا من محنة نكبت بها سلالة (مازيغ) وفتية (عرب)^(٨)

واذ أصبحت الحياة ليلا ، فلا بدع أن يغدو الشاعر في ظلماتها أعمى ،
يواصل قرع عصاه لعل رحيفا يأخذ بيده :

دينا على ليل الحياة وطوله حتى يشق من الصباح عمود
ظلمات امك يا جنين كيفية شتى ، وامك يا جنين ولود
صبرا على ليل الحياة وطوله حتى يشق من الصباح عمود
من مات لاريب استهل ، فلا تخف الموت دنيا ، واللحود مهود
يا موت خولت ابن آدم راحة ما بعد جودك لابن آدم جود
في القبر نزل طيب ، وكرامة كبرى ، وظل وارف ممدود
والناس أظهر في القبور جلبة ولو أنهم رمم هناك ودود^(٩)

ولاريب ان الليل كان أشد وطأ من ليل امرى القيس ، فرمى في
أحضان هذه الافكار القائمة ، ولاشك ان المأساة هي الاخرى تمطت

(٨) القصيدة في (الشهاب) ج ١ م ٨ جانفي ١٩٣٢ . و (مازيغ)
بن كنعان بن حام اليه يرجع أصل البربر في الجزائر . انظر (كتاب
الجزائر) أحمد توفيق المدني ص ٩٧ ط ٢ دار المعارف ١٩٦٣ . وانظر
مجملا لآرا المؤرخين في أصل البربر في (تاريخ الجزائر في القديم والحديث)
مبارك بن محمد الهلالي الميلي . ج ١ ص ٥٣ ط ٢ بيروت ١٩٦٣ .
(٩) القصيدة في (الشهاب) ج ٨ م ٩ جولييت ١٩٣٣ .

بصب ، وأردفت أعجازا ، وناءت بكلكل • فقد أمتدت الى خنق الانفاس ،
وكم الافواه والوقوف بالمرصاد لكل رعشة تسرى في جسم الشعب ليقوى بها
على النهوض فكان هذا الشعب قدر عليه في حكم المستعمر أن يكون
لحما على وخم :

أرى الانفاس مرهقة بجـو
يدوي بالوعيد دوي رعد
أيوثق بالاداهم كل كـف
فمها يا زمان البغي مهـلا
رحى المهجات أنت فكم تقاسي
ووفقا منك بالانسان رفقا
لماذا توضع الاسداد ضربا
كمثل الغاز يوسعها بخنق
ويومض بالردى ايماض بـرق
ويوطأ بالمناسم كل عنق
فقد أعا كواهلنا التلقي
بك المهجات من سحق ومحق
فما هو للهوان بمستحق
على فمه ألم يخلق لنطق^(١٠)

واذ أصبحت الحياة الجزائرية جحيما ، يذكي المستعمر زفيرها ،
وانسدت سبل العيش أمام سالكيها ، وبلغت القلوب الحناجر ، فلا مناص
من تلمس اللقمة ولو بين فكي الاسد • وكانت فكرة الهجرة الى فرنسا •
بوكان العامل الجزائري وهو يرمى بجسمه المنهوك تحت رحمة الفولاذ
في مصانع فرنسا ، انما يردد : فداوني بالتي كانت هي الداء •

غير أن الهجرة بدورها محرمة على الاهالي ، ممنوعة على العامل
الجزائري • فقد أراد المعمر أجيرا مسخرا له ، يموت جوعا فوق أرضه
الزاخرة بالكوز ، حتى تكتمل الصفقة الرابحة على حساب عرق المواطن
ودمه وحياته^(١١) •

ولكن الجوع استبد بالامعاء ، وتضورت منه أفراخ زغب الحواصن ،
لا يملك عائلا الا أن يرمى بنفسه في الجحيم ليفتك لقمة عيش فلذات

(١٠) القصيدة في (الشهاب) ج ٥ م ١١ أوت (اغسطس) ١٩٣٥ •
(١١) أصدر قانون منع الهجرة الى فرنسا من شوطان وزير الداخلية
الفرنسية آنذاك • وتاريخ صدوره ٨ أوت ١٩٢٤ •

أكباده ، فأصبح سفر العامل الجزائري الى فرنسا (عملية تهريب) يسرجه
به في بيت الوقود في الباخرة ، حتى لا تقع عليه عين الرقابة . يحدوه
الامل في أن تكون فرنسا من وراء البحر غيرها في الجزائر ، في ان تكون
(الام الحنون) وفيه لتبنيها في رد بعض الجميل اليهم . ومن خلال الآمال
البراقة المغربية تخف وطأة الحجارة الجهنمية في الدرك الاسفل من
الباخرة . غير ان الحياة القاسية لا تمهل العامل حتى يلامس واقعية هذه
الآمال ، أو يضع رجله على مرفأ مرسيليا .

فقد سافر أربعون عاملا جزائريا سنة ١٩٢٦ الى فرنسا في بيوت
الفحم والوقود في باخرة (سيدى فرج) هارين الى فرنسا ، فاختق منهم
أحد عشر عاملا تحت وطأة اللهب ، ووصل الباقون بين الحياة والموت .
ويقدم لك الحادثة المريعة محمد العيد ، بآمالها المتصاعدة المتهاوية ،
بظلالها الزاهية القائمة . بما كان يساور الشعب من حسن ظن في فرنسا
وليدة الحرية والاخاء والمساواة :

قسا البلد الجريح وضاق ذرعا	بهم ، فتميموا البلد الرحيا
وقالوا . ان في باريس عيشا	يروق غضاضة ويلذ طيبا
وقالوا . انها تسلى المعنى	وقالوا . انها تأوى الغريبا
وان لها من الحسنى لحظا	وان لنا من الحسنى نصيبا
ألسنا المخلصين لها حضورا	ألسنا المخلصين لها مغيبا
محضناها المحبة واغديننا	نطارحها التفرز والنسيبا
ولينا مهيب الحرب ، لمسا	أهاب بنا فأرضينا المهيبا

ولكن موجة الامل تصطدم بصخرة الواقع المحطم لكل أمل ،
الواقع الاسود الذي يطارد الجزائري حتى في عرض البحر الابيض :

فسدت في وجوههم النواحي مسالكها ولم ترحم حيبا
وقامت ضجة في الغرب كبرى تصب عليهم النقد المريرا

فكم من قائل أخشى وحوشا
وكم من قائل أخشى زنوجا
فقل للقائمين على فرنسا
وقل للقائمين على فرنسا
جسوم في (فروش) مجدلات
وأجسام ممزقة الحشايا
حديد (فروش) يفريها شظايا
وصب عليهم المقدور سوطا
فحسبك أيها الخطيب المفاجي
فأبكيك الهلال به وطسه
فسر في ذمة التاريخ خطيبا
تدب بأرض باريس ديبيا
تبيح القتل ، والذام المعيا
أنبيوا وارتأوا رأيا ليبيا
تعالوا فاشهدوا الخطب العجيا
تعاني تحته الغاز الرهيا^(١٢)
تكاد لها النواصي أن تشيا
وعزف (فروش) يبكيها نحيا
من الارياح يستدري (عسييا)
لقد أشهدتنا اليوم العصيا
وأبكيك ابن مريم والصليا
رهيا في مسامعا مهيا

ويلتفت الشاعر الى (الام الحنون) ، الى القطة آكلة أبنائها ، يلتفت اليها في حساب مرير ، وعتاب أمر ، وذلك جهد المقل ، وأضعف الايمان:

فيا (ظئر) الجزائر ، يا فرنسا
تناويك العواصم وهي تصبو
ويا ولد الجزائر • من حماها
ولا تخشس الوقاع بها ، فاني
أيجدر بالجزائر أن تخيا؟
اليك ، فهل شهدت لها ضريبا؟
وكن تبرا بساحتها أرييا
رأيت الله مطلعا رقييا^(١٣)

وطوى الجزائري الامعاء على الطوى ، واكتفى من العيش بالصباية ، وولي وجهه وجهة أخرى ، ربما وجد فيها بعض العزاء ، ذهب يتلمس طريقا يبلغ بها صوته الى الحاكم المستبد يرفع بها حشرجه عليها تصادف التفاتة من قساة القلوب • وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار •

(١٢) (فرش) لغة في (فرج) ، بالفرنسية .

(١٣) القصة والقصيدة في (شعراء الجزائر) .

فطلعت (النيابات الاهلية المالية) افقا لامل جديد ، وتخيّل
المواطن (النائب المالى) مسمعا لصوت تصامم عنه المستعمر ، وتوسم فيه
مندوبا عن وفد أوصدت في وجهه الابواب فأيده بالنفس والنفيس ، وعززه
بأصوات دامية • فلم تكن الانتخابات في الجزائر - بدسائس الدخيل -
الا مسرحا لسفك المزيد من الدم الجزائري ، وكانت ميدانا للصراع بين
المستعمر المزيف ، والمواطن الذى يدلي بصوته تحت دوى الرصاص ،
وبين النظرات الشزراء من جلادى الانتخابات ، أملا في أن يرفع على
الاكتاف مخلصا أمينا في ابلاغ صوت الشعب دون تحريف أو تمويه ،
صلبا في ان ينضم هو الاخر الى مسرح العرائس التى يرقصها المستعمر •

ولكن الانتخابات الفرنسية الميئة للجزائر ، كانت أبعد نظرا ، فقد
أريد لها ان تكون مضرب المثل في التزييف ، وان تذهب مثلا شرودا في
المجتمعات الدولية • وكانت المعارك الانتخابية الدامية التي يخوض غمارها،
لا تساوى عند المستعمر أكثر من صندوق من الاوراق الميئة يحل محل
الصندوق الحقيقي •

فاذا (بالنيابات) هى الاخرى وبال على الشعب ، واذا ب (النواب)
من صنائع المستعمر يتقدمون باسم الشعب ، ليكملوا روعة المأساة ، ويمثلوا
الادوار التي يملئها عليهم ساداتهم :

أفدني برأى في النيابات هل حوت أساود في قاعاتها ، أم وسائدا
فيا نائبا ناب البلاد بحادث فخلف شعبا قائما فيه قاعدا
على أي ظهر كنت سوطك منزلا وفي أي نحر كنت سيفك غامدا
وما لك ترغى في النيابة موعدا ألم تك من قبل النيابة واعدا
ويا مجلس النواب ، انك قاطع يدا - كنت منها - لو تبينت - ساعدا^(١٤)

(١٤) القصيدة في كتاب (محمد العيد) • أبو القاسم سعدالله
ص • ٢١٠ • دار المعارف • ١٩٦١ • قيلت القصيدة في سنة ١٩٢٢ •

أما وعود فرنسا التي تسخو بها أحيانا ، فلم يكن يقصد بها الا تهدئة الموقف ، والحد من غلواء الهيجان الشعبي ، وقد يقصد بها استرضاء الشعب واستدراجه لمساعدة الدولة في أزمة ماسكة بخناقها . كالوعود التي تطلق عادة عند تجنيد الجزائريين للحروف التي تخوض فرنسا غمارها لقد كانت هذه الوعود بمختلف صيغها ومناسباتها برقا خلبا لا يحمل للارض الجدياء الا التعلل بالاماني الكاذبة ، وان من أعمق الاسباب في فقد الثقة في فرنسا ، وعودها التي لم تكن ذات مدلول في يوم من الايام .

قال محمد العيد :

ما للحقوق الينا غير واصلة	وقد سمعنا بها من منذ أزمان
هل عاقها البحر عنا ، فهي عاجزة	عن قطع ما فيه من لج وشيطان
أم راقها البحر حسنا ، فهي سابعة	تلهو بما فيه من در ومرجان
أم ألحقت ببنات البحر ، فاحتجبت	عن كل قاص من الرائين ، أودان
ياباحنا ممعنا في كشف حالتنا	الى متى أنت في بحث وامعان ؟
الى متى أنت منا خائف حذر	كاننا في البرايا (جنس غيلان) ^(١٥)

وبقدر ما كانت هذه الوعود مجالا للتذكير المتوالي من المواطنين المتعطش الى بصيص من واقعتها ، كانت من جانب فرنسا ميدانا للمراوغة والمماطلة ، ومثارا للمكامن المكبوتة .

يا (وفد) ذكر فرنسا	عهدا تقادم عهدا
قل . مسنا الضر قبلا	وخاتنا الصبر بعدا
متى تفين بوعد	يا أعذب الناس وعدا
لا بد أن تمنحينا	ما لا نرى منه بعدا
فكم وسعناك برا	وسعته اليوم ججدا
وكم ظلمنا ، فقاتنا	لعل للظلم حدا

(١٥) القصيدة في محمد العيد ص ٢٢٢ .

فخففي الحجر عنا انا نضاهيك رشدا
 انا نقاضيك ديننا قد آن أن يستردا
 حقا لنا منك يقضي لانهمة منك تسدي^(١٦)

ويمتد نفس المظل ، وتحد معه صيغة الاستفهام ، حتى أنك تتخيل
 وراء كل نقطة استفهام بركانا ينذر بالانفجار :

متى توفي الوعود؟ فقد مللنا متى توفي الوعود
 أصابتنا الجوائح والرزايسا وأعوزت المرافق والرفود
 حنت أعناقنا الأغلال ظلمنا وحزت في سواعدنا القيود
 وأعلنا المظالم والشكاييا فأخفتها الدسائس والكيود
 وأنقضت الرؤوس لنا هزوا وانكارا ، وصعرت الخدود
 ألم نوسعك في العظمى جهودا ألم تحم الحمى تلك الجهود؟
 فما هذا التجاهل والتناسي وما هذا التكر والجحود؟
 فسوسى المسلمين بكل عدل وخلقى ضيهم فهم الاسود
 لهم في مقلب الايام شأن به يتمخض الزمن الولود^(١٧)

وينزع الشاعر عنه ثوب الوفاق ، ويخلع عنه رداء الانغزال ، ليواجه
 فرنسا في حساب عسير ويتطور من الاستفهام الى مكاشفة الحساب ، ومن
 التساؤل الى الاقرار ، ومن الرجاء الى ما يشبه الامر الصارخ :

ليس حقا ، أن تحرمى الشعب حقا لقي النار دونه والحديد
 ليس حقا أن تستريحى ويشقى ليس حقا أن تسكنى ويميدا
 ليس حقا أن تستجدي ، ويبلى ليس حقا أن تخلدي ، وييدا
 يا فرنسا • ردي الحقوق علينا وأقلي الاذى ، وكفى الوعيدا
 نحن رغم الطغاة في الارض ، أحرا ر ، وان خالنا الطغاة عييدا^(١٨)

(١٦) القصيدة في المرجع السابق • ص ٢١٣ • قيلت بمناسبة سفر
 الوفد المنبثق عن (المؤتمر الاسلامي) الى فرنسا سنة ١٩٣٦ .
 (١٧) القصيدة في (الشهاب) • ج ٦ م ١٣ • أوت ١٩٣٧ .
 (١٨) القصيدة في (الشهاب) • ج ٤ م ١٢ • جوليت ١٩٣٦ .

خلق جديد :

أصبح لزاما على الشعب ان يعيد النظر في نفسه وان يقطع الامل في أى اصلاح لحاله يأتيه من فرنسا ، وراح يتلمس بين جنبيه نفسا عصامية ، تبعه من جديد في دنيا المتناقضات وتخلقه خلقا جديدا في حياة دخيلة كادت تعمى كل المقومات الاساسية للشعب ، وتطمس معالمها .

فانجحت العناية الى بعث الذاتية الصميمة ، واذكاه النخوة والاعتزاز بها ، وان أصبحت في مهب العواصف . ان التاريخ القومي الذي أقام المستعمر بينه وبين ابنائه سورا من حديد ، من تزييف للحقائق ، وتشويه للمفاخر ، وغزو لها بتاريخ فرنسا وابطالها . هذا التاريخ يجب ان ينشر من جديد بيد مخلصه وفكر نزيه . ان الناشئة في الجزائر تعرف كل شىء عن تاريخ فرنسا ، وتجهل كل شىء عن تاريخها ، حتى وهنت الرابطة بين النشء واسلافه ، الى درجة ان أساء بهم الظنون :

يا حماة البلاد ، يا فتية الضا
سار أجواركم مع العصر شوطا
أين منكم مهابة واتصاف
لا تقولوا : هان الجدود ، فهنا
في (تلمسان) في (بجاية) في (تـ)
دعموا البر ، دعموا البحر ، بالا
ثم نيطوا من الظروف بمخز

د ، ترى هل لكم من الرأى مغنى
وبقيتم ما بين وهم ووهم
أم سكتتم الى احتقار وغبن
ساء نشء لهم به سوء ظن
بهرت) في (القلعة) ازدهى كل فن^(١٩)
علام ، من منشآت مدن وسفن
وأحيطوا من الصروف بمخن

(١٩) (تلمسان) من أعظم المدن الجزائرية ذات الطابع العربي ، وقد بلغت أوج حضارتها في عصر بني زيان . وفيها يقول الشاعر ابن خميس : (تلمسان) لو أن الزمان بها يسخو منى النفس ، لا دار السلام ولا الكرخ (بجاية) عاصمة دولة بني حماد ، وقلعة العلم أيام ازدهارها . انظر (كتاب الجزائر) . احمد توفيق المدني . ص ١٨٤ .
(تيهت) عاصمة الدولة الرستمية . المرجع السابق . ص ١٩٢ .
(القلعة) قلعة بني حماد . المرجع السابق . ص ٢١٨ .

فاذا العيش حالك مثل ليل
واذا الارض قفرة ، واذا الجو
وتقضى ملك الجدود ، فلم يد
يا لمجد مضيع ، غير مجد
واذا الربيع موحش ، مثل سجن
معنى ، تظله سحب حزن
ق ، بأيدي البنين غير التمني
عض كف عليه ، أو طرق سن

والفخر بالامجاد في دنيا الاستعمار ، دعوى تحتاج الى برهان واى
برهان ، تفتر الى التذكير المتوالي ، فقد علق بالافكار وضر ثقيل ، والتوت
الظنون في عزة الشعب وأصالته ، فاحتاج الصباح الى دليل :

وانا لشعب ، يعلم الله أنه
سليل جدود نابيين ، أعزة
ولكن عنا الحدنان في الشعب طاعيا
فأصبح مغبوتا من العيش مرغما
وغاب عن الابصار، لولا مخايل تلوح
كريم، حصيف الرأي ، مرتفع الكعب
مغاوير شوس ، كالضراغمة الغلب
عليه ، كما تطفى السيول على العشب
على الهون، مرهونا كيوسف في الجب
كومض البرق من خلل السحب (٢٠)

ولا يزال محمد العيد يعزف على الوتر الحساس ، ويجس النبض
يد صناع ، ويلامس القلب بخبرة الطيب الماهر • ويتصب في تحد
وكبرياء بتاريخ وطنه المجيد :

عدمنا الرشد في الدنيا ، كأننا
ولو أنا على الحق اتفقنا
أسبقنا الشعوب الى المعالي
ألسنا بينهم خير البرايا
فلول معارك ، وغواة طرق
لكننا سادة الدنيا بحقوق
ألسنا قبلهم أحرى بسبق ؟
ساحة ملة ، وزكاه عرق ؟

وتحت تأثير هذه الوخزات ، سرت في الشعب رعشة الحياة ، ونشط
من عقال الغيوبة وراح يستجلي معالم طريقه في كل ميدان ، ويناجسى

(٢٠) القصيدة في (الشهاب) ج ٦ م ٧ جوان ١٩٣١ .

آماله بكل لسان ، وانتفض انتفاضة (الاصلاح) لكل مزيف بفعل
الدخيل . يلاحق الافكار المضللة (بالنوادي الثقافية) ويحضن الجيل
المشرد (بالمدرسة الحرة) ويفتح من (الصحافة) ميدانا للصراع العقائدي ،
بين مقومات الشعب الاصيل ، وسموم الثقافة الدخيلة ، وانتصب عملاقا
بمقوماته في مهب العواصف ، أبا بأمجاده في دنيا السخرية والاهانة ، وطاول
زما باللسان والقلم ، وصاول بالصحيفة والمنبر ، فلم تلبث (عصاميته) القديرة
في ميدان القول ، أن فتحت له طريق العمل :

يا قوم • فالعمل العمل	شرع الكلام الى مدى
خزيان ، مختلف العلل	الشعب منحل العرى
تمل ، وليس به تمل	صاد ، وليس به صدى
وفشت بجانبه الجيل	ضربت على يده القوى
وبصبره ضرب المثل	لبلائه ذعر الورى
اليوم من سفه السفل	من للجزائر ، يفتديها
مثل مرهفة الا سئل	يا مشهرين من العزائم
وا الشهب واقتلعوا القل	خوضوا بها الامواج ، واء
قولوا له • المولى أجل ^(٢١)	من قال • جل عدوكم

معجزة تتحقق

وكانت التنظيمات السياسية تعزز في السر ، ما يدعو اليه الاصلاح في
شبه العلن ومهدت الدعوات الاصلاحية الارض لبذر بذور الانتفاض ،
وفتحت الافكار لقبول (بدعة) الحرية والاسـتقلال . وبرزت لفظة
(الحرية) الى الوجود ، ولكن بوجه مقنع ، فالحياة المكبلة لا تحملها

(٢١) القصيدة في (الشهاب) ج ١١ م ٩ اكتوبر ١٩٣٣ .

سافرة • فاكست الحرية اسم (ليلي) ، ورفرفت (ورقاء) تارة ،
 واخرى غردت هزارا • ومن خلال الاسماء المستعارة ، وبلسان العاطفة ،
 ناجى المواطن عشيقته ، وبثها أشواقه ، ولاحقها في كل زاوية ، عله يحظى
 بوصل • ولكن عين الرقيب لا تزال ساهرة ، فأب التائه الجبران يرجع
 الصدى :

أين (ليلاي) اينها	حيل بيني وبينها
هل قضت دين من قضى	في المحين دينها
أصلت القلب نارها	وأذاقه حينها
مذ تعرفت سرها	وتعشقت زينها
روعتني بينها	لا رعى الله بينها
فتعلقت بالطيوف	اللواتي حكينها
وتعلقت بالمنى	فتبينت مينها
ما (لليلاي) لم تصل	مهجات فدينها
وقلوبا علقنها	وعيوننا بكينها
ايه ياعيني اذرفسي	لن ترى بعد عينها
السماوات والاراضي ،	جميعا نفينها
كم تساءلت سالكا	أنهجا ما حوينها
لم يجيني سوى الصدى :	أين ليلاي أينها؟ (٢٢)

ويش الشاعر من العثور على (ليلاه) ، ورضى من الغنيمة
 بالايات وراح يطلب (تورية) أخرى في مناجاتها ومناغاتها ، ويقرب

(٢٢) القصيدة في الشهاب • ج ٧ م ١٤ سبتمبر ١٩٣٨ •

النعوت والادوصاف ، حتى التقى بها (ورقاء) مجنحة ، ولكنه لقاء بعيد فالرقاء أشد ما يكونون تيقظا وحراسة :

ولقد شجت قلبي وهاجت عبرتي
حمراء ، حرر جيدها من طوقها
هفت ، فقت مجاوبا لهتافها
شرقية في الطير ، أو غربية
والهفتاه عليك ، حسنك فائق
من كان في العشاق باسمك ناطقا
قد أحدق الرقاء والعذال بي
عز اللقاء ، ولست منك بيأس

(ورقاء) في شرف بعيد عال
في الورق ، فهي عديمة الامثال
ولحنت عن قصد ، فقلت تعالي
ما دمت واصلة ، فلسنت أبالي
وهواك ممنوع ، ووصلك غالي
فكأنما هو ناطق بمحـال
ويلي من الرقاء والعذال
فلعل بعد البين قرب وصال^(٢٣)

ويوم كان محمد العيد يبت هذه الاشواق (لورقائه) ويستجير من الرقاء والعذال كانت الايام تقرب من ١٩٥٤ . وكان المعجزة الميئة في الفلام تزحف الى قمم (الاطلس) لتحقيق الوصل ، وتجعل اللقاء لقاء خالدا ، وترمي بالرقاء والعذال في عرض البحر من حيث أتوا وتدفع ضريبة لذلك مليون ونصف شهيد . ومن طلب الحساء لم يغله المهر .

فما لبث (محمد العيد) ان عانق (ليلاه) و (ورقاءه) و (هزاره) في علم حر جزائري خفاق .

ويا علمي تحيا على رأس أممي
وتاج لجين شده بزمررد
ويا علمي تحيا بأجواء أممي
تسير على أضوائه مستدللة
ويا علمي اني أرى بك عالمي

شعار كفاح تسحب الذيل بالفخر
هلال شموخ ، زانه كوكب دري
وآفاقها بدرا يتيه على البدر
على الهدف المنشود بالانجم الزهر
بدا بعد ما أخفته عنى يد الستر

(٢٣) القصيدة في كتاب (محمد العيد) ص ٢١٢ .

فأنت حياتي أنت روحي وراحتي
وأنت صدى عزمي وأنت ندا يدي
أحييك من قلبي بما أنت أهله
يذوب اشتياقا للعناق وطيبه
رأك رفيعا فاحتفي بك واكتفى
وراحي وريحاني ويسرى من عسرى
وأنت هدى قلبي وأنت مدى عمري
تحية عذري الهوى صادق العذر
ولكنه مستعصم بعري الصبر
برفع يد حتى اشتفى من لظى الجمر

الجزائر ١٨-١-١٩٦٥

صالح خرفي

كلية الآداب • جامعة الجزائر

من وفد الجزائر

الأدب ومحرك التغيير

بقلم

علي صديقي عبدالقادر المحامى

سيداتي وسادتي :

ماذا يعنى عمل الأديب ؟ هل هو عبث ، فرارا من القلق والضياح والحيرة ، التي تطبق عليه ؟ هل هو ترف لجوانبه الناعمة التي لم يشبعها ؟ هل هو التزام يحرك وجدانه ، يضعه أمام رؤيا يدركها بعينه ، أكثر مما يدركها باذنه ؟

ونستطيع ان نجيب بنعم ، ولا ، في آن واحد ، وهذا لا يعنى الغاؤنا لفعالية أداتي الايجاب والسلب ، ولكن الذي نعيه ، الحد من الاطلاق ، والتعميم ، اللامحدودين في الاحكام .

فاذا كان الادب عبثا بالمفاهيم الخاطئة المعوقة التي تشكل الطفيليات ، والتي تجاوزها العصر ، لتبعدها عن منزلة الصنم المخيف ، الذى يخشاه المجتمع ، ولا يملك الا ان يعبده لانه من مخلفات موروثه .

واذا كان ترفا لا ينسحب ظله البارد على المضمون ، ولا يكون على حسابه ، بأية حال ، بل في خدمته ، ويكون من معطياته الامتاع واللذة ، لاشباع عاطفة انسانية ، بها يجدد الانسان نفسه ، ويفك الاجزاء الصدئة ، من ذاته ، ليطرحها عنه .

واذا كان التزاما ينطلق من رؤيا واضحة ، حرة ، ومن قيمة انسانية ، لها خصوصيتها ومداهم الواسع ، ليقوم بتعريف الاشياء ، وليسقط عنها ما يغلفها من ضباب ، ويعطيها اسمها الصحيح ...

إذا كان كذلك ، وامكن وضع هذه الاشارات ، أمام عمل الاديب ،
فان ذلك العمل يكتسب المناعة ، لخدمة أساننا العربي في منطقتنا هذه ،
وبالنالي ليشق طريقه ، للالتقاء بالانسان في كل مكان من خلال الاداب
الاخري .

وعلى هذا الضوء ، ينتصب سؤالان اذليان ، هل العمل الفني اسلوب
او موقف ؟ وارجو ان تسمحوا لي ان احدد اين اقف الان منهما ، اني
اعتقد ان العمل الابداعي موقف ، وهذا ما يجعله رسالة ، لها بعدها
الثالث ، تستقطب غاية معينة ، وهذا لا يعني اسقاط الاسلوب من الحساب ،
لان الرسالة بما لها من نبل وحرارة ايمان ، فانها لا تعتبر خلقا فنيا ، ولا
ترقى الى مرتبته ، اذا كان شكلها فاقدا للرعشة الابداعية ، المؤدية للدوار
الخفيف اللذيذ ، ذلك ان انبل دعوة اذا تخلف عنها الشكل الفني ، لاتكون
ابدا .

ولا يغني من يقول ان العمل الابداعي ، اسلوب وليس موقفا ، ولا
غاية بعد ذلك ، بدعوى ان الموقف يفتال الفن فذلك غير وارد لان العمل
الهادف لا يتكامل الا اذا احتضنه شكل فيه من دفيء الحياة وجدتها وعطائها .

فدعاة مذهب الفن للفن ، اشبه ما يكونون بابطال من غير ميادين
يجرون خلف الريح لمحاولة معرفة وجه العاصفة هل هو طويل أو عريض ؟
ويتساءلون هل تسترد الشمس ضوءها عند غروبها ويمتص قرصها الشعاع ؟
أو يبقى ضوءها ضائعا بالفضاء يبحث عن قرص اخر للشمس ، بلا حياة
واذا ما توقفوا عن الجري ليلتقطوا انفسهم اللاهثة وجدوا انفسهم وحيدين
تأكلهم العزلة الموحشة التي فرضوها على انفسهم لانهم منفيون من مجتمعهم
يعيشون حياة جانبية .

ان العمل الفني بدون ايدلوجية يكون غير حاضر الا اذا قلنا ان
الشمس للشمس ، وليس لها من وظيفة غير التسلية ، بسعيها بين الصبح
والمساء من المشرق الى المغرب ، اننا اذا نادينا بذلك نكون جردنا الفن من
وظيفته ، التأثير والتفسير والتغيير .

التأثير في المجتمع باعطائه دفعات الى الامام ، تجديدا لطاقاته وتفسيرا لفعاليته .

والتفسير للحياة ليستطيع ان يشق قشرة الاسان للغموض في اعماقه لتعريفنا بانفسنا وللتدليل على وجودنا .

والتغير لاذابة جدران الثلج والقضاء على الرتابة معنا للتحجز .
فالاديب وسيلته التي يتعامل بها مع غيره هي الكلمة التي يغمسها في مطهره ، في دواته ، ليزيل عنها الشوائب التي علق بها عبر القرون والاجيال ، فتخرج شابة طرية كانه خلقها لساعته ولم تستعمل قبل اطلاقا والاديب الاصيل تحس بكلمته تولد امامك ، وهي تقفز وترقص بين عينك واذنك فلا تصدق ان تلك الكلمة استهلكتها العصور الماضية بالاستعمال ولا تصدق ذلك لانك شاهدها تولد امامك في بيت من قصيدة في سطر عذراء لا اجمل ولا انظر .

والعمل الادبي ليس هروبا من الواقع الى عوالم الرومانسية الوردية ، وانما هو اكتشاف للانسان ولعلاقته باشيائه اكتشاف لافتة الحياة الكبيرة التي تعلن عن كينونة الانسان ووجوده ، وقضية حضور الانسان او غيابه تطفو على اعمالنا الادبية ولا يكون هناك ادب هادف ، ولا يقف على قاعدة شعبية متخذا من قضاياها خطوطا لفته .

واذا كانت الاصاله تدرك بقدر التعرية والكشف عن الحياة ، فان التغير تغير الحياة وظيفه العمل الادبي لما يحمله من بذور ذات طاقات تفتح مع كل فصل من فصول السنة .

على ان النضال الفني في ميدان الفكر أكبر من ان تضمه فترة او ظرف محددان ، لان خطوته اوسع من ذبذبات الطرفين ، ويظل العمل الفني ينشط خارج الزمن بينما النضال المسلح يضغطه ظرفا الزمان والمكان بحيث يفقد شرفه خارجهما وينقلب الى عمل تخريبي ، في الوقت الذي نجد فيه النضال الفني تجرى خلاله رسالة هي اشرف ما يحمله الانسان تعمل على التجمع والوحدة داخل الجماهير العريضة ، وبقدر ما كانت الكلمة صادقة

وجدت التعاطف وولدت الاستجابات لدى من يحس بانسانيته ومن يملك القدرة على التلقى والانفعال ، وعندما يتفعل المتلقي ، فانما يلبي حاجاته ودوافعه المضطربة في داخله لتطرح الصدا المتراكم وتبدأ المعاناة الانسانية في هبوبها بما فيها من عذابات تحلو أكثر من مرة تحقيقا لمستقبل تكون فيه الكرامة مطلبا جماهيريا ، معترفا به من الناس كل الناس وعندئذ يذوب التزييف الجماعي ، الكذب الجماعي الذي يملأ تجويفات رؤوس الذين يطمعون في تقسيم العالم ، كما لو كانت البلاد والناس ارقاما جامدة ، توضع في جدول التكتلات في الوقت الذي يسقطون فيه من حسابهم ارادة البلاد والناس الذين يرفضون ان يتحولوا الى ارقام في جدول ، وهم غير مستعدين لاهدار وجودهم وكرامتهم وحرمتهم لان الغاء شخصيتهم أمر غير وارد باية حال انهم اقوى من كل شيء .

والاديب مدعو في مرحلتنا العربية هذه ان يكتف في عمله الفني كل مدخرات الانسان العربي النضالي ، ويختصر كل صفاته الكفاحية ليقدمها في شكل كلمة ، في حرف في اى عمل ادبي الى جماهيرنا التي تترجمها في مرحلتها الانية الى رايات تسد الافق الى اناشيد تهز المنطقه الى نار تغسل ، تظهر فلسطيننا وجنوبنا العربي من ظلال العنصريين والمستعمرين الذين حجبوا عن ارضنا انا الشمس ، لتسطع من جديد كما سطعت مؤخرا بوطن المليون ونصف شهيد ، الجزائر ، لينبت القمح والزيتون والازهار ليلعب اطفالنا فوق تربتنا بلا خوف بعد ان يخفي الموت ولم يعد يطرق كل بيت في الصباح وفي المساء بغير انتظار ليدخل وعلى اناياه الف جوع اصفر لم يشبع بعد يريد دما جديدا ، دم ابن ، دم زوج ، دم أب .

الاديب مدعو لان يعطي معركتنا ضد العنصريين والمستعمرين ابعادا جديدة وقيمة جديدة ترسب في نفوسنا الثقة بالانتصار واكساب النضال روعة الاعياد والاعراس وبالتالي التركيز على الايمان المطلق بان معطيات هذا النضال معطيات انسانية وان جدواها لا يقتصر على منطقتنا ، بل يمتد

الى غيرها ، لانها تشكل تراثا انسانيا وان كنا نحن وحدنا بدمائنا وشهادتنا
نصنع هذا العطاء لان القدر اختار امتنا العربية لهذه التضحية لاننا اصحاب
رسالة •

نعم نحن عرب واصحاب رسالة ، ولكن على صانعي الحرف في
العالم ان يقدروا ذلك ويقفوا معنا يقفوا مع الحرية اتنا نضعهم امام
مسؤولياتهم وناديتهم من فوق هذه المنصة ، بمؤتمر الادباء العرب المنعقد
ببغداد الماجدة ان الحرية لا تتجزأ ، فسرقه وطن بأكمله (فلسطين)
ثم تسليط القواطين العرقية العنصرية على من بقي من اصحاب هذا الوطن
والغاء ارادة وحرية شعب الجنوب العربي تجعل الشرفاء في العالم يقفون
امام انفسهم ، وقد عرتهم هذه التجربة ليقولوا هل هم مع انفسهم او مع
الحرية ؟ هل هم مع الانسان او ضد الانسان !!!
انها معركة مصيرية لا محل لتفريج واحد فيها وعدم الحضور بالمعركة يعني
الغاء الذات والكيونة الحياتية يعني هروب الجندي من معركته الفاصلة •

اصدقاء الحرف العرب مدعوون في مرحلتنا هذه الحاسمة ، لتأكيد
هويتنا العربية باستمراره لمواجهة التحديات وهي اخطر ما واجهنا منذ
انحسار الحرب الصليبية بالهزيمة لا يقاظ النخوة والبطولة النائميتين في اعماق كل
فرد منا ، لاطلاق قدراتنا النضالية المخزونة خلف كل قطرة من دمائنا
لشجب عوامل التيه والتمزق والتشكيك وهي مخلفات الطغاة الاتراك الذين
حكموا ارضنا وهزوا كياننا القومي وحاولوا تفكيكه وتمسكوا وضعنا في
فراغاتهم المظلمة ليحقيق بنا التأخر الفكري ومخلفات الاستعمار الاوربي الذي
الذي عمل على ان يضع على وجوهنا بصماته القذرة ليحولنا الى عبيد كما
فعلت ايطاليا بشعبي العربي بلدي (ليبيا) •

اتنا نقف مع قدرنا المحتوم وجها لوجه فاما ان نكون أو لا نكون اما ان
ندوب ونمحي او يبقى وجودنا تحت الشمس يبسط ظلمنا على ارضنا في
كبرياء ولا ظل لغيرنا عليها •

اتنا مدعون لان نعيش قضايا شعبنا العربي ، ولان نشيد بطولاته

التي تتخذها مصدر ألهامنا ، ولتجسيد النصر في كل معاركه ، كنتيجة
لا شك فيها حتى لا تجد شعارات التعويق والانهازم سيلا الى جماهيرنا
العريضة •

انا مدعون لان نحول قضايانا الى قضايا انسانية عالمية عندما نتحدث
عن فلسطين فنركز على عملية الابداء التي ترتكبها الصهيونية ضد اهل
البلد بسبب التمييز العنصرى العرقى ورفع هذه القضية باعتبارها من قضايا
الحرية التي يتوجب فيها ضمان حرية تقرير المصير لشعب يرابط على
حدود بلاده تحت الخيام ، بعد ان تحول الى فلول من اللاجئين فى لينة
مظلمة سرق فيها الاستعمار القديم ارضه وسلمها للاستعمار الجديد ، يجب
التركيز على ان الصهيونية الوجه الثانى المشوه للاستعمار وبهذا الاصرار
يمكن سحب الارض من تحت اقدام اعدائنا •

ان العمل الفنى ، عمل ثورى من مميزاته الرفض ، وفي محافظته على
ثورته ورفضه ، يضع يده على عالمه كله ، عالم الحركة والانفعال والتطوير
والتغيير عالم الحياة الواسع وادى عمل غني بفقد الثورة والرفض يتحول
الى شىء عادى روتينى مكرور مثل اصوات النواعير الرتيبة وما كان
الابداع الا وليد الثورية والرفض ولا كان هناك تبديل وتحرير وبناء اذا
كانت الاشياء مقبولة على حالتها الاولى •

ان هذا (الانا) فى ذاتى او فى ذاتك لا دليل على وجوده الا بحياته
ولا تكون له حياة الا اذا كان الرفض والحركة من أدواته •

الادب ليس تصويرا فوتوغرافيا للحدث بحيث تكون له عدة نسخ
وانما هو حرث للواقع بحثا من جذور الحياة لتحسس النمو والعطاء لاكساب
الواقع قيمته الانسانية واغناء ضمير الامة بهذه القيمة حتى لا يفصل
الاديب عن مجتمعه وتلحق به آلام المنفى •

اما المعارك التي تتور هذه الايام حول القديم والجديد فى الشعر فهى
معارك وهمية جانبية تستنزف طاقاتنا وتحولنا عن معاركنا الحقيقية ثم
تجمدنا حيث نحن لانها تحسبنا بين ماضينا وحاضرنا ولا تدعنا نطلق للمستقبل

وعبنا محاولة اصدار احكام نهائية ما دامت الدنيا لم تنته بعد وما دام يوم واحد
باق لم يعيشه الانسان بعد فلا احكام نهائية على الفن •

العمل الادبي الاصيل هو الذي يسبق عصره ويبشر بعالم جديد ،
ولن يقول احد ان الفن وجد من اجل الاحكام ، لان الاحكام هي التي
وجدت لخدمة الفن •

تري هل العروض مثلا هو خالق الشعر ، أو الشعر هو الذى صنع
العروض ؟؟؟ وهل كانت ولادة الشعر تاريخيا على يد العروض ؟؟؟ فإذا
كان الخليل بن احمد الفراهيدى هو ابو العروض ، فان ابا الشعر هو
الانسان الاول عندما قال آدم لحوائه ، كلمته الخالدة ، كلمته الاولى التى
التى سالت على شفقيه ومسحتها حواء بورقة شجرة تفاح والتقطت حروفها
الاربعة الازلية الخوالد ، فكانت كلمة : اجبك •

والشعر ككائن حي ، وجهد بشرى خلاق لبناء الحياة يظل في مسيرته
الطويلة بشكله القديم والحديث على ميعاد مع قدره ، مرتفعا عن هذه
المعارك الهامشية ، التى فقدت ميادينها ، ليحيى تجربة امتنا العربية التى
تعرض للتحديات ليظل شعرا ، وشعرا فقط •

المهم ان يكون هناك شعر اصيل ، ولا عليه ان اتخذ شكلا معيناً ،
لاحتضان تجربة ما ، فالتجارب تتالى بلا حدود منذ ارجوزة الشعر وسجع
الشر ولن تتوقف اليوم ولا يوم الناس الذين يأتون بعدنا ، فالاشكال
تلوب مع الزمن الدوار ، والزمن يدور ويدور •

ارجو ان تسمحوا لي سيداتي سادتي بان اتطرق لشعر ليبيا في معركة
التحرير التى خاضها شعبنا العربي الليبي طوال فترة تزيد على ثلث قرن ، ضحى
بما لم يضح به شعب آخر ، ضحى بنصف عده ، كما تدل على ذلك
الاحصاءات ، كانت معاركنا تستحيل الى برك من الدماء ولم تبق اسرة واحدة لم تقدم
الاضاحي للوطن ، كان الاب يشنق مع ابنه ، كانت ليال مظلمة استمرت
أكثر من ثلث قرن لم تطلع فيها الشمس لذلك جاء شعرنا الوطني مجبولا

بجبات ثلاث من الالم والدمع والعرق وادى الشعر دوره في المعركة وكان
وقودها •

كان الشاعر سليمان الباروني ويطلق عليه : رب السيف والقلم ، لانه
ناضل بسلاحه كما ناضل بقلمه فكان مشعل النضال المقدس ، وقد آلى
على نفسه ان لا يحلق شعر رأسه ولحيته الى ان تنتصر ليبيا ، وشاء القدر
الساخر ان لا يدرك فجر ليبيا ، ويموت يجلله شعره الذى تدلى على كفيه
وفوق صدره ، وقد اعطى حياته لوطنه قطرة قطرة الى ان فارق الحياة ،
وهذه بعض ابياته من قصيدة تدل على الاصرار والتحدى تحكي قصة
شعره الذى لم يحلقه حتى مات :

هذا هو الشعر الذي	شهد الحروب الهائلات
وعليه امطرت القنابل	كالصواعق نازلات
خاض المعامع لا يهاب	على الجياد الصافنات
آليت ان يبقى الى	ان يعبر الجند القناة
لنرى الغزاة على ضفاف	النيل تفتك بالغاة
ونرى طرابلس العزيزة	في ليال باهرات
تختال في برد الهنا	بالانتصار على الطفاة
ما بين تهليل وتكبير	وتقديم الصلاة
فيكون عنوان الفتوح	مدى العصور الدائرات
أو هكذا يبقى اذا	لم تنتصر حتى الممات
يامن وعدت المؤمنين النصر	أمنن بالجيابة

والشاعر احمد الشارف ويلقب بشاعر ليبيا وشاعر القطرين طرابلس
وبنغازي كان شاعرا يعرف اين يضع الكلمة ، ويحملها انفعالات جيل
كامل ومن قصائده التي تغنى بها المجاهدون في سهول (ليبيا) وجبالها ،
وكانت تسمع ولا تقرأ لان الشعر في عهد الاستعمار يجرى على السنة

الرواة ويحفظه الناس ويردد خلف الابواب المقفلة حتى لا تكون كتابته
حيثية من حيثيات احكام الاعدام الكثيرة ، ومن قصيدته الوطنية هذه :

رضينا بحتف النفوس رضينا	ولم نرض ان يعرف الضيم فينا
ولم نرض بالعيش الا عزيزا	ولا نتقي الشر ، بل يتقينا
فما الحر الا الذي مات حرا	ولم يرض بالعيش الا امينا
وما العز الا لمن كان يفدى	ذماما ويفنى عليها الثمينا
وما الخزي والعار الا لشخص	الى وطن العز اضحى مهينا
ونحن فروع زكت من اصول	فنجي ماثرنا ما حيننا
لتاريخ عنصرنا في السورى	حديث على صفحات السنينا
اذا قامت الحرب كنا رجالا	الى الحرب ازسخ من طور سينا
ترانا نشاوى عليها كأننا	شربنا بها خمرة الاندرينا
ولا عجب في الوغى ان اتينا	بشيمة آبائنا الاولينا
أيا من يجرون اسطولهم	الينا بالافهم والمثينا
فما ضرنا ان حللتم سطوطا	اذا شطه اكنتم قاصدينا
فكم في طرابلس الغرب ليث	يصون البلاد ويحمى العرينا
وما زاد صرخ المدافع الا	زئيرا لاشبالها الضائرنا

والشاعر أحمد رفيق المهدي ويلقب بشاعر الوطن كان شعره
النضالي يدخل كل بيت مع الشمس ويؤنس المجاهدين في ليالي العذاب
الطويلة الكبيرة ، يستقر شعره في كل قلب بلا استئذان وكان شاعر الوطن
الذي حفظ الشعب كله جميع شعره قبل ان ينشر واين النشر في تلك
الليالي السود؟ وقد واكب مسيرة الشعب يغني له ويعطيه من ذاته ويدوب
الى ان جاء يوم قيل كان الشاعر هنا واصبح في ركب الخالدين *

ومن روائعه الكثيرة قصيدة : (غيث الصغير) يتحدث فيها عن طفل
لاحدى اسر الشهداء بقي على قيد الحياة بعد أن استشهد افراد اسرته

الواحد بعد الاخر أمام عينيه ، فدخل الملجأ فيمن دخل من أبناء الشهداء
وعندما زار الوالي الاستعماري الملجأ أعجب بنباهة هذا الطفل فأعطاه مبلغاً
من النقود وسأله عما يصنع به ، فاجاب الطفل انه سيشتري به سلاحاً لينتقم
ممن قتلوا أسرته ، فاضمر الوالي شراً للطفل غيث ، فدمس له السم في طعامه
ومات ، ونقتطف من هذه القصيدة ابيانا متفرقة :

هو في الملجأ من دون التمامي	دائم الصمت وقارا واحتشاما
واضح الجهد قليلا ما يرى	ضاحكا الا اذا استجيا ابتساما
دون تسع ناحف في صحبة	واستواء كالرديني قواما
قيل هذا دولة الوالي اتى	ليرى في ملجئ البر النظاما
خرج الاطفال واصطفوا له	للحيات هتافا وسلاما
جال يستعرضهم ممتحننا	وهو يختار غلاما فغلاما
ما رأى فيهم كغيث اذ رأى	من ذكاء عجبنا فاق الاناما
خاطب الطفل مليا فرأى	رابط الجأس فصيحاً لا كهاما
عرف الوالي لغيت هممة	ورأى جودا له يحكي الغماما
قال خذ يا غيث هذي مائة	لك لا تسرف وكن فيها قواما
قال يا مولاي سمعا انسي	سوف ابقيا وان كانت حطاما
قال ما تصنع يا غيث بها	قل لي الحق ولا تخش ملاما
قال غيث وبدا الجهد على	وجهه يشبه ليشا او قطاما
ان لسي ثارا اذا ادركته	لا ابالي بعد ان ذقت حماما
لو تحصلت على مال به	اشترى عدة حرب وحساما
أدرك الثارات ممن قتلوا	والدى اني اريد الانتقاما
لجأوا ظلمنا وعدوانا الى	افضع الافعال اذ كانوا لثاما
عادة النذل اغتيال ولذا	جعلوا سرا له السم طعاما
لفظ الاخر من انفاسه	وينادي الانتقاما ، الانتقاما

والشاعر ابراهيم اسطى عمر قد ابدع للشعب من اجل الشعب ،

وتغنى ببطولات وامجاد امتنا العربية بدأ تجاربه وهو عامل الى ان جلس
على كرسي القضاء فجسد الكلمة الصادقة وتخلي عن الوظيفة ليناضل
ويكافح في صف الشعب حيث ولد وعاش وكانت اشعاره بمثابة طلقات
النار فاعجب الناس بالشاعر الذي يطلق النار الى ان مات وهذه ابيات متفرقة من
قصيدة عربية :

الله اكبر والتكبير من دأبي	اذا اعتراني ما يدعو الى العجب
ماجد في الشرق ها اني ارى عجبا	في كل عاصمة عيد بلا سبب
والقوم في كل قطر للعروبة قد	علاهم البشر بعد الغم والنصب
وفي ندائهم تمجيد وحدثهم	وفي قلوبهم شيء من الغضب
الان آمنت هذا العيد بعصمنا	من التفرق او من حكم مقتصب
الله اكبر هذا اليوم للعرب	عيد لوحدهم في القصد والارب
ابناء يعرب هذا العيد مرحلة	قطعتموها فجدوا السير في الطلب
نشيدنا دائما في كل مرحلة	الحق للسيف ليس الحق للكتب

والشاعر احمد الفقيه حسن هو شاعر عربي اصيل نظيف عاش تجارب
بلاده (ليبيا) وتجارب العرب في كل مكان وغنى للعروبة وشجب الاستعمار
وجعل من نفسه شعلة على الطريق لا تخبو يحترق ويضيء ويقول امتي
العربية وبلادى ليبيا ولن يمر العدو وظل شعره يؤكد على الحرية وينادى
بالاستقلال وبقي صوتا جهوريا ترده الوهاد والاوادية صوتا عربيا اخضر
ومن قصيدة له :

انا بني العرب في الدنيا باجمعها	لنا فلسطين دار من أوالينا
مهد العروبة لا زالت لنا وطنا	واننا لم نزل عنها مخامينا
نحمي حماها ولا نرضى بتجزئة	لها ولسنا بحكم الضيم راضينا
قد آن ان يستعيد السيف حجتنا	من بعد ما زيف السيف البراهينا
لم نخش بعد قوى الباغين ما احتشدت	وليس تستطيع يوما كف ايدينا
ان العروبة لاستقلالها طمحت	بهمة دونها سعي المجديننا

والشاعر احمد قنابة حمل شعره بالانفعالات أكثر مما يحتمل في كل بيت من شعره قصائد كاملة هو شاعر صامت ولكنه يترك شعره يتكلم دائما مؤمن بالعروبة حتى عظامه نادى بالحرية والاستقلال ووصل صوته أعماق الشعب ومن شعره :

ندب عن العروبة والعربين	الا هبوا بني وطني وديني
يمينكم امد لك يميني	الا هبوا الا اتحدوا ومدوا
عهودا من وثائقها حينني	ولا تهنوا فتنهزموا وتنسوا
على اعزازنا في كل حين	فجامعة العروبة لن تواني
ولا كنف الكنانة بالمهين	فما وطن العروبة كهف ضيم
وجل بنيك في حصن حصين	أجامعة العروبة انت ام
كيوم النصر وضاح الجبين	أجامعتي أطل عليك عهد
اهين وكل شعب مستكين	فهبي كي نحرر كل قطر

والشاعر بشير الجواب كل ما فيه شعر ، لقد ولد شاعرا وكأنه المسؤول وحده عن مشاكل العرب فحملها على ظهره ، ويقول انا عربي ، ودمي ان لم يكن عربيا ، فلا حاجة لي به يعني الشعب بقصائده الطويلة لانه التقطها من أفواه الشعب ، عاش كفاح الامة فحول دماءها وعرقها الى ابيات من الشعر ، فيقول :

أتصفو الليالي ويحلو الزمن	بفسح المجال وبعث الوطن
ولسنا نبالي بكل الاحسن	فسوف نوالي جهادا يشن
يدوم النضال ومهما يكن	وطيس النزال فلسنا ولن
نعود لخالتي زمان وهن	بعزم الرجال يعيش الوطن

والشاعر رجب الماجري هو شاعر استطاع ان يحول الكلمات الى وزن نعم يتمثل فيه التمرد والرفض حيننا وحيننا آخر يرضى على كل شيء

وحتى على شوك كل شيء أيضا ، يحمل نفسه والكلمة للناس كل
الناس ومن شعره يندد بعجوز الاستعمار :

ليهنك موطني عهد جديد	طوى الاذلال مطلعته السني
ليهنك ان تكن طلقت حقا	عجوزا وصلها حمق وغى
سياستها لرائدها طريق	مضل ذو شعاب لولبي
فهذا الشرق وهو اليوم نار	مؤججة بصحبتها شقى
فلا يغردك ان وهبتك مالا	زهيدا كل ذى غرض سخي
تجود لغاية تسعى اليها	خداعا فهو جود اشعبي
اذا جر الرفاه الى قيود	(بحسبك من غنى شبع وري)

والشاعر علي الرفيعي كتب للناس وأعطاهم ما عنده ولكنه لم يعطهم
كل ما عنده أكل عذاب الكلمة ولم يشبع وشرب الحرف ولم يرو هو
شاعر يسكت حيناً ويتفجر حيناً آخر ، ويفضب من شيء ومن لاشيء ولكنه
لا يفضب على قرائه وقد كتب الشعر التقليدي والحديث لا يهمه من
الشكل الا ما يتعاطف مع تجربته كشاعر ومن شعره :

باسم العدالة سوف احطم ما ينبت
باسم الكرامة والحقوق الضائعة
بالكبرياء تنور في جرحي الخضيب
باسم الدموع وضيفة العرق الصيب
باسم الضنى والكدح والحق السليب
باسم المتاعب والمواقع والاسى
وضراوة البرد العصيب
وحرارة القيظ المذيب
ستشب نار البغض في مخضل هاتيك الربوع
ماذا جنيت من التسامح والرضا

غير الجحود وخيبة الجهد المضاع
والضيم والعرق المهان
قد كنت بالامس الحقود
عبدا أجير

لكنني ابدا سارجع مالك الارض الكبير
فالان أعلنت المواجه صرختي
من أجل حقني في سبيل كرامتي
وغضبت واسترجعت من حرיתי
من بعد قيدي بعد علقم ذلتي
فانفت مجاي الوضع
وسئمت ضعفي واندفعت بجراتي
وصرخت في وجه الدخيل المحتكر

أما الشاعر علي صدقي عبدالقادر وهو انا المتشرف بالحديث اليكم ،
فماذا أقول لكم عني فهل انصفوني ؟ أم ظلموا انفسهم ؟؟؟ لست ادري ؟
فماذا أقول لكم عني قالوا أنني شاعر فهل انصفوني؟ أو ظلموني؟؟ أم ظلموا
انفسهم ؟؟؟ لست ادري ؟ فماذا أقول لكم عن نفسي؟؟ لا اعرف ، صدقوني
لا أعرف ، الا انني اود ان أقول لكم انني احب الاطفال والجمال وخيوط
المطر ووجه أمي وبلادي •

هل هذا يكفي؟؟ اعتقد ذلك وهذا بعض من شعري :

اليكم كبار بلادي
تحمل أمي يدي رسالة
بها دفقة من حليب الرضاعة
ودمعة
بليل طويل ، وتهويم شمعة

بها قصة ، تاريخنا ، مختصر
وتسألكم عن مجيء الربيع
وعن حارس اسمر فوق أسلاكه الشائكة
وأصبع يمناه فوق الزناد
متى تضغط الاصبع الجائعة ؟؟
لاكل الزناد
لاجل نداء الحدود
حدود فلسطينا
وتسأل عن ساعة الصفر ، تصلب فيها الفلال
وتطلق فيها الرياح الحبيسه
وتسألكم أبتني
متى يا كبار بلادى نعود ؟؟
الى دارنا
ففيها تركت العرائس ، واللعب الضاحكة
لاني سأرجع
متى يا كبار بلادى نعود ؟؟
فهلا سمعتم نداء التراب
وهلا رأيتم ما آذنا عند كل مساء
هناك ؟ تطل عليكم
تداول تغمس في قرص شمس الاصيل
اهلها وهي بالدم تقطر
تعيش على أمل العودة
وترقب عبر الأفق
ولادة اعلام يوم الخلاص
واذرع قافلة العائدين

ايها الملائم الكريم ، ارجو ان أكون قد وفقت ، ومعذرة لزملائي
الشعراء في ليبيا غير المذكورين لانني لم استطع الحصول على نماذج من
شعرهم وانا احزم امتعتي على عجل لضغط عامل الزمن علي الذي وضعني
في ظرف ضيق لدرجة انني كتبت هذا وانا اضع قدمي على طريق السفر ،
ولكم يا قادة الفكر في هذا المؤتمر مني التقدير .

يا من تجتمعون هنا على صعيد الحرف المضيء ، ببغداد الخالدة
لكم من صناع الفكر في ليبيا تحية عربية

وشكرا والسلام

المحامي علي صدقي عبدالقادر
عضو وفد ليبيا
جادة عمر المختار ١٦٣ طرابلس - ليبيا

(انتهى)

دور الأدب في معركة التحرر والبناء في الوطن العربي

بقلم

الشيخ في عامر محمد المهدي الجزوب

أيها السادة والسيدات والآسات ،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،

كنا هنا في الزمان المتقادم ، وكنتم هناك في السودان ، فاذا تغيرت
الالون فما تغير الجنان ولا اللسان ، فباسم اللسان العربي البناء كنا وما زلنا
مرابطين في اعماق افريقية ، وقد اعطيناها فأعطتنا ، ونحن البشراء فيها
بحضارة عربية افريقية في السودان •

ان موضوع البحث حي متحرك تدعو الى النظر فيه دواع شتى عاجلة
في فترتنا الراهنة ، الا انه عريض شاسع الاطراف قد تضع في المعالم اذا
أخذ على النطاق العالمي ، أو يبعد به المدى عن حياتنا وتقاطع وجوهنا •
فالثقافة النظيفة في مراحل التاريخ جميعها دفعت المجتمعات دفعا الى مراقى
الحضارة ، وأرغمت القالمين على افتتاح الطريق لمواكب الشعوب سواء
كانت هذه الثقافة دينية او فلسفية او ادبية فنية او علمية او مزيجا من
هذا كله غير ان معالجة الموضوع على هذا الاساس زيادة على ما قدمنا
تبرر مسلمات لا يرتاب فيها الا جاهل ولا يشكك فيها الا معاند او صاحب
مصلحة واذا اخذ البحث على النطاق العربي الكبير فانه ايضا ربما قرر
مسلمات وكشف جديدا تلتقى فيه الوفود فيصبح مكروها مرددا • ونحن
وان كنا جميعا اصحاب منزل واحد الا انا كل واحد منا اكثر علما بما
يدور في حجرته الخاصة لهذا فضلنا ان نبرز جهاد الثقافة العربية في
السودان ما لاق من عقبات وما حقته من نصر وما تبشر به من حضارة •

وإذا كنا أكثرنا من الاستشهاد بالشعر فلأنه اللون الغالب في السودان
والطعم الشهى المستساغ عند سكانه العرب فهو حتى اليوم وبعد ان تبوأ
النثر مكانته فظهر الكاتب الباحث وتجلت القصة المسرحية ، ما زال الفن
السوداني المفضل •

وإذا كنا احتفلنا بشعر من اللغة الدارجة ، فانا نعتبرها في قطر
كالسودان لم تفتح العربية بحد السيف و بأى وسيلة اخرى ، وانما انساب
العرب اليه انسيابا بلهجاتهم من الجاهلية وما قبلها لغة حية مؤثرة هي التي
بدأت النضال في السودان باسم الحضارة العربية •

وحضارتنا ايها السادة والسيدات والأنسات لها جذور ضاربات على
شاطيء بحرية الرب ، ونعني بذلك البحر الاحمر •
ولقد حاطت الارض في العصور الجيولوجية المبكرة بهذه البحيرة في
الجنوب والشمال فاليمن والحبشة ارض واحدة ، وسيناء ومصر ارض
واحدة ، ودارت في هذه الارض حركة الناس حول البحيرة واقامت هذه
الحركة النشطة الموانىء على الشطين • فلما والارض في هذه البقعة طريق
معبد مسلوك •

ولقد ذكر الفراعنة والاشوريون والفينيقيون العرب ، فاشاروا الى اهل
البادية بين الفرات في الشرق والنيل في الغرب •
وتحركت بيوت الشعر والجمال والسفن ذاهبة آية بين شطي البحيرة
العربية تعطى وتأخذ ، ترعى وتقيم ، وقد تغير على شاطيء البحيرة الشرقي
فتنشر ظل افريقيا على بياض العربية ويسرق الذهب والعاج في هذه
الفلال • وفي حرارة هذه الحركة الدائبة ولدت دولة اكسوم في شمال الحبشة
وما زالت آثارها الحضارية قائمة • فاذا تقصينا في اعماق التاريخ حتى
القرن السابع قبل الميلاد رأينا افواجا من قبائل حمير يقطعون باب المنذب
الى الساحل الغربي وبعد قرنين او ثلاثة قبل الميلاد نراهم أسسوا دولة
اكسوم ، ولقد اقتحم ملوك اكسوم من العناصر العربية السودان عن طريق
البطانة ونهر العظبرة حتى افضوا الى مروى ذات الحضارة الفرعونية •
ولم يقنع هؤلاء بما ملكوا من افريقيا بل حاولوا احتلال اليمن وطنهم

الاول ، ولقد حالفوا بعض القبائل العربية لتكون لهم عوناً هناك ، واخذ هذا الحلف والاعداد زمناً طويلاً مكنهم من غزو اليمن فعلاً في اواسط القرن الثالث المسيحي بقيادة الملك أفيلاس الذي سماه العرب الفيل وبهذه المناسبة فان ابرهة صاحب قصة الفيل في القرآن هو احد عبيد دولة اكسوم الذين ارتقوا لمنازل القيادات .

ان العروبة معروفة في أرض النوبة (السودان) قبل المسيحية بقرون عدة ، ولم تنقطع قط هجرة القبائل العربية الى السودان ، والتجارة منذ اقدم العصور هي التي حركت سكان هذه المنطقة فاقاموا الموانئ كما ذكرنا في مصر والسودان والحبشة والجزيرة العربية بل اكتسح المد العربي في وادي النيل حتى ان عرباً من مصوع وفدوا على مصر قبل ميلاد المسيح ونشروا فيها عبادة الشمس التي ازدهرت في بلاد اليمن - ولقد اقبل الافارقة ايضاً على الجزيرة العربية واشتهر منهم الاحابيش (من الحبشة) حلفاء قريش .

ان السودان قد عرف الثقافة العربية الجاهلية قبل ان يعرف الثقافة العربية الاسلامية ، وتريد بالثقافة الجاهلية ما حمله العرب من لهجات وعادات وعبادات جاهلية قديمة وبشوه في كل صقع نزلوه من افريقيا . اما اللهجات العربية القديمة فهي لغة السودان الدارجة - بجانب الفصحى حتى اليوم ولهجة السودان الدارجة فصيحة مرنة ، ثرية بموادها وتراكيبها الدقيقة ، وهذه اللهجات الدارجة هي التي قضت على اللغات المحلية القديمة في السودان ومهدت بذلك لانتصار الفصحى .

ان تذوقنا لأدبنا الشعبية ، وهي حافلة ، يردنا الى طريقنا الاصيل في الحياة ومن ناحية اخرى فسيكون لهذا شأن خطير في تطوير الادب السوداني واعطائه لونا محلياً نضيف به شيئاً جديداً الى الادب العربي . وزيادة على ذلك فقد يعيننا تذوقنا لشعرنا البدوي على تذوق الادب العربي القديم تذوقاً لا يقوم على الخيال بقدر ما يقوم على المشاهدة والعيان .

ولعل كثيراً من المثقفين في العالم العربي الآن لا يعلمون ان للسودان

لغة عربية دارجة وهم معذورون في ذلك ، اذ اللسان العربي الفاشي في السودان كله محصور في منطقة كأنها دائرة تبدأ من شمال الشلال الرابع الى قريب من خطر عرض ١٢ ومن غربي جبال البحر الاحمر الى النهاية الغربية لحوض النيل وتحيط بهذه المنطقة قبائل سودانية لا تتكلم العربية كالتوبين القاطنين بين اسوان ومصر ودنقلا في السودان والبجة المنتشرين من شمال الهضبة الحبشية الى تلال البحر الاحمر الى صحارى مصر الشرقية - والقبائل القاطنة اقصى دافور في الغرب والقبائل الزنجية الخالصة المقيمة بجنوب السودان •

فمن قدم الى السودان من شرق او غرب او شمال او جنوب ظن اهله لا يتكلمون العربية حتى اذا تجاوز هذه الحدود بقليل رأى انتشارها وازدهارها •

ودارجة السودان العربية من افصح اللهجات العربية العامة واقربها الى السلامة والوضوح واوفرها ذخيرة لغوية ولا زال العامة من السودانين يستعملون نون الاناث ، يقولون جن وراحن اى جئن ورحن والمبنى للمجهول يقولون ضرب بكسر الضاد والراى ضرب المجهول وهذه صيغة ذكرها ثوبه في شاذ مارواه، وما النافية، يقولون مامشا وماجا ويستعملون ايضا ما الزائدة هو ما مشى او هو ماشى •

وفي دائرة السودان الفاظ عربية محضة لانجد مثلها مستعملا في انحاء العالم العربي الآن مثل قولهم (منون) في السؤال عن العقلاء وهذا انما يستشهد به النحاة استشهادا بمعرض الحديث عن قول العاقل :

اتوا نارى وقلت منون قالوا سرة الجن قلت عموا ظلاما

هذا وانتم تعلمون ايها السادة والسيدات والآنسات ان التأليف العامى قد نشأ في العالم العربي كله بعيد القرن الثالث عشر فلم يكن علماء السودان وادباؤه بدعا في ما ذهبوا اليه من ايثار العامية ولا ريب انهم بفعلهم هذا قد اعانوا على صقل اللغة الدارجة بما نقلوه اليها من التراث الديني الصوفي

ومن ادب السير والاعخبار فقويت ملكة التعبير فيها قوة قليل نظيرها في سائر
الآداب العربية الدارجة .

وفي القرن السادس الميلادي دخلت المسيحية في بلاد النوبة (وهذا
اسم السودان القديم) عن طريق مصر وقامت ممالك مسيحية في شمال
السودان وجنوبه عند ملتقى النيلين الازرق والابيض - وما قيام هاتين
الدولتين النوبة العليا والنوبة السفلى فقد كان العنصر العربي المختلط
بالسكان الاصليين موجودا ذا أثر - وله الفضل في نشر الثقافة العربية .

ومن الملاحظ ان الثقافة العربية لم تنتصر في السودان بحد السيف ،
وانما مهد لها خلال القرون الطوال جنس مختلط من العرب والافارقة من
اهل النوبة حتى اذا جاء الاسلام وجدوطنا في هذه المنطقة . ونحن نعلم
ان المسلمين هاجروا الى الحبشة طلبا للامن والسلامة - ولما فتح عمرو
ابن العاص مصر أرسل عقبة بن نافع في اربعين الفا الى أرض النوبة فارتدوا
منها وسموا النوبة رماة الحدق لاصابتهم في الرمي .

وفي عام ٦٤١م غزا عبدالله بن سعد الدولة المسيحية في شمال السودان
وارتد عنها - ثم غزاها مرة اخرى عام ٦٥١م ولم يستول عليها وانما
ابرم معاهدة اشترط فيها على النوبة من نصارى دنقلا (ان يحفظوا المسجد
بدنقلا ولا يمنعوا عنه مصليا وان يقوموا باسراجه وتكرمه) ونحس من
الفاظ هذه الشروط ان العرب قد الفوا هؤلاء القوم ، لان التجارة العربية
واللهجات العربية سبقت الاسلام الى هذا المكان .

وكان هناك مسجد آخر في الجنوب حيث تقوم سوبا عاصمة الدولة
المسيحية الجنوبية - فقد ذكر التاريخ ان العرب القاطنين على ضفاف النيل
الازرق بنوا في القرن العاشر الميلادي مسجدا في سوبا عاصمة المملكة
المسيحية في ذلك الحين وقد كان هذا المسجد قلعة من قلاع الثقافة العربية .
وامتد اثره واصبح للعرب المولدين هناك مجتمع قائم - هذا ومن الراجح
ان اكثر الاسر الدينية من اصول اقدم من الفونج ذلك ان اكثرها نبتت
في ربوع عرفت في عهود المملكة النوبية لا بل في عهود المملكة المروية

بالدين مثال ذلك العيلفون فهي منزلة الشيخ ادريس بن الارباب وهي بالقرب من سوبا عاصمة المملكة المسيحية القديمة ، ومثال آخر الدامر فهي في منطقة فيها آثار سبقت عهد الفونج . وقد ذكر بوركاد في كتابه رحلة في نوبيا الدامر حين زارها في عام ١٨١٠م وقال عنها ان اهل الدامر كانوا يتقنون تلاوة القرآن ويعنون بالحديث والتفسير . وقد اشتهرت خلوة الدامر حتى قصدها الطلاب من غرب افريقيا . ونحن نستشهد بهذه الخلاوى التي تهتم بالقرآن لانه قل امرؤ يتقن طرفا من العربية ثم يدمن تلاوة القرآن ولا يكتسب جزءا من جزائه .

ولما قوى امر الثقافة العربية دارت معركة اربجي فانتصر الفونج (وهم خليط من العرب والافارقة) على النصرانيين . ولقد كانت معركة اربجي الحاسمة عام ١٥٠٠م من أعظم معارك التاريخ فقد كانت نواة تحمل في ضميرها هذا السودان الذي نعيش فيه وكانت فوق ذلك ، من معارك الاسلام الكبرى لانها رفعت أعلاما اسلامية وتحدثت بلغة عربية .

فاقام المنتصرون في هذه المعركة مملكة سنار ودخل السودان الى العالم ونذر نفسه للدفاع عن ارض السودان باسم الثقافة العربية البناءة . وبلغت سنار من الشهرة ما بلغته اخواتها بغداد ودمشق والقاهرة حتى وفد اليها الشعراء والعلماء والمتصوفة من بغداد والقاهرة يمتدحون الملوك وينعمونو بالعيش في هذه المدينة العربية التي اضاءت في اعماق افريقيا .

والتأم في سنار مجتمع يزخر بالحوية والشعر وحب الاولياء واصحاب الخوارق حبا يسمو الى مراتب العقيدة .

وفي رحاب هؤلاء الاولياء وحول نيران القرآن التي تهز ليل السودان وفي خلقات الكريير (اي ذكر الصوفية بالاصوات العالية) وفي نشوة الجذب ولد ابطال شعبيون لهم القدرة فوق قدرة الملوك .

والواقع ان ادب الصوفية اعطى السودانيين سلوكا مثاليا عصمهم من الضعف وسما بهم الى درجة بعيدة من قوة النفس والترفع والتهوين من

شأن الدنيا والاستشهاد في سبيل المثل العليا واجتمع الناس في أدب الصوفية على أسس ثقافية لا قبلية على اختلاف القبائل - ومما ينسب الى المتصوف المصلح الشيخ فرح تكتوك من شعراء سنار قوله :-

من باع دينا بدنيا يستعز بها كأنما باع فردوسا بسـجـين
فلقمة من طعام البر تشبعني وجرعة من قليل الماء ترويني

ولقد اشتهر هذا الفلاح المتصوف بالنقد وضبط النفس والشجاعة الادبية والدعوة الى الاستقامة وشعره نموذج للادب الصوفي المثالي .
ان حياة الابطال المتقشفين اولى الاسرار في عهد الفونج قد رفعت على افواه الناس عند المرض والخطر والحزن والناس يحججون الى قبورهم بلا انقطاع ليعبروا عن الحب الصادق وينالوا نصيبهم الكافي من الحماية والبركة . ان حياة هؤلاء القادة تلقى ضوءا باهرا في حياة الجماهير في ذلك العصر وترينا تفكيرها المثالي واشواقها الى التفوق على الذات . ولقد اصبح الادب الشعبي في رحاب هؤلاء بطوليا مثاليا وهو وحده الذي هباً شعب السودان للاحداث الجسم والنضال الطويل المرير ضد الاستعمار .
وفي اوائل القرن الثالث عشر قدم السلطان سليم التركي العثماني الى سواكن ميناء السودان واراد الزحف منها الى سنار عاصمة المملكة وخاطب عماره ملك الفونج يدعوه الى التسليم فرد عليه عمارة بقوله (اني لا اعلم ما يحملك على حربي وامتلاك بلادى فان كان لتأييد دين الاسلام فاني واهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله ، وان كان لغرض مادي فاعلم ان كثرة اهل مملكتي اعراب بادية وقد هاجروا الى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم تجمع منه جزية) .
وهذا اول نص تاريخي يقابل الغزو السياسي بالاستخفاف والسخرية ولكن الاتراك عادوا بعد ثلاثمائة عام فتصوا على مملكة الفونج .
وغزا محمد علي باشا السودان عام ١٨٢١ فقد تفوق على السودانيين بالسلاح الناري ولقد بقيت اصوات الذين قاوموا الغزو التركي حتى اليوم .

لقد ارسل اسماعيل باشا ابنه محمد علي الى عرب الشايقية في شمال السودان
كتابا يدعوهم الى التسليم - وامسك عقيد الشايقية بالكتاب وجلس ينكت
الارض واقبلت مهيرة بنت الشيخ عبود من بنى سوار ومعها بنات الحي
ورأت العقيد مأسكا في حيرة ومسكنه • لقد رأى الرجل ان قومه لا يحملون
الا السيوف والرماح والدرق وهذه جيوش قد اقبلت بالمدافع والبنادق ،
قومه شجعان ولكنهم لا يلقون رجالا وانما تنصب عليهم هذه القنابل وهذا
الرصاص من حيث لا يشعرون ولكن مهيرة لا ترى الا عدوا يدوس الوطن
ولا خير في الحياة فليمت قومها احرارا كما عاشوا احرارا وانبرت مهيرة
تقول :-

الليلة العقيد في الحلة متمسكن في لب التراب شوفن متجكسن

ان رئيس القوم على غير عهدنا به قد ظهر مسكينا في الحلة وجلس
في قلب التراب لاصقا به كانه كوم من التراب فانظرون اليه يا بنات (الرأي
فاقده لا يدرك ولا يمكن لا تعجبين ضيم الرجال امكن) لقد فقد الرأي
فهو لا يبرم امرا ولا يستطيع التصرف ولا ادعى للمعجب من رجال يحملون
الضيم فقد عرفناهم كراما ومنهم هذا العقيد ويدور قولها النائر في قلوب
الرجال ولكن العقيد لا يزداد الا لصوقا بالارض وتبرى مهيرة تقول :-

اكان فريت يارفاقتنا ادون الدرقي هاكم رخاططنا

ان الصمت فرار (ادونا) سلمونا الدرقي وهاكم (رخاططنا) ماآزرنا •
لقد كنتم لنا رفاقا مانعين فأن خفتم الموت فاقعدوا لتخرج النساء دفاعا عن
الارض والشرف ويقبل رجال الشايقية على الموت وتغنى مهيرة في رضى
وتقول :-

غنيت باليلة لى عيال شايق البرشو الضعيف ويلحقوا الضائق

انني اغني مفتخرة بالعديلة بين عيال شايق (البرشو الضعيف)

الذين يرشون الضيف (يلحقوا الضايق) ويفرجون الضيق والكربات •
وخرج العقيد يكر على حصانه الاغر وظهرت مهيرة على هجينها الفارع
وتملأ عينها من جيش الباشا وتقول في تحد وسخرية :-

الميلة استعدوا وركبوا خيل الكر وقدام عقيد بالاغر دفر
جنياتا العزاز الليلة تنتر يلباشا الغشيم قول لي جدادك كر

لقد استعد قومي وركبوا الخيل الكرارة وامامها العقيد على حصانه
الاغر وهؤلاء جنياتا اي جناا اي فتيناا (العزاز) الاعزاء يتخرون في
مضاء وقوة • اما انت ايها الباشا الغشيم الفر فقد جمعت جنودا وضيعين
كالدجاج يتزاحمون على بلادى ليتلقطوا الحب ولكنك ستفر بجندك
حين ترانا كما يفر الدجاج من الصيحة • وتغني مهيرة وهي على الهودج
للحرب حتى التحم قومها الاحرار بالغزاة الاتراك في معركة كورتي الشهيرة
وتسقط هذه الفتاة العربية الحرة الشاعرة اسيرة في يدى اسماعيل باشا
بن محمد علي •

لقد كان للمرأة شأن عظيم فقد اشتركت في المقاومة وهي لا ترى
الفتيان الا على مثل الشجاعة العليا ولقد وقفت بنونه بنت الملك نمر على
اخيها وقد مات حتف انفه فانشدت وقد انكأت على سيفه :-

مادا يرالك الميت ام رمادا شح دايراك بى دميك ياخوى توشح

اي لم اكن اريد لك هذه الميتة فستبكي عليك النساء وقد نثرن الرماد
على رؤوسهن وانما كنت اريد ان اراك متوشحا بدمك •

ان وردن اجيك في اول الواردات اسد يشه المكرمت قمرات مطابقات

اذا وردت الخيل للحرب جاء في اول الواردات وهو اسد يشه
المجتمع للوثب فاذا قمرى وثب يطابق بين وثباته - ولكن اخي قد مات
ونحن نعيش في خطر عظيم من الاتراك •

وكتب محمد علي باشا في عام ١٨٢٠م الى سلطان دارفور في السودان
الغربي يدعوه الى التسليم فرد عليه السلطان محمد الفضل بقوله (يكفى
من ذلك كله كلام الحى القيوم حيث قال ، له دعوة الحق والذين يدعون
من دونه لا يستجيبون لهم بشئ . الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه فما
هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال (الآية) انكم طالبون انقيادنا لكم
فهل بلغكم اننا كفار وجب لكم قتالنا وابعح ضرب الجزية علينا ، او غرکم
قتالكم مع ملوك سنار والشايقية ام خطر لك خاطر بان لك ربا قويا ولنا
رب ضعيف - الحمد لله اننا مسلمون وما نحن كافرون ولا مبتدعون ، ندين
بكتاب الله وسنة رسول الله (ص) .

كما كتب ملك سنار قبل ذلك الى اسماعيل باشا فهده بالصوارم
الهندية والخيول العربية ، في رسالة طويلة رصينة .

ولما عاد الباشا الى شندي حاضرة عرب الجعليين بعد اخضاع سنار
احاط به هؤلاء العرب حيث كان ينزل هو وجنوده واشعلوا حولهم النار
وقتلوهم . وانتقم الاتراك بعد ذلك انتقاما ذريعا بامدادات جيوش القائد
الدتردار باشا ولكن المقاومة قاتلت ما وسعها القتال وارتفعت اصوات الشعراء
تحض الناس على الموت في سبيل الارض والشرف .

قال الانقيب (أى الشاعر) واسمه ود النعسان الجعلى يصنف بطلا
من ابطال المقاومة الشعبية :

مو مازاح يجدد يزيد في الضكرة كل صباح - زناد البندق التناح -
عاشميق في الكرب ما بقطعه التناح .

وبطل المقاومة هذا كما يقول الشاعر (ما مازاح) اى لا يمزح
وانما هو جاد مشغول ولا يقف عند حد بل يحدد حيويته (الضكرة)
الذكورة والفحولة والخشونة والاقدام ، وهو (زناد البندق التناح) اى
انه سريع البديهة خفيف الحركة لا يتمكن اعداؤه من مسه لانه ينطلق
بالقتال والبأس كما تنطلق الرصاصة من البندقية - وهذا الذى يقاوم اعداء

الوطن (عاشميق في الكرب) والعاشميق كلمة محلية معناها الجبل الشديد
القتل اى جبل المسد ، وجسم هذا المقاتل مجدول لا ينال منه (التاج)
اي السيف القاطع - ويتحدث بطل المقاومة هذا عن نفسه فيقول :-

ما بربط الكلمة نيه - ندخل الفرسان تليه - نضرب الفوق رأسه ليله
القلب دا البيق حاضر - ما بتنفعي العواضر - الضرب فوق النواضر

يقول انا لا اربط الكلمة نيه اى اذا وعدت لا اخلف وانما اقول
وافعل واحارب اعداء بلادى (بالفرسان تليه) بالخيل يتلو بعضها بعضها
(ونضرب الفوق رأسه ليه) اى نضرب الباشا وقد لوى رأسه من
الصعر . فكن حاضرا ايها القلب (القلب دا البيقى حاضر) ولا تلتفت الى
حياه ، ولا تنفعي المعاذير ما بتنفعي العواضر (اقدم وقاتل اعداء بلادى
(والضرب فوق النواضر) وتلق السيف بعينيك ولا تدبر .
وقرع النحاس - وهو طبل الحرب - وصاح المحرض بسقوط الترك
يقول :-

شمر يا ولد نقر نحاسك دق قدر الله بيحك حتى ان دخل في حق
ويتقدم قائد المقاومة فيذكره الشاعر ويقول :-

ادريس ناصع العين ، الضمر بالرق وادريس مدفع الترك الذخيرته تبق
والماصع الثور الوحشي او الجمل الهائج والعينة المطر ، وهذا القائد
يشبه الجمل الهائج المطر وهو عزيز ناعم ممتع ، ولكن هذه النعمة لم
تبطر القائد المناضل فهو (الضمر بالرق) أي انه ضامر - مجدول وهذا
رمز العفة والقوة والتشف وتشييه الانسان القوى في السودان بالثور او
التمساح امر قديم مرده الى الازمان القديمة .
وادريس هذا هو القائد الذى يسحق اعداءه بقوته وهو (مدفع

الترك) الذخيرته تبق اي هائل كمدفع الترك ينشجر وتسطم منه الذخيرة
اي البارود •

ولقد صنعت بنادق الترك ومدافعهم صنعها في عرب السودان الذين
لم يصبروا قط على الحكم التركي فخرجوا عليه بالقلوب والالسنه قبل
السيوف ، ولكن هذا السلاح التركي المبيد لم يرعد شعبنا في ذلك الزمان
لانه عقيدتهم ان الموت والحياة بيد الله وعلى الحر الكريم ان يؤمن بقضاء
الله وقدره يفسر ذلك معنى البيت :-

شمر يا ولد نقر نحاسك دق

قدر الله بيحك ضى ان دخل في حق

انهض للقتال وشمر ايها الفتى ودق النحاس ، طبل الحرب ونقره
فان قدر الله بيحك حتى لو دخلت في حق والحق بطن الام او انا محكم
القفل - وفي هذا نسمع صوت الصوفية في المعركة وهم يحرضون الناس
على المقاومة ويصيحيون لا مفر لهم - ايها الناس من الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة •

ولقد تم للاتراك في عام ١٨٢١م فتح السودان بقوة الحديد والنار
فحطموا المقاومة العنيفة واسسوا مدينة الخرطوم عند ملتقى النيلين الازرق
والابيض عاصمة للحكم الجديد - ولقد هام السودانيون على وجوههم
وتركوا مزارعهم في شواطئ النيل وفر كثير منهم الى البوادي ورأى
الاتراك انه لا سبيل الى الانتاج الا بعودة السودانيين الى بلادهم فصدر
محمد علي باشا فرمانا يؤمنهم فيه ولكنهم لم يطمثوا قط الى الحكم التركي
وهذه ابيات قالها الشاعر السوداني المتصوف محمد المجذوب قمرالدين
الذي عاش في اوائل العهد التركي يدعو فيها الناس الى الصبر والتحمل
من الترك والذين زعموا انهم اخوان اهل السودان في الدين :-

تزود للخطوب السود صبيرا	جليدا فيه للنفس العزاء
كما صبر الالى من قبل كانوا	فان الصبر ظلمته ضياء
وخذ من كل من آخاك حذرا	فهم قوم اخاؤكم بغاء
ولا تأنس بعهد من اناس	عهودهم اختلاق وافتراء

ثم تضرع المجذوب الى الله وقد قتل الاتراك اخاه وطائفة من عسيرته
بقوله :

نرجوك يا اول يا آخر ندعوك يا باطن يا ظاهر ان تحفظ النفس
والاهل والاموال من البلايا والمحن والاهوال •

ومع الاتراك جاءت مدينة تركية متحضرة - وكما ذكرنا فان السودانيين
لم يطمثوا اليها وعادوا الى ادبهم الصوفي المثالي - ان عهد الفونج الذى
استمر ثلاثة قرون قد نجح في ايجاد الروابط الروحية التي خلقها
المشايخ والدعاة وقد قامت حولهم تجمعات دينية لم يشملها اتحاد شامل -
على ان الولاة الاتراك لم يكونوا يدركون طبيعة النفوذ الديني واثر الادب
الصوفي كل الادراك وانما كانوا يدركون شيئاً من طبيعة النفوذ القبلي
الذى كان يمثل (الملوك) فعكفوا على اخضاع هؤلاء بالتأليف
حيناً وبالقهر احياناً الى غير ذلك مما يلجأ اليه السادة الفاتحون وما هو
الا دهر يسير حتى عادت البيوتات الدينية الى نشاطها أيام الفونج وغاب
عن ولاة الخديوى ان الخطر يكمن في خلاوى القرآن (مكاتب القرآن)
في بربر والدامر والسروراب والسيد وكرانج حيث كان محمد احمد
المهدى يتنقل في طلب العلم والتصوف ويعد نفسه لانتزاع السلطان من
ولاة الخرطوم باسم الدين وشرفه القديم - وبعد ستين عاماً مضت على
الحكم التركي تحدث الناس عن مهدى المنتظر يخلص السودان من عسف
الاتراك وبطشهم - وقد اعتزل المهدي في جزيرة ابا بالنيل الابيض ومنها
خرجت منشورات يعلن فيها انه المهدي المنتظر وينذر الاتراك ويحرض
الناس على قتالهم انتصاراً للدين والوطن •

وجاءت الشاعرة بنت المكاوى تحرض المهدي المنتظر على حرب
الاتراك والبطش بهم فقالت :-

طبل العز ضرب هوينه في البرزة غير طبل ام كبان انا مابشوف عزه
ان طال الوبر اواسيه بالجزة وامام عم نيل ما فرخت وزه

تقول ان طبل العز ضرب (هوينه) هناك (في البرزه) باربرا صاحبها
يدعو الناس الى حرب الانراك وغير (طبل ام كبان) لفظه محليه معناها
الحرب فانا لا آشوف اى لا ارى عزه - وان طال الوبر اى تعاضم امر
الانراك في السودان (واسيه بالجزه) اى جزه ايها المهدي المنتظر حتى
ينعم الناس بالحرية ولن يكون هذا الا بالثورة العامة (وانما عم نيل ما
فرخت وزه) فان النيل لا يعقب الرخاء والخير الا اذا عم فيضانه فكن
ايها المهدي المنتظر نيل الثورة الفياض •

وعمت ثورة المهدي السودان وكان للشعر والنثر فيها اثر عظيم - قال
الشيخ الحسين بن الزهراء يذكر الثورة المهديه ويدعو الى اخراج الانراك
الاجانب الغرباء :-

برح الخفا ما الحق فيه خفاء وتوالت الآيات والانباء
بالآية الكبرى التي بظهورها عاد الرضى وانجابت الاسواء
ايخيب ظنني فيكمو وعشيرتي اتم ويقمع جمعنا غرباء

وقال الشاعر محمد عمر البنا يحرض المهدي على الهجوم على
الجنرال غردون حاكم السودان العام في الخرطوم :-

الحرب صبر واللقاء ثبات
والجين عار والشجاعة هيبة للمرء ما اقترنت بها العزمات
والصبر عند البأس مكرمة ومقدام الرجال تهابه الوقعات

ثم يصف التوار المقاتلين فيقول :-

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماة
وخلوقهم صدا الحديد لحزمهم قتل الاعادى عندهم عادات
والخيل ترقص بالكمأة كأنها تختال في ميدانها فتيات
والارض سالت بالدماء وما بها غير الجماجم والشعور نبات

وقال يحرض الامام المهدي على الهجوم :-

فانهض الى الخرطوم ان بسوحيه اهل الغواية والضلالة بانسوا
فتسوروا لهم الخنادق وافعلوا فعل الصحابة اذ انت غزوات

واحتل الانجليز مصر في موقعة التل الكبير بعد ثورة عرابي ١٨٨٠م
- ولقد انتظر السودانيون ان يتصر عرابي كما قال الشاعر السوداني :-

شغل العدي بتشتت الاحزاب والله ناصرنا بسيف عرابي

وفي عام ١٨٨٥م احاطت قوات المهدي بالخرطوم واقتمحت وقتلت
غردون على الرغم من ان المهدي كان يحرض على اسره حيا ليقندي به القائد
احمد عرابي باشا اذ كان هدف حركتين وهو تحرير العالم العربي
كله من الاستعمار التركي والبريطاني .

ولقد كتب المهدي الى الخديوي توفيق فقال (ان دسائس اهل الكفر
التي مكنوها في قلوب الانام ، قد عطلت احكام الكتاب والسنة وتراكت
الظلامات وهكذا صارت جيوشك تاتي ثلة بعد ثلة والله يؤيدني وينصرني
عليها الا ان قلت قيلتها وتلاشي امرها فسلمت امة محمد (ص) لاعداء الله
الانجليز واحللت لهم دماؤهم واعراضهم ولا بد من وقوعك في قبضتنا
ولو كنت في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك فيه الكفاية .

ونار الانجليز لحصار غردون في الخرطوم وقررت الملكة فكتوريا
ارسال نجدة لانقاذه ولكن الجنود البريطانيين الذين دخلوا السودان من
سواكن في الشرق ومن حلفا في الشمال لم يستطيعوا الوصول الى الخرطوم
وردتهم مقاومة الشعب السوداني خاسرين .

وتحول الادب الصوفي الى ادب ملحمي قال الشيخ محمد المجذوب
مرتجلا بعد الاصطدام بالانجليز في هندوب وسواكن في شرق السودان :-

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصائب
وهاشيم تشهد عزمنا كيف ادرعنا للمصائب

يا طالما صدناكمو صيد الغضنفر للتعالب
 جيشا يرز سلاحه كالرعد حين المزن صائب
 وساكن تدري بنا انا لدى الهيجاء نضارب
 بالمشرقي كأنه وقع الصواعق في المضارب
 زما قصدنا نحوها نبدي العجائب والغرائب
 ونسير في ارجائها كالليث اذ تشب المخالب
 ولطالما برزت لنا منها العساكر والكتائب
 من كل فج يمنة بل يسرة من كل جانب

ثم ارسل خليفة المهدي جيشا بقيادة الامير عبدالرحمن النجومي لاجراج الانجليز من مصر وهذه اول مرة يخرج فيها السودانيون من بلادهم لتحرير بلد آخر من الاستعمار البريطاني شعورا منهم بوحدة الوطن العربي والعقيدة الاسلامية - ولان الامام المهدي كان عازما على اخراج الانراك من الشام والعراق والحجاز - وقد كتب الى السنوسي في شمال افريقيا وعينه خليفة ليشارك في الكفاح ضد الاستعمار الذي ينوء العرب كافة تحت بطشه وضيئه *

وعزم الانجليز على القضاء على ثورة السودان ودخلت جيوشهم الجرارة ومع انها لقيت مقاومة عظيمة وعنيفة الا ان القوات الوطنية السودانية قد اندحرت اخيرا في معركة كررى عام ١٨٩٨ م *

ولم يكن ولاة هذا العهد انراكا مسلحين وانما كانوا بريطانيين تمرسوا بسياسة أهل الملل والنحل وقدموا بضرب جديد من الحضارة لم يسبق لاهل السودان به عهد وكان من اوائل اعماله ان فتحت مدارس نظامية تدرس علوما جديدة قيل الى اكثر الناس انها ضرب من الكفر فنقروا عنها ايما نقور وكان (الفقراء) اي المشايخ اشدهم نفورا وانقباضا فالتعليم جديد كان الغرض منه اطفاء نيران القرآن والقضاء النهائي على منابع الثقافة العربية وهي سلاح المقاومة البتار الذي حمله السودانيون طوال تاريخهم - وظل

هؤلاء المشائخ يصنعون أعمالاً أدبية فيها كثير من الصخب والتحريض
الخفي •

ومن هؤلاء الشيوخ الذين عاشوا أيام الثورة المهديّة ثم عاشوا أيام
الحكم البريطاني ، الشيخ محمد سعيد العباس قال يذكر أيام سنار ذات
المجد القديم :-

من مبلغ الصخب في سنار قد رقدوا الهتهم اليوم عنا شدة الحال
انا على العهد ما خنا ودادهم واننا دائمو بث وتسال
فقال يذكر التزامه بثقافة السودان واصراره عليها واعراضه عن
ثقافة الانجليز :-

انقلت كاهلي مذاهب اشياخ كرام شم العرائن زهر
لا امل الثرى ولا اترك السعى اتكالا على المقادير تجسرى
ومرامى احدى اثنتين فامسا عيش حر اولا فميتة حر
وقال :-

وكيف اقبل اسباب الاوان ولى اباة صدق من الغر الميامين
من كل ارووع في اكتافه لبد كالليث والليث لا يفضي على هون
قال يشير الى الحضارة الغربية التي انتشرت في السودان وحصرت
مشائخ اللغة والدين واشعرتهم بالعزلة والعجز :-

جزى الله هاتيك الحضارة شر ما جزى من تصاريف الزمان المعاند
ولكن الثقافة السودانية العربية لم تستلم قط فقد حطمت مخطط
العمير الاستعماري حينما اراد الانجليز اول الامر ان يفتحوا المدارس
لتخريج موظفين فقط باسلوب تبشيري ولكن المقاومة الثقافية السودانية
الحادة ارغمتهم على التخلي عن هذه الخطة واتخاذ نهج جديد يرمي الى
سيادة اللغة الانجليزية واضعاف اللغة العربية •

وعاد شعراء المشائخ ينشدون في مواسم المولد النبوي والعام الهجري
- وشعر المناسبات هذا كان شعر رثاء يبكي على مجد العرب ايام بني امية
وبني العباس والاندلس تماما كما كان حال الشعراء في العراق ومصر وسوريا

وغيرهم من الدول العربية ايام ضغط الاستعمار عليهم جميعا - وكانت صورة النبي في هذا الشعر مثلا اعلى وهم حين يرفعون هذه الصورة الشريفة أمام الجماهير انما كانوا يتقدون العصر ويعترفون اعترافا مؤثرا بعجزهم ولكن هذا الشعر كان فيه احتجاج قوى ورفض لآثار الحضارة الغربية وحض الناس على المقاومة بالمقارنة بين حالهم في حاضرهم وما كان عليه اسلافهم في ماضيهم من المجد والقوة والمنعة •

ولقد ملأت فكرة الرجعة الى الماضى اذهان ادباء السودان في ذلك الزمان فرسمت صورة حاملة للتاريخ العربى يهربون اليها مما يحسونه من ضعف - ولقد ولدت هذه الفكرة عند بداية النهضة في العالم العربى حين اخذ الناس يقارنون بين الحضارة الغربية الغازية المستعمرة وبين الحروب الصليبية ويلوذون بنبل اصولهم وحضارتهم المجيد في عهود الخلافة الاسلامية الزاهية كرد فعل في مواجهة هذه الحضارة •

ولقد اثار هذا الادب العواطف الكامنة في ضمير الشعب السودانى كما اثاره الادب الصوفى قبل اربعمائة عام في عهد الفونج - قال الشاعر عبدالرحمن شوقى في عام ١٩١٩ م :-

نديمي من سلاف الخمر هات	وشنفتى بذكر الماضيات
اترضى ان الام وانت حـر	وتسمح ان تلين لهم انات
فحدث من بنى النيلين قوما	بادنى النيل او اعلى الفرات
بأنا نتمى حسبا ومجدا	الى ما بالجزيرة من رفات
يعز عليهم نحى ولسنا	مثالا للشجاعة والسبات

وقال الشاعر الشيخ البنا عام ١٩٢١م يخاطب هلال العام الهجرى :-

ياذا الهلال عن الدنيا او الدين	حدث فان حديثا منك يشفينى
سل دار عاتكة عن شأن عاتكة	فيها وعن سائل فيها لهارون
اخلى منابرها من في مقابرها	من كل متضح آثار مدفون

ثم اقبل الناس على الجرائد والمجلات المصرية - وكذلك جعل الاتصال بالحضارة الغربية يزداد من طرق شتى اهمها اللغة الانجليزية ، وقاست اللغة العربية محنة عظيمة ولكن دعاة الثقافة السودانية قاوموا ولعب الشعر دورا عظيما في هذه المقاومة •

وكان آخرها مقاومة السلطان على دينار للانجليز ذلك ان السلطان علي عاهد السنوسي في ليبيا على الوقوف ضد الحلفاء في الحرب العظمى الاولى وقد قضى البريطانيون على السلطان على دينار ومديرية دارفور في عام ١٩١٦م - واندلعت الثورة المصرية عام ١٩١٩م بعد ان وضعت الحرب اوزارها وابتدأ الشعراء والكتاب يؤلفون الجمعيات السرية التي كانت على صلة تامة بزعماء الثورة المصرية • ولقد انتهت الثورة المصرية بالمعاهدة التي اعقبها دستور سنة ١٩٢٣م وهدأت المقاومة قليلا في مصر الا ان جمعيات الشعراء والكتاب السودانين اتحدت في شكل جمعية كبرى سرية اسمها (اللواء الابيض) وكان يعاونها كثير من كرام الضباط المصريين الكبار وبذلك تم شكل آخر من اشكال الكفاح المشترك بين مصر والسودان ضد الاستعمار •

ولقد ازدهرت الثقافة العربية في هذا العهد وكان من بين مدرسي كلية غردون التذكارية آن ذاك نفر من كرام العرب منهم فؤاد الخطيب السورى الذى اتشد كثيرا من الشعر عن استعمار الفرنسيين لسوريا ولبنان وقد اوحى شعوره لشعراء السودان فاتجهوا باشعاره الى المقاومة الوطنية والتوعية السياسية في المحيط العربي - قال الشاعر السوداني توفيق صالح جبريل الذى كان عضوا في الجمعية السرية يذكر زيارة الورد النبى للسودان عام ١٩٢٢ :-

ايها القوم لا تجروا الذيولا
ياأنف الحر ان يعيش ذليلا
ستمونا العذاب ضيقتمو الارض
علينا حتى اردنا الرجيلا
ليت شعرى ماذا يروم اللبني
يوم وافى يجر سيفا صقيلا
جمع الجمع اهرب الناس حتى
اصح السيد اللبني ذليلا
اتراه يريد يفصم جبلا
بين مصر وبيننا موصلا

ومضى الادب يدير دفة الثورة العارمة التي طار شرارها في ١٩١٩م حتى امتد لهيب المعارك الدامية الى الخرطوم ١٩٢٤م - وقد اضطرب الحكم البريطاني في السودان ورأى الانجليز ان الشعب السوداني قد ضاق ذرعا من الاستعمار .

واغتال الوطنيون المصريون السير لستاك باشا حاكم السودان وسردار الجيش المصري وقد دفع هذا الحادث الانجليز الى حسم الثورة في السودان فاصدروا احكام الاعدام والسجن المؤبد على قادة الثورة من المثقفين والضباط - وتم بعد ذلك ترحيل الجيش المصري كله والموظفين المصريين من السودان الى مصر في اسبوع واحد حسب شروط اللورد اللنبي القاسية التي رفضها سعد زغلول وهو رئيس حكومة مصر آنذاك ثم استقال ووافق عليها خلفه احمد زيور باشا وشدد الانجليز الخناق على الادب والادباء بعد ان صادموهم بالسلاح والقلم - ولكي يحطموا الثقافة العربية ويضعوا في طريقها العراقيل والعقبات منعوا رحلات الطلبة الى مصر كما منعوا اجازات الموظفين للسياحة والاستشفاء ثم اوغلوا في وسائل الفصل بين مصر والسودان فمنعوا دخول الصحافة العربية على اطلاقها الى السودان - وعمدوا الى تغيير مناهج التعليم من الاتجاه العربي الاصيل الى ناحية الثقافة البريطانية الاستعمارية - ولكن كل ذلك لم يحل دون الجمعيات الادبية السرية ورسالاتها التي تبعد من السياسة في الظاهر وتمارسها في الخفاء - والواقع ان اساتذة اللغة العربية واعوان انتشارها لا قوا عنتا وتضييقا ولكنهم حرصوا على نشر هذه اللغة الثائرة وظلوا محتفظين بدورهم في انهاض السودان والتقدم به كما صنع اسلافهم في عهد التركية والمهدية .

ومن نماذج السخط على آثار الحضارة الغربية الحاضرة قول الشاعر صالح عبدالقادر :-

من لقومي انهم قد اهلوا ما بنى اباؤهم فانهدموا
وقضى الدهر على آمالهم ليت شعري من بهذا حكما

ولقد ملأ هذا الشعر المتديان وهياً الناس للكفاح ضد الاستعمار

وبعد ان كان الادب يثير الحنين الى الحرية اصبح ذكره للحرية مباشرة
ففساد المجتمع لم يعد ينسب الى فساد اخلاق الناس تخليهم عن الفضائل
يقدر ما يرجع الى تسلط الاجنبي الدخيل على كل شيء قال الشاعر
السوداني عبدالله عبدالرحمن :-

من عنت الدهر ان البلاد	تضيق مواردنا الصافية
وتبذل للغرباء ابساما	وتوسعهم عيشة راضية
تأمل تجد ليس للشركات	سوى الربح رائحة غادية
وليس سوى الاجنبي بها	دهاقين طاعمة كاسية
وطرف الاصيل بها ساهر	وعين الدخيل بها غافية

وتقدم الشعراء يخاطبون حاكم السودان البريطاني فقال الشاعر
عبدالله الكردي :-

نفيض هما وايدنا معطلـة	ومالنا من نبات الارض من ثمر
فلا يفرنكم عطفنا بدا رطبـا	جوفاء ليست على خير من الخطر
يا حاكما قلبه يصبو لسودنة	مرجوة النفع في ماذاع من خبر
اعط الشيبية سؤلا في مواطنها	ما كان بدعا ولا امسى من الكبر
وقل لقومك في سر وفي علن	ان الشيبية لا تخشى من النذر
والبيض والسود اقوام سواسية	والملك من هبة الرحمن للبشر
واطلق الرأي من حبس أضرب به	ولا تطع آتما يغريك بالضرر
ونح رهط بني التاميز عن رتب	وضع لها الحد بين الطول والقصر
اليس ظلما لهم تجبي مواردنا	ونحن بالفقر فينا كل منعسر
ياصاحب الحكم في السودان ان لنا	سؤلا نرديه في الانساء والسحر
تنتابنا ذكريات منه مؤلمة	تكاد تسلمنا للهم والكدر
ضيعته بوعود غير صادقـة	حديثها ساء في الآصال والبكر
ولم تزل معرضا عنا ومن عجب	لما تؤمل تسمى غير مدكر
لهفى على لغة القرآن حيث غدت	مثل الضمائر فيها كل مبتكر
أودى بها نفر منكم وان بقيت	فصحى بما جاء في الآيات والسور

تالله سوف لنا يدنو البعيد ولو
وسوف يرجع مجد الشرق قاطبة
وقال ايضا :-
نمشى اليه على المران والابسر
جهاد كل امرىء للشرق منتصب

ليت شعري متى وعود بنى التاميز
آذنوا مصر بالجللاء فناقت
فاذا بالجللاء اضحى هبباء
وبأرض السودان حطوا رحالا
نبيء القوم بالجللاء فقد طال
ياشبابا يرجو به الشعب نصرا
ناضلوا دون حقكم بجهاد
وظهر شعر التوعية السودانية والكفاح المشترك بين الشعبين المصرى
والسودانى قال الشاعر الشيخ العباسي يتحدث عن الوحدة المعنوية بين مصر
والسودان :-

والنيل راقصة به
ويقول مغتبطا به
ما مصر والسودان الا
وربييتان بحجره
ويدهما مهما بهن
وامواجه والشايطان
نعم الموفق والمعان
في رباه عشيرتان
وعلى هواه مقيمتان
ترمى النوى تتصافحان

وقال الشاعر الشيخ عبدالله عبدالرحمن عن علاقة مصر بالسودان
مشيرا الى النيل :-

تحد من اقصى الجنوب ولم يكن
تحد لا عن جفوة بجنوبه
لتمنعه حساده وعواذله
ولكن شوقا للشمال يداخله

وقال الشاعر المجدد التجاني يوسف بشير يذكر طغيان الثقافة
الانجليزية جاعلا من ثقافة مصر حصنا لقوميته :-

انما مصر والشقيق الاخ السودان
كلما انكروا ثقافة مصر
كانا لخافق النيل صدرا
كنت من صنعها يراعا وفكرا

عادني من حديثك اليوم يا مصر رؤى وطوفت بي ذكري
وهفا باسمك الفؤاد ولجت بسمك على الخواطر سكري

وكان لمدرسة مجلة الفكر في الثلاثينيات اثر كبير في ايقاظ الشعور القومي والنهضة الحديثة وقد اتفق مع هذا الشعور القومي المحدث ان الحاكم البريطاني كان يضرب نوعا من الحجاب على السودان ويحاول عزله من العالم العربي والثقافة العربية - وحاول هذا الجيل الصاعد ان ينظر حوله الى قدوة يستمد منها مثله العليا فلم يجد الا الحكام والمشائخ وكان المشائخ في نظره من عزاز الآباء يمثلون السودان القديم وعلمهم يمثل قيما لن تثبت امام انوار المدنية الحديثة وكان الحكام في العاصمة شيئا قصيا يطول بالكبرياء وينأى بالعقيدة واللون والعنصر اللهم الا ذلك الذي درسوه في كلية غردون فقد كان يراهم رسلا بمدنية الغرب يسمع منهم وحي كولردج واديسون وورد زورث وبرنادشو وولز - ولكن هؤلاء كانت صلته بهم تنقطع عقب تخرجه ويبقى ذكركم في فؤاده فيختلط بهذا التطلع الشديد الذي كان يحسه في اغوار نفسه الى عالم الخارج •

والنفت الجيل الجديد الى مصر يروم عندها ما اعياه في السودان وكانت صحافتها قد بلغت شأوا بعيدا من الجودة وكان يكتب فيها رجال كان ينظر الشرق العربي كله بعين الاكبار ويلتمس عندهم المعرفة والثقافة والمثل العليا - وكان من هؤلاء مجددون يتحدثون عن الآداب الاوربية المختلفة فتعلقوا باشدها تجديدا •

ثم نشأت طائفة من الكتاب منهم محمد احمد محجوب وعشري وعرفات مارسست التعبير وتطلعت الى ان يبرز من ابناء وطنها من يردد لهم المثل العليا التي هم في اشد الحاجة اليها ولقد اعان من ذكرنا من الكتاب على ايقاظ الشعور القومي واظهار الشخصية السودانية ونماذج هذه الكتابات زخرت بها مجلة الفجر ومجلة النهضة •

ولقد كان هؤلاء الكتاب شجعانا حقا لهم حظ عظيم من الآمال وقد احسنوا التعبير عن آمال بلادهم فعبروا عنها بالاساليب القوية المؤثرة - وكان

ان قامت حركة الخريجين من هؤلاء الكتاب تحت لواء مؤتمر الخريجين العام الذي جمع اشقات الخريجين من المذاهب السياسية المختلفة حول لواء موحد الاهداف مضوا به قدما نحو تحرير البلاد حتى تم لهم بمناصرة الشعب المقاوم تقرير المصير بعد الحرب الثانية واستقلال السودان وجلاء البريطانيين عنهم ١٩٥٦ م •

ونشأت الصحافة السياسية تحت الوية الاحزاب وظهر الباحثون والخطباء السياسيون وقد يزعم بعض الناس ان الادب قد تخلى عن دوره في هذه الفترة للبيان السياسي في كيانه الجديد وهذا زعم باطل لان معظم الآثار الادبية التي طبعت في العهد الوطني والتي تحت الطبع كتبت في تلك الفترة فالشاعر محمد عبدالقادر كرف والدكتور عبدالله الطيب ومختار محمد مختار ومحمد المهدي المجذوب ومحبي الدين صابر وادريس جماع ومحمد محمد علي والهادي آدم ومنير صالح عبدالقادر والناصر غريب الله وغيرهم من حداة هذه الفترة •

وهكذا ترون ايها السادة والسيدات والآسات ان الثقافة العربية قد خلقت سودان اليوم الحر الطليق خلقا كان يتطلع اليه وان هذه الثقافة العربية تولته بالبناء وعصمته من الضياع منذ ان صارت اللغة العربية لغة رسمية لاول دولة عربية سودانية قامت عندنا عام ١٥٠٠ م •

وظل هذا الادب ايام الاستقلال ساهرا على وحدة الصف ولقد رجع مرة اخرى الى التحذير من التفرقة وصراع الاحزاب المؤدى الى النزاع الحاد - ولقد حث الادب على نشر التعليم ، وقد كان افتتاح مدرسة امرا عظيما والسودانيون اشتهروا منذ عهد الفونج بحب العلم حتى انهم كان لهم رواق خاص في الازهر الشريف مشهور باسم رواق السنارية - وفتح المدرسة معناه القضاء على آلام الامة واحزانها من امراض الجهل الخبيثة ثم اكتمال الوحدة العقلية والفكرية بعد التفرق والخلاف والشتات قال الشاعر السوداني عبدالله عبدالرحمن في حفل افتتاح مدرسة :-

اليوم لا شيع ولا احزاب ذهب الهوى فجميعنا احباب
وبدا السبيل الى المعالي واضحا وتقطعت بالعابس الاسباب

وافقد شعبنا الديمقراطية التي نعم بها فترة قصيرة اذ قام الطاغية
عבוד بانقلاب انتهز فيه حدة النزاع بين الاحزاب السياسية الديمقراطية
وتسلم به مقاليد الحكم ستة اعوام طوال اخفت فيها حرية التعبير وجميع
الحرريات السياسية وعاد الضغط والكبت الى الافراد والجامعات من جديد -
وعاد الادب الى سابق عهده يطالب بالحرية للجماهير ويجعل من الضعف
قوة :

وقال الشاعر محمد المهدي المجذوب يتلهنف على ضياع الحرية ايام
الاستقلال وبعد جلاء البريطانيين :-

هاتوا سوى الصبر سلوانا فما وجدت نفسي الحزينة عند الصبر سلوانا
قد كنت احلم بالاوطنان آمنة وبالعدالة في النيلين قرآنا
حسبت ان جلاء الجند يعقبه صبح الاقى به السودان سودانا
وما ازال وبني قيد انازعاه يدور باليد والساقين ثعبانا
فان ترحل (هلم) من اريكته فكيف خلف انصارا واعوانا
ما اكذب الفجر لما جاء مبتسما مثل البغي تريك الوصل هجرانا
لا يعرف العدل الا الحقد في يده سيف يصول على الطغيان طغيانا
وفي المساجد كم ابصرت من وثن يغير الدين دين الله اديانا
يصير الزهد اطماعا ومن عجب ان يصبح الزهد بالاطماع سكرانا
كم غير الحكم قديسا فصيره بسكرة الحكم بعد الصحو شيطانا
ان قلت اصمت قالوا ضاع منطقته وباع بالعيش لا يغنيه اوطانا
وان نطقت فلي رب يحاسبني رب من الناس اعيانا الله كفرانا

وقال ايضا يتحسر على ضياع الديمقراطية :-

اورق بعودك ساقينا وغن لنا (بان الخليط ولو طوعت ما بانا)

(لو كنت من مازن لم تستبح ابلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا)
يا شعب شعبي من ذل ومسكنة وقد تحطم ارواحا وابدانا

واشد سلطان الطاغية عبود وعزل السودان في سجن كبير وحال
بنيه وبين الصلات العربية الوثيقة وحارب هو واعوانه الافكار الحرة في
الشعر والنثر فعمد الادباء الى الرمز والاسطورة ليخلقوا من الضعف قوة :-

وما وطني اين ذلك الوطن
وراء الخيال

اراه فأعجب من جنة
تجاوزتها فهي من رغبتني
الى غيرها في المحال

شبابك كيف غاب
وكيف انتقل
واحلامه قبضة من تراب
اضاع لانك تخشى الحساب
لانك ترتقب المنتظر
وقبرك منتظر ليلة بها انتظرتك الحقر

اسهر في معبد
وحيد الصلاة يتيم الدعاء
وما سمعتك السماء
لقد ترد الظلم حجابها
وغلق ابوابها
وانزل افاقها الصافيات
الى الارض غارقة في الدماء

وليث لدى الغاب أطفاره
بها اتقدت ناره
تلقى ليلة من دمي
سخين لدى غابه المزمين
وليس يبالي الصبح تدفق من فجره
وليس يبالي المساء تجمد في ستره
فدنياه في ظفره

قال يصور حالة الشعب :-

ليس بين القصور في شاطئ النهر ولا في مزارع الوزراء
الاساطير شيدوها لعينيه ميسال الحشيشة الخضراء
هتفوا باسمه كما يهتف الصياد بالصيد شهوة للدماء
واذا ما سعى الى الرزق يسعى بعيون بصيرة عمياء
ليس يدري لاي شيء دعاه الصبح يسعى بخطوة للمساء
بيست كفه من العمل المخضوب امسى لراحة لمساء
الذي الهم الازاهر شوكا الهم الشعب خالدا بالرجاء

وقال :-

يا صديقي وانت مثلي على الذل ومالي سواك فيه رفيق
نحن في غابة بها الظل وحش والطريق الفسيح فيها مضيق
لا تقل لي هلكت او ذهب العيون ودلت على سرانا البروق
عندك الحقد والضعينة وهي النصر والعيش آمنة والرفيق
فاحترق واشتعل من الحقد نارا لن يدك الظلام الا حريق

وفي اوائل عهد الاستقلال وسع الادب ما بدأ به من الدعوة الى
الكفاح المشترك على المستوى العربي والافريقي - ولبور سعيد ديوان زاخر
من الشعر السوداني بانها الهمت الادباء الشعور بعزة الوطن وضريسة

الدفاع عنه في اعلى مستويات التضحية والفداء وكذلك لفلسطين وحركة
كيبانا وثورة لومبا ونضال العراق وثورة الجزائر احدوثة الزمن ثم ثورة
اليمن واشتعال الجنوب العربي من ناحية ضد الاستعمار :

قتال ولسنا نبالي القتال فيا مرجبا بالونى والنضال
عباب يموج هنا في الجنوب له موعد في عباب القنال

تدوى القنابل في القاهرة فتخلع اظلالها الناضرة
وتخرج للحرب في عدة كما تخرج الغابة النائرة
وهيهات ان تخضع القاهرة

نزال نزال على شطه وصبرا على المحنة العابرة
وتلك الجزائر من اوجهه كأوجهن الحرة الظاهرة
فرنسا تسيل باسيافها شرابا لاسيافها البائرة
واين ولم يبق الا النزال وضرب تدوب عليه الجبال
ويحسن فيه الرصاص الجدال تريق الدماء به نـره

ليعبرها من يريد القتال

جمالك يا مصر منذ القدم يلوح لنا في مجيا جمال
يهز من المهجات العلم ويرتد عنه مصيب النبال
وليس يبالي الردى والعدم فقد زال عنه الردى والزوال
فيا فارس النيل يا روحه ويا بطلا يشتهي الخيال

صلاتك في الجامع الازهر صلاة النبي لدى المعركة
يباعك الفتية المؤمنون على قتلها الفتنة المشركة
كربلاء فجعتنا من جديد والدماء - بركة زاخرة ملء العراق

وزيد ، لا رعى المولى يزيد - عاد في نور السعيد - اعجمي ذو شقاق ونفاق
دون عرش من اكاذيب مشيب - ودعاوى - كذئاب تتعادي وعييد

هاشم يبرأ من دعوى العيد وهبوا السفاح بغداد الرشيد

يا رفاقي هتف الصبح بنا - فافيقوا يا رفاق - ذهب الليل ولم يبق به
غير ظل في العراق

يتراى فيه نوري شـبـحا مثل دمع يتهادى في الفراق

وقال الشاعر الدكتور عبدالله الطيب يشكو فلسطين :-

وكيف يسلو اخوهم وهو تؤرقه	لواعج الهم لا يعلوه الهابسا
في الشرق والغرب اخوان الم بهم	صرف الزمان فانحى الظفر والنايا
مشردين بافاق رجاؤهم	داج الاح جبين الشمس ام غابا
كم في فلسطين محزون وناكله	ويأس شك في الرحمن والتابا
الدور صارت لاسرائيل خالصة	والمال غودر انفالا واسلابا
واصبح القوم في دهيا جائحة	يقالبون من الاقدار غلابا
وها هم ما دهانا من مواعد لا	يوفي بها جعلت مينا وكذابا

وقال الشاعر السوداني محمد محمد علي في قصيدته (العاصفة)

يذكر ثورة اليمن :-

الليل طويل كالزمن	والفجر رفاة في كفن
وهناك قصر يقطنه	سفاح يعبد كالوثن
وهناك هناك مدمرة	تنمو في السر وفي العلن
والقصر يفور بشهوته	محسوب المقلّة والاذن
يذكي الاحرار شرارتها	فتنور في قلب الزمن
تنمو تنمو ثم انطلقت	في وثبة شعب مصطن
صرخت بالقصر مدمرة	جدران البغي المتهن

حجرا حجرا طارت وثوت
والصبح تنفس ساطعه
سلمت احرارك يا داري
سلمت احرارك يا وطني

وقال يذكر مؤتمر القمة العربي :-

نصر اللهم وجه العرب
واقذف الشذاذ في هاوية
ولييت من سامنا مكروهه
وانصر اللهم قومي انهم
واجعل الايام تمشي خلفهم
حملوا الدنيا وراشوا اهلها
واسكب الآلاء في ساحاتهم
واردد المسلوب منا عاجلا

واخترم اعداءهم بالعطب
واصلهم فيها جحيم الغضب
شاحب الوجه رهين الكسرب
نورك الساطع ربي اجب
مثلما كانت طوال الحقب
يوم كان الغرب خلف الحجب
واسقها من كل غاد صيب
واجعل السالب بعض السلب

هزني اجماع قومي بعدما
يا رعى الله كراما نزلوا
من ملوك أدركوا امتهم
جمعتهم صيحة من ضيغم
انجم ان عسعس الليل بدت
انا اليوم يد ان بطشت
وارانا قد جمعنا امرنا
اسمع المدفع يعوى وارى
بل اراني وسلاحي في يدي
كيف نومي وبلادى مغنم
لا ولا تدنو به عاطفة
لم يصم يوما ولا صلى الى
لينه ما زال في التيه اذا

شتهم قوة المعتصب
ارض مصر كالسيوف الغضب
وهدهاء ورؤوس نجيب
فتلاقوا في حماها الاشب
وملاذ عند نوب النوب
طاح عرش الفاجر الملتهب
فظفرنا بالنسي والارب
في رجا الهيجاء لمع الشهب
ناثرا ارميهم باللهب
لظريد لم يطع امر نبي
من بني الانسان او من سبب
قلة غير بريق الذهب
خر من طود هوى في سبب

بل تراني راجعا منتصرا	ملء قيثاري نشيد الطرب
وفلسطين وما اعظمها	هي كالخرطوم مجلى حسب
ارضها منذ قديم ارضنا	فاح من جناتها ريح اب
ان تسل عني فاني عربي	ولساني وجناتي عربي
دعوتي كل مساء قلق	وصباح من اسانا شحج
نضر اللهم وجه العربي	وخذن اعداءهم بالعطب

ونار الشعب السوداني في اكتوبر عام ١٩٦٤م وقضى على عملاء الاستعمار الطغاة الذين استولوا على الحكم سنوات ست وعزلوا السودان عن اشقائه وتغولوا على حياته الفكرية طوال تلك الفترة - ولقد كان للثقافة اثر حاسم في هدم هذا الحكم الفاسد ولقد لجأ الادباء في ايامه السود الى الرمز واستفادوا من الاساطير والاحاجي .

وهناك ناحية هامة لا بد من ذكرها وهي ان افريقيا لونت الادب السوداني بالوان ساطعة فان الطبول والغابة وعبادة الحيوان وعبادة النيل ظاهرة لازمة في الادب الصوفي الشعبي والفصح وهي تعكس غزارة الخيال مع عنف الحركة وضخامة المناظر للقارىء حين يتأمل هذا الادب يلمح فيه حيوية الراقصين على دوى الطبول مع ميل الى الوثنية ونظر الى الكائنات التي تعيش في الغاية وبأيجاز فان هذا الادب يجمع بين صحراء العرب وغابات الزنج - ولقد كان لهذا الادب اثر كبير فهو الى جانب الدين الاسلامي قد ربط السكان بمودة معنوية وهو يهدف دائما الى تحقيق شيء مثالي عزيز المنال - وهو قد احاط دعاة الصوفية بتقديس باقي الاثر والصوفي يمثل قوى الطبيعة الخيرة المنتصرة على الشر .

ان ثقافة السودان العربية مرنة رحبية الصدر وكانت وما تزال تلتقط الجوانب المضيئة من كل ثقافة وارده وهي عندما اخذت ما يفيدها من ثقافة الغرب و اضافته الى كيانتها النامي انما شعرت منه سلاحا وغرسته في صدر الاستعمار .

ان ثقافتنا منذ كانت قامت على ايثار الحقل وطلب العدالة والنصفة
والتورة على القيود وهي ماضية في سبيلها لالتقاط كل جديد يزيد لها خصوصية
ونماء ، والاشتراكية كانت في اعماق هذه الثقافة منذ العهد الصوفي وما
زالت طوال عصورنا التاريخية الهدف الذي نسعى اليه ، والرجعية الفكرية
والاقتصادية هي عدونا مثل صانعها المستعمر - لقد ذكرنا في مطلع هذا
الحديث اتنا مرابطون باسم الثقافة العربية في السودان ونحن نعاني وببذل
المزيد من الجهد والعزم لحماية هذه الثقافة ونشرها ووقايتها من المترصين
بها من اعداء العروبة وازدهارها - لقد قال رئيس الوزارة السودانية الشعبية
ان السودان الضارب في اعماق الارض العربية ثقافة ووجدانا ومصيرا
الموغل في التراب الافريقي وجودا وكيانا ومستقبلا ليدرك الدور الذي ينبغي
ان يضطلع به في دعم العلاقات العربية الافريقية .

ان السودان ليدرك المسؤولية الملقاة على عاتقه والدور الذي يتعين
عليه وان يقوم به ازاء القضايا العربية في حساباته نافذة تهب منها رياح
ثقافتنا العربية وحضارتنا العتيقة الى الشعوب الافريقية وجسرا يصل بين
قضايا التحرر في الوطن العربي في الارض الافريقية .

وعلى هذا نرجو ان نكون قد صورنا لاخواننا الادباء العرب عظم
المسؤولية التي تقوم بها عن العالم العربي في حراسة تراث العرب ومجدهم
الحاضر والغابر في وسط افريقيا وتحت عراقيل الاستعمار وتربص اعداء
العروبة خصوصا بعد تبيينهم لخطورة التكتل العربي الكبير الذي لن يجدوا
فيه ثغرة يلجون منها اليه .

التيجاني عامر و محمد المهدي المجنوب

عضوا وفد السودان

الأدب والبناء

Handwritten text in Arabic script, possibly a signature or title, centered on the page.

القرآن والمفاهيم المتناهية للاشتراكية

بقلم

ابنح امين الخولي

١ - القرآن قمة أدب العربية ، بما هو معجزتها القولية ، وقد تأدب به أمس ، وسيتأدب به غدا ، العربي المتدين بالاسلام او بسواه من الاديان ، وغير المتدين كذلك ، ثم هو كتاب المسلمين جميعا عربا كانوا أو غير عرب •

تحدث الادب العربي عن العرب مسجلا غالبا ، ومتطلعا أحيانا ، وتحدث القرآن عن العرب - بين الناس - منتقدا - ما ينتقد من أمرهم ، موجها اياهم لما كرم وسما من آمال الانسانية ، فاذا ما ساند العرب اشتراكيهم اليوم بتطلعات أدبهم اللامحة فما اولاهم بان يلتمسوا مساندة هذه الاشتراكية بالتوجيه القرآني ، الذي هو ذروة هذا الادب ، ودعوة الامل للغد •

من اجل ذلك كان حديثي الى مؤتمر الادباء العرب ، في ناحية «الادب والبناء» عن القرآن والمفاهيم المتناهية للاشتراكية •

٢ - وتفسير هذا القرآن قد تناولته على الدهر خطط مختلفة ، وثقافات متنوعة ، منها ما تطمئن اليه ثقافة هذا العصر ، ويتذوقه الحس العربي المرهف ، ومنها ما يجنح الى غيبية ، أو يتوسع في الفهم توسعا لا يقره القرآن نفسه ، ومن هنا أشعر بضرورة الاشارة الموجزة لمنهج فهم القرآن وتفسيره اليوم ذلك التفسير الذي يكشف عن « المفاهيم المتناهية للاشتراكية»

فيه ، على اساس من طبيعة العربية وحسها الذي لا يجرى عليه اختلاف ، ولا يحتكم فيه تعصب ، بل يطمئن اليه العربي بعروبه وحدها ، فلا ينكر عليه فهمه ، فيطمئن اليه المتدين بعد ذلك على بصيرة نيرة ، ينزل على حكمها الفن والعلم جميعا ، وللوصول الى هذا الاساس السليم ، لا تطلب مفاهيم القرآن بالطرق الاتية :

(أ) - من تفسير باطني يرى للقرآن ظاهرا وباطنا ، ويقول في ذلك بما يتضبط ، بل يوفي بالقرآن على خضم متلاطم ، من مقالات الفرق ، ودعاوى الباطنية .

• ولا تطلب مفاهيم القرآن بشيء .

(ب) من تفسير اشارى يقول فيه الصوفية بمواجدهم وأذواقهم التي لا يضبطها الا ما يجدون هم ، ولا يمكن حمل الناس عليها ، اذا سلم لهم بشيء منها في خاصة انفسهم ولا تطلب مفاهيم القرآن بشيء .

(ج) من تفسير يعطي القرآن ما لم تعرفه العربية من دلالتها عند نزوله ، ليطمع في ان يشغل نفسه واهل القرآن باستخراج جديد علم اليوم منه ، يحسب أن ذلك خير للقرآن ، مع أن القرآن نفسه قد صرف الناس عن مثل ذلك ، ووجه الرسول عليه السلام الى ان يصرفهم عنه في مثل قوله : يسألونك عن الاهلة ، قل هي مواقيت للناس والحجج - ٢١٩/ البقرة .

أ - وانما نطلب مفاهيم القرآن بالعربية الصريحة التي وصف بها نفسه في مثل قوله : انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون - ٢/ يوسف .

وقوله : وكذلك انزلناه عربيا - ١١٣/ طه ، وقوله : قرآنا عربيا غير ذى عوج - ٢٨/ الزمر ، وقوله : كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون - ٣/ فصلت ، وقوله : انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ٣/ الزخرف ، وقوله : وقرآن مبين ، في ١/ الحجر و ٦٩/ يس .

واذا ما فهمنا القرآن على هذا الاساس المستقر والمستوى الثابت من العربية وحدها حق علينا :

ب - ان نطلب مفاهيمه ، كما تعطىها العربية التي كانت معروفة

ومستعملة في زمن نزوله للناس الذين كلفوا بفهمه ، كما يدل على ذلك
بمثل قوله : وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها ،
١٠/الشورى فإذا ما كان في المعاني العربية المعروفة في عصر النزول - دون
تزيد ولا توسع - ما يمكن ان يفتح آفاقا واسعة اليوم لفهم القرآن فلا بأس
بذلك أبدا ، بل ينبغي ان يطلب مثل هذا التوسع ما دامت الدلالة العربية ،
في عصر نزوله وتقبله ، فلنستشف من مرامي التعبير القرآني اذ ذاك كل
ما يستطيع التقدم الانساني ان يتبينه •

٣ - وعلى هذا الاساس اللغوي المستقر السليم تقوم الحاجة الى :
الخطوة الثابتة لاختذ الفكرة المتكاملة من القرآن ••• ووجه الحاجة انسى
القول في هذه الخطوة وثباتها هو ترتيب القرآن وتناوله للموضوعات المختلفة
في غير موضع واحد •

فالقرآن لم يرتب في موضوعات مثل ما في سفر التكوين ، وسفر
الخروج وأشباهها في الكتب الدينية ، أو مثل الابواب والفصول في
الكتب العادية • وانما جرى على ترتيب آخر ، يلحظ فيه انه يعرض
للموضوع غير مرة ، في غير موضع ، فالقصة الواحدة توجد بصورة مختلفة
والحديث عن الاسرة ورباط ما بين افرادها قد يتناول في قصة احيانا ،
كقصة آدم ، أو يتناول في آيات كونية ، لمناسبات أخرى ، ويتناول في مقام
التشريع ••• وهكذا الامر في الاموال وملكيته ، تناولها القرآن في مواضع
متعددة ومناسبات مختلفة ، وفي صور متعددة ••• فكيف تؤخذ الفكرة
المتكاملة عن الموضوع الواحد من القرآن ؟

يبدو جليا أن الجواب عن هذا السؤال هو :
ان يجمع ما عرض له القرآن عن الشيء الواحد من مواطنه المختلفة
فيه ، جمعا شاملا ، ثم يفهم كله فهما متناسقا ، يرد فيه بعض القرآن على
بعض ، ويفسر بعض القرآن ببعض •
وهنا يتضح ان هذا الفهم المتناسق الذي يفسر فيه بعض القرآن بعضا
يحتاج الى أساس ثابت لهذا التناسق والفهم المتكامل حتى يقع الاتفاق

على قبوله ، ولا يكون موضعا لاحتكام المحكمين فيه ، واختلاف المختلفين حوله : ونضع من أمثلة هذا التناول المتغاير في القرآن ما يفتح الطريق للخطة السليمة في هذا الفهم المتكامل ، على ما اشرنا اليه ، فسنجد في :

(أ) السلم والحرب مثلا ان القرآن قد قال حيناً : يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . ٢٠٨/البقرة ، وهو الذي قال : يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين . ١٢٣/التوبة ، كما قال الكثير غير ذلك في هذا المعنى .

(ب) في معاملة الزوجة قال حيناً « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون » ٢١/الروم ، ثم هو الذي قال : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن » ٢٤/النساء .

(ج) في الأموال وملكيته قال القرآن مثل : « وتحبون المال حبا جما » ٢٠/الفجر ، وسمى الاموال أموالهم وأموالكم في مثل قوله : « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » ٢/النساء ، ويعتبر أخذها اقتراضا منهم في مثل قوله : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ... الآية » ٢٤٥/البقرة ، ١١/الحديد .

والامثلة على ذلك التغاير في تناول القرآن للمشكلات الحيوية كثيرة ، بل ان هذا التغاير قد يكون بين صدر الآية وختامها في مثل قوله : وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن ، والجروح قصاص ، ثم تعقيبه على ذلك حتما للآية بقوله : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ٤٥/المائدة .

وقوله في القصاص : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والانشى بالانشى » ، مع تعقيبه على ذلك بقوله : « فمن عفى له من أخيه شيئا فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب

البم « ١٧٨/البقرة • وقوله : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا »
وبعد هذا يقول « فلا يسرف في القتل انه كان منصورا » ٣٣/الشعراء •

فكيف تحفظ على القرآن هذه الدعوات الانسانية الكريمة
بصراحتها ، وقوتها ، وخيرها ، وامل الدنيا فيها ، من دعوة الى السلام
العام ، ومن مثالية في علاقة الرجل والمرأة ، ومن عفو في القصاص العام ،
وقصاص الاعضاء •• ومن تخفيف حدة غريزة الاقتناء الى جعل الملكية لله ،
واعتيار الناس مستخلفين فيها ، ينفقون انفاق الوكيل عن أصيل كريم ،
رزاق ، وهاب • وحاجة الانسانية الى هذه الدعوات الكريمة السامية حاجة
جد شديدة ، وتطلعها اليها تطلع حريص مشوق ، بقدر طمعها في غد
أفضل ، وأملها في حياة أكرم واسعد •

ماذا نفعل في هذه الحال ؟ انقرر نسخ آية السلام العام ، كما قال
بعضهم ، او ننسخ آية المن والفداء التي لم تشر الى الرق اشارة ما ، ونقتل
الاسير أو نسترقه ؟ اننسى تقرير ملكية الله للاموال واستخلاف الناس فيها ،
ونحترم الاقتناء والاحرار • ونبيح القتال عنه ، ونقرر استشهاد من مات
مقاتلا عن ماله !!

وليس كل ما في الامر هو بشاعة هذه النتائج العملية في الحياة ، بل
ان قضية النسخ هذه نفسها ، نجد في الاولين من انكرها كأبي مسلم
الاصفهاني ؟ ومنهم من انكر بعض ما ادعى منها كاتكار الطبرى نسخ آية
السلام العام في البقرة ؛ كما نسمع فخرالدين الرازي يقول :

ان وقوع النسخ في القرآن مما لم يثبت بالدليل فضلا عن وقوعه
بالسنة أو بغيرها^(١) •

واكثر من ذلك ان التسليم بالنسخ لا يحل المسألة حير يكون صدر
الآية تقرير عقاب ، ويكون ختم الآيات نفسها حثا على العفو كآية القصاص
في النفس وفي الاعضاء السابقة وغيرها ، فهل نقول بنسخ ختام الآية في

(١) الرازي : مناقب انشاعبي ص ٢٦٢ ط حجر بمصر •

هذا الحض ، وتعمل صدرها في العقاب ، أو نقول ان هذا الختام للآية ليس
الا وعظا وترغيبا ليس له قيمة عملية !!

ولقد انكر هذا النسخ من الاقدمين من انكره ، مع انهم لم يكونوا
يستشرفون لهذه الآمال الكريمة ، والمثل النبيلة ، استشراف الدنيا اليوم
لها ، فهل نقول بالنسخ نحن الآن . والدنيا تنشوف الى سمات ملطفة من
هذه الآفاق الرحيمة ! اذا كانت باسم الدين ومن كتاب الدين فانها أكرم
قيمة واجمل وقعا .

* * *

ليس في الامر الا ان نقاوم هذا الاهدار ، ونلتمس الرأي الثابت في
الفهم المتكامل لتناول القرآن الذي يمكن القطع بانه لم يتغير جزافا ولا
نسحا ولا وعظا ، بل تغاير عملا ليهيء للقرآن الصلاحية المتصلة المستمرة
لمسايرة الحياة في تطويرها ، بل لرفع المعالم على طرائق مستقبلها .

والرأي الذي هدى اليه تتبع هذا الصنيع من القرآن ، تقديرا لعموم
دعوته وخلودها هو : ان الخطة المطردة ، في الفهم المتكامل لتناول القرآن
للموضوع الواحد ان بعضا من هذا تناول تحتاج اليه الحياة - قديما
وحديثا - في حال لها ، وعصر من عمرها ، ومستوى من تحضرها ، لا يبلغ
فيه من الطموح الواضح أكثر مما تلائم هذه الاحكام وتلك التنظيمات ،
فهي في هذه المرحلة تغضب او تثور اذا لم يقابل العنف بالعنف ، والقتل
بالتقصاص ، ولا ترتاح لشيء من العفو للاخ عن شيء من ذلك وهي لا
تفهم من صلة الزوجية الا ان تساس المرأة هذه السياسة ، فتضرب بعد الوعظ ،
والمرأة نفسها في هذه المستويات لا ترتقى الى ادراك ان أساس علاقتها
بالرجل هو المودة والرحمة .

فيكون ما في القرآن من مثل هذا هو ما يمكن ان نسميه «بالواقعية»
التي كان يجب ان يجدها المدعوون اليه في القرن السادس الميلادي ليحملوه

الى الناس ومعه ما لم يستشرفوا هم وقتها اليه ، فصدق فيهم ان السامع يكون اوعى من المبلغ ، كما في الحديث :

واما ما وراء ذلك مما حملته آيات متعددة ، او ختمت به آية واحدة فهو أمل تطمح اليه الدنيا كلما ازداد وعيها ، ودق شعورها ، وما في القرآن من ذلك انما هو مثال يرفعه للانسانية لتتجه اليه ، وتطمح له ، فنبغ من ذلك آخر ما يمكنها ان تطمح اليه أو تفكر فيه مع الزمن •

فما ذكرناه من هذه الدعوات الراقية المسعدة ، للسلام ، وأساس العلاقات بين الرجل والمرأة والاستخلاف في المال هو ما يمكن ان نسميه « بالمثالية » القرآنية •

ففي القرآن واقع عمل به أمس ويعمل به الآن ، وسيظل يعمل به في مجتمعات لا تتطلع الى ما وراءه وهو الذي تفهمه ، ثم في القرآن مثال يرجى ويسعى اليه ، وهو يمسك على الناس أملهم ويطمئئهم في قرب تحققه ، ويسدد خطاهم اليه •

وتمة القول عن هذه الواقعية في القرآن ، وتلك المثالية فيه ، وامكان اجراء الفهم المتناسق للقرآن على تباير تناوله ، مما يمكن ان يلتمس في غير هذا المكان • وحسبنا هنا البيان للخطوة ، وتأكيده ان تناول القرآن جميع ما تناوله من شؤون الحياة يجرى كله على هذا الاساس الثابت ، من الواقعية والمثالية ، ويفهم على تكامل فيهما وبهذا التناسق بينهما ، فيحفظ كرامة الدعوة القرآنية ، ويديم صلاحيتها للتطور على اختلاف الازمنة ، ووفاءها بحاجة الاقاليم المختلفة والبيئات المتنوعة •

وهذا بيان كاف للانتفاع به في استخراج معاني القرآن في : المفاهيم المثالية عنده للاشترائية •

٤ - على أساس من هذه المبادئ المستقرة ، وهي :

(أ) ثبات المستوى اللغوي لفهم القرآن دون شيء من الغيبة الباطنية أو الخصوصية الصوفية ، أو التوسع غير المنضبط في مدلولات الفاظ القرآن ، لما سبق بيانه •

(ب) ثبات الخطة في تكامل الآيات القرآنية ، ورد بعضها ، وضبط ذلك
برد بعضه الى الواقعية وبعضه الى المثالية ، يدفع الكثير من الاعتراضات على
واقعيات فيه نظنها هي الصورة الاخيرة من التدبير القرآني للحياة ...
فمن افق هذا الثبات والوضوح ، والاحتكام الى حسن العربية القتي ،
دون أي شيء آخر نستخرج :

المفاهيم المثالية للقرآن في الاموال

ف نجد ان القرآن بواقعيته يعرف حب الانسان للمال ، ورغبته في
التملك والافتناء الفردي ، وهو لا يهجم على هذا كله بكبح وكبت قاس ،
كالذي حاولته بعض الاديان أو الفلسفات ، بل هو قد اعترف بملكية
الانسان ، ونظم تناقلها بين الاحياء ، وتوارثها عن الاموات ، وشغله من ذلك
غير قليل ، لكنه كأسلوبه في العرض المتعدد المتفرق لم يفصل هذه الواقعية ،
عن شبه مثالية ، أو مثالية تفرق في عرضه وتناوله .

ثم هو مع معرفة هذه الرغبات وواقعيته يأخذ بيد البشرية في
سبيل تهذيبها ، وكبح جماحها ، والتنقل بها شيئاً فشيئاً ، من الحرص الشديد
الى تقبل الهوادة فيه ، فالتساهل فيه ، فالتغلب عليه .

هو يهذب غريزة التملك بمثل نهيهِ عن الاغترار بالاموال . بل بيان
أنهما أعداء : « اعلموا انما أموالكم واولادكم فتنة » ... « ان من أموالكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم » ...

وهو يحول الميول تحويلاً نفسياً مدبراً ، يدفعها الى ان تتقى شحها ،
ويغريها بما هو خير وابقى من المال ... وهو يقاوم اسرافها في طلب المال
فيحرم ان يكسب المال مالا ، على ما هي حقيقة الربا الذي هدد بمحقه ،
وقال : « يمحق الله الربا » ٢٧٦ / البقرة .

وهو يهدد اكتناز المال ، وعدم اخراجه للمنافع الاجتماعية ، ويبشر
الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بغداب اليمس .

يوم يحمى عليها في نار جهنم فكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما
كنزتم لانفسهم فذوقوا ما كنتم تكتزون « ٣٤/التوبة »
وهو يقرر الجزاء الحسن على الانفاق في سبيل الله ، بعد ما جعله
قرضا لله ... كما انه ينه الى الانفاق في سبيل الله من قبل ان يأتي يوم لا
يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة » .

فهو - كما ترى - ينقل الانسانية من واقعها تدريجيا بطريقته في
العرض المتنوع المتفرق ، المجاور للاعتراف بالواقع ، ويهيئ بذلك كله
لمثالية عرضها بأسلوبه هذا ، الذي يترك هذه المفاهيم المثالية للوقت الذي
يقوى فيه شعور الانسانية ، ويدق وعيها فتحسن الانتباه لذلك . وتجد منه
ما يعزز انطلاقها ويؤيده ويسدده ، لا ما يكفي بعدم تعويقها لا غير .

فاذا هو في مثاليته يقول في عرضه المتنوع « وآتوهم من مال الله الذي
آتاكم » فاذا المال لله ، لا لمقتنيه ومالكة ؛ ويقول : « وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه » فاذا هم وكلاء فقط ينفقون انفاق الوكيل عن اصيل طالما
وصف نفسه بالكرم والجود والبر والرحمة ، ومضاعفة الاجر ... ومن
هذه المعاني ما أدركه المفسرون القدامى انفسهم ...

واذا المتطلعون لاسرار هذا القرآن يقولون : ان المال كالماء ، لا يشرب
منه أكثر من الحاجة ، فأقوياء النفوس الصالحون لا يشربون من الماء أكثر
من حاجتهم ، وينفرون مما وراءها ، ولا يجمعون الماء في القرب والروايا
يدورون بها معهم ، بل يتركونه في الانهار والبراري للمحتاجين^(١) .

* * *

هذه هي المفاهيم المثالية الواسعة الافق البعيدة المدى ، في مسألة المال
وملكه وانتفاع الناس به ، وهي كما ترى اوسع افقا من الاشتراكية التي
يتحدث عنها الشعب العربي اليوم ، وما فيها من قطاع عام ، وآخر خاص ،
ورأس مالية وطنية ، وتعويض عن التأمين ، وأشباه ذلك .

(١) الغزالي - احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٦ ط الحلبي .

فلتسم البشرية ما تشاء من اشتراكية كذا واشتراكية كيت فان المفاهيم
المثالية القرآنية تتسع في وضوح وجلاء ، ودون اى تحكم في التعبير أو
تساؤل في اللفظ الى اوسع من هذا كله .

ومن أجل ذلك لا يقبل ان تنعت هذه المثالية الكبرى باسم مذهبي
كالاشتراكية ، لان مثاليته جاوزت آمال الاشتراكية ، وفانت واقع أعمالها
فليق القرآن مثاليا لا مذهبيا .

ومن أجل ذلك كان عنوان هذا البحث هو :

القرآن والمفاهيم المثالية للاشتراكية

قدم فيه القرآن ، وجعلت المفاهيم مثالية ... ولم يجر على غرار ما
رسم في تنظيم المؤتمر من تاخير الادب وذكر المفاهيم الاشتراكية ... ولعل
هذا الصنيع يمنح الحياة العربية اليوم ما نرجوه من تذليل العقبات
وتصحيح الافكار ، ودفع العرب قدما بفضل الفن ، والدين والعلوم جميعا .

أمين الخولي

عضو وفد المتحدة

الجذور التاريخية للاستراتيجية العربية

بقلم

الدكتور عبد العزيز الدري

يمر المجتمع العربي بثورة شاملة تهدف الى تحقيق حريته وصمان وحدته واطلاق امكانياته وبناء مجتمع تسوده العدالة ويعمه الرخاء .
وهي ثورة متصلة الجوانب والحلقات في البلاد العربية ، على الرغم مما يبدو من تركيز أو تحديد . فهي ثورة على التسلط الاجنبي اولا في جزء ، وثورة على الاستغلال والتخلف في جزء ، وثورة على التجزئة في جزء ، وثورة على هذه جميعا في اجزاء أخرى من الوطن العربي .
والثورة في شمولها او في جانب منها لا تقتصر على التخلص من وضع ، فذلك لا يعدو ان يكون تهيئة او تمهيدا للثورة الفعلية ، وهي عملية البناء التي تخلف التغيير الكلي ، فتكون جذورها في التربة عابرة الواقع الى المستقبل المرسوم .
وللفكر دوره الكبير في التوعية وفي التمهيد للثورة ، ولا بد ان يكون له دوره الاساسي في البناء . ولكن الفكر لن يؤدي دوره ان ركن الى النقل أو اقتصر على التأمل ، بل لابد ان ينبثق من التراث والواقع ويتفاعل معهما باستمرار .
والمجتمع العربي الان في فوران متصل وحركة دائبة ، تعمه رغبة جارفة لتخطي الزمن واللحاق بركب المدنية وتحقيق اهدافه الكبرى .
وقد أدى هذا الى تسبق الحوادث نطاق الفكر في كثير من الاحيان وان يأتي التطبيق قبل ان تتحدد النظرية . ان هذه ظاهرة حيوية قوية اورثت الثقة والامل والهبت الطموح ، لذا فانها تفرض على الفكر مسئولية خطيرة

في متابعة الاحداث وتفهمها وفي التخطيط للمستقبل .

ان محتوى الثورة العربية في الحقل الاجتماعي الاقتصادي يمثل جانبا حيويا لهذه الثورة ، وهذا المحتوى يتمثل في الاشتراكية العربية ، لانها تمثل مفهوم العدالة الاجتماعية بمعناها الواسع في المجتمع العربي الجديد .

وطبيعي ان يتجه الفكر العربي الى بحث الاشتراكية العربية والى تحديد اطارها الفكري ورسم خطوطها النظرية . وطبيعي في مرحلة مثل هذه ان نرى مجالا رحبا للاجتهاد وللنقل ، وان نحس بازمة فكرية قوية . ولكن الفكرة لن تستقر ولن ترسخ الا اذا انطلقت من الواقع ووجدت جذورها في التراث ، والا اذا كانت تحقيقا لآمال الامة وتجسيديا لامانيها .

ولنا ان نتساءل مبدئيا عن المفهوم الذي تنطوي عليه الاشتراكية العربية وعن محتواها ، وان نفحص سبب نعت هذه الاشتراكية بأنها عربية لنرى وجهتنا . فهل نعتبر التطبيق أساسا للتسمية فنعت كل تطبيق اشتراكي باسم البلد الذي يطبقه ؟ ان هذا الاتجاه يفترض ان الاشتراكية واحدة ، حيثما وجدت ، وكيف طبقت ، ولن تعدو التسميات الاوصاف الجغرافية أو الإقليمية . والاشتراكية ليست مجرد نظام اقتصادي ، بل هي نظام كلي له قيمه ومفاهيمه ونظراته للحياة . كل هذا يعني قبول هذا النظام وما ينطوي عليه والملائمة النسبية في التطبيق . اتنا لا نقر هذا التفسير ، فهو لا ينطبق على الاشتراكية العربية ، ولا يمكن قبوله مفهومها لها .

ان الامة لا تستطيع التخلي عن ارثها الحضاري وعن قيمها ولا يمكنها ان تسليخ عن ذاتها ان أرادت البقاء . فكيف اذا أرادت تجديد ذاتها وتحقيق حياة كريمة لابنائها .

ان الاشتراكية العربية ليست صورة أخرى للماركسية ، وانما انبعثت من واقع الامة العربية ومن ارثها الحضاري ، وانها تتمثل قيمها الأساسية ومفاهيمها الخلقية . وهذا لا يعني عزلتها بل انها في الوقت نفسه

• نستفيد من خبرات الأمم الأخرى ومن نتاج الفكر الإنساني لاغناء ذاتها .
• أنا حين نؤكد على الجذور العربية الإسلامية للاشتراكية العربية ،
ونؤكد على تمثلها للقيم العربية الإسلامية وللنظرة الإسلامية للحياة ، لا
نقصد البحث عن مبررات الاشتراكية منقولة ، في التراث أو في أحداث التاريخ
العربي الإسلامي ، لأن هذا لا يعدو وضع اقنعة شفاقة على نظام منقول .
• أنا نريدها اشتراكية عربية في جذورها الحضارية وفي قيمها ونظرتها ،
مفتوحة على خبرات العصر الحديث وعلمه .

• ان ما ذكرنا لا يعدو ان يكون هدفا عاما ، ولن تكون له دلالة
ومعناه الا بالنظر الى الأصول التاريخية .

• أنا لا نريد دراسة الفكر الاشتراكي هنا ، ويكفي ان نتحدث
عن الماركسية بايجاز تتطلبه طبيعة الموضوع .

• أنا نجد في عدد من الحضارات آراء عن العدالة الاجتماعية ، وعن
توفير الفرص المتكافئة ، وعن انكار الاستغلال . أنا نجدها في بعض
الفكر اليوناني ، ونجدها في الفكر الهندي والصيني ، ونجدها في الفكر
المسيحي الوسيط ونجدها في العصور الحديثة قبل قيام الماركسية . ولم
تكن هذه الآراء الا رد فعل للمساوىة الاجتماعية وتعبيرا عن تطلمع
المفكرين والجماعات الى حياة أفضل .

• ولم تكن الماركسية خارجة عن هذا الاطار العام . فهي نتاج الحضارة
الأوروبية الصناعية في القرن التاسع عشر ، وهي تقدم صورة كلية للمجتمع
الذي تريده . فهي تعطي تحليلا دياكتيكيا ماديا للتاريخ البشري ، وتعتبر
تغير وسائل الانتاج أساسا لتغير المجتمع ولتغير قيمه ومثله وهي تنكر الدين
وتعتبره ظاهرة تاريخية عابرة صارت وسيلة استغلال . انها نتاج تطور
الحضارة الأوروبية التي قامت مبدئيا على الارث اليوناني والديانة المسيحية
واخيرا على النهضة العلمية وعلى ما تخفيه من صراع بين الدين والعلم وعلى
هذا الازدواج القلق المتصادم بين النطاق الديني والنطاق الدنيوي .

• ولنا هنا بصدد بحث الثورة الدينية في أوروبا على الكنيسة ، وقيام
البروتستانتية ، وما كان لها من اثر في تشييط الرأسمالية ، ولنا بصدد

تحليل اثر الثورة الفرنسية في ضرب الاقطاع الاوربي ودفع الحركة القومية الاوربية وما لازم هذه الحركة من محاولات لتوسيع رقعة الاستعمار ، وبت مفاهيم المساواة بيد والسيادة الغربية بالاخرى وما صحب ذلك من آثار عميقة ، ولكننا نشير الى الثورة التي مهدت لقيام الماركسية وهي الثورة الصناعية . فقد احدثت الثورة الصناعية تحولا واسعا في المجتمعات الغربية ، رافقته مآسٍ اجتماعية خطيرة واوجدت اندفاعا من الاستغلال تجاوزت كل حد وبرزت تناقضات اجتماعية اقتصادية شديدة . وحصل هذا في عصر من التقدم الفكري الواسع .

ظهرت الماركسية في اطار الحضارة الاوربية في القرن التاسع عشر ، وهي نتاج مجتمع اوربي متفطرس يرى مفكروه ان تجارب البشرية انتهت اليه ، وان كل ما حصل او يمكن ان يحصل فيها لا يخرج عن نطاق تجربة المجتمع الغربي .

ولم يشذ ماركس عن هذه النظرة ، بل انطلق منها حين التفت الى التاريخ الغربي وحاول تفسيره ثم حول ذلك الى قوانين عامة لتطور المجتمعات البشرية . والواقع ان مؤرخي الغرب وفلاسفة تاريخه استمروا يحملون نفس الفكرة الى اواسط هذا القرن ، فلما قامت الثورات التحررية الكبرى بين شعوب آسيا وافريقيا بدأوا يدركون خطأ الفكرة وضيقها ويرون انه لا يمكن تعميم أي تفسير لتجارب المجتمعات الغربية على المجتمعات البشرية الاخرى .

جاءت الماركسية بتفسير ديبالكتيكي مادي للتاريخ البشري ، واعتبرت تغير وسائل الانتاج وملكيته أساس تغير المجتمع وتغير مثله وقيمه . اذ يرافق تغير وسائل الانتاج صراع بين الطبقة المسيطرة حاليا والطبقة الجديدة الصاعدة ، وهكذا فالتغير الجذري لا يكون الا بصراع الطبقات ، والماركسية تنكر الدين وتعتبره ظاهرة تاريخية وسيل استغلال .

وهكذا فالماركسية تخضع تطور البشرية لقوانين حديدية ، وتفرض الحتمية في التاريخ . وترى ان قوانينها تصدق على كل المجتمعات بمعنى ان حتمية التاريخ تفرض مرور المجتمعات بنفس الادوار من التغير التي

تراها هي في المجتمع الغربي ، فهي صور متتالية متوازنة من التغيير في المجتمعات البشرية .

وقد تقرب المفاهيم الماركسية لابناء مجتمعنا اذا اشرنا الى محاولات بعض المؤرخين الماركسيين تفسير التاريخ العربي . فهم يرون ان المجتمع العربي مر قبل الاسلام بالمرحلة البدائية (الرعي) الى مرحلة امتلاك الرقيق وشارف المرحلة الاقطاعية . وهذا التطور ولد ازمة اجتماعية اقتصادية انتجت الاسلام . وحاولت ارسنقراطية الملاكين (تجار الرقيق) الخروج من الازمة بالفتوحات ، ونتج عن الفتوحات تحول المجتمع كلياً الى مجتمع اقطاعي ، وتم ذلك في العصر العباسي .

فالاسلام اذن نتاج ازمة اقتصادية اجتماعية سببها تبدل علاقات الانتاج وهو تعزيز " لصالح الطبقة الناشئة ولا يبدو ان يكون ظاهرة مادية .

ومع ذلك فهم مضطربون في رسم الخطوط . فمنهم من يرى ان الاسلام يلائم مصالح ارسنقراطية الرقيق ، بينما يرى اخرون انه يلائم مصالح الطبقات المستغلة من ملاك وارسنقراطية الاقطاع ، في حين يرى غيرهم انه لا يلائم مصالح الطبقات الحاكمة الجديدة فلجأ أصحابه الى الوضع في الحديث لتبرير الاستغلال الاقطاعي .

وبينما يقول البعض ان الارسنقراطية وحدت القبائل العربية لتحقيق أغراضها ، يقول غيرهم ان القبائل كانت تتوحد للوحدة فجاء الاسلام موحداً يعبر عن ذلك التوحد . بل يضطرب الموقف حتى من نشأة الاسلام ذاته . فبينما يدعي البعض ان محمداً (ص) واحد من عدة انبياء ظهر وا بشروا بالتوحيد ، يذهب اخرون الى نفي شخصية النبي العربي والى اعتباره شخصية اسطورية . وذهب البعض الى ان الاسلام نشأ عن اسطورة وضعت في فترة الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة وان جذورها تعود لاعتقادات سابقة تسمى الخنفية .

وهذا الاضطراب في الرأي والانحراف عن تفهم التاريخ العربي ان هو الا مظهر لفرض نظرية خارجية على التاريخ العربي ، وهو نتيجة

لانخاذ التاريخ سبيلا لتبرير الماركسية ودعمها ، وما ابعد ذلك عن طبيعة التاريخ العربي وعن البحث التاريخي العلمي (تجد تفصيل ذلك في دراسات بيچولفسكايا ، وبلايف ، وكليموفيتش ، وتولستوف) .

ولسنا هنا بصدد تقييم الماركسية حتى بالنسبة لتطور المجتمع الغربي ، ويكفي ان نقول ان الجدل حولها واسع ، وان الماركسية حولت بعض نظراتها من جهة ، كما ان تطورات خطيرة حصلت في غير ما افترضتها نظرتها . ولكن يلزمنا ان نتذكر ان الماركسية نظرية كلية ، وان اساسها تقوم على اعطاء سبب واحد لتغير المجتمعات ، وهو تبدل وسائل الانتاج ، وان التغير يحصل عن طريق الصراع بين الطبقات ، وان النواحي الروحية أو الفكرية هي ظاهرة لا سبب في تطور المجتمعات . وهذه النظرية تختلف أساسا عن قولنا بأهمية العامل الاقتصادي في تغير المجتمعات ، لان التفسير الاقتصادي لا يعتبر الاقتصاد العامل الوحيد بل عاملا مهما مع عوامل أخرى في تغير المجتمعات وفي التطور الحضاري .

لننظر الان الى التاريخ العربي لنرى سير المجتمع عبر العصور ولنتفهم طبيعته .

لقد كون المجتمع العربي الاسلامي حضارة تشمل فيها عبقرية ومفاهيمه . وادق ما في أية حضارة الروح التي تتخللها والقيم والمثل التي تعتر بها .

وجدير بنا ان نتذكر ان هذه الحضارة وجدت اولياتها في الارث الثفافي العربي القديم . وهو ارث عريق يعود لاكثر من الف سنة قبل الميلاد ويشترك فيه وادي الرافدين واليمن وسورية ومصر . وقد مر النشاط الحضاري العربي بفترات من الازدهار والركود ، ولكن مناطق نشاطه تمثلت قبيل الاسلام في شمال الجزيرة العربية وجنوبها . واوضح مظاهره اللغة العربية والشعر العربي . وكانت له اصول قديمة في التوحيد على الرغم من طغيان الوثنية في هذه الفترة .

وظهر الاسلام ، ووجد العرب فيه مثلهم وقيمهم ونظرتهم للحياة ، كما وجدوا فيه وحدتهم وطريق انتشارهم على الارض ، ورأوا فيه منطلقا

لبناء حضاري جديد •

ومع ان العرب اخذوا في العصر العباسي من الحضارات الاجنبية ،
الا ان ذلك جاء بعد الفترة التي رسمت فيها خطوط الحضارة العربية
واسسها • فقد ظهر النشاط الثقافي في مراكز عربية خالصة في المدينة
والبصرة والكوفة ثم الفسطاط ، وتمثل في الدراسات العربية الاسلامية
كعلوم الحديث والقرآن والفقه والدراسات التاريخية واللغوية وفي النشاط
الادبي الخصب • وبعبارة ايسر ظهرت الدراسات الانسانية واتخذت
اطارها قبل البدء بالترجمة مهما كانت اشكالها • وهذه الدراسات تمثل روح
الامة وقيمها وتحدد طابعها الثقافي ووجهتها الحضارية •

وحينما أخذ العرب من اليونان أخذوا شيئاً من علومهم واخذوا من
فلسفتهم وتأثروا بذلك في تطورهم الفكري ، وكل ذلك لم يغير من مناهجهم
وقيمهم وانما افادهم في اغناء الجوانب المادية من حضارتهم وافاد في تطوير
بعض أساليب التفكير لديهم •

لقد تمثل المجتمع العربي الاسلامي قيماً أساسية وكون نظريته للحياة ،
وكان المبدأ الأساسي في هذا المجتمع مبدأ العدالة •

لقد تجلت روح العدالة الشاملة في الحضارة العربية وتمثلت في
جوانبها المختلفة في السياسة والتشريع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية •
تبدو فكرة العدالة في سيادة الشريعة (القانون) على الحاكم والمحكوم
وفي استنادها الى النصوص من جهة والى آراء الفقهاء والعلماء من جهة
أخرى • والشريعة تؤكد على العدل وتكر الجور وترى اي خروج على
ذلك مهما كان مصدره ضلالاً •

وتبدو الفكرة في التأكيد على الشورى وعلى حرمة رأي الامة •
وتمثل الشورى في مجموعة اهل الحل والعقد التي توجه وتدير • وما دامت
الامة اساس الكيان العام ، وجب ان يمثل اهل الحل والعقد جماعاتها
المختلفة ، وهم خلاصة قابلياتها • ولكن ذلك لا يكفي فهناك الرأي الشامل
للامة كما يتمثل في مبدأ الاجماع • فمتى اتفقت الامة او آراء فقهاءها

ومجتهدتها على شيء، وعُدَّ الاتفاق اجماعا كان ذلك ملزما • فاكسب رأي
الامة حرمة ملزمة ، وفتح الباب لتجاوبه مشاكلها بافق مفتوح بعد مراعاة
مصالح الجماعة أو الخير العام •

وتأكد الفكرة في استقلال القضاء عن السلطة وفي صلابة القضاة في
الحق وفي وقوفهم جنب العدالة تجاه المتنفذين وتجاه عامة الافراد •

وتظهر فكرة العدالة في الناحية الاقتصادية في منع الاستغلال
باشكاله وفي انكار سيطرة المال والتأكيد على الرعاية الاجتماعية • فالربا محرم،
والاحتكار مرفوض خاصة فيما يتعلق بمعاش الناس • وتظهر الفكرة في
وضع حق معلوم للضعفاء يتعدى ما يقدم الفرد في الزكاة والهبة الى
الزام الامة بمكافحة افقر باشكاله • ويصل مفهوم العدالة الى ابعد من
ذلك حين يؤكد على ضرورة ضمان مستوى معاشي مقبول للناس كافة •
فمع تباين الرأي في شؤون المعيشة به من يرى المساواة وبين من يقدر
التباين على أساس الخدمة والفضل ومؤهلات اخرى ، الا ان الانجاء العام
هو الى ضرورة ضمان الحد الأدنى لافراد الامة مع السعي لتخفيف الفوارق
الاقتصادية حفظا للكيان العام •

وتمثل فكرة العدالة في اعتبار الاراضي المفتوحة وما فيها من ثروات
ملكا مشتركا للامة ووفقا عليها في حاضرها ومستقبلها • ومع قيام عدة
محاولات لتجاهل ذلك في فترات مختلفة ، الا ان فكرة ملكية الامة انتصرت
ورسخت •

وفي الناحية الاجتماعية تبدو فكرة العدالة في التأكيد على حركة
الانسان وكرامته ، وعلى احترام الرأي والتسامح تجاه اراء الاخرين ما
دامت لا تهدد الكيان المشترك • وتبدو ايضا في التأكيد المطلق على
المساواة •

وتتركز فكرة العدالة في اعتبار الجماعة أساس الكيان الاجتماعي
وتتجلى هذه الناحية بقوة في فترة الابداع الحضاري ، في بناء المدن
والرياسة ، وهي فنون جماعية ، وفي الفكر والادب والتاريخ ، في المدارس

الفقهية والتاريخية والادبية التي تربطها الفكرة والمعرفة لا الشخصيات •
ومن قيم المجتمع العربي حرمة العمل وحرمة الكسب باليد • ومع
ذلك فقد اعتبرت الملكية في الاصل وظيفة اجتماعية يمكن الحد منها
بفرض الضريبة أو بغير ذلك بضوء هذا المفهوم •

ومن هذه القيم تقدير العلم وتشجيع العلماء وطلبة العلم وتقديم الهبات
والمنح لهم وفتح مجالاته دون تمييز ، ويصحب ذلك حب للمعرفة لا يكثر
بالمشاق والفاقة • وينعكس ذلك في تقديس شامل للعلم لدى العامة والخاصة •
ومن هذه القيم الاخوة الانسانية ، وعدم التفاضل الا بالعمل والخدمة
واعتبار العقيدة اسمى أنواع الروابط بين الافراد والجماعات •

ان النظرة الانسانية التي تتخلل المجتمع العربي هي من القيم الاساسية
التي جنبت المجتمع التمايز بين الناس بسبب الوانهم واجناسهم ، وحدت
من ظهور مثل هذه الاتجاهات المدمرة في المجتمع • كما ان هذه النظرة
الانسانية كانت أساس التعاون بين الجماعات وسبب احترام عقائد الاخرين •
ان القيم العربية الاسلامية ، والنظرة للحياة تمثلت قبيل كل شيء في
الفكر ، وتمثلت في مظاهر من حياة المجتمع • وعلى الرغم من التطورات
والانحرافات ، فان الفكر العربي استمر في تأكيده عليها ، بل لقد كان
التأكيد يزداد كلما اتسعت الشقة بين الواقع وبين الفكر •

ويهمنا ان نلاحظ ان حياة المجتمع العربي الاسلامي تأثرت بهذه
القيم بصورة أكيدة ، ولكن الواقع مع ذلك يكشف عن اوضاع عملية
وتطورات لها أهميتها ، كما شهد المجتمع العربي متناقضات خطيرة •

لقد شهد المجتمع العربي قوى متصارعة ، كما كانت له قوى أخرى
للشد والبناء • ويهمنا ان نفهم هذه لئرى طبيعة تطور المجتمع وتكوينه •
ولنذكر مبدئيا ان المجتمع العربي مرَّ خلال القرن الاول الهجري بصراع
ظهرت بعض جوانبه وبقيت الجوانب الاخرى ضمنية وان كانت قوية ، وهو

صراع دار بين قوى الثورة الجديدة والبناء وتمثل في المبادئ والاتجاهات الاسلامية ، وبين قوى المحافظة والتجزئة وهي الاتجاهات القبلية . وتمثل هذا الصراع في النطاق السياسي العام وتمثل في النشاط الفكري والاجتماعي وحتى في التطور الاقتصادي ، ولكن الفترة انتهت بانتصار المبادئ الاسلامية نتيجة قوتها وتوسعها ونتيجة انتقال القبائل في البلاد الجديدة الى حياة مدنية مستقرة .

وتكونت احزاب سياسية نشأت نتيجة الصراع على السلطة بين العرب ، وهي احزاب عربية . وعلى الرغم من انضمام غير العرب الى هذه الاحزاب ، الا ان قيادتها وتوجيهها بقيت بيد الفئات العربية . والمهم ان هذه الاحزاب لم تكن تمثل طبقة اجتماعية دون أخرى ، بل كانت شاملة . وظهرت بالتدرج المدارس الفقهية المختلفة ، وهي مدارس تتصف في تفكيرها بالشمول لمختلف نواحي الحياة ، ورغم الخلافات في الآراء فقد كان لكل مدرسة منزلتها واتباعها دون ان تختص احدها بفئة اجتماعية دون أخرى .

وتحول المجتمع تدريجيا الى الاستقرار ، ووافق ذلك تطورات اقتصادية اجتماعية مهمة . ففي البداية كان بعض أهل المدن لاسيما مكة يشتغلون بالتجارة ووجدوا في الفتوحات سوقا واسعة وتكونت فئة تجارية قوية . اما القبائل فقد عزفت مبدئيا عن الزراعة ، وانصرفت للقتال . ولكن سكانها في المدن الجديدة جعلها تميل تدريجيا الى الاستقرار والزراعة والى ملكية الارض وظهر ذلك خاصة بين اشراف القبائل . وتحولت دور الهجرة ، وهي المعسكرات الاولى كالكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان ، الى مراكز حضرية مهمة . وبدأت التجارة تتسع بالتدرج في افئتها ونطاقها .

وتدرج الامر قبل نهاية القرن الاول الى ظهور الملكيات الكبيرة على حساب الملكيات الصغيرة . وقد حاول عمر بن عبدالعزيز الحد من ذلك ولكنه لم يفلح . ودخل كثير من اهل البلاد المفتوحة في الاسلام وتوسعت فئة الموالي وكان بينهم التجار والصناع والزراع .

ولابد ان نلاحظ ان الاحزاب السياسية انتشرت بين القبائل واضعفت التماسك القبلي • كما ان بوادر تيارات مناهضة للسلطان العربي وللوسع القائم بدأت به بشكل مستور بين فئات لم تسلم او فئات تظاهرت بالاسلام وكلها تسترت برايات عربية اسلامية ، وهي لا تعدو ان تكون استمرارا لحركات اجتماعية ظهرت في المجتمع الساساني في ايران واستمرت بعد الفتح الاسلامي بصورة خفية •

كما بدأ تيار المعارضة بين الموالي لدوافع مختلفة تتراوح بين المناذاة بالمساواة الاسلامية وبين الطموح الى السلطة •

وجاءت الدعوة العباسية لتضم كافة التيارات المناوئة للسلطان القائم ، وهو سلطان عربي ، وضمت بين صفوف انصارها جميع هذه التيارات وشجعتهها ومكنتها من الظهور والانساع لتجني سياسية التجميع هذه في سلسلة حركات قامت ضد العباسيين وخاصة بين الايرانيين الذين نصروا الثورة العباسية ، مما لم يسبق له مثل في القرن الاول الهجري •

ولما جاء العباسيون ، اتسع النشاط التجاري ، وتوسعت الملكيات الزراعية بين العرب ، وظهرت تيارات اجتماعية سياسية جديدة نخص بالذكر منها تيارات قومية في بعض الجهات وتيارات دينية تناهض الاسلام علنا او من وراء ستار • وظهر تيار آخر وراء هذين وهو رد الفعل لدى الفلاحين في بعض المناطق - ولا سيما ايران - ضد توسع الملكيات على حساب المزارعين الصغار الذين خسروا اراضيهم وتحولوا الى اجراء متجولين •

ويهمنا ان نلاحظ مظاهر الصراع في المجتمع العربي الاسلامي خلال العصر العباسي لنرى طبيعة الاتجاهات المتضاربة •

لقد تمثلت مظاهر الصراع الكبرى في المجتمع العربي الاسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة في المعركة بين العرب والشعبوية ، وفي المعركة بين الاسلام والزندقة ، وتمثلت في بعض الحركات الاجتماعية الايرانية كتورات الخرمية ، وهي جميعا مظاهر للصراع بين الشعوب غير العربية ، ولا سيما الفرس ، ودياناتها الموروثة من جهة وبين العرب والاسلام من

جهة اخرى . ثم ظهرت في القرن الثالث فما بعد حركات اجتماعية في نطاق المجتمع العربي - الاسلامي مثل ثورة الزنج ، وحركات العيارين والشطار وحركة القرامطة والاسماعيلية . وبينما كانت ثورة الزنج محلية في جنوب العراق ولفترة قصيرة (اربعة عشر عاما) ، فان حركات العيارين والشطار وحركة الاسماعيلية استمرت قرونا مشيرة بذلك الى ازمة اعظم في المجتمع العربي الاسلامي .

ولتناول هذه الحركات بايجاز لمعرفة وجهتها وللكشف عن طبيعة التناقضات القائمة .

فالمعركة بين العربية والشعبوية بدأت بمحاولات شعوب غير عربية لمقاومة السلطان العربي المتوثب ، مستترة بمظاهر عربية او اسلامية . وعملت على اضعاف الثقافة العربية الاسلامية والترويج للارث الحضاري الاعجمي ، وحاولت زعزعة السلطان العربي بمهاجمة اركانه ومحاولة هدمها وهي الاسلام والعربية ، كما حاولت تفنيت قيم المجتمع وتفسيح اخلاقه . وقد برز وجه المعركة في النطاق الثقافي والادبي . فانت تجد بين زعماء الحركة شعراء وادباء لهم مكاتهم مثل بشار بن برد وحماد عجرد وابن المقفع ممن لا يزال دورهم موضع نقاش لحد الان . فالشعبوية لم تكن حركة طبقة اجتماعية ضد طبقة اخرى كما توهم البعض ، لان الذين ساهموا فيها كانوا بين وزير متسلط وتاجر ثري وكاتب في الدواوين واديب معروف ، ومعهم اثقفون وان لم يكونوا اغنياء . انها كانت صراعا بين العرب وفتات من الشعوب الخاضعة لسلطانهم على العموم ممن لم يتمثلوا المبادئ الاسلامية والمفاهيم الحضارية الجديدة . لذا فاننا نجد بين انصار العربية والاسلام اعلاما لم يكونوا من العرب مثل ابن قتيبة والبلاذري .

ويجنب هذه المعركة ، وتتداخل معها احيانا ، كانت المعركة مع الزندقة . والزندقة في الاصل امتداد لحركة المانوية بعد ان تسترت بمظهر اسلامي ارادت حركة الزندقة تشويه الاسلام ونسفه من الداخل بعد ان توسع وهدد وجودها ، وارادت ضرب السلطان الذي قام به ، وهذا

هو أسلوب المانوية • وقد شارك في المعركة انصار ديانات أخرى مجوسية ولا سيما المزدكية ثم الزردشتية بدرجة أقل • ان الصراع مع الزندقة انما هو صراع بين الاسلام اساس السلطان العربي ، والمجوسية المسترة بمظاهر خادعة • ان توسع الاسلام وقوته المعنوية هددت المجوسية بالاحصار المتصل ، فكانت حركة الزندقة ظاهرة لرد الفعل ، وسيلا لضرب السلطان العربي ، ومن هنا تداخلت الزندقة والشعبوية • وحين تحدثت عن الزندقة لا تحدث عن صراع اجتماعي بل ديني ولا عن فئات منكودة بل نجد اعلام الزندقة بين المترفين وبعض المفكرين •

ولم يقتصر الصراع بين الاسلام وما يستند اليه من سلطان وبين المجوسية على الزندقة ، بل تمثل في حركات تبدو اجتماعية ، كحركة الخرمية • ولم تكن الخرمية الا امتدادا للمزدكية ، تلك الحركة الدينية الاجتماعية التي ظهرت في ايران الساسانية ، طلعت الان بثوت اسلامي وصارت حركة الطبقة العامة في ايران في العصر العباسي الاول • فالخرمية هي امتداد لحركة اجتماعية قديمة نشأت عن ظروف المجتمع الايراني ولكنها حولت السخط الى السلطان العربي والى الاسلام قاعدته بعد ان كانت موجهة ضد السلطان الساساني • والخرمية لم يكونوا مسلمين ولم تكن الغلاة الرقيقة التي ارتدوها كافية لستر حقيقتهم المزدكية •

واذا كانت حركات الشعبوية والزندقة والخرمية مظاهر للصراع الديني السياسي بين شعوب وديانات اجنبية وبين العربية والاسلام ، فاننا نجد حركتين اجتماعيتين صدرتا عن ظروف المجتمع الاسلامي في حركة الاسماعيلية ، وفي ثورة الزنج • وصادف ان بدأت انفجارات الحركتين في القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي •

أما ثورة الزنج ، فهي ثورة الرقيق في سبخ البصرة حيث كانوا ارقاء لكبار ملاك الاراضي في منطقة البصرة ، وحيث جمعوا في اعداد كبيرة • ومع ان بعضهم لم يكن يعرف العربية ، وبعضهم لم يدخل الاسلام ، ومع ان جلهم بقي غريبا عن المجتمع العربي الاسلامي الا ان

نورتهم قادها من خرج باسم المبادئ الإسلامية وبأسم العدالة ، وكانت تعبيرا
عن ثورة الرقيق على وضع لم يروا فيه الا الضنك والحرمان والاستغلال .
ان ظهور الملكيات الكبيرة في منطقة البصرة وتوفر رؤس الاموال
لدى الملاكين واستعمال اساليب الزراعة الكثيفة أدى الى شراء مجموعات
كبيرة من الرقيق من تجار الرق الذين كانوا يجلبونهم من افريقية ، والى
استخدام الالوف من الرقيق السود لكسح السبخ حول البصرة ولانصلاح
الاراضي وزرعها . لقد عاش هؤلاء على هامش المجتمع الاسلامي ولم يروا
الا العمل المضني والاستغلال الفظيع الذي يتنافى وابسط المبادئ الإسلامية
فكانوا في وضعهم المعاشي السيء ، وفي تجمعاتهم الكبيرة على الارض حقلا
خصبا لكل نداء يصدر باسم العدالة الاجتماعية . وجاء النداء بأسم المساواة
وباسم المثل الإسلامية .

ومهما قلنا في دوافع صاحب الزنج ، وفي ثقافة الزنوج ، فان ثورة
الزنج كانت نتيجة استغلال بشع يتنافى ومبادئ الاسلام ، وظاهرة لصراع
مرير بين فئة الرقيق السود وبين المجتمع المائل أمامهم في اصحاب
الاقطاعات والملاكين الكبار في منطقة البصرة . ولكنه صراع لم يكن
واضح الاهداف ، فهو لم يقصد الا تحرير الرقيق السود ، ولكن الثوار
ذهبوا الى فرض الرق على الاسياد حيث قدروا ، وارتكبوا من التخريب
والفضائح ما اثار القاصي والداني عليهم مما أدى الى سحق نورتهم
ومحو اثرهم .

أما حركة القرامطة والاسماعيلية فقد كان لها معنى اوسع واثر
ابقي . لقد ظهرت الحركة في فترة تركيز التطور الاقتصادي والاجتماعي .
ومع ان الحركة الاسماعيلية انتشرت وبدا نجاحها بعد منتصف القرن الثالث
للهجرة فانها بدأت في القرن الثاني ، وهذا يعني انها انتشرت حين توفرت
الظروف العامة - اقتصادية واجتماعية - المواتية لنجاحها . فهي نتاج تفاعل
الفكر والايديولوجيا القائمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا .
لقد حدثت تطورات هامة في المجتمع منذ القرن الثالث الهجري

(التاسع الميلادي) • فقد نشطت التجارة في المجتمع واتسعت أفاقها وظهرت طبقة من التجار الكبار لها رؤوس أموال كبيرة وخير مثل لهؤلاء التاجر ابن الجصاص الذي بلغ رأسماله ملايين الدنانير • وامتد نطاق التجارة العربية من كوريا الى البلطيق وتغلغل في افريقيا واجزاء من اوربا • ويسر النشاط التجاري قيام فئة من الصرافين والجهابذة الذين يتعاملون بالنقد ويقومون بدور البنوك في العصر الحاضر بتسيير عمليات الائتمان والتسليف ، وكان جلهم من غير المسلمين • ووصل الامر في مطلع القرن الرابع الى قيام مصرف رسمي تعتمد الحكومة •

وشهدت الفترة توسع الزراعة وظهور اساليب الزراعة الكثيفة وظهور الملكيات الواسعة ولا سيما في السواد وقيام فئة من الاقطاعيين المثرين ، ورافق نشاطهم كثير من الاستغلال وازدياد عدد الفلاحين الاجراء والمتجولين فكان هؤلاء الفلاحون بيئة ملائمة لكل الدعوات التي تعد بتحسين الاوضاع •

وفي هذه الفترة اتسعت العامة في المدن وظهرت حركات بين العامة وبين أصحاب الصنائع والحرف ، وذلك - في تنظيمات تهدف الى حماية مصالحهم كما كان شأن الاصناف والنقابات الحرفية ، أو في حركات تترد متصل ينطوي على الثورة على الاوضاع كما في حركات العيارين والشطار •

ان ظروف قيام الحركة الاسماعيلية تكشف عن تضارب المصالح وعن الصراع الاجتماعي الاقتصادي • ومع ان جذور الحركة تنصل بالغلو الذي ينطوي على آراء غريبة عن الاسلام ، الا انها طلعت باسم العدالة الاجتماعية • لقد دعت الحركة الى المساواة في نطاق المبادئ وانكرت الفوارق العنصرية باسم الدين ، وادارت حسب دعوة اصحابها ان تكسب الناس جميعا وان تصهرهم في نطاق مبادئها واراتها • وعمت الدعوة الاسماعيلية على احداث ثورة قلب الاوضاع السياسية وغيرها ، واتخذت من كل الجماعات المتدمرة سلاحا لقلب الاوضاع •

ولا بد ان نبين ان هذه الحركة اتخذت اشكالا وبرامج مختلفة حسب

البيئات التي عملت فيها ، وهذا يوضح التباين في برامجها العملية . فقد دعا القرامطة في السواد الى نوع من الشيوعية حيث لا ملكية فردية ، وليس للفرد الا سلاحه ، وحيث يأخذ كل قدر حاجته ويعطي للجماعة كل انتاجه . واهتم الفاطميون في مصر بزيادة الانتاج وتحسين الوضع المعاشي ورعاية أصحاب الصناعات والحرف ، وابدوا تسامحا كبيرا مع جميع الفئات ، ولم يبعد نظامهم كثيرا عن الاوضاع في البلاد العربية الاخرى .

اما في البحرين فقد دعا القرامطة الى نوع من الاشتراكية ، اذ اعتمدوا الاقتصاد الموجه وعملوا على الغاء الرق وعلى تسليف الزراعة ومساعدة الصناع ماديا وأديا وتنشيط انتاجهم ، وسيطروا على التجارة الخارجية وسكوا عملة خاصة لمنع تسرب الثروات للخارج .

ومن الجدير بالذكر ان الحركة الاسماعيلية نجحت في الوصول الى الحكم ودامت في بعض البلاد العربية مثل اليمن ومصر والبحرين ولكنها اختلفت في سورية والعراق . لقد نجحت في مصر والبحرين لانها وصعت تدابير اقتصادية فيها شيء من العدالة الاجتماعية عالجت ظروف المجتمع العربي الاسلامي ، فتمكنت من الاستمرار . اما في العراق فقد جاءت بتدابير تناقض قيم المجتمع ومفاهيمه ولذلك لقيت منه اعنف مقاومة وانتهت في فترة قصيرة . وفي سورية لم ير المجتمع منها الا العنف والتكيل فبندها وحاربها دون هوادة . ولم تنجح الحركة في ايران ، وانما تركزت في حركة ارهابية هي حركة الحشاشين التي شكلت تهديدا شاملا للمجتمع الاسلامي معتصمة في قمة جبل حتى لقيت حتفها .

ان تحليل ظروف الحركة الاسماعيلية وانتشارها يكشف عن الفوارق الاقتصادية وعن تضارب المصالح وعن دور المصالح الاقتصادية في التاريخ ، ولكنه يكشف ايضا عن دور الافكار والآراء الدينية في تحريك الجماعات وفي اندفاعها . ومهما قيل عن الجذور الفكرية للحركة وعن تطورها فان دعائها وجدوا في مبادئ العدالة الاجتماعية في الفكر الاسلامي سبيلا لبث دعوتهم ، ووجدوا في التناقض بين هذه المبادئ والواقع مجالا

رحبا لترويج دعوتهم •

وبعد كل هذا فان الحركة الاسماعيلية لم تدم لانها جاءت بأراء لا تأتلف والمفاهيم الهامة ، ولذا كان زوالها شاملاً الا في أماكن معزولة •

في هذه الفترة نشطت الصناعة وتوسع نطاقها ، وظهرت المعامل كمعامل الزجاج والسكر والورق والجلود والنسيج • وكثرت مجموعات اهل الصنایع والحرف ونظموا انفسهم في اصناف ونقابات لها مفاهيمها وشعائرها ولها اثرها في الحياة الاقتصادية •

وقد عملت النقابات والاصناف المهنية على تحسين الانتاج ورفع سوية الصناعة ، وعلى تنظيم الاسعار • كما انها عملت على حماية الصناع ، وعلى تنظيم حياتهم • وكان لكل حرفة درجاتها في الصنعة ولها ممثلوها امام السلطات • وحاولت السلطة من جانبها ان تضع رقابة على نوعية الانتاج وعلى سلوك الاصناف ، وتمثل ذلك في توسيع سلطة المحتسب واعوانه ليشرفوا على الاسواق حيث تتجمع الاصناف • ويهمننا ان نذكر ان الاصناف والحرف كانت تربطها جنب رابطة المهنة قيم خلقية واجتماعية اسلامية ، وانها اتصفت بالتسامح ، فسمحت للصناع بالانضمام اليها بصرف النظر عن اديانهم واجناسهم ، وهذا ما لم تعرفه النقابات الاوربية في العصور الوسطى لانها كانت تبعد عن صفوفها لمخالفاتها في المذهب أو العقيدة كما انها لم تلتزم بمثل هذه القيم الخلقية الواضحة • وكان دور الاصناف كبيرا في الحياة الاقتصادية وحيانا في الحياة العامة •

واذا كانت الاصناف تمثل الجانب السلمي من تنظيمات العامة ، فان حركات العيارين والشطار تمثل رد فعل عنيف للاوضاع الاقتصادية والسياسية • ويهمننا ان نوضح ان العيارين والشطار ظهوروا في صفحات التاريخ بمظهر اللصوص والتهابين ، ولكن كانت لهم تنظيمات سرية ، تشبه النقابات وكانت لهم شعائريهم • كما انهم تبلورت لديهم قيم خلقية في الفتوة • وكانت وجهتهم مقاومة السلطة ، وعدم التعرض للضعفاء والنساء بل انهم ادعوا ان المثرين اهلوا مبادئ الدين ونصوص الشريعة فاستغلوا

واذوا الفقراء والضعفاء وان العيارين قاموا لاختد حقوقهم المهذورة عنوة .
وكانت هجماتهم تتركز على رجال الشرطة وعلى التجار . وقد قاموا في بعض
الفترات القلقة بحفظ الامن ومكافحة الفزاة والاجانب كما فعلوا في حصار
بغداد في منتصف القرن الثالث . ولا ننسى ان نشاطهم قوي في فترات
التسلط البويهي والسلجوقي .

بعد هذا ، نود ان نشير الى جانب اخر ، وهو ان الاقطاع الذي
عرفه اوربا والذي عم ارجاءها لم يجد له مثيلا في المجتمع العربي
الاسلامي وذلك لان التجارة كانت دائما عاملا مهما في الحياة الاقتصادية ،
ولان الطرق التجارية برية وبحرية كانت مفتوحة بين البلاد الاسلامية
والخارج . ومن جهة ثانية نجد العرب في اثناء قيامهم بالفتوحات يعتبرون
الفلاحين احرارا ولم يقرروا رق الارض ، ولم يعترفوا بالاقنان (وهذا
ما يفسر اللجوء فيما بعد الى شراء الرقيق الاسود لاستخدامهم في منقطة
البصرة وغيرها) . ولكن هذا لم يمنع ظهور اقطاع من نوع اخر وهو
قيام الملكيات الكبيرة على حساب الملكيات الصغيرة وتكاثر الفلاحين
الاجراء واستغلالهم من قبل الملاكين الكبار .

وهكذا كان منتظرا في هذه الاوضاع الاقتصادية التي تبلورت في
القرن الرابع الجهمري/العاشر الميلادي ان تصطدم المصالح وان يتعرض
المجتمع لهزات اجتماعية خطيرة وتمثل ذلك في حركة الاسماعيلية ، وهي
ثورة شاملة ، وفي حركات اخرى كحركات العيارين والشطار .

ولكن المجتمع عرف جوانب اخرى . فقد كانت هناك بعض الخدمات
التي تقدمها الدولة لفئات الشعب . هناك المستشفيات التي تنشئها الحكومة
للناية بالمرضى ولللاج المجاني ، وهناك الوقوف الخيرية الواسعة والهبات
للمحتاجين والفقراء وللتعليم . هذا اضافة الى الزكاة .

ويمكن ان نشير الى محاولات الحكومات احيانا الى مكافحة الفلاء
وتخفيض الاسعار انقاذا للناس من الهلاك . كما نلاحظ محاولات الحكومة
احيانا لتسليف الزراع ومعاوتهم لتشجيع الزراعة وتربية الماشية . وجررت

محاولات لتخفيض الضرائب على انواع من البضائع المستوردة تيسيرا للناس وتشجيعا على توفيرها . كما نجد محاولات لمكافحة الاحتكار ولا سيما احتكار الاطعمة والمواد الغذائية لوضع حد لاستغلال التجار الجشعين . كل هذه التدابير لا تعدو ان تكون أثرا لفكرة العدالة التي عرفها المجتمع والتي توخت التخفيف عن كامل العامة ، ولكنها كانت محدودة الاثر . وجرت محاولات لغرض ضريبة على الموارث ، وكانت الضريبة المفروضة احيانا عالية تبلغ النصف او اكثر . ولكنها وجدت مقاومة ولم تستقر كضريبة مشروعة .

وان اردنا امثلة اخرى فاننا نجدها في نطاق محدود . ففي البحرين مثلا نجد قيادة جماعية باسم مجلس العقدانية تحكم البلاد . ونجد الحكومة تسيطر على التجارة الخارجية وتسك نقدا من الرصاص وذلك لمنع تسرب الثروة الى الخارج ولتأكيد سياسية الاكتفاء الذاتي والاقتصاد الموجه . كما ان الحكومة حاولت تشجيع الزراعة والصناع عن طريق التسليف واعادة النظر في الضرائب وعملت على الغاء الرق . وهي تدابير اريد بها تحقيق العدالة الاجتماعية . وهي ان دلت على شيء فانها تظهر مجالات تطبيق العدالة بضوء الفكر العربي الاسلامي .

ونود ان نؤكد اننا لا نذكر هذه التدابير لتتخذها سبيلا لتبرير اتجاهاتنا الحالية ، بل يهمنا ان نتضح الاراء والمفاهيم التي كانت وراء هذه التدابير والتي تكون جزء من تراثنا الحي ، ومن قيمنا الاصيله .

ويمكننا ان نتحدث عن بعض هذه المفاهيم بوضوح . فهناك انكار الاستغلال الذي يؤدي الى اكتناز الاموال والامعان في التسلط على الاخرين . لقد أنكر الاسلام ذلك لكي لا تكون هناك دولة بين الاغنياء . ويتصل بذلك تحريم الربا ، وهو اوضح وابشع ضروب الاستغلال في مجتمع مكة التجاري . وقد هاجم الاسلام الربا اقسى هجوم لانه كان طريق الاغنياء لاستعباد الفقراء . واكد الاسلام على حرمة العمل ، بانواعه وضروبه ، وهي نظرة تخالف النظرة البدوية التي تحتقر انواعا من العمل ، وفضل الاسلام العمل على العبادة مع التوكل ، وهي نظرة ازدادت قوة

في الفكر العربي الاسلامي على مر الايام ، وحث على الكسب على ان يكون بطرق سليمة وشريفة وعلى ان لا يكون سييلا للاضرار بالآخرين .
وانتج المجتمع الاسلامي في فترته الاولى ، حين فرض لكل من شارك في الفتوح او الهجرة الى خارج الجزيرة مرتبات وعينات من الاطعمة ، الى تقليل الفروق بين الرواتب وكان حدها الأدنى يمثل مستلزمات المعاش الضروري . وهو اتجاه استمر اثره في الفكر العربي الاسلامي .

واعتبر الاسلام الموارد الطبيعية الرئيسة ملكا مشتركا للامة تشرف عليها الحكومة باسم الامة . وهذا شمل الكأ والماء وحطب الوقود ، ثم شمل الاراضي وطبق ذلك على الاراضي المفتوحة . واعتبر المعادن في جوف الارض ملك الامة في الاساس تستغلها مباشرة ان ارادت او تسمح باستغلالها على ان يكون خمس واردها لبيت المال .

وبجنب ذلك ترك الاسلام مجالاً للنشاط الفردي . فالارض الموات في الاصل للامة ، لها ان تحييها وتفيد منها ، ولها ان تسمح للافراد باحيائها . وكذا الامر بالنسبة للمعادن فهي في الاصل للامة وقد تسمح الحكومة للافراد او الشركات باستغلالها مقابل دفع الخمس ، كما حصل بالنسبة للمناجم على حدود النوبة .

وفرض الاسلام تقسيم الميراث ، ولم يتجه المجتمع الى حصره في وريث واحد كما حصل في المجتمعات الاخرى . وكان ذلك سييلا لتحقيق العدل ومنع تكديس الثروة بايد قليلة . ومع ان الفكر انتج الى عدم فرض ضريبة على الموارث الا ان البعض رأى ذلك واجاز التوسع في فرض الضريبة للصالح العام .

عرف المجتمع العربي تلك التطورات الاقتصادية التي ادت الى حدوث هزات فيه . ولكن الوضع اصابه تحول خطير حين خضع للسيطرة الاجنبية ، بويهية ثم سلجوقية . ادت هذه السيطرة الى تضاؤل الخدمات الاجتماعية او انعدامها ، وادت الى استغلال خيرات البلاد من قبل الاجنبي وعلى حساب ابنائها . وادخل هؤلاء المحتلون الاقطاع العسكري او اعطاء الاراضي المزروعة للقادة والامراء ليتنفعوا بمواردها دون ان يعنوا برى الارض او

بالزراعة • وضعف النشاط التجاري ، وظهرت فئة من الاتباع والمستغلين يتعاونون مع الاجنبي على افقار المجتمع واستغلاله • وحاول الاجانب ائارة اسباب الفرقة من نعرات مذهبية الى تمييز عنصري •

وكان من اثار ذلك ان اهمل نظام الري وكثرت الضرائب ، فتدهورت الزراعة ، واستشرت البداوة على حساب الحاضرة ، وتدهورت حركة التجارة ، وشاعت الفوضى والفتن • واصبحت هذه قصة البلاد في فترات التسلط الاجنبي التي دامت قرونا طويلة •

وعلى الرغم من هذا الانحلال ، فان الفكر لم يركد ، بل استمر نشاطه فترات طويلة ، ولا سيما في المدارس التي ازدهرت منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد • ومع انه فكر يقل اصالة عن الفترات الماضية ، الا انه لم يعد مفكرين افذاذا • والمهم فيه انه حفظ مفاهيم الفكر العربي الاسلامي في العدالة الاجتماعية والحياة الكريمة ، وحفظ جذوة الحرية والكرامة •

ومن ناحية اخرى ، ادت السيطرة الاجنبية وما رافقها الى افسار الشعب والى هبوط مستوى المعيشة الى درجة بعيدة • ومن مظاهر ذلك اننا نجد بين صفوف العيارين والشطار جماعة من الطالبين والعباسيين • ان سيطرة الاجانب ادت الى توسع حركات العامة ، كما يظهر من اشتداد حركات العيارين والشطار ، والى توسع حركة الفئات الشعبية ضد السلطة الاجنبية ، والى ظهور وعي لم يسبق له مثيل • وحين ننظر الى حركة العامة ، ولا سيما في القرن الرابع وما بعده ، نجد انها تتخذ قيما خلقية واضحة مكنت من اعادة تنظيمهم في حركة الفتوة في اواخر القرن السادس الهجري من قبل الناصر لدين الله •

لقد كان للعامة تنظيماتهم ، في نقابات واصناف ، وكانت لهم حركاتهم التي اتخذت طابعا سلبيا في الظاهر حتى اتهموا باللصوصية وبالعبث بالامن ولم تكن القيم الايجابية لديهم مفهومة ومنها مساعدة الضعيف ومكافحة المستغلين من تجار ومتنفذين • ولكن الحركة بعد التسلط الاجنبي اتخذت طابعا شعبيا توسع بمرور الايام وتعاونت مع العباسيين في اواخر ايامهم ضد

الاجنبي وتلاحمت تنظيمات العامة في حركات الفتوة التي رأت الصلة بين
السلط الاجنبي وبين الاستغلال والظلم . وبات من اهدافها تحقيق العدل ،
ومكافحة الفوضى ، وحماية المظلومين ومكافحة الطغاة .

لقد كان الوعي العربي قويا قبل هذه الفترات المتأخرة ، وكان يتمثل
في الكتاب وفي فئات من المتنفذين ، وكان يستند الى العربية والى المبادئ
والقيم العربية الاسلامية . ولكن السلط الاجنبي وسع قاعدة الوعي ، وجعله
يتمثل في القاعدة الشعبية وفي الفكر . وقد تنبه العباسيون الى اهمية القاعدة
الشعبية في أواخر القرن السادس ، حين اتفقوا مع الحركة الشعبية في تنظيم
الفتوة ، وحين ترأس الناصر لدين الله هذه الحركة وحين حاول جعلها سندا
لكيانه وحاول بثها في الافاق وجعل مرجعها اليه . حدث هذا التطور الخطير
بعد فوات الاوان اذ سرعان ما غمرت الموجة المغولية كل شيء وبقي الشعب
العربي يصارع الكوارث والاحداث .

لقد ارتبطت فكرة الحرية والعيش الكريم بمقارعة السلط الاجنبي
ومكافحة استغلاله والتخلص من ركائزه . واتخذ الوعي العربي صفة شعبية
استمرت خلال تلك الفترات ، يعززها التراث العربي والمبادئ الاسلامية .
ومع ان الوعي هذا بدا مبشرا او مجزءا في فترات مختلفة الا ان جذوره
الموحدة استمرت ووجد احيانا بين المفكرين من يغذيه ، وفي الاحداث ما
يذكى جذوته .

وبقي الوعي العربي يستند الى مصادر حيويته ، فيجد في العربية وفي
الارث الثقافي العربي قاعدته واساس وحدته ، على الرغم من التجزئة المصطنعة
والمحاولات المتصلة لطمس ذاته ، ويجد في المبادئ الاسلامية وفي القيم
الخلقية والمثل الانسانية روحه ومنبع حيويته .

ومع ان تاريخ الامة يكون سلسلة متصلة الحلقات ، بمعنى ان كل
حلقة تؤدي الى التي تليها ، فان بعض فترات تاريخ الامة تبقى مصدر حيوية
في تطلعها الى حياة افضل . ولذا نجد الامة العربية في يقظتها الحديثة
واندفاعها القوي تتطلع الى تلك الفترات التي تمثلت بالحيوية والابداع
والتكوين الحضاري ، الى فترات التاريخ العربي الاسلامي الاولى ، فترات

الفتوة والبناء • وطبيعي ان تتخطى الامة العربية وهي تستعيد ذاتها وتستلهم
ارثها وقيمها ، طبيعي ان تتخطى فترات الخضوع والركود وان تنظر الى
فترات الابداع الحضاري لتنفذ عنها الرواسب ، ولتغذي جذور الحياة
فيها وتغنيها في سبيل بناء حياة جديدة •

والحياة الجديدة لا تبنى بالتأملات النظرية ، ولا تقوم بالأراء
المجردة ، بل هي عملية تجديد عضوي وبناء متصل • انها تنبعث نتيجة تفاعل
عاملين اساسيين ، اولهما عامل الوعي الذاتي الذي لا يخبو مطلقا ، لكنه
يقوى في بعض الفترات ويضعف في فترات اخرى • وفي هذا الوعي الذاتي
تمثل اسس حيوية الامة ومنابع قوتها • وهو كلما اتسع وازداد عمقا ازداد
ارتواها من تلك المنابع ، وازداد اصالة ونفض عنه الرواسب وارتفع عن
التقليد ، والفرق كبير بين التقليد وبين الاخذ الذي يزيده قوة وغنى •
وثاني هذين العاملين ، التحديات التي يتعرض لها الوعي ، وهي تحديات
خارجية وداخلية • ولقد تعرض الوعي العربي عند بزوغه في العصر
الحديث لتحديات داخلية ، تتمثل في التخلف والركود وفي الاستغلال
الاجنبي والمصالح المركزة • ثم تعرض المجتمع العربي في أواخر القرن
التاسع عشر لتحديات زمرة الاتحاد والترقي في محاولة يائسة لتريكة
ولطمس ثقافته وذاته • ثم تعرض لتحديات الغزو الغربي ، التي بدأت
فكرية واقتصادية ، ثم طغت في الغزو العسكري والسياسي • وهي تحديات
ندر ان شهد المجتمع العربي لها مثيلا في الاتساع والشدة والاستغلال •
تعرض المجتمع العربي لهذه التحديات ، وهو مجزء ، يقاسي البعثة
والضياع ، وهو متخلف غير متهيأ لهذه الاخطار ، فكان بين ان ينهار
ويفقد ذاته وبين ان ياخذ طريق الكفاح الشاق المتصل ليجد الحياة التي
يريد •

وكان امام المجتمع ان يعزل نفسه عن التيارات الحضارية الحديثة
لارتباطها بمصادر الاعتداءات والاستغلال ، كما اراد البعض ، وبين ان يفيد
من انجازات خصومه ومن امكانياتهم واسلحتهم ، ليكون في وضع اقوى
على مجابهة الاخطار ويكون اقدر على تجديد ذاته كما اراد اخرون ،

فاختار السبيل الثاني بعد جهد وجهاد طويلين •

ولسنا هنا بصدد تحليل تطور الوعي العربي فتلك قصة طويلة ، ولكننا نريد ان نلمس بايجاز خطوط مراحلها التي ادت الى الثورة العربية الشاملة التي نمر بها والتي رسمت اهدافها الكبرى بالحرية والوحدة وبالعدالة الاجتماعية ، او الاشتراكية العربية ، وهي اهداف متشابكة شاملة ، وان نرى صلة هذا الوعي بجذوره الحضارية وبتراثه •

بدأ الوعي العربي الحديث قبل اكثر من قرن بين فئات من المثقفين الواعين ، وربط التخلف والاستغلال بالتسلط الاجنبي ، وهي صورة طبيعية تكونت لدى المجتمع منذ قرون واكدتها الفترات السود المتعاقبة منذ فقدت الامة حريتها • بدأ الوعي ذاتيا ورأى في الخطر الاجنبي حافزا لاصلاح الذات وللعمل •

والتفت ممثلو الوعي الى التراث بما فيه اللغة يحاولون احياؤه وتيسيره ، ورأوا في التاريخ سبيلا لتكوين الثقة بالنفس ، ولكنهم نظروا اليه نظرة عاطفية استمرت مدة طويلة • ورأوا في صدر الاسلام مثلا يرجعون اليه يستلهمون مثله ويستتبرون بمبادئه • وكان الهدف الذي ارادوه بث الحيوية في مجتمع راكد والعمل على التجديد وعلى التحرر من التسلط الاجنبي • ورافقت ذلك نظرة عاطفية الى الوحدة ، لا سيما ان جل البلاد العربية كانت تحت الحكم العثماني •

وجاء التحدي الغربي ، ثقافيا واقتصاديا ، وبدأ تسلط الغرب على اطراف العالم العربي في شمال افريقيا وعلى سواحل الجزيرة العربية ، وبدأ يهدد قلب العالم العربي ، وتاثر البعض بالفكر الليبرالي وبمبادئ الثورة الفرنسية واتسعت الدعوة الى الحرية • وكانت خطوط الحيوية تتمثل في الدعوة الى تجديد الاسلام وفي العمل على تأكيد العروبة ، وكان الخيطان متداخلين • وظهرت الجمعيات العربية لتقوم بدورها في التوعية • ثم ظهرت الدعوة صريحة الى التحرر والاستقلال •

وطغت الموجة الغربية سياسيا وشهد المجتمع العربي المجرء بين دول الغرب في العقد الثاني من القرن العشرين مرارة التجزئة العنيفة وخطر

فقدان الذات والانجراف في الموجة الغربية • وكان التحدي عنيفا قاسيا
للوعي العربي اكد مقاومته ووسع افقه ، وشهد المجتمع العربي انواعا من
الاستغلال الاقتصادي والتسلط السياسي لم يشهد مثله • وكان التحدي
شديدا •

وجاءت ردود الفعل متماثلة في الخطوط العريضة ، ولكن التجزئة
شغلت كل جزء بنفسه • وازداد الوعي العربي قوة في السعة والعمق ولم
يعدم الاتصال والتجاوب بين الاجزاء • واتجه الجهاد العربي الى التحرر
السياسي من الكابوس الاجنبي من جهة والى العناية بالتراث لحفظ الذات •
وكان الرأي ان التخلص من الاستعمار يعني تحقيق الحرية والتخلص من
الادواء والمشاكل • وبدأت الاحزاب السياسية تظهر لتقوم بدور في التوعية
ولتساهم في المعركة بدرجات مختلفة •

وشهدت البلاد العربية سلسلة من الثورات المسلحة ضد الاستعمار
في البلاد العربية في اسيا وافريقيا ، وكانت هذه الثورات منفصلة في البدء ،
وان وجدت صداها الفعال في البلاد الاخرى • وكانت جميعا تدعو الى
الاستقلال والى طرد الاجنبي • وحصلت بعض البلاد العربية على نوع من
الكيان • وصحب ذلك دعوات الى برامج اصلاحية لم تنفذ بعيدا ولم تحدث
تغييرات اساسية • واتسعت قاعدة الوعي وبدا يتغلغل بشكل محدود ومتدرج
بين الجماهير •

وفي هذه الفترة لم تعد الدعوة للوحدة حدود الشكليات • وعلى الرغم
من انتشار التعليم والثقافة لم تحصل اصلاحات تذكر في الاوضاع الاقتصادية
والاجتماعية • ولم يستند الحكم الى الشعب على الرغم من الاشكال البرلمانية التي
خدمت المصالح القائمة • وبرزت المصالح المرتبطة بالتجزئة والنظرات المتصلة
بها ، كما ظهرت مصالح ترتبط بالدول المنسلطة وقامت مصالح اقتصادية
جديدة ، ترتبط باوضاع التبعية • وهكذا ظهرت الكيانات بانواع جديدة من
التبعية •

وتبين ان احياء التراث وحده والتمجد بالماضي بروح عاطفية قد
يؤدي الى التواكل والى نسيان الحاضر ومتطلباته • وعصفت بالمجتمع العربي

تيارات من الآراء الغربية ودخل في دوامة الآراء المصطرفة وكان المجتمع فراغا مفتوحا لكل وارد ووافد •

وتعرض المجتمع العربي من جديد ، مع التجزئة القائمة ، الى افسى التحديات الغربية في كارثة فلسطين التي كشفت بدورها عن هزال الكيانات وعن دور التبعية وتركزها وزيفها وعن اخطار التجزئة على الوجود العربي • وكشفت هذه الكارثة عن الهوة الواسعة بين الجماهير وبين الفئات الحاكمة • لقد تحدثت هذه الكارثة طاقات الامة العربية ووجودها ، ودفعت بها في طريق الكفاح الجديد طريق الثورة العربية •

ثم جاء العدوان الثلاثي ليخير الامة العربية بين طريق الكرامة وبين الانحدار الكلي الى التبعية والعبودية • وكان اثره بعيدا في توضيح الطريق الثوري بكشف جذور التبعية المحلية والاستغلال المحلي وفي الانجاء الى خط التحرر والعدالة الاجتماعية •

وكان لفترة الحرب الثانية دورها في توجيه الانتباه الى النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، كما ان الحركات التحررية في اسيا كان لها اثرها الملموس في البلاد العربية •

وكن من اثر هذه العوامل والاوضاع ان مر الوعي العربي في منتصف القرن الحالي بمرحلة نقد جذري للذات • لقد تكون مفهوم جديد للتحرر وهو التخلص من كل انواع التبعية والتخلص من الكيانات المقرونة بالتبعية • وتكون مفهوم جديد للحرية ، لا عن طريق الشكليات البرلمانية التي تخفي وراءها تحكّم فئة محدودة ، بل باستناد الحكم الى الجماهير والارتكاز الى القواعد الشعبية • وتبين ان الدعوة الى الاصلاحات التدريجية في عالم سريع الحركة والتحول لا تعني الا تأكيد التخلف وابقاء التبعية بشكل او باخر ، وان لا طريق الا بالتغيير الجذري الذي يتخطى التخلف ويدفع بالطاقات العربية الى اقصى امكانياتها في البناء •

وتبين ، نتيجة اتساع الوعي العربي وعمقه ، ان كل تغيير لا يضع مصلحة جماهير الشعب في الاساس ولا سيما في الحقل الاقتصادي والاجتماعي لن يكون له اثر يذكر غير تأكيد التبعية والاستغلال بشكل أو باخر • بل

ان التغيير الجذري لا معنى له ولا وجود الا ان يكون لصالح الجماهير ليكونوا قاعدته واساسه . ومن هنا برزت العدالة الاجتماعية ضرورة اولية في الحديث عن اي بناء متين .

وقبل هذا كله وبعده ، بدأ يتضح ان احياء التراث والعناية بالعربية وحدها لا يكفي ان اردنا ان يكون البناء عربيا في جوهره يمثل قيم الامة ومبادئها الانسانية . واتضح ان كل بناء لا يتمثل نظرة الامة للحياة وقيمها ولا تكون جذوره في التربية العربية لا يمكن ان يرسخ وان يحقق امكانيات الامة واهدافها .

بضوء هذا ، وجب فحص ارث الامة وتقييمه ، والكشف عن مصادر حيويتها وطاقتها واتخاذ المثل والقيم والاتجاهات التي يمكن الركون اليها في البناء الجديد الذي نريد . وكان طبيعيا ان نجد في المبادئ الاسلامية بنظراتها الانسانية وبمفاهيمها التعاونية وفي القيم الروحية والمثل الخلقية اساسا للبناء ، وهذا منطلق واضح في طريق عملنا وتفكيرنا .

انا حين ننظر الى التراث وما يحتويه من مبادئ حية ومثل وقيم وما ينطوي عليه من خبرات انما نريد ان تفهم جذور هذه الاتجاهات النورية في الوعي العربي الان . انا لا نريد البحث عن تبريرات لاراء سبق ان نادينا بها بل لنكشف ان هذه الازاء تعبير ذاتي عن طبيعة الوعي النوري واتجاهاته .

لقد اكد تراثنا الفكري على منع الاستغلال باشكاله فانكر الاحتكار مثلا لئلا يتحكم البعض في حياة الناس ومعاشهم . وحرم الاسلام الربا ليمنع نوعا بشعا من الاستغلال واتجه الى الحد من الفوارق في الملكية لكي لا تكون بين الاغنياء دولة ولينع تحكم فئة في اخرى . ويتمثل هذا في تصنيف الاعطيات والرواتب زمن الراشدين كمحاولة عملية لتحقيق ذلك . هذا هو المبدأ الذي يتخلل الفكر العربي ، وجاءت الانحرافات العملية وعرضت المجتمع لهزات خطيرة يمكن ان تكون حافزا اخر للسير في طريق العدالة الاجتماعية .

ويرتبط بهذا المبدأ المحاولات الواسعة لتيسير التعليم وتوفيره ، وتوفير

العناية الصحية بالمستشفيات المجانية في المجتمع العربي ، والمحاولات التي اتخذت لتوفير الرعاية الاجتماعية .

وفي تراثنا تأكيداً للتعاون كأساس للعمل ونكران الذات الفردية في ذلك . وكان هذا المبدأ من أهم الأسس التي قام عليها المجتمع في دور تقدمه وابداعه . ظهر هذا المبدأ في التعاون الزراعي في القرى في بعض البلاد العربية ، وظهر في نطاق العمل وتنظيماته ، كما ظهر في المجال الاجتماعي . ومن المبادئ التي أكد عليها الفكر العربي الإسلامي تأكيد حرمة العمل ، والحث على الكسب الحلال وترك التواكل ، لضمان العيش الكريم . وهو تأكيد تحوّلته قيم خلقية أساسية ، منها تحديد هذا العمل بخير الأمة ومصالحها وان لا يكون سبباً للأضرار بالآخرين .

ويتصل بهذا طبيعة الملكية الفردية ، فهي وان كانت محترمة الا انها لا تعدو من حيث المبدأ ان تكون وظيفة اجتماعية ، وللامة ان تنهج حيالها ما تراه اضمن لمصلحتها بالتقييد او الحد او التوجيه . ويمتد هذا الى الضرائب التي تفرض وهي في الأساس ضرائب يراد بها خدمة المجتمع لتقليص الثروة في جهة وتقديم العون الى المحتاجين ولكنها لم تؤد الى النتيجة المنطقية بعد التطورات العملية . كما ان نظام الارث استهدف منع تكديس الثروات والوقوف في وجه التسلط الاقتصادي .

وهناك مبدأ أساسي ، وهو ملكية الأمة لمصادر الثروة في المجتمع او لوسائل الانتاج وكذا للمرافق العامة الأساسية . فالارض والماء والمراعي هي ملك الأمة والمعادن هي في الأساس ملك الأمة تديرها وتشرف عليها الحكومة باسمها ولمصلحتها . وليس التأميم الا ملكية الأمة لوسائل الانتاج وشرافها على طريقة استغلالها لمصلحتها .

وقد سيطرت الدولة على بعض الصناعات الرئيسية للمصالح العام مثل صناعة بعض الأقمشة (الطراز) والأسلحة . وهذا تعبير عن مبدأ يتصل تطبيقه بخطة الأمة ووجهتها وتتضح حدوده بضوء ذلك .

ومن المبادئ الأساسية للمجتمع العربي الإسلامي مبدأ الثورة لرفع الجور ولتحقيق العدل ولبناء مجتمع افضل . وهل كان الاسلام الا ثورة

شاملة قلبت الاوضاع واحداثت تغييرات جذرية في نواحي المجتمع كلها .
وقد عرف المجتمع العربي الاسلامي اكثر من نورة للقضاء على الجور
ولتحقيق العدالة . وقبل هذه المبادئ ، وبعدها ، مبدأ اساسي هو ان الامة
هي الاساس وكل عمل عام وكل مصلحة حكومية انما تقوم باسمها
ولخدمتها . هذا هو المبدأ الذي اكده الفكر العربي في كل الظروف حتى
في احلكها . كما ان الولاء لها اساس كل ولاء وبداية كل عمل عام . ولذا
كان مبدأ الثورى اول مبادئنا ، ولذا كان الاجماع اساسا حيا في التشريع
عبر العصور .

وقد وجدت هذه المفاهيم تطبيقها العملي في صدر الاسلام . فهناك
نلاحظ ان الامة تحوطها العقيدة وتشدها في تكوين واحد ، وان كل فئات
الامة تعمل في خطوط واحدة . ولما كانت رسالة الامة الخارجية الجهاد
ورسالتها الداخلية البناء نجد ان رأيها يتبلور في رأى فئات الامة كافة وانها
بمجموعها تكون الجيش الذي حمل الرسالة للخارج ، كما نجد ان نظام
الضرائب ، وبناء المدن الجديدة (دور الهجرة) ونظام العطاء وضع ليحقق
هذه المفاهيم في تخطيط واحد .

كل هذا يعني وحدة العمل العام ، ووحدة الخطوط التي تحقق
الاهداف الرئيسية في نطاق واضح ، ووضع التنظيم المستند الى العقيدة والذي
يمكن من تحقيق الاهداف الرئيسية . ولم يجد المجتمع بأسا في تنوع
الاجتهاد في اطار الخطوط الرئيسية والاهداف العامة ، بل انه رحب بذلك .
ولا بد ان تشير الى مبدأ اخر ، وهو أن المجتمع العربي اكد على
المبادئ والقيم الاساسية وان التشريع انبثق عنها بضوء التطورات العملية
والحاجات . ولذا نجد الخبرة والتطبيق تسبق التشريعات التفصيلية مع
الرجوع الى اصول واحدة لغرض التشريع . وهذا يعني ان التطبيقات
العملية او تجربة المجتمع وواقعه كانت نقطة الابتداء واساس التفكير . ولذا
نجد التأكيد باستمرار على صالح الامة وعلى الضرورات التي يوجبها تطور
اوضاعها .

واخيرا نذكر ان المجتمع العربي الاسلامي اكد في جميع الظروف على
مبدأ العدالة الشاملة ، واعتبر ذلك اساس كل خير وقاعدة البناء . ويتمثل

مبدأ العدالة في تساوي الحاكم والمحكوم امام القانون وفي التكافل الاجتماعي، وفي الكثير من الخدمات الاجتماعية التي قامت بها الدولة في فترات مختلفة وفي تيسير التعليم وفتحه للجميع . والمهم ان مبدأ العدالة يعتبر القاعدة الاولى للمجتمع العربي الاسلامي .

انا حين نذكر هذه المبادئ التي تتخلل تراثنا العربي الاسلامي ، بعد ان تعرضنا لخبرات المجتمع العربي ، انما نريد ان نبين ان العدالة الاجتماعية التي نريد ، أو الاشتراكية العربية ، لها مفاهيمها وقيمها الاصيلية . كما اننا نبين ان الوجة العملية او التخطيط انما ينبثق من طبيعة الوعي العربي ، ومن واقعنا الذي يفرض علينا التغيير الجذري لتتوصل الى بناء مجتمع عادل مرفه .

ونحن نلاحظ ان فترات الازدهار والبناء هي فترات الحرية الشاملة للامة ، ولل فرد في نطاقها وضمن اهدافها ، وان هذا الازدهار كان حين تظافرت فئات الامة وقواها في اطار العقيدة الواحدة وحين لم يشع الاستغلال الداخلي .

ونحن نرى بعد هذا ان المبادئ الاساسية التي تتخلل التدابير العملية التي نهجتها الاشتراكية العربية والقيم التي تتخللها انما هي مبادئ وقيم نابعة من صميم تراثنا . كما اننا لاحظنا ان الوجة العملية والتطبيقات صادرة عن واقع المجتمع العربي بضوء متطلبات الثورة العربية وفي سبيل تحقيق اهدافها .

ونحن بعد هذا لا نعيش الان ، كما لم نعش في الماضي بمعزل عن تجارب البشرية وعن خبراتها العلمية والعملية ، بل اننا نريد ان نفيد منها باذهان مفتوحة . وهذه نظرة عربية تخللت فترات البناء والازدهار للمجتمع العربي .

ان العدالة الاجتماعية التي ننشد تتمثل في الاشتراكية العربية وهي حصيلة مثلنا وقيمنا ومبادئنا الانسانية ، في تفاعلها الايجابي مع واقعنا وفي سبيل المجتمع الجديد الذي نريد مستفيدة في تطبيقاتها من تجارب البشرية وتطورها العلمي .

الدكتور عبدالعزيز الدوري
عضو وفد العراق

المفاهيم القومية الاشتراكية

بقلم

دكتور ياسين خليل

مقدمة :

١ - تجتاح المجتمع العالمي بمختلف قومياته وشعوبه أزمة حادة تتناول الفكر والحضارة الانسانية ومصير العالم * وادرك الانسان العادي والفيلسوف معا ضرورة معالجة هذه الازمة ووصف الدواء لها بعد تشخيص الدواء .

واخذت حرية الفرد وكرامته كإنسان تتعرض لسلطان الإنسان ذاته واعماله التي هي من صنع يديه وتفكيره . وكانت اشد اوجه هذه الازمة تلك التي تناولت الإنسان ومجتمعه ، فاصبح عرضة لمخاطر فلسفات انكرت ذاته واستقلاله كفرد في المجتمع ، لانها اعتبرته مجرد قطعة صغيرة من آلة كبيرة تنجز وظيفة معينة . وانتشرت الافكار الاباحية والفوضى الفكرية بين شعوب العالم المتمدن ، وبدأت علامات انهيار المثل الاخلاقية والقيم الانسانية تبدو لكل شاهد ، ليحل محلها مثل لا تنبع من الخلق الانساني القويم وتخالف طبيعة الانسان وانسانيته . ووجد العالم نفسه أمام حقيقة مرة هي ان الإنسان الذي اراد لنفسه الخلود على هذه الارض يقطع نفسه من شجرة الحياة ويعرض البشرية للدمار والفناء .

٢ - وتعرضت الامة العربية كغيرها من الامم لهذه التيارات الفكرية والفلسفية الوافدة من الغرب والشرق ، وتضخمت الازمة واصبح لها اوجه جديدة ، فبعد ان كانت الامة العربية في سبات طويل وجدت نفسها امام مدنية صناعية متطورة لا تستطيع الا ان تسلح بها لتستطيع الوقوف على قدميها ضد الاعداء . ومع هذه المدنية الصناعية دخل الفكر الاوروبي الى العالم العربي فاعتبره الافراد يمثل قمة انتاج الفكر الانساني ، ولكنهم لم يدركوا ان بين الفكر والصناعة تفاوتاً ، اذ ليس من الضروري ان يكون الفكر متقدماً وانسانياً في مجتمع متطور صناعياً . وانتقلت الازمة الاوربية الى العالم العربي لتحدث ازمة جديدة تمثل في التصارع الفكري والاجتماعي بين تراث الامة وعقيدتها وبين الافكار والتيارات الوافدة . وبدأت مع هذا التصارع حملة تشكيك موجهة يبنها الاستعمار والعملاء والصهيونية العالمية ضد الامة العربية .

وانتقلت العملية من الفكر الى العمل ، فاندفع الفرد العربي بكل تطرف لامتناس الفلار الاوروبي والافكار الحاقدة ضد أمته تائراً على القديم للقضاء عليه والتحلل منه . فوضع يده من دون ان يعلم بيد مخططات الصهيونية العالمية والاستعمار لتخريب مقومات أمته ، ولم يدرك الاصابع الخفية التي توجه هذه الحملة التي لا تسعى الا للقضاء على ذاته وشخصيته وشعبه .

٣ - وتحولت نظرة الانسان عامة من الروح والاخلاق الفاضله الى المادة ، واصبحت الاخلاق كما أراها بنو صهيون مجرد بضاعة للتصريف والخداع . وبدأ الفرد يتربص بالآخر ويستخدم افكاره في جانب الشر وتدمير المخطط الكفيلة للحصول على المزيد من الربح والقضاء على المنافس حتى ولو اضطر الى بيع كل قيمه ومثله الانسانية من أجل ذلك . وانتقلت مقاييس الانسان في تقييم الانسان ، فأصبح المال المعيار الذي يقيس به الانسان يبل انسان آخر ، وادرك الفرد مال المال من سطوة وقوة في المجتمع ، فأخذ ينافس الاخرين ليحتل المكان الذي يعطيه القوة والارادة في التدبير والتسيير .

وبدأت غرائز الانسان الوحشية تظهر على مسرح الاحداث بكل وضوح
مستخدمة القوة الجديدة في التنازع من اجل البقاء الاقوى .

وعند انتقال المدنية الاوربية الى العالم العربي ادرك العربي اهمية المال
وقوته في تغيير المجتمع والحكومات ، وامتدت مع هذا الادراك الايدي
الاستعمارية والصهيونية لشراء الخونة وتأسيس الجمعيات السرية التي تعمل
ضد المصلحة القومية وبوحي من الاسباد . وظهر هذا الخطر الجديد في
مجال العمل والتنفيذ في مناسبات كثيرة ، ولاسيما عندما يجد الاستعمار ان
ميزان القوى ليس في صالحه ، فيعمد الى المال والتزييف واطلاق الاشاعات
تحقيقا لاهدافه العدوانية .

٤ - وانتشرت الجمعيات السرية المخربة في المجتمعات ومن ورائها
اصحاب رؤوس الاموال الكبيرة والخطر الصهيوني . فاخذت تعمل
ضمن تخطيط تخريبي يسبب للبشرية أكبر التكببات . والى جانب ذلك
تعمل النظريات الاقتصادية بوحي من الرأسمالية والصهيونية العالمية على وضع
العالم في صراع دائم في الداخل والخارج . فالماركسية وهي قمة النظريات
الاقتصادية الصهيونية القائمة على فلسفة الصراع الطبقي والتناصر بين
فئات الشعب الواحد قد بثت سموها بين الشعوب تحت ستار المساواة وانعقاد
الطبقة العاملة من سيطرة الرأسماليين . ولكنها في الوقت نفسه تعمل على
اقامة طبقة جديدة تحل محل المجتمع الطبقي القديم ، فتقسم المجتمع على
اساس حزبي ومهني ، فالقادة والزعماء الشيوعيون يمثلون طبقة الاسباد
الجدد ، أما العمال والفلاحون وبقية الشعب فيمثلون طبقة تنفذ ما يخططه
الحزب من قرارات . والماركسية في جوهرها فكرة دكتاتورية قائم على
القتل والسفك وانتهاك حرمان الافراد باسم الديمقراطية . وعندما واجه
شعبنا العربي في العراق هذا الفكر بكل صلابة وعنف استطاعت الجمعيات
السرية والاستعمارية ان تلبس شعار القومية العربية الجديد لباسا يعمل
في حقيقة أمره على تمزيق وحدة صف الامة وتشويه فكرها وعقيدتها ،

فكانت التيارات القومية الماركسية التي تلتقي مع الشيوعية في الوسائل وتختلف عنها ببعض الاهداف . وهكذا استطاعت القوى الحاكمة ان تجعل من العالم العربي مسرحا لا يسوده الاستقرار ، لان الاستقرار والالتفاء بالهدف العربي الكبير يفسد على الصهيونية والجمعيات السرية خططها ، ويساعد المخلصين من ابناء أمة العرب على تطوير الامكانيات المادية والفكرية للوقوف ضد الخطر الصهيوني والاستعمار العالمي .

٥ - وازافة لكل هذه الاخطار تجد الامة العربية نفسها أمام واقع مؤلم لا بد من تصحيحه والرجوع به الى ما قبل بداية وقوع الاعتداء والخطأ ، وهو ان القوميات الاخرى استطاعت ان تنتزع من أرض وطن الامة العربية اجزاء عندما كانت أمة العرب مغلوبة على أمرها . فهناك عربستان التي لا بد ان تتحرر من حكم القومية الاجنبية ، وهناك قضاء الاسكندرونة وارض فلسطين . ولا زالت بعض القوميات تسعى بوحى من الاستعمار الى اغتصاب أراضي عربية جديدة بطرق جديدة كالهجرة والتعاون الاقتصادي واسناد الحكم للرجعية العربية . لذلك تضطر الامة العربية بفكرها القومي التحررى ان تخوض معارك تحررية لاسترجاع الاراضي المسلوبة . وعلينا ان ننظر الى خارطة العالم العربي نظرة عامة وشاملة لنحدد معاركنا التحررية بالطرق المشروعة ، لان الواجب يملئ على الامة العربية ان تدفع عن أراضيها سطوة القوميات الاخرى .

٦ - واستطاعت الرجعية العربية المرتبطة مصلحيا بالاستعمار ان تقف لفترة سدا منيعا أمام ارادة الشعب العربي في التحرر واسترجاع الاراضي السليبية . ولكن الارادة القومية للامة العربية وقفت أمام تحقيق احلام الرجعية في ترسيخ الاستعمار وتقوية الصهيونية العالمية فوق أرض الوطن . وانتزعت الثورة العربية بدماء الشهداء زمام المبادرة ، فاصبحت قوة ايجابية ودفاعية تخوض معارك الحرية والتحرر والاشتراكية والوحدة . وادركت القوى القومية المؤمنة ضخامة المسؤولية وقدرة الخونة من العرب

والرجعيين من عرقلة التيار القومي التحرري .

ان الرجعية والشعوبية والانتهازية والجمعيات السرية ما هي الا قوى تحركها اصابع الصهيونية والاستعمار ضد الامة العربية . لذلك يجب على جميع القوى المؤمنة بالله وبالوطن العربي وبارادة الشعب العربي ان تتكاتف للقضاء على هذه القوى الداخلية العميلة .

٧ - ومن خلال النجارب القومية للامة العربية اصبحت القوى القومية المخلصة حدية التفكير ، لان مسؤولية الامة ومصيرها ليس مجالاً للاخذ والرد والمضاربة السوقية . واصبح طابع هذه الحدية متبلورا الى درجة يصعب على المرء ان يزيفه عن الطريق الصحيح . فالجمهورية العربية المتحدة قاعدة النضال الثوري والتحرر العربي ، والوحدة العربية حقيقة قومية وشعبية قبل ان تكون دستورية ، وهي شعار رفعته الامة العربية واستلمته القيادة الثورية في مصر . فكل من يحارب الجمهورية العربية المتحدة ويشكك في قيادتها يقف من حيث يشعر او لا يشعر في صف القوى المعادية للقومية العربية والعقيدة الاسلامية . وكل من يحارب الوحدة بمضمونها الاشتراكي العربي الاسلامي يقف في صف الشعوب والاستعمار لان مسألة الوحدة والاشتراكية لا تقبل المساومة والجدل العقيم ، وان معاداتها ما هو الا ترضية للصهيونية العالمية وتحقيق لاغراضها العدوانية .

٨ - ان مسؤولية هذا الجيل العربي لكبيرة ، لان علينا جميعا تحديد طريق الكفاح من اجل اللغة العربية ورفعة مكائنها في طريقها الصاعد نحو البناء ، بناء مجتمع الانسان العربي متحررا من قيود الرجعية والاستغلال . وعلينا ان نميز اعداء الامة العربية في مرحلة النضال ، لان الاعداء يمثلون نواة التناقض بما يبذرونه من بذور التفرقة والانهايار والتخريب . وتضطر العناصر القومية المؤمنة بالاشتراكية والوحدة العربية الشاملة ان تضم نفسها في صف واحد وتحدد موقفها من الاحزاب القومية والاقومية في الوطن العربي لتكون على بصيرة من امرها في طريق الحرية

والديمقراطية ، ولكي نخطو بالمجتمع العربي نحو العزة والكرامة يجب علينا دراسة الواقع العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا لكي نعين عناصر الهدم والبناء في المجتمع ، فنعتمد على العناصر البنائية في انطلاقتنا القومية والانسانية .
واذا كان صراع الامة العربية ضد الاعداء صراعا قوميا ، فمن الضروري اذن ان نحدد موقفنا من القوميات التي سلبت الاراضي العربية ، ونخطط طريق الكفاح لاسترجاع الاراضي المغتصبة .
واذا كانت عقيدتنا القومية المستمدة من واقعنا العربي وتراثنا الاسلامي ، فان علينا ان نحدد موقفنا من الصراع الدولي العنقادي والقومي بما تمليه علينا عقيدتنا وظروف امتنا العربية . وهذا معناه ان تكون لقوميتنا فلسفة وبرنامج وتخطيط ، لان الصراع الدولي لم يعد بالسلاح فقط ، بل بالافكار والعقائد والفلسفات .
وسنحاول في الصفحات القادمة ابراز خطوط هذه الفلسفة القومية ومقوماتها .

وحدة المفاهيم القومية الاشتراكية

كان من جراء الاتصال الفكري بين الغرب والشرق ان انتقلت بعض اراء مفكري اوربا وفلاسفتهم الى العالم العربي ، محدثة بذلك جواً فكرياً جديداً ، لان هذه الراء اصبحت في بعض الاحيان جزءاً لا يتجزأ من عقلية الافراد على الرغم من تعارضها واختلافها عن اسس العقلية العربية ومقوماتها . وعندما بدأت حركة التحرر العربي تشهد وتقوى ضد الاستعمار والشعوبية والرجعية الداخلية اتخذت بعض الفئات القومية مفاهيم استقتها من الفكر الاوروبي لتقيم عليها اسلوبها في معالجة القضايا القومية وفكرها في تحديد عملها وتنظيمها . وظهرت الى جانب ذلك تيارات فكرية ومذهبية تحاول معالجة مشكلاتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بأسلوب أوروبي اتخذه المفكرون الاوروبيون طريقة لمعالجة مشكلاتهم المختلفة النابعة من ظروفهم الخاصة . وحاولت بعض الفئات القومية ان تمتص في بعض الاحيان الفكر الماركسي واسلوبه لتفسير حركية المجتمع العربي واهدافه في بناء دولة الوحدة . فتناول الكتاب الحركة القومية العربية بأسلوب ماركسي كما هو واضح في كتابات الكثيرين من الكتاب القوميين ، وقد نسوا بذلك اختلاف الوضعية الاجتماعية والمرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع العربي . ونحن لا نعارض الاستفادة من الافكار الاوروبية وهضمها وتقويمها تبعاً لحاجة المجتمع العربي اذا كانت لا تعارض مع مقومات المجتمع وتراثه وقيمه الاساسية . واذا اتخذ العربي هذه المفاهيم والاساليب فمن الضروري ان تكون لديه دراسة موضوعية - وصفية لواقع العالم العربي ، ليستطيع تكييف المفاهيم والاسلوب معاً وليس العكس ، لان الواقع هو الموضوع الذي يقوم عليه التطبيق ، ولا يمكن تغيير الواقع بسرعة ليستطيع تكييفه للاسلوب والمفاهيم لان ذلك يقود المجتمع الى التخلخل والاضطراب . فاذا ارادت الماركسية مثلاً ان تجد مبررات نجاحها في العالم العربي ، فمن الضروري ان تغير

الواقع اولاً ، فتخلق مجتمعاً طبقياً اساسه الصناعة والتفاوت الاقتصادي مع قتل القيم والمثل الانسانية التي تنفرد بها العقلية العربية في البناء الحضاري وان مثل هذا العمل سيؤدي الى التصارع الفكري والمادي بين فئات المجتمع الواحد لتستطيع فئة منه ان تفرض دكتاتورية عمالية فتقوم بالتغير القهري ، وهذا امر نعارضه ونقف بوجهه بكل الامكانيات .

وعلى هذا الاساس يجب ان يكون المفهوم معتمداً على دراسة علمية ومعرفة وصفية للمجتمع ، كما يجب ان يكون اسلوب العمل ملائماً من فئات الشعب ومتجاوباً مع امانيه القومية . ولكننا اذا نظرنا الى المفاهيم القومية المتعارفة مثل الحرية والاشتراكية والوحدة والطبقة والرجعية والتقدمية ... الخ نجد اختلافاً عميقاً في تحديد معانيها ، الامر الذي يدعونا الى القول بعدم وجود نظرية قومية اشتراكية واحدة ذات مفاهيم موحدة في العالم العربي . ومن المعروف ان هذا التعدد في معاني المفاهيم يقود بلا شك الى اختلاف فكري وجوهري والى صراع لامبرر له . لذلك يجب اذا كنا اصحاب فلسفة قومية ان نحدد المفاهيم ونعطيها المعاني المستمدة من تطور المجتمع ومقوماته . ورب سائل يسأل عن اسباب تعدد هذه المفاهيم ، فيمكننا الاجابة بالنقاط الآتية : -

أ - اختلاف الفلسفات الاروربية التي دخلت الى المجتمع العربي من ماركسية ونازية ووجودية وفوضوية وديمقراطية وفاشية كل ذلك ادى الى اختلاف وجهات النظر في معالجة الامور وتحديد معاني المفاهيم .

ب - تعدد الفئات والاحزاب القومية التي وجدت في الوطن العربي تحت ظروف تكاد تكون مختلفة وبدوافع متباينة .

ج - تطور المجتمع العربي في مراحل النضالية ادى الى اختلاف الاساحة الفكرية لمقاومة التيارات الحاقدة .

د - عدم وجود نظرية قومية لحركة الامة الوجودية في المرحلة التي سبقت بداية التحرر ، فادى ذلك الى تطور هذه النظرية بالتفاعل

مع المجتمع والعوامل الداخلية والخارجية المؤثرة عليه وفي مراحل الكفاح المختلفة .

وعندما نؤكد على أهمية توحيد المفاهيم نقصد من وراء ذلك إيجاد وحدة فكرية أساسية تقود معركة التحرر والاشتراكية والوحدة التي تحقيق ما يصبو اليه كل عربي مخلص . ان وحدة الفكر ضرورة تستلزمها حركة الامة العربية ، لان هذه الوحدة هي القوة الحقيقية لقدرتها على خلق التنظيمات المتشابهة ذات الاهداف الواحدة مكونة بذلك حركة الامة العربية الكبرى وهي الحركة العربية الواحدة .

ان الاحداث التي مر بها الشعب العربي في تجاربه النضالية اثبتت حقيقة مهمة هي ان اختلاف الافكار في التنظيمات يقود دون ادنى ريب الى تكتلات ومعسكرات واجنحة مختلفة ، لذلك كان من شروط العمل القومي الواحد توحيد هذا الفكر وصهر التجارب المختلفة في بودقة واحدة تكون ملتقى جميع القوى القومية والامة العربية . ولكي يكون الفكر القومي العربي واحدا ، يجب أولا تحديد الافكار الاساسية ومن ثم المبادئ التي تقود الحركة العربية نحو تحقيق الاهداف . ان مهمة تحديد الافكار القومية ليست بسيطة لان علينا ان نراعي قاعدتين هما : -

القاعدة الاولى وتمثل في معرفة الادوار النضالية التي رافقت المفهوم والوضعيات الاجتماعية التي انبثق عنها وتفاعل معها ، لان ذلك من شأنه ان يكون الجانب الفكري للمفاهيم .

القاعدة الثانية تمثل في معرفة علمية دقيقة لاصول التعريف وقواعده ، لان ذلك من شأنه ان يجعل معنى المفهوم جامعاً ومانعاً بحيث يكون للفرد القدرة الكافية على التمييز بينه وبين المفاهيم الاخرى . أما اذا خلا التعريف من القاعدة الثانية ، فان تحديد المفهوم سوف يكون مائعاً غير محدد ، اضافة الى ذلك ما يصبه من غموض فلا يؤدي التعريف الغرض المطلوب .

ومع الاسف الشديد نجد الكثير من المفاهيم القومية اما خالية من التعريف فيترك امرها الى الاجتهاد الشخصي او تعرف بكلمات تحتاج

هي الى تعريف او تعريف بافكار مبهمه وغامضة او ان يأتي التعريف ناقصا .

ان المفاهيم والمبادئ القومية تؤلف القاعدة والبناء للنظرية القومية ، لذلك يجب علينا من وجهة النظر العلمية ان نراعي الامور الآتية : -
أ - ان يكون تحديد المفاهيم والمبادئ أو تعريفها واضحا وبسيطا ، بحيث لا يثير الالتباس والقلق الفكري .

ب - ان يكون محتوى المفاهيم والمبادئ مستمدا من تجارب الامة العربية وخبراتها منذ بداية الوجود العربي حتى الآن ، لان النظرية القومية لا تكون كذلك الا اذا كانت معتمدة على تراث الامة القومي والروحي .

ج - ان تبعد النظرية القومية عن التفسيرات الميتافيزيقية وتكتفي بالتحليل العلمي لواقع العالم العربي واحداثه في الماضي والحاضر .

هذه الاصول الثلاثة لا بد منها اذا اردنا ان تكون النظرية القومية ذات اسس واصول علمية . اما اذا حددنا المفاهيم خلاف احدهذه الشروط فاننا سنقع في فكر شعوبي اذا استثنينا الشرط الثاني أو ان نقع في فلسفة خيالية اذا لم نراع الشرط الثالث . وبناء على ذلك ستكون مهمتنا علمية بحتة ذات اطارين : -

أ - الاطار الفكري النظري الذي يفلسف الافكار والمفاهيم والتجارب ضمن فلسفة قومية .

ب - الاطار التطبيقي العلمي الذي يبين مبادئ العمل وكيفية تطبيق الافكار النظرية في المراحل المختلفة لتطور المجتمع العربي .

مفهوم الثورة ومستوياتها

الثورة من المفاهيم القومية المتداولة بين الناس وفي الصحف والكتب القومية المختلفة الافكار ، وكثيراً ما نرى لهذا المفهوم ومشتقاته تنوعاً في المعاني والدلالات على الصعيد العلمي واليومي والعاطفي ، واخذت عبارات ثورة وثوري ومستوى ثورة وعمل ثوري تتعدد وتفسر حسب الاهواء بلا تحديد وتعريف للمحتوى القومي الذي يجب ان تنطوي عليه هذه العبارات . ان المعنى الدقيق لمفهوم الثورة لا يكون بالعبارات الاعباطية ذات الدلالات المختلفة ، بل لا بد من وجود المحتوى الفكري والعملية والارادي لعبارة الثورة ، لكي يصبح التحديد واضحاً مستمداً مضمونه العلمي من واقع التجربة العربية . ان استعمال كلمة واحدة في فلسفات واتجاهات فكرية مختلفة يقود الفرد الى قلق فكري وتناقض في اسلوب معالجة التجربة ، لذلك لا بد من وجود اطار فكري واضح لكل مفهوم تستخدمه التجربة القومية في حركتها نحو تحقيق اهداف الامة العربية . ان نقص التحديد يؤدي الى فرقة في وحدة الفكر وتشعباً فيه ، فلا يكون للحركة القومية الاداة الفكرية الكاملة في خوض المعركة . واذا استخدمت الليبرالية والماركسية والفلسفات القومية الاوروبية عبارة الثورة ، فاننا نلمس اختلاف المعاني والتفسيرات ، لذلك كان من الضروري ونحن نعمل على قيام وحدة فكرية قومية ان نحلل الحركة القومية الوجودية لنعطي لمفهوم الثورة تحديداً علمياً بعيداً عن التجارب المختلفة لامم أخرى ، لان تجربتنا في اعتقادي منفردة وذات اصول وجذور تجعلها مختلفة عن بقية التجارب القومية في العالم . ومن هذا المنطق سنناقش مفهوم الثورة تبعاً لاتجاهات فلسفية وفكرية مختلفة لتعرف على طبيعتها العامة وادراك خصائص الثورة العربية بالمفهوم القومي الاشتراكي العربي .

يقترن بتعبير الثورة صفحات تحدد اطارها بحيث نجد الاختلاف بكل وضوح بين الانواع المختلفة للثورة منعكساً في التعابير التي نستعملها فالثورة العلمية والثورة الصناعية والثورة الدينية والثورة الاجتماعية انواع

يتصف كل واحد منها بصفات خاصة تجعلها متميزة عن الأخرى ، ولكنها تنفق جميعاً في نقطة واحدة تلتقي عندها جميع هذه المفاهيم وغيرها فالثورة ما هي إلا تغيير مفاجئ في الأسلوب القديم يستهدف بناء أسلوب جديد في معالجة الأشياء . فالثورة العلمية التي أعلنها كوبر نيكوس في علم الفلك هي في حقيقة أمرها تغيير لنظرية القديمة القائلة بثبوت الأرض ودورات الشمس ، مستهدفة إقامة الدليل بأسلوب جديد على أن الأرض متحركة والشمس ثابتة . ويصدق الشيء نفسه بالنسبة لثورة إسحق نيوتن العلمية في الميكانيك وثورته البرت اينشتاين في الفيزياء النظرية الحديثة . ويصدق التحليل نفسه على الثورة الصناعية التي غيرت أسلوب الإنتاج ، فتحول من الأسلوب اليدوي البسيط إلى الأسلوب الميكانيكي المعتمد على الآلة في الإنتاج . فكانت الثورة الصناعية تغييراً جذرياً في أسلوب العمل والقوى العاملة إضافة إلى تأثيرها البالغ على الأوضاع الاجتماعية وأسلوب الحياة . وإذا حللنا الثورات الدينية ولا سيما الإسلام منها ، نجد قدرتها على التغيير الاجتماعي والعقائدي وإيجاد أسلوب جديد في البناء الاجتماعي يستعيز به الإسلام عن الأسلوب الجاهلي القديم ، وإذا بالأسلوب الجديد يخلق قيماً ومثلاً جديدة وطريقة في النظر إلى الكون والحياة والإنسان . أما الثورة الاجتماعية فإنها تستهدف التغيير العام للبنية الاجتماعية ، غايتها الوظيفية تتجلى في أداء العمل الذي يشد من البناء ويسد الحاجات المناطة به . ولكي يتحقق هذا التغيير لأبد من وجود الأسلوب في معالجة الأشياء ، لأن غياب الأسلوب الجديد في تغيير البنية الاجتماعية من شأنه أن يجعل الثورة تتخبط ، فلا تؤدي الغرض الذي من أجله ان تعمل وتحقق . وإذا اتفقت الثورات في مفهوم التغيير الفجائي للأسلوب القديم ، فإنها لا شك تنفق في خطوط عامة أخرى سنأتي على شرحها الآن .

ان التحليل العلمي لكل أنواع الثورات على اختلافها تشترك في الخصائص الآتية : -

أ - لابد من وجود الارادة التي تشمل في الارادة الفردية او الارادة الجماعية .

ب - لابد من وجود الاداة ، ونقصد بها هنا الفكر المتفاعل مع التجربة والواقع .

ج - لابد من وجود الاسلوب في التطبيق والذي يبين الجانب الايجابي من خطة الثورة وتحقيقه كما وكيفاً .

من دراسة تاريخ العلم يظهر لنا بوضوح العامل في الثورة العلمية ، فالفرد هو المفكر والشخص المبدع والدافع للثورة العلمية في طريقها الصحيح . وتظهر الارادة الفردية في الثورة العلمية بكل وضوح ، لان الابداع العلمي المتمثل في الثورة ليس نتاجاً للمجتمع المؤلف من مواهب وقدرات مختلفة ، بل هو نتاج ارادة الفرد وقدرته على الخلق والابداع اما الثورات الاخرى من اجتماعية ودينية فانها اضافة الى كونها ثورات تعبر عنها الارادة الجماعية الا انها في الوقت نفسه لا تنكر اهمية الفرد في شحن عملية الثورة . فالثورة الدينية تعتمد اولاً على الشخص او الرسول ومن ثم تصبح التعاليم جماعية تحرك المجتمع في وحدة فكرية واحدة نحو تحقيق اهداف الثورة في التغيير وبناء المجتمع الجديد . والثورة الاجتماعية لا تخلو من اهمية الفرد . فالشيوعية مثلاً تعتمد على تعاليم كارل ماركس ، وهي لاتفك عن شحنة افكار الجماعة بالروح الثورية لتحقيق الاهداف ، فتصبح التعاليم جماعية تسير وفق خطة اديولوجية بين ماركس معالمها الرئيسية . واذا كانت الارادة في التغيير الشامل موجودة مع انعدام الفكر الموجه او الاداة التي يستعين بها الافراد في الحركة ، فان مصيرها سيكون الاخفاق والانتكاسة . فالفكر النابع والمتفاعل مع التجربة يمثل في حقيقته جانب الوحدة الفكرية في الثورة الى جانب وحدة الصف المتمثل في الارادة الجماعية . وقد تخفق الثورة آجلاً ام عاجلاً اذا استندت الى فكر خيالي غير مستمد من الواقع الاجتماعي والتجربة الموضوعية . فمن الضروري اذن ان تكون الاداة الفكرية ذات حيوية وايجابية ، بحيث تظهر حيويتها في التطبيق وتظهر ايجابيتها في الحصول على النتائج الكفيلة لدفع المجتمع

نحو التقدم والرفاهية • ولن تكون الاداة الفكرية بهذه الحيوية والايجابية الا اذا اعتمدت على التجربة والواقع ، لان التجربة تقدم الاطار الفكري الذي يفلسف الواقع ويصفه في الاطار النظري الفلسفي العام • واذا كان لوحدة الفكر هذه الاهمية ، فان الاسلوب في ابراز معالم الثورة واخراجها الى حيز الوجود يمثل الجانب التطبيقي ، وتكون له الاهمية الكبرى في عملية البناء ، ولا يمكن فصل الاسلوب عن الفكر والارادة ، لان الثورة بدونها تبقى خيلاً بدون تحقيق • لذلك لا بد من وجود الاسلوب القائم على الدراسة والتجربة لتحقيق عملية التغيير والتحويل الاجتماعي • وان الخطأ في اسلوب التطبيق يؤدي الى حدوث تناقضات وازمات اجتماعية ، لذلك لا بد من الاحاطة التامة القائمة على العلم في دراسة البيئة الاجتماعية ووضع الخطة القومية لتحقيق اسلوب التغيير • ان الثورة لا يمكن ان تحقق المعجزات بايام او اسابيع ، لان عملية التحويل تحتاج الى ان يتسلم الشعب وهو صاحب الارادة الجماعية بالوعي العلمي والمعرفة التامة بالمرحلة التي يمر بها المجتمع اضافة الى الاقتناع بضرورة التغيير ، ويجب ان يتسلم الشعب بوحدة النضال والاهداف لكي تضمن الحركة الثورية مسيرتها في اداء الرسالة •

ان مفهوم الثورة في فلسفتنا الثورية القومية تتضمن الارادة الجماعية المتمثلة في الصف العربي والاداة الفكرية النابعة من تاريخها الحضاري والثقافي ، والمرحلة التي يمر بها المجتمع العربي حديثاً ، كما ان لها اسلوبها في العمل على تحقيق الاهداف القومية • وواجبنا الآن تفصيل المعنى التام للثورة باطارها القومي ، والتفسير القومي للثورة •

ان الثورة في اطارها القومي وحده لا تتجزأ وتشمل جميع جوانب الحياة المادية والروحية ، فهي ليست ثورة دموية غايتها سفك الدم والتحكم ، بل انها في حقيقتها انسانية في خطوطها العامة ، وقومية في اهدافها القريبة تشد الخير والرفاه لابناء المجتمع العربي • لذلك لا بد من التفصيل في الوسيلة والغاية في الثورة ، لان ذلك من شأنه ان يبرز الوجه القومي الانساني للثورة • ان الوسيلة في فلسفتنا القومية جزء لا يتجزأ من

الغاية ، وان العنصر الحيوي في الثورة هو في كونها وسيلة وغاية ، انها وسيلة للتغيير الجذري والقضاء على الواقع الفاسد ، وانها غاية لانها حركة دائمة تسعى لتحقيق الاهداف القومية على صعيد الامة العربية وعلى الصعيد الانساني .

ان المثل والقيم الانسانية النابعة من واقع امتنا التاريخي والفكري والحضاري تنعكس في الوسيلة والغاية ، فلا تتخلى الثورة القومية العربية عن مثلها وقيمها الانسانية ، وانها في تحقيق غايتها تسير في طريقها الانساني بلا اعوجاج . ان الثورة لا تستكمل جميع مقوماتها واهدافها الا اذا استطاعت ان تحقق للامة العربية كل ما تصبو له من رفعة ومجد .

لقد ظهرت الثورة باطوارها القومي على عدة اشكال تعتبر في الحقيقة اوجهاً مختلفة لثورة قومية واحدة . ونستطيع الآن ان نحدد هذه الاشكال كما يأتي : -

الشكل الاول : عندما تجابه الامة العربية تحديات خارجية من قوميات معتدية تستطيع بفضل قوتها ان تسيطر على بعض اجزاء الامة العربية او تتحكم في الوطن العربي كله . فتكون الثورة في هذا الشكل نتيجة حتمية لصراع قومي بين العرب والاجانب ، يكون فيها العنصر الارادي متوفراً في تصميم الشعب على التخلص من التحكم الاجنبي ، كما تكون فيها الاداة الفكرية متمثلة في الامجاد العربية وتراث الامة المجيد وضرورة بعث الامة من جديد . اما الاسلوب فيكون في طريقة تنفيذ الارادة الجماعية في التخلص من الاستعمار . وبذلك يكون للثورة مفهومها الحقيقي ويصبح التغيير امراً حتماً ينتقل به المجتمع من مرحلة الاستعمار والتحكم الى مرحلة الاستقلال والتحرر .

الشكل الثاني : عندما يجابه الشعب العربي في بعض اجزائه او جميعها تحديات داخلية تفرضها الطبقة الحاكمة المشرعة للقوانين التي تدافع عن مصالحها ومصالح الرجعية . وعندما ترتبط هذه الطبقة بالاستعمار لتمنع ممارسة الشعب لحرياته وديمقراطيته ، فتكون الثورة السبيل الوحيد

للاطاحة بهذه الفئة وتجريدها من جميع قواها المسادية والمعنوية . ولكي تحقق الثورة غايتها من الضروري ان تبلور الارادة والوعي الجماعي ضد الرجعية لتضمن الثورة وحدة الصف . ويجب ان تكون الاداة الفكرية موجودة تتمثل في تجريد الرجعية من اسلحتها وتطبيق نظام يستمد قوته من الشعب بعيداً عن الزيف السياسي وتحكم الاستعمار .

الشكل الثالث : عندما يجابه الشعب العربي قوى داخلية متحالفة تمنعه من تحقيق الاهداف الكبرى . فتحالف الاقطاع والرجعية مع رأس المال المستغل يستهدف دائماً وفي الوطن العربي بالذات وضع العراقيل في مسيرة الوحدة العربية الشاملة . لذلك لا بد من الثورة التي تطيح بهذه القوى المتحالفة ليحل محلها تحالف القوى القومية العاملة . ولا بد للارادة الجماعية في هذه المرحلة من وعي سياسي واجتماعي وتقدير دقيق للمرحلة التي يمر بها المجتمع ، كما يجب تسليح الارادة الجماعية بالوحدة الفكرية المتمثلة في التشريعات القانونية التي تستهدف تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص وفي القرارات الاشتراكية التي تضمن حرية الفرد السياسية والاجتماعية بتحقيق مبدأ كفاية الانتاج وعدالة التوزيع .

الشكل الرابع : عندما تجد الامة العربية نفسها في مرحلة تخلف اقتصادي وصناعي وزراعي واجتماعي وتربوي نتيجة لتحكم اجنبي استعماري او لسيطرة الرجعية او لتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل، فان الثورة تصبح ضرورة ماسة لدفع المجتمع نحو التقدم والتغيير الكلي في جميع الواجهات الحياتية لبلوغ الاهداف القومية . فيكون التصنيع ثورة ضد التخلف الصناعي ويصبح التخطيط الاشتراكي ثورة ضد الاحتكار والاستغلال وسيلا لسد الحاجات ، ويصبح التخطيط الاجتماعي ثورة ضد التفكك والهدم وسيلاً لاعادة بناء المجتمع على اسس روحية وقيم عالية ومثل انسانية .

ان الثورة في شكلها الاول غايتها الاستقلال والتخلص من السيطرة الاجنبية وتسليم الحكم لابناء الشعب من المواطنين . وهذا معناه ان الثورة

تعني انتقال السلطة من الاستعمار الى المواطنين ، وهذا يتبعه تغيير في اسلوب الحكم . اما الثورة في شكلها الثاني فغايتها الاطاحة بالاقلية الرجعية المرتبطة بالاستعمار . وتمثل هذه الاقلية طبقة تتصارع مع الشعب بجميع فئاته وطبقاته محاولة بسط سيطرتها بالقوة . فالثورة في هذا الشكل تعني انتقال السيادة من الرجعية الى الشعب . وكثيراً ما يتبع ذلك تبديل جوهرى يتخذ ثورة اخرى صورتها الشكل الثالث والرابع . والثورة في شكلها الثالث امتداد للثورة في شكلها الثاني ، لان على الشعب الذي انتزع السيادة وطرد الرجعية ان يجرد رأس المال المستغل والاقطاع من اسلحتهما ، لان لهما القوة والقدرة على ارجاع الرجعية الى الحكم ، فيتحول المد الثوري الى تفهقر رجعي . ان تجريد هذه الفئات من قوتها المادية تعني فسح الفرصة لظهور الشكل الرابع للثورة بعد ان تحقق للشعب مكاسبه الاشتراكية . والشكل الرابع من الواجهة المهمة للثورة القومية لانه السند القومي لحماية الشعب واشتراكيته ، كما انه السبيل الوحيد لاقامة مجتمع متطور متصنع يستطيع الوقوف بوجه التحديات القومية الاجنبية ، وتكون له الكلمة في المحافل الدولية .

وبناء على ما تقدم من تحليل يكون بإمكاننا تعريف الثورة باطارها القومي وضمن حدود تراث الامة العربية الفكرية والحضارية وتبعاً للاهداف الكبرى التي تسعى لها الملايين العربية نحو تحقيقها .

الثورة باطارها القومي العربي هي ارادة الامة العربية في تغيير واقعها الفاسد المتخلف وتحرير الوطن من القوميات المعتدية لاقامة حكم قومي يستمد اداته الفكرية في التخطيط من التراث العربي الاسلامي وواقع الامة العربية الحديث ، بعد تحرير الفرد والمجتمع من سيطرة الرجعية وتحكم رأس المال المستغل المتحالف مع الاقطاع ، مستهدفة تحقيق مجتمع الوحدة العربية القائم على مبادئ عدالة التوزيع وكفاية الانتاج ، ومتخطية مراحل التطور بتحول دائم حيوي الحركة ، انساني .

من هذا التعريف العام للثورة القومية العربية يظهر لنا بوضوح

حيوية هذه الثورة وديمومتها في المجتمع العربي ، وما الانتفاضات والثورات بالاشكال المتقدمة الالينات في بناء الثورة العام . فهي بذلك تيار لا ينقطع وضرورة في مجرى التحويل العربي تنتقل بالمجتمع من مرحلة لآخرى فيها عناصر بنائية مادية وثقافية جديدة . وتجسد هذه الثورة في مراحلها المختلفة في المؤسسات والادارة والصناعة والتكنولوجي ، كما تظهر روح الثورة متجسدة في البناء الفكري والثقافي للمجتمع ، لان انتقال المجتمع من مرحلة الى أخرى من شأنه ان يبدل في البنية الثقافية ، فتصبح الكتب والمؤلفات الادبية من شعر ونثر وادب ومسرح ذات شكل قومي يوضح آثار القوة القومية ويعكسها في جميع مظاهر الحياة . واذا كانت الثورة القومية بهذا المفهوم ، فان مشتقاتها اللغوية ستستمد منها روحها العامة .

فالعمل الثوري سيعرف بانه الجهد الذي يبذله الفرد او تبذله الجماعة من اجل المساهمة في البناء الاجتماعي للواقع القومي ، متخذا هذا العمل اسلوب الثورة العام واداتها المتمثلة في المبادئ لتحقيق الغاية المتوخاة . اما الفرد الثوري فانه الشخص الذي تسلح بفكر الثورة وعمل على تحقيق بعض الغايات التي تخدم المصلحة القومية عامة ، فساهم بذلك في البناء الثوري للمجتمع القومي .

ومن العبارات المهمة الاخرى في الادب القومي الحديث والتي نود الآن تعريفها وتحديد معناها عبارات : مستوى الثورة والتفكير الثوري . فعندما تحقق الثورة القومية شكلاً من اشكالها الاربعة ، فان هذا الشكل يرافقه نوع جديد من الحكم تتوفر فيه عناصر ثورية معينة . فلكي تستطيع الثورة ان تتحول الى المرحلة التالية ، لابد من توفر عنصر مهم هو ان يكون وعي الافراد وادراكهم بمستوى الثورة .

وهذا معناه ان مستوى الثورة ما هو الا مرحلة بلغت الثورة في ديمومتها وحيويتها نحو تحقيق الاهداف . ويختلف هذا المستوى تبعاً للمرحلة التي يتخطاها او يستقر عندها التحول الاجتماعي .

واذا بلغت الثورة مرحلة او مستوى من المستويات القومية ، فمن
 الضروري ان يتحول البناء الفكري بحيث يستطيع الاستجابة لمتطلبات
 المرحلة ، ويكون اداة فعالة في التوعية الجماهيرية ، وتهيئة العقول لتوقع
 المرحلة التي تليها ، لتكون مع الثورة ، فلا يستطيع الناصر المعادية استقلال
 عدم وجود الوعي لتهيئة اذهان الناس لتوقعات مختلفة تضر مسيرة الثورة
 وتسبب لها الانتكاسة . ففي الشكل الثاني من الثورة وعند استلام طبقة
 من الشعب الحكم ، تكون الجماهير التي انتقلت بفكرها من مرحلة
 الاستعمار الى الاستقلال قد بدأت تحرك وعيها للانتقال بالثورة الى المرحلة
 الثالثة . ولكن الرجعية الحاكمة في هذا الوقت تستطيع ان تزيف الشعارات
 وتوجه الرأي العام لصالحها وتعمل على تهيئة فكرية لا تتجاوب مع ما كانت
 الجماهير تشده من انتقال الثورة الى مستوى اعلى ، فتستطيع الرجعية ان
 تعرفل الثورة القومية . ولكن حتمية الكفاح القومي يؤكد ان الثورة سائرة
 نحو تحقيق اهدافها . ومن الجدير بالذكر ان الاهداف تتعلق بمستوى
 الثورة ومرحلتها . والاستقلال هدف الثورة في شكلها الاول ، والحكم
 الديمقراطي هدف في مرحلتها الثانية ، وحتمية الحل الاشتراكي هدف
 الثورة في مرحلتها الثالثة ، والوحدة العربية الشاملة هدف الثورة العربية
 في مرحلتها الرابعة . وقد تظهر هذه الاهداف : الحرية والاشتراكية
 والوحدة في المرحلة الثانية ، ولكن تحقيقها لا يتم الا بالتتابع ، اذ لاوحدة
 بلا اشتراكية ولا اشتراكية بلا حكم ديمقراطي مصدره الشعب .

- ويرتبط الفكر القومي بالمرحلة الثورية وبالاهداف الكبرى .
- فالديمقراطية في المرحلة الثانية تعتبر تفكيراً ثورياً يناسب المرحلة .
- والاشتراكية في المرحلة الثالثة تفكير ثوري يتخطى الفكر الديمقراطي .
- وفلسفة الوحدة العربية الشاملة تفكير ثوري وشعبي تلقي عنده جميع الافكار الثورية .

وبناء على ما تقدم يصبح مفهوم التفكير الثوري مجموعة المبادئ
 والقيم والاهداف التي يتسلح بها الفرد في مرحلة يتفاعل فيها الفكر
 والتجربة ، لان وجود الفكر دون صلاحية المرحلة وعدم تفاعله مع الواقع

معناه فكرة خيالي بعيد عن الثورة ، فالعنصر البنائي لا بد من توافره في التفكير الثوري والا فان كل تفكير يخالف الواقع نعتبره ثوريا على الرغم من كونه فكرا غير قادر على دفع الثورة من مرحلتها الموجودة فيها الى مرحلة تقدمية اخرى .

وهذا معناه ان التفكير الثوري يلزم الثورة في مراحلها ويتفاعل معها من اجل تحقيق الغايات ، ويتميز هذا التفكير بالحيوية والحركة كلما تبدلت المرحلة وانتقلت الثورة الى مستوى اعلى .

ان الثورة العربية في بعض الاجزاء العربية استطاعت بقياداتها الثورية ان تحقق الاستقلال وبذلك تحولت الى المرحلة الثانية حيث استطاعت تصفية الرجعية وقضت على الحزبية التي شقت الشعب ، مستهدفة بناء حكم ديمقراطي سليم واجتازت المرحلة لتحقيق الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ . ولكن هذه الوحدة اصابها الانتكاسة ، لان انتقال المجتمع من مرحلة الى اخرى بالطفرة من شأنه ان يؤدي الى ازمات ، فكان لا بد قبل الوحدة ان تجرد العناصر الثورية على مستوى الفكر والتنظيم من قوى الشعب العاملة ، فتستطيع تجنب النكسات ، وتحفظ للثورة القومية مسيرتها نحو بناء مجتمع الوحدة العربية الاشتراكية .

ان المراحل الاربع الالفة الذكر خطوات ومستويات لا بد للثورة العربية في كل جزء من اجزاء الوطن العربي القابع تحت نير الاستعمار من اتباعها لتلتقي بالثورة العربية الاشتراكية العامة وتحقق هدف الملايين العربية .

مفهوم التقدمية والرجعية

ومن المفاهيم التي أصبحت شائعة بين الناس بعض الافكار السياسية التي عملت الاحزاب الشيوعية والقومية الماركسية على ترويجهما وتفسيرها ضمن اطار الفلسفة الماركسية ونظرتها الى التاريخ والتحول الاجتماعي .

والرجعية والتقدمية من المفاهيم التي نريد ان نعالجها على ضوء التحليل العلمي القائم على دراسة البنية الاجتماعية للمجتمع العربي وتراثه الفكري والروحي . فلقد عملت الاحزاب الشيوعية على تقسيم ابناء المجتمع الواحد الى مؤيد ومعارض، فتنعت المؤيد بالتقدمية والشرف على الرغم من فساد خلقه وتفاهة فكره واسلوبه في الحياة ، بينما تنعت المعارض بالرجعية والتأمر والفساد على الرغم من صلابته خلقه القويم وتمسكه بعروبه واسلامه وتراث امجاده . وانتقلت العدوى الى الاحزاب القومية ذات الفكر الماركسي ، فأخذت تنعت الاشخاص المتمسكين بقوميتهم وعروبتهم واسلامهم وبالاشتراكية العربية المستمدة من روح الاسلام بالرجعية أو التفكير الرجعي على الرغم مما يقدمه هؤلاء الافراد وقدموه من خدمة عظيمة في حقل الصراع القومي ومؤازرة المد القومي التحرري وفي رفعة شأن أمتهم في الخارج والداخل . ونجدها تضيف صفة التقدمية والثورية والنضالية الى الحزبي الذي أخذ بالفكر الماركسي الصهيوني على الرغم من فساد خلقه الذي تخلل دور مراهقته الجسدية والفكرية . ومع الاسف الشديد نجد كثيرا من الناس يشرحون الآخرين ويضعون انفسهم في مقدمة الركب وكأنهم الرقباء ، فيعطون الاحكام الطائشة التي لا تخلو من نزعة حزبية على كثير من المخلصين لامتهم المتجردين من كل فردية . ان الاحكام يجب ان تكون عن دراية ومعرفة بالمفاهيم المستخدمة ، والا فان الامر ينقلب على العكس ، فيصبح لكل انسان الحق في نعت الشخص الآخر بالصفات السيئة فلا تنتهي الا الى ضجة خلقية . ان الذي يعوز الناس في مجتمعنا شيان هما : المعرفة التامة بمعاني

المفاهيم التي يطلقونها جزافا ، والخلق القويم الذي يخلص المجتمع من
ازمته الخلقية التي تجتاحه ، فبالاخلاق نكون رقباء على انفسنا قبل ان نكون
اوصياء على غيرنا ، فلا نطلق العبارات جزافا ، وبالاخلاق نستطيع ان نعطي
لكل انسان حقه ودوره في معركة الشرف ، فلا تنتهم الناس او نصفهم
بشيء الا بالعدل والصفات المطابقة .

واقترنت بالتقدمية والرجعية صفات سياسية اخرى استمدتها الاحزاب
من الفكر الحزبي الماركسي ، فيطلقون صفة اليمينية على الشخص الذي
لا يدين بالماركسية ويكفر بها ، ولكنه يعتز بكرامة امته وقدرتها على
الخلق والابداع ويعتبر الاسلام والتراث العربي الهائل منطلقا لفكرة
الاشتراكي العربي . وهكذا تقترن الرجعية باليمينية ، في حين يصبح
الماركسي الشعبي يساريا تقترن صفته بالتقدمية . ان الازمة كما اراها ازمة
فكرية ، لان الذين يستخدمون هذه الالفاظ لا يعرفون حقيقتها وبأي شيء
تقترن وما الظروف الموضوعية التي ساعدت على ميلادها ، لذلك اجد نفسي
مضطرا ان احلل هذه المفاهيم بالنسبة للحضارة الاوربية وبالنسبة لحضارتنا
العربية ، لكي يفهم الناس المعنى العلمي الدقيق لمثل هذه المفاهيم فنقضي
على الذين لا يفهمون ويريدون من وراء جهلهم يعلمون الناس ما لا يعلمون .
أما الازمة الثانية وهي ازمة الاخلاق ، فانها مشكلة تتركها للمجتمع ولل فرد ،
اذ لا سلطان للقلم على تقويم من فسدت اخلاقه . ان الظروف والتجارب
كفيلة باعطاء الدروس التي تخلف من الانسان فردا يحكم على الآخرين
بوحى من ضميره ومعرفته ، لان الاخلاق والمعرفة صنوان لا ينفصلان ،
فلا اخلاق بلا معرفة ولا معرفة بلا اخلاق . واذا توفرت الاخلاق والمعرفة
يكون الشعب قد كسب في سبيل تدعيم ذاته وبناء صرح مجتمعه .

تقترن مفاهيم الرجعية والتقدمية بنوع من المعرفة الفلسفية المسماة
بفلسفة التاريخ . ونقصد بفلسفة التاريخ دراسة الجسودات والخبرات
والمعطيات المادية والروحية لمعرفة العوامل الاساسية التي تحرك التاريخ
وتساعده على التحول من مرحلة الى اخرى اضافة لمعرفة المراحل التطورية

أو الهيئة التي يمر بها المجتمع البشري • وفي دراسة التاريخ يتداخل عاملان هما : العامل الذاتي والعامل الموضوعي ، ونقصد بالعامل الذاتي المؤرخ أو الشخص الذي ينظر الى الحوادث التاريخية من زاوية معينة • اما العامل الموضوعي فنقصد به مجموعة الحوادث والوقائع التاريخية • ولا يمكن التخلي عن احد العاملين في بناء فلسفة التاريخ لان الوقائع والحوادث وحدها لا تستطيع ان تتكلم على الغاية والوسيلة والدافع الذي من أجله ظهرت هذه الحوادث وتلك الوقائع • لذلك لابد من العامل الذاتي لربط هذه الوقائع وتحليلها ووضعها في المكان أو الزاوية المعينة من البناء الاجتماعي • كما لا يمكن وضع فلسفة تاريخ دون الحوادث والوقائع ، لان ذلك من شأنه ان يوقنا في ميثافيزيقا او تحليل خيالي للتاريخ عن العلم • ومن زاوية العامل الذاتي يظهر التباين في تحليل الوقائع وربطها في امحلة التطورية ، وذلك لسبب بسيط هو نظرة الباحث الذاتية الى المجتمع ككل والى اجزائه • وهذا هو السر الذي يوضح لنا اختلاف الفلاسفات التي تعالج تطور المجتمع وتاريخه العام • فنرى احد الباحثين مثلا يهتم بعامل واحد من العوامل المشاركة في البناء الاجتماعي فيجعل له الاهمية الكبرى في التطور ، ويختلف هذا العامل من باحث الى آخر ، فنجد مثلا الفيلسوف المثالي هيغل يأخذ بالتفسير الروحي للتاريخ ، بينما نجد ماركس على التقيض يأخذ بالتفسير المادي بالرغم من اتفاق فلسفة هيغل وماركس في الخطوط الفكرية العامة • والى جانب ذلك نجد هنتكن يأخذ بالعامل الجغرافي فيعطينا تفسيراً جغرافياً للتاريخ ، ويأخذ الفيلسوف العربي ابن خلدون بالعامل الجغرافي كذلك مع تفسير دوري للتاريخ • من هذا يتضح التباين بين التفسيرات والتأكيد على عامل واحد •

وترتبط بكل تفسير نظرة عامة للتاريخ ولتحولته الدائم ، وسوف اعطي نماذج مختصرة لهذه النظرة • ففلسفة التاريخ عند هيغل تتصل بفلسفته المثالية العامة التي تتخذ من العقل قاعدة لتفسير حركية التاريخ والمجتمع • ويرى هيغل ان التاريخ العام لا يمثل الا الروح التي تسمى

جاهدة للارتقاء الى الاعلى لمعرفة الشيء بذاته أو لتحقيق المطلق .
ولا أريد هنا ان ادخل في صميم فلسفة هيجل ، ولكنني اريد ان ابين
بعض النقاط الاساسية في فلسفته التاريخية :-

١ - يؤمن هيجل بالعقل العام المتجسد في كل ثنايا المجتمع ، في
المؤسسات والقوانين والنظم والعالم المادى ، وان هذا العقل ليس منفصلا
عن العالم بل يمثل الجوهر الداخلي لواقعيته وحركته المستمرة .

٢ - يؤمن هيجل بالضرورة والحركة التي تمثل صيرورة العقل
وتطوره لبلوغ المطلق ، وان التحول الديالكتيكي من الفرضية الى النقيض
فالموحد يمثل الحركة التقدمية في التاريخ والمجتمع ، وتعاقب هذه الحركية
على شكل متطور حتى بلوغ كمال العقل .

٣ - ان هذا العقل في مراحل تطوره يتجسد في المؤسسات وفي
الدولة ليسود الى مرحلة ارقى وهكذا . فالتاريخ على هذا الاساس ما هو الا
صيرورة هذه الروح وتجسدها في العالم المادى .

٤ - ان الحركية أو الصيرورة اساسها المتناقضات ، فوجود الفرضية
من شأنه ان يحدث النقيض الذي يتحد مع الفرضية بشكل معين مكونا
الموحد الذي سرعان ما يكون فرضية لنقيض . وهكذا تسير الحوادث .

يظهر من هذا العرض البسيط ان التاريخ عند هيجل يسير نحو
التقدم بفعل التطور الذي يسمى لبلوغ الكمال . فكل مرحلة او مؤسسة
تسبق مرحلة تاريخية معينة تعتبر على هذا الاساس مرحلة رجعية ، لان
العقل والتطور تجاوزها وتخطاها لمرحلة جديدة . ولا يمكن ان تكون
المرحلة الرجعية تقدمية لسبب بسيط هو اعتقاد هيجل بان التاريخ يسير
نحو الاعلى وليس على شكل دائرى ثابت ليعيد نفسه . وهكذا قسم
هيجل التاريخ الحضارى للعالم الى ثلاث مراحل : المرحلة الاولى التي
ظهرت فيها الحضارة الشرقية والمرحلة الثانية التي ظهرت فيها الحضارة
اليونانية - الرومانية ، اما المرحلة الثالثة فقد ظهرت فيها الحضارة المسيحية
الجرمانية التي تمثل قمة الحضارات .

أما بالنسبة لكارل ماركس وطريقة تفسيره لتطور التاريخ فإسه يرى الأحداث من خلال فلسفته المادية أو المادية الديالكتيكية ونظرها إلى الكون والمادة والإنسان والفكر ، فيتخذ المادية التاريخية قاعدة أساسية لتفسير حركية التاريخ ، فيؤكد على العامل الاقتصادي المتمثل في وسائل الإنتاج ، ويرى أن التغيير الاجتماعي وتحول المجتمع من مرحلة إلى أخرى هو اختلاف وسائل الإنتاج وتطورها . وعلى هذا الأساس يرى ماركس أن المجتمع البشري يمر بخمس مراحل هي مرحلة المشاعين البدائية ومرحلة الرق ومرحلة الاقطاع ومرحلة الرأسمالية ومرحلة الشيوعية التي تمهد السبيل لإقامة الشيوعية فهذه المراحل تتعاقب بتطور وسائل الإنتاج ، فإذا كان المجتمع في مرحلة الاقطاع مثلا ، فإن المراحل السابقة تعتبر مراحل رجعية ، أما الرأسمالية فتكون مرحلة تقدمية بينما تكون مرحلة الاقطاع رجعية . ويفسر ماركس الفكر من حيث أنه تقدمي أو رجعي تبعا للمراحل التطورية ، لأنه يعتبر الفكر مجرد ظاهرة من الظواهر المادية وأنه منبثق من المرحلة التطورية التي يمر بها المجتمع ، فهناك على هذا الأساس فكر اقطاعي ورأسمالي واشتراكي كما تباين الأفكار في رأي ماركس تبعا للطبقة الاجتماعية . وبناء على ذلك يصبح الإنسان الذي يدافع عن الاقطاع إنما يدافع عن مصلحته الخاصة ويوصف تفكيره بالرجعية إذا بدأ المجتمع بالتصنيع والسير نحو التحول الاجتماعي إلى مرحلة الرأسمالية . كما أن فكر الطبقة الرأسمالية يعتبر فكرا رجعيا إذا ما وقف بوجه مصالح الطبقات الأخرى وأراد أن يشد المجتمع ليحول دون انطلاقه نحو تحقيق الاشتراكية .

وهكذا تكون الأفكار الاشتراكية في مرحلة الصراع الطبقي تقدمية بالنسبة لطبقة العمال والفلاحين ، بينما الأفكار والقوانين الرأسمالية رجعية لأنها تقف ضد مصلحة المجموع وتشد المجتمع إلى الوراء . فالرجعية والتقدمية في الفلسفة الاجتماعية الماركسية مفاهيم تقترن بنظرة ماركس إلى التاريخ وتطور المجتمع . وحتى بالنسبة لهذه المفاهيم لا يستطيع الماركسي

ان يتهم شخصا اخر يأخذ بفكر غير ماركس بانه رجعي ،
لان الفكر الاشتراكي في مرحلة التحول من مجتمع الرأسمالية الى مجتمع
الاشتراكية فكر تقدمي على الرغم من اختلاف السبل المؤدية لتحقيق العدالة
الاجتماعية .

ويجدر بنا الان ان نحلل مفهوم الرجعية والتقدمية بالنسبة للمجتمع
العربي ومقوماته الحضارية ودوافعه البنائية واهدافه في الكفاية والعدل .
من البديهيات التي يجب ان نبدأ بها تفكيرنا الفلسفي هي :-

١ - انا عرب ننتمي الى أمة هي الامة العربية وهي ليست الامة
الروسية أو الالمانية أو الفرنسية . وهذا معناه ان لهذه الامة مقومات فكرية
وحضارية تختلف تمام الاختلاف عن مقومات المجتمعات الاوربية .

٢ - ان المجتمع الذي نعيش فيه له بنية اجتماعية معينة تعاونت على
تكوينه التطورات التي توالى على المجتمع العربي . كما ان للمجتمع العربي
بنية ثقافية تمثل في الفكر العربي الاصيل والعقيدة الاسلامية باعتبارها
القاعدة الخلقية والحضارية والثقافية لامة العرب .

٣ - ان المجتمع العربي يمر بمرحلة تطورية خاصة به وبظروفه .
فالفكر العلمي الذي يريد ان يتخطى هذه المرحلة لبناء مجتمع جديد لا يمكن
ان يبدأ من لا شيء . أو يستعين بفكر من مجتمع آخر مختلف . والفكر
لا يكون علميا الا اذا استند الى مقومات الامة ودرس تراثها من عقيدتها
منطلقة نحو البناء القويم . والفلسفة الاجتماعية تصبح مثالية أو طوباوية اذا
رفضت دراسة المجتمع وتاريخه ، فانطلقت من تفكير بدون وقائع .

فنحن أمة عربية ذات قومية ، وقوميتها في وجودها ، لانها اصيلة
في الكيان العربي عرقيا وثقافيا وحضاريا ، فالقومية العربية ليست حركة
سياسية تذهب او تختفي عند تحقيق مراميها ، بل هي فكر كل عربي
بالطبع . اما اذا اخذت فئة من الناس الفكر القومي الاوربي وبالاشتراكية
الماركسية ، فانها في فكرها لا تختلف عن تلك الفئة التي انطلقت من الفكر
دون الاعتماد على الواقع في تكوين اطار فلسفي ، فهي في نظري ليست

رجعية أو تقدمية وليست يمينية أو يسارية ، بل انها طوبائية خيالية بالاضافة الى كونها ذات اهداف شعوبية تتجلى في حربها ضد الاسلام والقومية العربية التابعة من الوجود العربي ، على الرغم من كونها علمية في مجتمع اخر ، لان جميع النظريات الاجتماعية تنبع من الواقع الاجتماعي وبتفكير منظم . فلا يمكن اطلاقها كنظريات عامة على جميع المجتمعات ، كما لا يمكن اعتبارها علمية بالنسبة لجميع المجتمعات ومراحلها التطورية .

وإذا كان الامر كذلك فما السبيل اذن لتحديد مفهوم الرجعية والتقدمية بالنسبة للمجتمع العربي ؟

ان فلسفتنا القومية ليست ماركسية وليست اورية مستوردة ، فهي ليست خيالية أو ميتافيزيقية ، بل انها تمثل نظريتنا الاجتماعية للمجتمع العربي في تحوله نحو مجتمع الاشتراكية العربية المستمدة من روح الاسلام والقيم العربية . وهذه النظرية الاجتماعية تعتمد على دراسة الواقع الاجتماعي والاقتصادي للامة العربية في مرحلتها التطورية ، فهي لا تقطع الصلة بالماضي ولا تأخذ بالافكار الشعبوية ، بل ان فكرها واهدافها ومنطلقها العملي يتمثل في الامة العربية وفكرها القومي . فاذا كانت الاشتراكية العربية والقومية العربية قائمة على الاسلام وتراث العرب الفكري والحضاري ، فهي اذن قومية اشتراكية عربية بالطبع اسلامية الجذور قومية الاهداف . وان كل نظرية خلاف ذلك ستكون خيالية وشعبوية . الاسلام بالنسبة للامة العربية هو الروح الدافعة نحو التقدم والبناء . واذا بدأ المجتمع العربي ينزع عنه رداء الماضي البالي ، فانه بذلك يسعى لاقامة مجتمع الكفاية والعدل والتكافل الذي بشرت به تعاليم الاسلام . وعلى هذا الاساس تكون الافكار التي تدافع عن التخلف والاستغلال والتحكم افكارا رجعية ، لانها تريد بالمجتمع ان يكون ساكنا لا يخدم الافة قليلة من الناس . واذا تكلمنا على الرجعية العربية فاننا نعني تلك الفئة التي تحكمت في رقاب الناس واستفادت من مظاهر التخلف الاجتماعي ، فلا تريد للمجتمع العربي ان يتجرر من واقعه الفاسد ليتحول الى مجتمع العدالة الاجتماعية .

أما الفكر الرجعي فهو مجموعة الآراء والقوانين والتشريعات التي انبثقت عنه مصالح الطبقة الحاكمة المستغلة دون مصلحة الشعب ، وهذه الأفكار والقوانين رجعية ، لأن التحول الاجتماعي نحو الاشتراكية العربية قضى على هذه المصالح وأعطى السيادة للشعب لتحقيق العدل الاجتماعي .

فالفكر الاشتراكي العربي النابع من واقع الأمة العربية وعقيدتها وتراثها هو الفكر التقدمي ، وإن الفكر الإقطاعي أو المعبر عن تحالف الإقطاع مع رأس المال المستغل هو فكر رجعي ، لأنه يمثل فترة التخلف الاقتصادي والاجتماعي . أما الأفكار الاشتراكية اليسارية - الماركسية - فهي خيالية لعدم ملائمتها لواقع الأمة العربية وعدم تجاوبها مع الأهداف القومية وتناقضها مع التراث العربي الإسلامي ، فلا يمكن إذن أن تتكلم عليها فنصنفها بالتقدمية والثورية وغير ذلك ، كما لا يجوز لنا أن نتكلم على أزمة اليسار العربي ، لأن هذه الأزمة فكرية لا تختلف عن الأزمات الفكرية التي تقع بين المدارس الفلسفية التي لا يمكن تطبيق مبادئها في الواقع . أما سبب حدوث الأزمة فلا يقع على الأجنحة والاجتهادات ، بل في جوهر الفكر نفسه لأنه غير نابع من واقع العالم العربي ، ولا يمكن تطبيقه ، فيبقى خيالاً وأملاً طوبائياً تحدث خلاله الأجنحة والاجتهادات لعدم مطابقته للواقع .

أما الذين يرون الإسلام حركة رجعية ويعتبرون معتقيه رجعيين ، فهؤلاء نفر أفسدتهم التيارات الفكرية فباتوا في قوقعة حزبية لا يرون الأشياء إلا من خلال الثقوب ، لذلك ننصحهم بدراسة التاريخ العربي ليعلموا ما للإسلام من دور قيادي فعال في حركات التحرر وتربية النفس .

تنظر الفلسفة الماركسية للدين على أساس أنه أفيون الشعوب أو حركة رجعية . والسبب في ذلك ليس الدين المسيحي ، بل الكنيسة في أوروبا وفي مرحلة الإقطاع حيث كانت أكبر مؤسسة إقطاعية سيطرت على الأفراد واستعبدتهم ، كما أنها وقفت ضد مبدأ القوميات وتحرير الشعوب . فحكمت الناس باسم الدين واستغلت نفوذها فأزرت الحكام على المحكومين ،

فأصبحت تقف على طرف نقيض من مصالح الشعب • وإذا نظر ماركس الى الاقطاع كمرحلة متخلفة رجعية ووجد رجال الدين يستخدمون الدين في اطالة تحكيمهم على سواد الشعب ، فان الدين عندئذ وتبعاً للفلسفة ماركس سيكون حركة رجعية لا بد من القضاء عليها لانها من مخلفات الاقطاع والتحكم •

أما بالنسبة للإسلام ، فانه ثورة ضد الظلم والاستعباد وشريعة تحقق للإنسان مجتمع الرفاهية والتكافل الاجتماعي ، كما انه كان ولا يزال من أقوى الاسلحة الفكرية التي ساعدت الأمة العربية في تحريرها من الاستعمار والتبعية ، كما انه لا يزال في جميع المجتمعات العربية والاسلامية يصارع الاستعمار والرجعية ليحقق الحرية والرفاه • وحقق الإسلام في تشريعائه مبدأ تحديد الماسكية الفردية والضمانات الاجتماعية وقضى على الاقطاع واستنكر احتكار المال • وكانت الغاية من كل هذه التشريعات اقامة مجتمع متعاقد متماسك على اسس من الخلق القويم والفضيلة والعدالة • فالإسلام لا يمكن ان يكون حركة رجعية ، بل ان الذين يتهمون الإسلام بالرجعية هم الرجعيون لان الفضيلة خير دائم لتقدم المجتمع وقد حث الإسلام على الفضيلة والاخلاق ، فاذا كان في عرف الذين يتهمون الإسلام بالرجعية انهم لا يتخلقون بالفضيلة والاخلاق ، فلا نقول لهم الا شيئاً واحداً هو انهم اعداء جميع دساتير العالم ، وهم بذلك يضعون انفسهم في صف الحركات الفوضوية او الاباحية ، وما على الشعب الا ان يكون قويا ضد هذه الحركات الهدامة •

واخيراً احب أن اشير الى شيء مهم هو ان المثل والقيم والاخلاق الفاضلة ليست نسبية ، وهذا يفسر لنا سبب تشابه دساتير العالم الذي تأخذ بهذه الاركاز • واذا كان العالم في أزمة خلقية وحضارية كما عبر عنه كثير من الفلاسفة المعاصرين ، فان في الإسلام مفتاح سعادة الأمة العربية والعالم اجمع بما فيه رحمة وخلق وفضائل لا بد من توفرها في كل مجتمع يريد لابنائهم العيش الكريم في ظل الرفاهية والعدل والاخوة والمساواة •

ومن الناس من يتهم بعض الكتاب القوميين بان اسلوبهم رجعي ،
ولا أدري ما معنى هذه الالفاظ القائمة ، فاسلوب التحليل لا يمكن ان يكون
رجعيا ، لان الرجعية صفة لمرحلة وتفكر . أما الاسلوب فذلك أمر جديد .
ولكنني - ان لم أكن مخطئا - أعتقد انهم يعنون ذلك الاسلوب الذي يخلو
من تحليل المجتمع العربي على أساس اقتصادي او على أساس من المادية
التاريخية واسلوبها من المتناقضات . واذا كان هذا هو المقصود فسوف
اتناوله بالشرح البسيط . ان التحليل العلمي للمجتمع لا يمكن ان يكون
متحيزا لعامل دون آخر ، ولكنه ينظر الى المجتمع بجميع عوامله كشبكة
وظيفية واحدة يلعب كل عامل دوره في البناء فيؤثر ويتأثر . كما ان الاسلوب
العلمي الحديث لا يقيم لمبدأ السببية ذلك الوزن الذي اعطاه له كارل
ماركس ، لان هذا المبدأ لم يبق له مكان حتى في العلوم الفيزيائية الحديثة .
فليس العامل الاقتصادي هو العامل العالمي لجميع العوامل ، بل انه كأني عامل
آخر من العوامل كالعامل السياسي والاجتماعي والديني والثقافي له دوره
ووظيفته . أما بالنسبة للمادية التاريخية وصراع الطبقات فان الاخذ به نسي
تحليل التاريخ العربي والمجتمع العربي حديث خرافة ، وهي محاولة نشبه
محاولة ايلاج الجمل في سم الخياط ، لان طبيعة المجتمع العربي وتكوينه
ومرحلته الموضوعية تجعلنا لا نؤمن بمبدأ صراع الطبقات ، كما ان تطبيق
المادية التاريخية على تاريخ المجتمع العربي ضرب من المستحيل ، اللهم الا
اذا حاول الفلاسفة الماركسيون اظهار تاريخ المجتمع العربي بشكل يخالف
ما توصلت اليه الابحاث العلمية الدقيقة . وعندئذ تكون هذه المحاولات
ضربا من الدجل والشعوذة .

واذا اردنا ان نتبع تطور التاريخ العربي فما علينا الا ان ننظر اليه من
زاوية ما هو حاصل بالفعل دون الدخول في متاهات فلسفية . نستطيع تقسيم
التاريخ العربي الى المراحل الآتية :-

١ - مرحلة البداوة حيث كانت رابطة الدم والعصية القبلية هي
الاساس في تكوين المجتمعات الصغيرة . وعندما بدأ الاستقرار بقيت هذه

الروابط قائمة بين الافراد التي تجمعهم قبيلة أو عشيرة • وكان للصراع القبلي بين القبائل والعشائر اليد الطولى في الغلبة والسلطان وتأسيس مجتمعات أكبر •

٢ - مرحلة الحضارة حيث بدأت رسالة الاسلام بالظهور مستهدنة القضاء على العصبية القبلية وتحويل القبائل العربية الى أمة واحدة تسمى بفضل الاسلام الى نشر العدل والفضيلة بين امم الارض • وانجبه العرب بعد توحيدهم الى نشر الرسالة وتطووير امكانياتهم المادية والفكرية والحضارية ، فاستطاعوا اقامة أكبر حضارة عرفت في التاريخ ازدهرت في جميع المجالات العلمية والادبية والفكرية • وكان من احتكاك العرب بامم لها حضارات سابقة ان بدأ الصراع يظهر بين العرب والاقوام الاخرى • وهكذا أصبح الصراع القومي اساسا لحركية المجتمع وتدهوره • ويمكننا ان نميز هنا الادوار الاتية لهذه المرحلة :-

أ - دور التكافل الاجتماعي حيث بات على كل مسلم ان يتعاون في حدود العقيدة الاسلامية محاولا تطبيق احكامها في القضاء على العبودية والاحتكار والاستغلال • وكان الهدف المحرك الكبير هو العدل بين الناس لاقامة حياة تسودها الرفاهية والكرامة • وظهرت في هذا الدور أول تجربة لبناء مجتمع العدالة الاجتماعية في العالم •

ب - دور السيادة العربية حيث بدأ العرب يشعرون بخطر الاعاجم وحركاتهم السرية ، فكانت الدولة بيد العرب يديرون فيها شؤون الاعاجم • وظهر في هذا الدور الاقطاع الذي نتج عن توزيع الاراضي الزراعية على الامراء والسادة من العرب • ومن هنا بدأ ميزان الدولة يختل لتظهر ردة في التنظيم الاقتصادي الذي بشر به الاسلام وحققه في دور التكافل الاجتماعي •

ج - دور استفحال الصراع القومي بين العرب والاعاجم ومحاولة

الشعبوية الوصول الى دفة الحكم والسيطرة على مقدرات الدولة ، فظهرت الحركات الشعبوية السرية من راوندية وخرمية ومزدكية وخطابية وقرامطة وغيرها •

د - دور الانهيار وفيه استطاعت القوى الشعبوية والقوميات الاخرى السيطرة على العرب وانتزاع السيادة منهم ، وهكذا استمر هذا الدور حتى احتكاك الغرب بالشرق •

٣ - مرحلة المدنية الحديثة : وفيها تحول الصراع القومي بين الامة العربية والامم الغربية الغازية ، وكان الهدف هو التحرر من السيطرة والقضاء على التجزئة وتحقيق مجتمع الرفاهية • واجتازت هذه المرحلة الادوار الاتية :-

أ - دور التحرر من السيطرة الاجنبية •

ب - دور الاطاحة بحكم الرجعية •

ج - دور القضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي بتحقيق

مجتمع الاشتراكية العربية والديمقراطية السليمة •

د - دور الوحدة العربية الشاملة •

وقد لعب الاسلام دوره الكبير في جميع هذه الادوار واصبحت تعاليمه في التكافل الاجتماعي اساس مجتمع الاشتراكية العربية ، وكانت مقومات العرب الفكرية والحضارية والاسلامية اساس مجتمع الوحدة العربية الشاملة •

نستنتج مما تقدم ان حركية التاريخ العربي لم تعتمد على صراع الطبقات وليس على تغيير وسائل الانتاج ، بل كان للصراع القومي دوره الكبير ، كما كان للقيم والاهداف الاسلامية التي سعى المجتمع العربي لتحقيقها اكبر الاثر في حركيته •

مفهوم

التحرر والحرية والديمقراطية

لقد خاضت الشعوب المستعبدة ولا تزال حربا ضد الاستعمار أو التسلط الاجنبي ، وكان الاستقلال بالنسبة لها المحرك الفعلي الذي أيقظها من سباتها لتحقيق الهدف الكبير في القضاء على السيادة الاجنبية وبقاء العزة القومية وارساء الدعائم القومية والدولية للشعب . وشهد القرن العشرين اضخم حركة تحررية لشعوب سبق للشعوب الاوربية في العرون السابقة ان استبعدتها واستغلت قواها ومواردها . وكان الشعب العربي في مقدمة الشعوب التي اصيبت بانواع مختلفة من القوميات الاستعمارية التي حاولت اعاقه تطوره الطبيعي ، فكان لزاما على هذا الشعب الذي كان المعلم الاول للانسانية جميعا ان ينتفض ضد القوميات الاجنبية ، ليحقق الاستقلال . فوجد نفسه مقطوع الاوصال تحكمه قوميات اجنبية تسعى الى الحصول على خيراته واهدار كرامته ، ولكنه على الرغم من ذلك بدأ في مطلع هذا القرن يتحرك ويتأهب ليخوض معارك الاستقلال والتحرر ، ليتزع حرته من غاصبها ويوحد صفوفه التي فرقها الدخلاء . ووقف الشعب العربي بكل امكانياته المادية والروحية ضد الغزو الاجنبي ، واستطاع بثورته المتلاحقة ان يثبت للعالم اجمع انه شعب لا ينام على ضيم ولا يطبق الاستعباد ولا يمكن ان يتخلى عن حضارته المتدفقة النابعة من تعاليم الاسلام ورسالة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم زعيم هذه الامة وموحد كلمتها وباني عزتها وكيانها . واثبت الشعب العربي ان حرته جزء من حياته ووجوده وانه لاجية له دون الحرية التي هي جزء من طبيعته وسر حيويته .

ولم تكن هذه الحركات التحررية في الوطن العربي الا دليلا على بعث الامة العربية ، وحلقة وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وان هذه

الحركات الثورية لم تكن لتختمر وتظهر بالقوة التي ظهرت به لولا وجود الميراث الاجتماعي الذي سرى من جيل الى جيل يعلم كل عربي مبادئ الحرية والاستقلال ، ويقدم لكل فرد من هذا الشعب مادة قومية لا تعترف بالعبودية والاستعباد .

وكانت التجربة الاستعمارية التي مر بها الشعب العربي خير حافز على جمع الصف وتوحيده ليكون بمستوى يستطيع به مقارعة القوميات الاجنبية التي لم تكن غايتها غير التحكم في موارد البلاد الاقتصادية وفتح الحريات وخلق فئة من الشعب ترتبط بها وتكون لها عوناً في عملياتها الاجرامية . وادرك الاستعمار طبيعة الشعب العربي وحبه للحرية والتحرر ، لذلك كان يقف بكل قواه يحارب هذا الشعب الذي تسليح بالعقيدة والايمان الثابت وبعدالة قضيته ، فكان تاريخ الشعب العربي في كل صفحة من صفحاته مرآة صافية انعكست عليها آثار الحرية والدفاع عن الكرامة القومية .

وعلى الرغم من وجود الحواجز المصطنعة التي فرضها الاستعمار على الامة العربية ، فان الشعب العربي في معاركه المختلفة كان يخوض معركة واحدة ضد الاستعمار هي معركة التحرر ، وكان بكل مشاعره وحواسه مع كل حركة تحررية في أى جزء من اجزاء الوطن العربي . واذا كانت الثورة والحرب القومية من مستلزمات التحرر القومي ، فان هذه الثورة استوفت شروط العمل القومي في وحدة الصف والفكر والهدف . فوحدة صف القوى التحررية جاء نتيجة حتمية لتحديات القوى الاستعمارية للامة العربية على المستوى المادى والروحي ، كما لعب الاسلام دوره الكبير في تدعيم وحدة الصف وامتدادها بالفكر والقوة والعقيدة والايمان . وكانت وحدة الفكر النابعة من التراث العربي الاسلامي وتجربة الامة العربية مع القوميات المعتدية خير قوة اعطت الثورة العربية التحررية زخماً ثورياً ، فجاءت ثوراتنا التحررية وليدة هذا الفكر الذى علم العربي على الحرية والاعتناق من العبودية . وكان الاسلام في جميع المعارك التحررية هو الادارة الفكرية التي تقف أمام الصليبية الاستعمارية . ووحدة الهدف

كانت متجسدة في القضاء على الاستعمار وتحرير الوطن من الاحتلال
الغازية .

وحقق الشعب العربي الانتصارات في اجزاء كثيرة من وطننا العربي ،
واخذ ينطلق الى بناء دولة قومية قوية ، ولكنه ادرك ان معركة التحرر لم
تنته بعد ، لان الفئة التي عاشت في احضان الاستعمار استطاعت ان تهدن
الاستعمار وترضى بالحلول الجزئية . وهكذا اضطر الشعب ان يخوض
معركة التحرر ضد القوى الرجعية الداخلية التي انضوت تحت شعارات
حزبية غايتها الابقاء على مصالح الاستعمار .

واتخذت حركة التحرر العربية هدفا الى جانب هدفها الرئيس هو
ضرورة القضاء على العناصر الرجعية والاطاحة بها ، وادركت القوى القومية
المخلصة ان تصفية الرجعية لا يعني انتهاء معركة التحرر ، لان الاقطاع
وراس المال المستغل الذي انتفع من وراء الاستعمار وترعرع في احضانه لا
يمكن ان يقف مكتوف الايدي امام معركة التحرر ، بل ان له من قوة المال
وسلطانه ان يزيغ ارادة الشعب ويفرق وحدة الصف لذلك بات ضروريا
ان تتخذ معركة التحرر العربي شعار تصفية الرجعية والاقطاع ورأس المال
المستغل ، لتستطيع ان تبدأ بعد تحقيق الشعارات بمعركة البناء الاجتماعي
لشعب العربي . وانتقلت معركة التحرر من مرحلتها الاولى المتمثلة في
التحرر القومي وانتزاع الاستقلال من القوميات الاجنبية الى مرحلة جديدة
تمثل في التحرر الاجتماعي وتصفية الرجعية والاقطاع ورأس المال المستغل ،
لكي يستطيع الشعب ان يحقق ذاته ويعبر عن رأيه بحرية . وادرك
الشعب ان معركة التحرر في الداخل تستوجب اجتثاث جميع العادات
والتقاليد التي لا تمت للامة العربية بصلة ولا الى تراثها الخالد وتعاليم
الاسلام ، وكانت هذه العادات والتقاليد من مخلفات القوميات التي حكمت
الشعب العربي ومن مخلفات الفئات التي ترعرعت في احضان الاستعمار
وتعلمت على يديه . وان اجتثاث هذه العادات لا بد ان يدعم ببناء جديد
زاخر بالمثل والقيم الانسانية والعلاقات القائمة على الاخوة والمساواة ،

يستطيع الشعب العربي ان يجد نفسه مترعرا في احضان حضارة عربية اصيلة تساعد الفرد العربي على تنمية قدراته الفكرية والعلمية فيكون عاملا بناء على مستوى قوى وانساني .

وادركت الامة العربية ان معركة التحرر في الخارج ملازمة لحركة التحرر في الداخل ، لان الاستعمار الذي انهزم لا يتخلى عن احلامه العدوانية ، لذلك نجده يكون الاحلاف العسكرية وقيم الحصار الاقتصادي والمؤامرات على الدول المتحررة تمهيدا للقضاء عليها . وبناء على ذلك تضطر الامة العربية بقياداتها القومية المخلصة ان تخوض المعركة ضد الاستعمار وجها لوجه ، وان تقارعه في كل بقعة من بقاع العالم وتقضي على احلافه . واتصرت القومية العربية في معركة التحرر هذه في اعلانها لمبدأ الحياد الايجابي الذي يخدم قضية التعايش السلمي وعدم الاعتداء على الشعوب المستقلة حديثا وقضية السلام ، نستطيع هذه الشعوب ان تبني لافرادها حياة حرة سعيدة وقيم رفاهية اقتصادية في ظل ديمقراطية سلمية . وكان الحياد الايجابي في جوهره يهدف الى تحرير الشعوب الصغيرة المحبة للسلام من المعسكرات والاحلاف ، وجعلها بعيدة عن الحرب الباردة والتكتلات العسكرية .

نستنتج مما تقدم ان التحرر يعني التحرر القومي والتحرر الاجتماعي والتحرر السياسي ، وهذه افكار لا بد من تعريفها بدقة قبل ان تناقش الحرية ومستوياتها :-

التحرر القومي :

هو تخليص الشعب العربي من جميع العوائق من عادات وتقاليد وبنية اجتماعية متخلفة ورثها الشعب العربي عن قوميات اجنبية في عهد الظلم والسيطرة ، وذلك لتحقيق مجتمع عربي في ظل عدالة اجتماعية وبناء اجتماعي يقوم على مبادئه القومية النابعة من وجوده وواقعه وتراثه الخالد .

التحرر الاجتماعي :

هو تخليص الشعب العربي من جميع العوائق من عادات وتقاليد

وبنية اجتماعية متخلفة ورتها الشعب العربي عن قوميات اجنبية في عهود
الظلم والسيطرة ، وذلك لتحقيق مجتمع عربي في ظل عدالة اجتماعية وبناء
اجتماعي يقوم على مبادئه القويمة النابعة من وجوده وواقعه وتراثه
• الخالد

التحرر السياسي :

هو تخليص الشعب من جميع القوى الرجعية والاستعمارية والانتهازية
وتحالف الاقطاع مع راس المال المستغل التي تقف دائما ضد التعبير عن
اراء الفرد بحرية واختيار المؤسسات الديمقراطية التي تدافع عنه وعن
حقوقه • كما يعني التحرر السياسي في وجهه الخارجي تخليص الشعب
من الارتباطات والاحلاف العسكرية والتكتلات المذهبية التي تقف في اكثر
الاحيان حجر عثرة امام تقدم الشعوب الصغيرة ، وذلك لانشغالها بالحرب
الباردة والمنازعات المذهبية بين المعسكرات المتطاحنة ، وتخصيص اقتصادياتها
لخدمة معسكر من المعسكرات •

وفي طريق البناء في الداخل اتخذت معركة التحرر العربي شكلا آخر
ينفق ومبادئ الاسلام وتراثنا العربي الاسلامي ، وذلك بالقضاء على جميع
العوائق والمخلفات الاجنبية التي تقف حجر عثرة ضد تطور حرية
الفرد وممارسته الحقوق الطبيعية المشروعة • وهكذا بدأ الوجه الناني
من التحرر على شكل معركة غايتها بناء مجتمع متحرر من القيود يتمتع فيه
جميع الافراد بالحرية البناء والتعبير عن مواهبهم وقدراتهم المبدعة الموجهة
لخير المجموع • والحرية بمعناها الواسع تعني اطلاق قدرات الفرد ومواهبه
الخاصة لتحقيق الاحسن والامل في سبيل الفرد والمجتمع وخيرهما • واذا
انطلقنا من الفرد وطبيعته لدراسة التفاعل بين الفرد والمجتمع ، فانا لا بد ان
ندأ بتمييز الدوافع في طبيعة الانسان الى دوافع تملكية واخرى ابداعية ،
وذلك لان الخيرات تنقسم الى نوعين خيرات لا بد للفرد من تحصيلها
لادامة حياته ، وخيرات يقسمها الناس جميعا على حد سواء • فالدوافع

التملكية تسعى الى اكتساب الفردى بينما تسعى الدوافع الابداعية الى الخلق والابداع بما يفيد جميع افراد المجتمع . وبناء على ما تقدم يجب ان تكون الحرية مرتبطة بالدوافع التملكية والابداعية ، فلا تترك للدوافع التملكية مجالا تستطيع بواسطته ان يكون للفرد القوة والسلطان على تغيير الاشياء والتحكم في المجتمع ، كما يجب من ناحية اخرى ان تشجع الدوافع الابداعية ونفسح الطريق لجميع الافراد من التعبير عن قدراتهم ومواهبهم ، لان تطور المجتمع وتقدمه رهين بالطريقة التي بها يشجع الدوافع الابداعية عند الافراد لبناء الاحسن للجميع . وتقوم القوانين الدستورية على الحد من فعالية الدوافع التملكية خدمة للمجموع وضمانا لاستمرار المجتمع . ولكن اطلاق هذه القدرات يتوقف من جديد على طبيعة المجتمع ومشكلاته الاساسية ، كما لا يمكن تحقيق الحرية اذا وجدت عوائق تحول دون ممارسة الفرد لحرية . ومن الضروري ان تشير هنا الى حقيقة مهمة هي انه لا توجد حرية فردية مطلقة بالمعنى التام ، لان عيش الفرد في جماعة تخضع لقانون ينظم فعاليات الافراد ومسؤولياتهم وحقوقهم ، لا بد ان يقيد الحرية بما يتفق ومصصلحة المجتمع ، كما تترك حرية الفرد دون قيد او شرط من شأنها ان تؤدي الى القضاء على الفرد ذاته والمجتمع الذي يعيش فيه ، لان الدوافع التملكية تسعى الى الاستحواذ والتملك والتحكم في حريات الناس اذا تركها تعمل دون قيد ، فتقلب الحرية الى استعباد ، وتصبح حرية المجتمع وقوانينه تحت رحمة فئة من الناس تعمل على افساده والاطاحة بتشريعاته ، ولكننا في الوقت نفسه نجد التقيض بالنسبة للدوافع الابداعية ، فكلما فسح المجتمع لها طريقا ، كلما استطاع الافراد الانتفاع بما تجود به ، لذلك لا بد في كل نظام يؤمن بالديمقراطية ان ينمي هذه الدوافع ويغذيها ، لانها هي القدرات الايجابية في البناء الاجتماعي والحضاري والعلمي . وبناء على ذلك نستنتج انه لا يمكن فصل الحرية الفردية عن الحرية التي يضمنها القانون في مجتمع يؤمن بالنظام الديمقراطي ، لان التأكيد الدائم على الحرية الفردية من شأنه ان يعطي القوة للفرد فيفرض

ارادته على المجموع ويسخر الآخرين لخدمة دوافعه التملكية ، كما ان التأكيد على الحرية الجماعية من شأنه ان يسلب الفرد حريته ويقضي على وجوده ككائن مفكر وعلى دوافعه الابداعية . لذلك لا بد من تفاعل متلازم بين الحرية الفردية والحرية الجماعية يحدده القانون والنشريات الاجتماعية التي تضمن للجماعة تماسكها ووحدتها ، وتضمن للفرد حريته في حياته الاجتماعية . وهذا معناه ان الكائن الانساني فردى واجتماعي معا ، وعلى النظام الديمقراطي ان يجسد هذه الحقيقة وينطلق بها لخير المجموع . فالمجتمع الواحد يتألف من أفراد ، وهذه بديهية لا يمكن نكران صحتها ، ولكي تنتظم حياة الافراد لا بد من وجود المؤسسات الاجتماعية ولا بد من وجود هيئة معينة تضمن للجماعة حقوقها وللأفراد حرياتهم ، وتضبط فعاليات الافراد ودوافعهم الانانية في حب السيطرة والتحكم . ولقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهمية مبدأ تفاعل الفرد والجماعة في حديثه الشريف ، حيث قال : ان قوما ركبوا في سفينة فافتسموا ، فاصاب كلا منهم موضع ، فنقر احدهم موضعه بفأس ، فقالوا له ما تصنع ؟ قال مكاني اصنع فيه ما اشاء ، فان اخذوا على يديه نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا .

يعطينا هذا الحديث مفتاح الحياة الاجتماعية وكيف يجب ان تكون ، فان للجماعة حقا في تحديد حرية الفرد ودوافعه التملكية اذا وجدت ان في استعمال الدوافع ضرر يلحق جميع أفراد المجتمع . وهذا ان دل على شيء ، فانه يدل على حرية الفرد في التملك مع مراعاة حرية أو حق المجموع ، لان في هذه الدوافع يكمن خطر القضاء على المجتمع بأسره . واستطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان يعبر خير تعبير عن أهمية التعاون والتكافل بين الفرد والمجتمع ، والعمل على الخير للمجموع .

الحرية ضرورية لتحقيق الاحسن والافضل للفرد والمجتمع ، لانها تساعد على اطلاق امكانيات الفرد الفكرية والعملية وتساهم في التقدم العلمي والبناء الاجتماعي . ان الفرد في ظل الديمقراطية يستطيع التعبير

عن ذاته و ارادته في تحقيق ما هو مفيد وصالح للمجتمع ككل : ان العلم والفن والادب والفلسفة لا يمكن ان ترعرع في ظل حكم ديكتاتوري ، لان العالم لا يستطيع ان يعمل ومن ورائه رقابة تعسمل على تقليص فعالياته وتحديد مجالات عمله . والحرية ليست منحة تقدمها الدولة أو البروليتاريا أو الدكتاتورية للفرد ، بل انها طبيعية وهبها الله للانسان ، وهي قوة كامنة في ارادة الفرد وتطلعاته لسبر غور المجهول . ولكي يعيش الفرد في ظل الديمقراطية ، لابد له ان يشارك في تدعيمها وتحقيقها لاسيما ان تحقيق الديمقراطية رهين بتحقيق الحرية السياسية والحرية الاجتماعية . والديمقراطية بمعناها الواسع تعني نظام اجتماعي يتألف من هيئات ومؤسسات مختلفة الوظائف قائمة على التصويب وحق الانتخاب ، غايتها تحقيق العدالة في العلاقات البشرية وتهيئة الظروف الكفيلة بانماء شخصية الفرد وفتحها . والديمقراطية بهذا المعنى احسن الانظمة وأقدرها على تحقيق العدالة الاجتماعية والرفاهية الاقتصادية . ولكن هذا النظام سرعان ما ظهرت فيه اتجاهات فكرية مختلفة . فالديمقراطية الرأسمالية وضعت في حرية الفرد الاقتصادية ميزانها في التنمية والادارة ، فنشأت من جراء ذلك المشاريع الاقتصادية الكبرى والشركات التي يغذيها رأس المال الفردي ، ولكن هذا النظام الذي استهدف المساواة والعدالة انقلب الى نظام يتحكم فيه رأس المال ويؤثر بقوته على حريات الافراد ، وكان من نتيجة ذلك ان ظهرت الطبقات الاجتماعية ، وبدأ الصراع بين الطبقات يشتد ويقوى . وطرح الشيوعية نظاما آخر للحكم تديره الطبقة العاملة لتحقيق ديمقراطيتها وتقيم دكتاتورية البروليتاريا فتقضي على الحرية الفردية وتسلب الفرد ملكيته لتقيم ملكية جماعية . من ذلك نستنتج ان الرأسمالية والشيوعية تدعيان الديمقراطية ، فنجد الرأسمالية تقول بالديمقراطية الحرة ، وتؤكد الشيوعية انها النظام الوحيد الممثل للديمقراطية الحقة . لذلك لابد هنا من ايضاح الالتباس الظاهري ، وذلك بالتمييز بين الوسيلة والغاية في البناء الاجتماعي . فالانتخابات وحرية الرأي والعقيدة والتفكير

ما هي الا وسائل لتحقيق الديمقراطية ؛ والاحزاب المختلفة المتصارعة سلميا من أجل الحصول على المقاعد البرلمانية ما هي الا وسائل لتحقيق التمثيل البرلماني . والثورة الشيوعية وحكم البروليتاريا والحزب الواحد ما هي الا وسائل لتحقيق الديمقراطية . وتعرف الديمقراطية عادة بانها حكم الشعب نفسه بنفسه . ولكن المشكلة سرعان ما تظهر من جديد حين نساءل : كيف يستطيع الشعب حكم نفسه ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من تحديد دقيق للوسائل التي تحقق الهدف ، وهنا يكمن موطن الاختلاف بين الانظمة الاجتماعية والاتجاهات الفكرية والتطبيقية . ولكننا لو غيرنا السؤال : ما الشروط الاساسية لتحقيق الديمقراطية السليمة ؟ لامكنا الاجابة عنه كما يأتي :-

١ - لكل عمل وسيلة وغاية ، فلا يمكن تحقيق الغاية من دون الوسيلة لذلك ، كما لا يمكن ان يفصل بين الوسيلة والغاية فتؤكد على الغاية فقط وتترك الوسيلة للاهواء . لذلك اذا أردنا ان نحقق ديمقراطية سليمة لا بد من تخليص الشعب من جميع القوى التي تتخذ الوسيلة غاية لتحقيق المصالح الانانية ، وتحاول ان تجد الوسائل غير المشروعة لتحقيق الهدف . ففي مجال الديمقراطية السياسية مثلا يستطيع رجال راس المال والاقطاع والادارة ان يستخدموا وسائل التزييف السياسي للحصول على أكبر المنافع والمراكز القيادية . لذلك لا بد من القضاء على التزييف السياسي اذا أردنا ان نضمن حياة ديمقراطية سليمة . ولا يمكن تحقيق الديمقراطية في ظل الاقطاع ورأس المال المستغل .

٢ - واذا انقسم المجتمع الى طبقات نتيجة للتطور الاجتماعي الذي يرافق الثورة الصناعية او نتيجة للثورة التي تقوم بها طبقة العمال والفلاحين ، فان الطبقة الجديدة ستحكم وتعمل للمحافظة على امتيازاتها ، فتحاول تزييف الشعارات وتسخير الفكر لصالحها ، فتطبق بذلك ديمقراطية التحكم في الطبقات الاخرى . لذلك لا بد من القضاء على الطبقة الاجتماعية ، ليستطيع الفرد ان يختار من يريد بحرية ودون تسلط . وهذا معناه ان

الديمقراطية لا تحقق تحت ظروف حكم طبقة او فئة من فئات الشعب •

٣ - ولكي يستطيع الفرد ان يمارس ديمقراطية سياسية في تكوين الهيئات السياسية والاجتماعية والحكومة ، لابد ان يكون بوضع مادي أو اقتصادي يمكنه من العيش حياة حرة كريمة ، ويشعر بالطمأنينة على مستقبله ومستقبل عائلته • لذلك يجب ان يكون للفرد نصيب عادل من الثروة تناسب مع قدراته وكفاءته في العمل • وهذا معناه ان الديمقراطية لا تتحقق في ظل الفاقة والظلم والفوارق الطبقيّة •

لقد عبر الميثاق الوطني للجمهورية العربية المتحدة عن شروط تحقيق الديمقراطية السليمة فقال : الديمقراطية السياسية لا يمكن ان تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية • ان المواطن لا تكون له حرية التصويت في الانتخابات الا اذا توفرت ضمانات ثلاثة :-

ان يتحرر من الاستغلال في جميع صوره •

ان تكون له الفرصة المتكافئة في نصيب عادل من الثروة الوطنية •

ان يتخلص من كل قلق يهدد أمن المستقبل في حياته فاذا ازلنا العقبات التي تحول دون تحقيق الديمقراطية السليمة ، نكون بذلك قد مهدنا الطريق في سبيل البناء الديمقراطي الصحيح • وبهذا يصبح مفهوم الديمقراطية العام انه نظام اجتماعي يسمح للأفراد ان يمارسوا حريتهم وينموا قدراتهم ومواهبهم الفردية لخدمة المجموع ، كما يسمح لهم بتكوين المؤسسات السياسية والاجتماعية بعد تخليصهم من سيطرة رأس المال المستغل والاقطاع ، وتحقيق الفرص المتكافئة للجميع في الحصول على نصيب عادل من الثروة يتناسب وقدراتهم العقلية والعضلية ، ويؤمن لهم ولابنائهم المستقبل السعيد •

مفهوم

الاشتراكية العربية

الاشتراكية العربية فكر وتطبيق تمارسه الامة العربية في تحررها من الرواسب والمخلفات التي تقف حجر عثرة في سبيل تطور المجتمع العربي وتقدمه ، والتي ورثها العرب في عهود التخلف والظلام عن امم غير عربية . كما تمارس الامة العربية التطبيق الاشتراكي كطريقة لبناء المجتمع القومي العربي الوحدوي . واذا كانت الاشتراكية العربية هي النظام الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العربي الجديد ، فمن الضروري اذن ان يدرس طبيعة هذه الاشتراكية بصورة علمية بعيدة عن العواطف لنضمن للقومية العربية مسيرتها في الخط او الطريق الصحيح دون ان تقع في فكر شعوبي حاقد او في فلسفة تعارض مع طبيعة المجتمع العربي ومقوماته . اما السبب الاساس الذي دفعنا لهذه المناقشة فهو كثرة الاتجاهات والتفسيرات التي ظهرت في الاشتراكية العربية ، فبعضهم يعتبرها مجرد فكر ماركسي يطبق في مجتمع عربي ، وآخرون يرون في الاشتراكية العربية مجرد صورة للاشتراكية القومية في يوغوسلافيا وآخرون يرون فيها بعض الاتجاهات المستمدة من الاشتراكية الالمانية وهكذا .

وبناء على ذلك يجب ان نعلم على التحليل العلمي الدقيق لاتجاه الاشتراكية العربية دون الوقوع في تناقضات ومزالق فكرية لا تمت للمجتمع العربي وتراثه بصلة ، بل العكس تقف منه موقف التحدي . ومن ابرز المشكلات التي يجب مناقشتها وتحليل غموضها هي :-

هل القومية العربية اشتراكية ؟

هل الاشتراكية العربية قومية ؟

وللاجابة عن ذلك يجب ان نميز اولا بين تعبيرين في غاية الاهمية هما : القومية الاشتراكية والاشتراكية القومية . فبالنسبة للتعبير الاول

(القومية الاشتراكية) نفهم ان الاتجاه السائد فيه هو الاتجاه القومي باعتباره الموضوع الرئيس اما الاشتراكية فانها الصفة التي تحمل على الاتجاه القومي ، وبعبارة اخرى نقول : ان القومية اصل والاشتراكية فرع . اما بالنسبة للتعبير الثاني (الاشتراكية القومية) ، فاننا نفهم منه ان الاشتراكية هي الاتجاه السائد والموضوع الاساس ، وان القومية صفة تحمل على الاتجاه السائد . وبعبارة ادق : ان الاشتراكية هي الاصل والقومية فرع .

اذا نظرنا الآن الى تأريخ الحركة القومية في العالم ، فاننا نجد فيها اتجاهات فكرية واقتصادية مختلفة . فاذا استندت الحركة القومية على الطبقات المثقفة وبعض اصحاب رؤوس الاموال ، توصف هذه الحركة بالقومية البروجوازية ، وهي الحركة التي ناصرها ماركس العداء ، لانه لا يؤمن اساسا بمبدأ القوميات . واذا استندت الحركة القومية على مبادئ اشتراكية تنفق والمبادئ القومية العامة ، فاننا نوصف هذه الحركة بالقومية الاشتراكية . ان الاتفاق والاختلاف بين القومية البروجوازية والقومية الاشتراكية واضح ، فهما يعبران عن اتجاه قومي يعتز بالتراث وحرية الوطن والاستقلال والمقومات الاساسية التي تؤلف الامة . ويختلفان من حيث الاتجاه الاقتصادي ، لان القومية البروجوازية ترى في النظام الرأسمالي طريقا لتحقيق السيادة القومية ، بينما ترى القومية الاشتراكية في النظام الاشتراكي طريقا لتحقيق التقدم والسيادة للامة . ويمكننا نعت القومية بصفات اخرى فنقول مثلا القومية العرقية والقومية الحضارية والقومية الانسانية والقومية الفاشية وهكذا ، وهذه اتجاهات قومية تشترك في تحقيق مبدأ السيادة للامة أو الدولة على الرغم من اختلافاتها .

اما بالنسبة للاشتراكية فيمكن تصنيفها سياسيا الى اشتراكية اممية واشتراكية قومية . والى جانب ذلك نجد اجتهادات كثيرة في البناء الفكري والتطبيقي للاشتراكية ، فهناك اشتراكية فابية نقابية واخرى اشتراكية تعاونية واخرى اشتراكية ديمقراطية وهكذا . ومن الملاحظ هنا ان الاشتراكية الاممية والاشتراكية القومية يمكن أن تلتقيا معا في كونها تعتمد على تعاليم

كارل ماركس ، ولكنها تخلف اديولوجيا وسياسيا ، وهذا امر قائم بالفعل في الاشتراكية التي يتبناها الاتحاد السوفياتي واشتراكية يوغوسلافيا . اما بالنسبة للاشتراكية الالمانية ، فانها تختلف عن بقية الاشتراكيات بان موضوعها الرئيس هو القومية وان البناء الاشتراكي يخدم الاتجاه القومي وليس العكس ، لذلك نجد ادولف هتلر يؤكد على القومية او الامة الالمانية ويرى في الاشتراكية سبيلا لبناء الدولة الالمانية القومية التي تستطيع ان تقف ضد التيار الشيوعي الماركسي والمعسكر الشيوعي .

ونعود الآن من جديد لنحدد موقفنا بدقة : هل قوميتنا اشتراكية ام هل اشتراكيتنا قومية ؟ . وبعبارة ادق : هل نحن قوميون اشتراكيون ام اشتراكيون قوميون ؟ وللإجابة عن هذا السؤال نبدأ اولاً بثبيت بعض البديهيات المعروفة في القومية العربية :-

- (١) نحن نعلم وندرك بوعي ان قوميتنا العربية فكر منطلق من التراث العربي الاسلامي ، وحركة تسعى لتحرير الاجزاء العربية ، وعملية بناء جديد في مجتمع عربي وحدوي .
 - (٢) انا عرب اصبحت لنا امة متكاملة البنيان والمقومات بفضل الاسلام . والاسلام ليس غريباً على الامة العربية ، بل هو فكرها المعبر بلسانها .
 - (٣) انا عرب تربطنا ببعضنا رابطة الدم والحضارة او الثقافة التي هي النتاج الفكري والمادي للامة العربية .
 - (٤) ان الحركة القومية هي حركة بعث الامة العربية من واقعها المختلف وعهود العبودية لتأخذ مكانها بين امم الارض ، ولا يمكن ان يكون هذا البعث من لاشيء ، بل انه في حقيقته يقظة الامة من سباتها مستهدفة بناء مستقبل كريم مستنير بالماضي الخالد والامجاد العربية .
- نستنتج من هذه البديهيات ان الحركة القومية في العالم العربي لا يمكن

ان تفصل عن التراث والتعاليم الاسلامية المتجسدة في البناء الاجتماعي ، ولا يمكن ان يكون الشخص قوميا حقا اذا ابتعد عن هذا المفهوم ، لاسيما ان من اهم اهداف القومية العربية اقامة الوحدة العربية الشاملة ، وان مفومات هذه الوحدة الفكرية والاجتماعية نابعة من رسالة الزعيم الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، رسول الله وقائد الامة العربية في الفكر والبناء والاهداف . فالقومية العربية هي الاتجاه الذي اكد اهميته في المجتمع العربي الحديث وقدرته على تحقيق الاهداف ، ولكن سرعان ما اكتشفت الامة العربية ان تحقيق الاهداف ليس يسير ، لان الاعداء تحالفوا للوقوف ضد القومية العربية ، لذلك اضطرت القيادات القومية المخلصة ان تجرد القوى المعادية من اسلحتها . فالقضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال المستغل امور لا بد منها اذا اردنا ان نقيم وحدة قوية متينة . ان التحديات التي واجهتها قوميتنا العربية المتحررة في طريقها الوحدوي من قبل رأس المال المستغل والاقطاع والرجعية مهدت الطريق لاقامة مجتمع الاشتراكية العربية . وهنا التقت القومية العربية بالاشتراكية ، واصبحت قوميتنا بفضل ذلك اشتراكية . فنحن اذن قوميون اشتراكيون ، وهذا امر يعارض اتجاه الاشتراكية القومية ، فلو كنا اشتراكيين اولا ومن دعاة الاشتراكية واكتسبت معركتنا طابعا قوميا لقلنا اننا اشتراكيون قوميون ، ولكن الحال غير ذلك ، لاننا دعاة قومية اولا واكتسبت معركتنا القومية طابعا اشتراكيا . وهنا تبرز مشكلة مهمة لا بد من تحليلها وهي : هل القومية العربية اشتراكية بطبيعتها ؟

اذا كانت القومية العربية فكرا تابعا من التراث الاسلامي وواقع الامة العربية الحديث ، فان الاشتراكية (العدالة الاجتماعية) لن تكون غريبة عن القومية العربية ، بل هي مفهوم من مفاهيمها ومضمون يتصل بالجانب الاجتماعي والفكري لها ، لان مبادئ الاسلام وتشريعاته تدل دلالة واضحة على الاهداف التي يسعى الاسلام لتحقيقها في اقامة مجتمع العدالة الاجتماعية والحرية الانسانية . اما اذا اردنا بالاشتراكية العربية

مجموعة الافكار والتعاليم الماركسية ، فاننا سنقع في تناقض واضح لاسباب مهمة هي :-

- (١) ان الشيوعية او الماركسية لا تقر مبدأ القوميات ، وتقف منه موقف العداء ، فكيف نوفق بين اتجاه قومي وآخر شعوبي ؟
- (٢) انا دعاة قومية عربية وهي فكر نابع من وجودنا العربي فكيف نوفق بين هذا الفكر العربي الناتج من تجربة الامة العربية وفكر دخيل ناتج من تجربة امة اجنبية ؟
- (٣) ان الماركسية تفسر المجتمع على اساس اقتصادي وتعتبر القيم والمثل الانسانية متغيرة بتغير البنية الاقتصادية للمجتمع ، فكيف نوفق بين هذا التفسير والقومية العربية التي تضم بين دفتيها القيم والمثل العربية الاسلامية الخالدة .

نستنتج مما تقدم ان القومية العربية ذات اطار اشتراكي يتفق في المبادئ والاصول مع الفكر القومي النابع من الثقافة العربية والتراث الاسلامي . واذا جابهت الامة العربية في معركتها القومية من اجل تحقيق الوحدة اعداء تنكروا للقومية العربية المتحررة ، فان هؤلاء الاعداد التقليديين يقفون كذلك في وجه التطبيق الاشتراكي واقامة مجتمع الرفاهية والعدالة الاجتماعية ، لذلك لا بد من تجريد هؤلاء الاعداء من اسلحتهم لتستطيع القومية العربية ان تبني بفضل العرب الاحرار مجتمع الاشتراكية العربية والوحدة الشاملة .

واذا كنا نبحث الآن البناء الفكري العام لاشتراكيتنا العربية ، فمن الضروري ان نبحث في الجوانب المختلفة التي تؤلف هذا البناء . ومن الضروري ان نشير هنا الى ان الاشتراكية العربية لا تعني التأميم ، وانها تتصل بجميع جوانب الحياة ، فهي تسعى الى اعادة بناء المجتمع على اساس علمية وعادلة ، وهي تقوم بالتمهيد لايجاد علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة بدلا من العلاقات والمؤسسات القديمة التي لا يمكن ان تتفق مع عملية

التحويل الاشتراكي • ان تأميم وسائل الانتاج ما هو الا وسيلة من الوسائل التي تتخذها الاشتراكية العربية لتحقيق مجتمع الكفاية والعدل ، وهذا معناه ان الهدف الاساس الذي تسعى اليه اشتراكيتنا هو تحقيق العدل في مجتمع صناعي وزراعي متطور ، ومفهوم العدل هنا واسع يشمل جميع جوانب الحياة ، وبذلك تكون الاشتراكية العربية منهجا في الحياة الحرة البعيدة عن التحكم والاستغلال • واذا ارتبطت الاشتراكية العربية بالوجود العربي ، فمن الضروري ان تكون متجاوبة مع آمال الامة العربية واهدافها التي تجاهد من اجل تحقيقها •

ولكي نكون على بينة من الاطار الفكري العام للاشتراكية العربية ، يجدر بنا اولا ان نفصل بتحليل واضح الجوانب الآتية :-

- (١) الجانب الفلسفي الذي تستند عليه اشتراكيتنا في منطلقها •
 - (٢) الجانب الاقتصادي الذي يمثل التقدم والتطور في حقل الزراعة والصناعة •
 - (٣) الجانب الاجتماعي الذي تظهر اهميته في المؤسسات والعلاقات
 - (٤) الجانب القانوني الذي يمثل مبادئ عدالة التوزيع وضمن حقوق المواطنين •
 - (٥) الجانب الروحي الذي يؤلف مجموعة القيم والمثل الانسانية •
 - (٦) الجانب التاريخي الذي يبين لنا الجذور التاريخية للاشتراكية العربية واصولها في التراث الفكري والحضاري للمجتمع العربي •
- ان للجانب الفلسفي اهميته في البناء ، لانه يقدم لنا العوامل الايجابية ويشرف العلاقة بين العلة والمعلول ويبين دور الحركة الاجتماعية والاقتصادية في بناء المجتمع ، كما يفلسف الافكار ويعطي التجارب اطارها النظري فينتقل من التجربة الى التعميم ، ومن التطبيق الى الفكر وبالعكس • ولهذا الجانب اهميته في تحويل المبادئ والخبرات والتجارب الى فكر اديولوجي يحفظ الاشتراكية العربية من ان تنزلق في اتجاهات تناقض فكرنا القومي وتسمى

الى القضاء عليه • وهذا معناه ان الجانب الفلسفي يعصم الفكر القومي
الاشتراكي العربي من ان يقع في تناقضات تؤدي به الى ازيمات فكرية تقضي
عليه وتشل حركته •

ان المجتمع الانساني يتألف من افراد تربطهم علاقات ، ومن مجموعة
الافراد والعلاقات يتكون التركيب الاجتماعي او تتكون البنية الاجتماعية
العامية ، وتختلف المجتمعات تبعا للطريقة التي يتم بها التركيب الاجتماعي •
واذا اردنا ان نفهم طبيعة المجتمع ، فمن الضروري ان نقوم بعملية تحليل
للعلاقات والتركيب الاجتماعي ، لان العلاقات تظهر لنا الاتجاهات الحقيقية
في البناء ، ويظهر لنا التركيب الاجتماعي الصورة العامة التي كوتها هذه
الاتجاهات • وتحليل العلاقات يبين لنا العوامل المتعددة التي ساهمت في دور
البناء ، لاننا سنكتشف العوامل الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية
والفكرية ، ومقدار تأثير عامل على آخر • واذا ظهرت ظاهرة اجتماعية ما ،
فان علينا ان نضع يدينا على مجموعة العوامل التي شاركت في اخراج
الظاهرة الى حيز الوجود • وعلى العموم لا يمكن تفسير ظاهرة ما بعامل
واحد ، لان العوامل متشابكة بحيث يصعب علينا ان نحدد بوجه الدقة اهمية
عامل من هذه العوامل • وهذا معناه ان نظرية العوامل المتشابكة في تفسير
الظاهرة الاجتماعية هي الحل الوحيد لتزويد الانسان بالمعرفة العلمية •
وبذلك نكون قد خالفنا رأي كارل ماركس بان العامل الاقتصادي او المادي
هو العلة الاساسية في التغييرات الاجتماعية ، ولكننا في الوقت نفسه لا ننسى
اهمية العامل الاقتصادي مع العوامل الاخرى ، ولا نقلل من اهميته • ومن
المحتمل ان يكون العامل الاقتصادي في بعض الحالات هو العامل الاقوى في
التغيير ، كما يمكن ان يكون العامل الديني او الاجتماعي او النفسي او
السياسي العامل الاقوى في حالات اخرى ، ولكن ذلك لا يعني انفراد
عامل واحد ، بل قد تتشابك العوامل المختلفة ويطلق عامل او اكثر على
بقية العوامل دون ان يكون علة للعوامل الاخرى •
ومن ناحية اخرى لا نقر علميا وفلسفيا بالنظرة المادية التي اجتاحت

الفكر والمجتمع الاوروبي في القرن التاسع عشر واصبحت حجر الزاوية في نظرية كارل ماركس في المادية التاريخية والديالكتيكية التي تؤلف القاعدة الفلسفية لنظرية ماركس في الشيوعية . لقد استقى ماركس هذه النظرة من التقدم العلمي والنظريات الميكانيكية لتفسير حركات الكواكب وسلوك الاشياء المادية . ولكن هذه النظرة سرعان ما تبذلت جذريا في القرن العشرين ، ولم يعد للاتجاه المادي البحث السيادة التامة في النظريات العلمية والفلسفية بعد ان عرف علماء الفيزياء التركيب الداخلي للذرة وابعاد الكون الشاسعة ، وبدأ تفهقر الطريقة التجريبية في العلم واتجاه الدراسات نحو الطريقة الرياضية . وهذا يدل دلالة واضحة على ان العلم لم يعد يهتم بالظواهر المادية قدر اهتمامه بالحوادث ، خاصة بعد ان استطاعت النظرية النسبية لالبرت اينشتاين ان تجعل من المادة اقل واقل مادية على حد تعبير برتراند رسل في مقدمة كتابه « تحليل العقل The Analysis of Mind » . كما استطاع العلم الحديث ان ينقلب على مذهب الحتمية السببية متخذاً مذهب الاحتمال بديلاً عنه ، وهذا الاتجاه بحد ذاته ما هو الا ثورة على المفاهيم العلمية التي سادت القرن التاسع عشر واصبحت جزء اساسيا من فلسفة ماركس . وهكذا نجد انهيار الاساس المادي الذي اتخذه ماركس لتفسير الظواهر المختلفة ، كما ان تفسيره المعتمد على عامل واحد وعلى مبدأ الحتمية لم يعد مأخوذاً به في فلسفة القرن العشرين العلمية .

نستنتج من ذلك ان التفسير المادي ومبدأ الحتمية لا يمكن الاعتماد عليهما علمياً في تفسير ظواهر المجتمع وظواهر العلم معا . وبذلك ايضا نكون قد دحضنا فرضية ماركس القائلة بان المادة اساس الفكر ، ووضعنا بدلا عنها الفرضية العلمية القائلة بتفاعل المادة والفكر وأثر الواحد على الآخر . واذا تسلسلنا في هذا التفكير العلمي نكون قد دحضنا رأي ماركس القائل ان وسائل الانتاج وتبديلها اساس لتبديل الفكر والمؤسسات . ان وسائل الانتاج لم تكن موجودة قبل الفكر الانساني ، بل انها في الحقيقة من تصميم العقل البشري وقدرته على الابتكار والابداع ، فالفكر هو العامل الذي تفاعل مع

المادة في سبيل تطوير وسائل الانتاج ، وان هذه الوسائل لم تكن توجد لولا وجود الفكر ، كما انها لم تكن تخرج الى حيز الوجود لولا وجود المادة الاولية .

يتصل بهذا الفكر الفلسفي الجانب الاقتصادي للاشتراكية العربية ، الذي يؤكد على اهمية الفكر في عملية التنمية الاقتصادية واهمية الفرد في المساهمة في عملية التحويل الاجتماعي ، وبذلك تكون الاشتراكية العربية موفقة فلسفيا في عملية ربط الفرد بالمجتمع والفكر بوسائل الانتاج ، فلا يوجد تناقض ظاهر او باطن بين الحرية والاشتراكية .

واذا رجعنا الآن قليلا الى الوراء لنبحث واقع المجتمع العربي ، فاننا نجده يتميز بالتخلف في جميع جوانب الحياة اضافة الى وجود احتكارات اجنبية تستثمر ثروة البلاد لمصلحة قوميات اجنبية ، ووجود اقطاعات كبيرة يسيطر عليها نفر قليل من شيوخ العشائر ومن الذين باعوا أنفسهم للاستعمار . ان مثل هذا الواقع لا يسمح في تقدم المجتمع أبدا ، لان اكثرية الشعب محرومة واقلية تنعم بالرفاه ، فلا يجد ابن الشعب ما يسد رمقه ، بينما نجد ابناء الطبقات الغنية يصرفون الاموال على اتفه الاشياء . لذلك لا بد من تغيير شامل في البنية الاقتصادية للمجتمع ، ولا يكون ذلك على اساس الحرية الاقتصادية دون رقابة ، لان هذه الحرية ستقودنا الى مجتمع رأسمالي تتحكم فيه فئة قليلة في رقاب الشعب . اذن لا بد من بناء مجتمع ينعم فيه جميع الافراد بالرفاهية الاقتصادية والاستقلال الذاتي بعيدا عن تحكم فئة او طبقة ، ولا يتم بناء هذا المجتمع الا بعد دراسة وتخطيط علمي لأوجه الحياة لمعرفة الاسباب الاساسية التي تمنع عملية بناء مجتمع العدالة الاجتماعية . وعلى هذا الاساس تصبح الخطوة الاولى في هذا البناء الجديد تجريد القوى التي عرقلت تحقيق مجتمع العدل ومنعت الافراد من ابداء كفاءاتهم وقدراتهم العلمية والعقلية . فالقضاء على الاقطاع شرط ضروري لاناحة الفرصة لهؤلاء الذين كانوا عبيدا لان يكونوا اسياذ انفسهم وارضهم ،

كما يجب القضاء على رأس المال المستغل كخطوة للقضاء على الفوارق الطبقيّة الهائلة وتحرير الأفراد من سيطرته • أما الخطوة الثانية فتكون في تكوين قطاع عام يساهم في عملية التطوير والتنمية مع اتاحة الفرصة لرأس المال الوطني الذي يمثل القطاع الخاص لان يساهم كذلك في دعم التقدم الزراعي والصناعي • وهذا معناه ان الاشتراكية العربية تفر مبدأ الملكية الفردية في الحدود التي لا يكون لهذه الملكية تأثير على حريات الافراد ، لان الملكية في المجتمع الاشتراكي وجدت لتكون ذات نفع للمجتمع ، ولا تستعمل للاضرار بالافراد وحرياتهم •

ان تحسين وسائل الانتاج في الحقول الصناعية والزراعية شرط اساسي لتحقيق كفاية الانتاج ، لان الوسائل القديمة في الصناعة والزراعة لا تستطيع ان تقوم بمهمة عملية التقدم والتنمية • وفي مجتمع متخلف كالمجتمع العربي لا بد ان يكون تحسين وسائل الانتاج بشكل سريع ومطرد لنستطيع ان نكون ما نحتاجه ، لان العلاقة بين الوسائل والانتاج هي علاقة طردية • ولكي يكون الانتاج كافيا ، لا بد من وجود خطة اقتصادية شاملة تشمل الصناعة والزراعة معا • فالتخطيط الاشتراكي القائم على دراسة علمية لاحتياجات المجتمع هو الحل الوحيد الذي يستطيع ان يدفع مع وسائل الانتاج المتطورة المجتمع العربي الى التقدم ، فينقله من مرحلة التخلف الى مرحلة التطور • ان الدولة هي المؤسسة الوحيدة في المجتمع المتخلف التي تستطيع ان تقوم بعملية التطوير لما لها من امكانيات مادية ضخمة ، وهذا معناه ان القطاع العام هو الكفيل الذي يحقق مجتمع الكفاية والعدل ، وان دور القطاع الخاص يساهم كذلك في عملية التطوير ضمن خطة الدولة الاقتصادية وتبعا للتخطيط الاشتراكي •

اما الجانب الآخر من الاشتراكية العربية فيتمثل في عدالة التوزيع • فاذا كانت كفاية الانتاج الجناح الاقتصادي للاشتراكية العربية فان عدالة التوزيع تمثل الجناح الحقوقي لاشتراكيتنا • ومفهوم العدل هنا واسع يشمل

جميع وجوه الحياة • ولكن عدالة التوزيع لا تعني مطلقاً توزيع الثروة القومية بشكل متساوٍ على جميع الأفراد ، لأن مثل هذا المبدأ يناقض طبيعة الانسان واختلاف قدرات الأفراد • ان توزيع الثروة يتم تبعاً لمبدأ الكفاءة والقدرة ، فينفاوت الأفراد في العمل والاجور تبعاً لهذا المبدأ •

وإذا كان من اهداف الاشتراكية العربية بناء مجتمع صناعي وزراعي متطور ، فإن على هذه الاشتراكية ان تضمن حقوق العمال والفلاحين ، وذلك بتحقيق الضمانات المختلفة الصحية والاجتماعية ، كما يجب ان يكون للعامل حد ادنى في الاجور يمكنه من العيش كإنسان مترفه يضمن لنفسه وعائلته حياة طيبة •

ان من اهم مميزات الاشتراكية العربية انها تقر الملكية الفردية ولا تلغيها الا في حالات معينة ، عندما تصبح هذه الملكية ذات تأثير سيء وضار بالمجتمع ، وان التأميم في الاشتراكية العربية ليس اغتصاباً للثروة او الملكية الخاصة ، بل ان الاشتراكية العربية تقوم بتعويض عادل للثروة المؤممة ولا تقضي الا على جانب الربح الفاحش الذي تقدمه الثروة • وإذا انتقلت الملكية الخاصة الى ملكية عامة ، فإن ذلك معناه انخفاض في اسعار البضائع ، لان الدولة لا تسعى الى الحصول على الارباح التي يحفظها الرأسمالي لنفسه ، كما ان انتقال هذه الملكية الى الدولة من شأنه ان يقضي على جميع الوسطاء الذين يعيشون على رفع سعر البضاعة • وبذلك تستطيع الدولة ان تقدم السلع الى الشعب بسعر مناسب يحفظ سعر التكلفة والعمل ونسبة قليلة من الارباح لتعمل على رفع مستوى العمال والفلاحين •

ومن المميزات الاخرى لاشتراكيتنا العربية هي انها تضمن للعمال نسبة عادلة من الارباح التي تحصل عليها الشركات ، كما تسمح باشتراك العمال في الادارة ، وبذلك تحقق اشتراكيتنا ديمقراطية اوسع بمشاركة الشعب في الاجهزة الادارية وانتقال السلطة شيئاً فشيئاً من الدولة الى الشعب •

واهم ميزة امتازت بها الاشتراكية العربية هي انها تعترف بالاديان

ورسالات السماء وتجعل من شريعة الاسلام قاعدة قوية في تحقيق مجتمع العدل الاجتماعي . واذا كانت الاشتراكية العربية تعترف بالاسلام وشريعته؛ فان ذلك لا يعني غير حقيقة مهمة هي ان الاشتراكية العربية لا تناقض الاسلام ، فهي لا تقر الالحاد وترى في الاسلام اول تجربة اشتراكية في العالم سبقت زمانها بقرون قبل ان تصبح الاشتراكية املا للمعدمين والفقراء وحلا للقضاء على الازمات الاقتصادية المرافقة للنظام الرأسمالي .

واخيرا نجد الاشتراكية العربية في التطبيق الاشتراكي تفر مبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة بخير المجموع ، ولا تنكر اهمية الفرد وحرية في تدعيم عملية التنمية والانطلاق نحو بناء المجتمع الافضل . كما انها بذلك تحقق مجتمع الديمقراطية السليمة بجناحيها السياسي والاجتماعي دون ان تسمح لفئة أو فرد أو طبقة في التسلط على رقاب الناس والتحكم في مصير الشعب وتظهر اهمية الجانب الاجتماعي من الاشتراكية العربية في تكوين المؤسسات الديمقراطية السليمة وفسح الحرية للأفراد في اختيار العلاقات التي تربطهم بالمؤسسات والأفراد . ويجب ان ترتفع هذه المؤسسات الى المستوى الذي تستطيع به ان تساهم في عملية التطبيق الاشتراكي ونقل المجتمع من طور التخلف الى التقدم والرفاهية . وتلعب هذه المؤسسات دورا ايجابيا في توجيه سياسة الدولة والاقتصاد القومي ، لان اشتراكتنا لا تؤمن بسلطة الدولة المطلقة ، كما لا تفرض ديكتاتورية فرد أو فئة أو طبقة على الشعب، بل ان ايماننا بالديمقراطية النابعة من ارادة مجموع الشعب كله ، تجعل من فكرة سيادة الدولة المطلقة مجرد وهم لا يمكن تحقيقه . لذلك تسعى الاشتراكية العربية الى خلق مؤسسات تقوم على اسس ديمقراطية لتستطيع ان تشارك في مسؤولية الحكم .

فالدولة في مجتمع الاشتراكية العربية مؤسسة ديمقراطية تخدم مجموع الشعب وتتيح الفرص الكثيرة لكي يمارس الفرد حريته في حدود المجتمع ، وهذا معناه ان وظيفة الدولة الاشتراكية تكون في تنظيم احوال المجتمع

وتنسيق جهود الافراد والمؤسسات بشكل يؤدي في النهاية الى خدمة المجتمع
باسره . وان حقوق الدولة في ادارة شؤون المجتمع فرض ، لان الدولة
بدون هذه الحقوق لا تستطيع تحقيق اسط الاشياء ، ولكن هذه الحقوق
في الوقت نفسه تجسيد لحقوق الشعب في الاستقلال والحياة الحرة
الكريمة .

وتلعب الاخلاق والعادات دورا مهما في تكوين المؤسسات ودفعها في
الخط الديمقراطي الصحيح ، لذلك يجب ان يكون الوعي والشعور
بالمسؤولية والواجب من الامور التي يعرفها المواطن ، كما يجب ان تكون
الاشتراكية كفكر معروفة بشكل صحيح لدى جميع الافراد ، لانه يجب
على الفرد الذي يعيش في مجتمع الاشتراكية العربية ان يعرف دوره في
هذا المجتمع ويشعر بمسؤولية في اختيار الافراد والانضمام الى المؤسسات .
ان الصعوبة في التحويل الاشتراكي لا تكمن في الجانب الاقتصادي ،
بل ان جل المشاكل تظهر في الجانب الاجتماعي والاخلاقي ، والاشتراكية
العربية تسعى كذلك الى تكوين بنية خلقية واجتماعية تساهم في التقدم .
ان العلاقات الاجتماعية القائمة على الاخلاق والشعور بالواجب والمسؤولية
تستطيع ان تقدم للمجتمع ثمرات تخدم الكل . واذا اكدت الاشتراكية
العربية على اهمية الاخلاق والمثل الانسانية السامية ، فلاننا نشعر بحقيقة
مهمة هي : اننا نستطيع اقامة اشتراكية مثالية بين الحيوانات اذا اخذنا
بالجانب الاقتصادي وحده ، وذلك بتوزيع عادل من الاطعمة يتناسب مع
تكوينها وجنسها . ولكننا في المجتمع البشري نتعامل مع افراد لهم فكرهم
وشعورهم وارتباطاتهم ، لذلك لا يمكن ان يحقق التوزيع العادل وحده
مجتمعا اشتراكيا ، لان المهم في الاشتراكية هو ادراك الافراد لهذا التوزيع
وتقديرهم له ومحافظتهم عليه ، كما تلعب الاخلاق دورها في البناء الاقتصادي
الجديد ، لان الفرد هو الذي يقوم بتقييم الاشياء واعطائها قيمتها الحقيقية .
وبالاخلاق الاجتماعية يقوم الفرد بالمحافظة على حقوقه وحقوق الاخرين ،
فلا يتعدى على الافراد ولا يحاول خرق الاسوار او الحدود الاجتماعية

التي تقرها الاشتراكية . وعلى هذا الاساس يظهر لنا ان الجوانب جميعها من فلسفية واقتصادية واجتماعية وقانونية وخلقية تلعب دورا مهما في التطبيق الاشتراكي ، وانه لا يمكن تفضيل عامل على اخر ، لان لكل جانب واجبا معينا يؤديه في البناء الاشتراكي العام .

واخيرا اود ان اشير الى اهمية الجانب التاريخي في الاشتراكية العربية ، لانه يقدم لنا الجذور التاريخية لهذا الفكر . فالعدالة الاجتماعية هدف اساسي من الاهداف التي سعى لها الاسلام ودعا الى تطبيقها على جميع المستويات . ان تحقيق هذه العدالة قبل ما يقرب من اربعة عشر قرنا ، يجعل من الاسلام اول تجربة اجتماعية في العالم تحقق العدل الاجتماعي في الوقت الذي لم يكن لهذا التطبيق وجود في التاريخ البشري . ان الفوائد او التشريعات التي جاء بها الاسلام لتحقيق مجتمع العدالة الاجتماعية لا زالت حية ، لانها لم توضع لظرف واحد او زمان معين ، بل ان في تعميماتها المنطقية ما يجعلها حية وقابلة للتطبيق . فلقد ربط الاسلام ملكية الارض والسموات بالله ولم يجعل للانسان حق في الملكية الا بما يهبه الله ، فالملكية الفردية ما هي الا اقتطاع من الملكية العامة والله ، فلا يحق للفرد استعمالها في الاضرار بالمجتمع والافراد ، لذلك وجب على الدولة ان تضع حدا للملكية الفردية التي يستعملها صاحبها للاضرار بالمجتمع ، وذلك بمصادرتها او الضرب على يد صاحبها ضمانا لسلامة المجتمع . وبهذه الطريقة يكون الاسلام قد حقق بتشريعاته المختلفة التي تزيد كثيرا على ما تقدم مجتمعا ترفرف عليه العدالة الاجتماعية ورحمة السماء .

مفهوم الوحدة العربية الشاملة

ان الطابع الظاهر للقومية العربية في سيرها نحو تحقيق الاهداف تأكيدها الدائم على اقامة دولة الوحدة العربية ، دولة لامة عربية تمتد في وجودها من المحيط الى الخليج • واجتاز شعار الوحدة مراحل سياسية ونضالية مختلفة حتى تبلور على شكل فلسفة وعقيدة واضحة في ايامنا هذه • وكانت المقومات الاساسية لامة العرب تشكل الجانب التكويني والايجابي لحركة القومية العربية • فاللغة والوطن والتاريخ والدين والفلسفة الحياتية والمصالح المشتركة تؤلف وحدة تكوينية للامة العربية وقاعدة اساسية نحو انطلاقهم لاقامة دولة الوحدة • وكانت التحديات الاستعمارية وعوامل التخلف والتجزئة حافز لامة العرب لصهر الفكر العربي في البودقة القومية ، ليكون أساسا فكريا قويا لوحدة الصف •

واذا كانت الحركات القومية في العالم تتوخى توحيد الامة الواحدة تحت سيادة دولة واحدة ، فان القومية العربية اضافة الى كونها تشدد وحدة الامة العربية في دولة واحدة ، اصطدمت بعراقيل وتحديات واجهتها في حركتها السياسية والاجتماعية ، لذلك اكتسبت القومية العربية في سيرها الوجودي صفة كونها قومية تحررية تشدد تحرير الاراضي العربية من الاستعمار والصهيونية ، واسترداد الاراضي العربية التي سلبتها قوميات أخرى • وهكذا اصبح من شروط النضال القومي نحو اقامة دولة الوحدة مقارعة الاستعمار والوقوف أمام جميع محاولاته ، وتحرير الاراضي العربية •

ولكي يكون مفهوم الوحدة العربية واضح المعالم من الضروري ان تناقش بعض البديهيات التي توجه حركتنا الوجودية ، لان في هذه البديهيات تكمن عناصر القوة والهدف • ولاجل الكشف عن جوهر هذه البديهيات

نضطر ان نلقي السؤال الذي يطرحه كل فرد من داخل الوطن وخارجه
وهو : لماذا تريد الامة العربية وحدة من المحيط الى الخليج ؟

وللاجابة على السؤال نضع أمام اعيننا البديهيات الآتية :-

١ - تتوفر في الامة العربية عناصر الوحدة وذلك لوجود الرباط الوثيق والقاسم المشترك بين جميع افراد الشعب العربي وهو وحدة الفكر التي تضم التاريخ المشترك والعادات التي هي تجسيد للمثل والقيم ، والدين الذي يصنع ضمير الانسان وقانون المجتمع ، والتقاليد التي هي ثمرة البنية الاجتماعية ، واللغة التي تعبر عن الفكر فتوحد اطاره وتنقله عبر الاجيال ، فتسطر الامجاد وتروي لنا ما حققته الامة العربية من جهود في جميع الميادين ، كما تعبر هذه اللغة المشتركة عن الآمال التي تحفز الفكر لوضع الاهداف القريبة والبعيدة . واذا كانت الآمال والمقومات مشتركة بين جميع افراد الامة ، فان الارادة التي تحقق الآمال وتجعل من التخطيط واقعا متوفرة ، لانها القوة التنفيذية لكل تشريع يخطط له الفكر لدعم حركة الامة العربية نحو بناء المجد .

٢ - تتوفر في الامة العربية عناصر الوحدة ، وذلك لوجود وحدة الصف التي تضم القوة البشرية للشعب العربي الممتد في الشمال الافريقي والشرق العربي . وهذه الوحدة ضرورية لجعل الفكر واقعا لانها تمثل عنصر الارادة في التنفيذ . واذا كانت الوحدة الفكرية ضرورية لوحدة الصف ، فان وحدة الصف لا تتحقق في ظل تجزئة الفكر وصراع الايديولوجيات ، لذلك لا بد من وحدة الفكر ، لانه هو الذي يصنع وحدة الصف . فعندما بدأ الاسلام بزحفه الفكري بقيادة الرسول الاعظم من قلب الجزيرة العربية نحو العراق وسوريا ومصر والشمال الافريقي ، فانه سرعان ما خلق وحدة بشرية - ثقافية كانت اساس الوحدة العربية وقاعدتها . وبذلك أصبحت كثير من المناطق التي لم تكن عربية من قبل بفعل هذه الثورة الفكرية وحدة عربية .

٣ - تتوفر في الامة العربية عناصر الوحدة ، وذلك لوجود وحدة

الهدف التي تضم تطلعات هذه الامة لبناء المستقبل وازالة جميع العوائق التي تقف في طريقها . ان اختلاف الاهداف معناه عدم قدرة الامة على الالتقاء في وحدة ، لان هذا الاختلاف من شأنه ان يخلف الوسائل المختلفة ، فيصبح الطريق متشعب المسالك . واذا اختلفت الوسائل والطرق والاهداف ، فان طريق الوحدة سيعتريه اختلاف في وحدة الصف ، لان الاهداف والوسائل تؤلف جزء من الوحدة الفكرية التي يصحبها تجزئة الصف عند تجزئتها .

فاذا توفرت في الامة العربية هذه المقومات ، فان طريق الوحدة حتمي لا بد منه . ولكننا ربما نثير سؤالاً آخر هو : اذا كانت هذه المقومات موجودة ، فلماذا لا تتم الوحدة العربية ؟

وللاجابة عن هذا السؤال يجدر بنا ان نعرف اولاً على العليل التي تعوق مجرى الوحدة الطبيعي .

١ - وجدت الامة العربية نفسها تحت سيطرة قوميات اجنبية بعدما بدأت السيادة العربية بالانهيار في أواخر العصر العباسي . واستطاعت القوميات الاوروبية ان تجزئوا الوحدة العربية بعد انهيار الامبراطورية العثمانية الى مناطق نفوذ تحكمها عروش عميلة وعملاء . وبهذه الطريقة استطاع الاستعمار الحديث ان يصنع الحدود والكيانات ويسبغ عليها نوعاً من الاستقلال والذاتية . وبذلك تجزء الوطن الى دويلات متعددة تعارض مصالح حكامها مع كل عمل وحدوي ، ويجسد الحكام سيلاً كثيرة لعاقة طريق الوحدة بتبريرات قصد منها الوقوف ضد الوحدة .

٢ - بدأ اتصال الاستعمار الغربي بالوطن العربي في القرن التاسع عشر ، فكان الشمال الافريقي ومصر من أوائل الاقطار العربية التي سيطر عليها الاستعمار . وبدأت مصر تطرد الغزاة المستعمرين ، وانبرى قيادة التحرير العربي يقفون بكل قوة أمام الغزو . يصدون كيد المستعمرين . وكان لهذا الاحتكاك اثره ، لانه اظهر لعرب مصر مقدار تخلفهم عن المدنية الاوروبية الصناعية ، فكان ذلك حافزاً للتقدم و البناء وعندما سيطر

الاستعمار الأوروبي على الشرق العربي بعد الحرب العالمية الأولى وبعد انهيار الدولة العثمانية ، وجد العرب انفسهم مرغمين على حمل السلاح في وجه الغزاة والعملاء . وهكذا تفاوتت معارك التحرير والتقدم ، فأخذت الاقطار العربية تطور نفسها منفصلة الواحدة عن الأخرى ، فاختلقت الثقافات باختلاف الاستعمار ، وخلق الاستعمار جملة من المثقفين يخدمونه ويخدمون ثقافته لاجل القضاء على الثقافة العربية الاصلية .

٣ - ونتيجة لاختلاف الثقافات وتفاوت الاقطار من ناحية التقدم ، ونتيجة للتجزئة التي فرضها الاستعمار نجد الحكام ودعاة الانفصال يروجون الاقليمية ويخلقون لها الاداة والفكر . فالرجوع الى اللغة الفينيقية وترك اللغة العربية حركة تريد تدعيم الاقليمية والقضاء على الوحدة . وحياء الهيروغليفية والمجد الفرعوني حركة تريد خلق حضارة بعيدة عن الوحدة الحضارية التي تمتعت بها مصر مع الاقطار العربية في ظل الدولة العربية - الاسلامية . واعتبار قطر عربي مثل الجزائر جزء من الاراضي الفرنسية وامتداداً لحضارة فرنسا دعوة يروجها بعض المثقفين في الجزائر ويجدون لها المبررات التي تهدف الى القضاء على عروبة الجزائر .

٤ - ان اختلاف مراحل الثورة العربية بسبب التجزئة ادى الى اختلاف الاسلحة الفكرية التي اتخذها الثوار ضد الاستعمار والرجعية والانتهازية والشعوبية وتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل . فظهرت حركات سياسية في القومية العربية اختلفت في الفكر والتنظيم ، فكانت هذه الحركات ودوافعها من الاسباب التي عملت على تجزئة الفكر القومي ، فنجد تيارات ايدولوجية تهتم بالجانب السياسي دون النظر الى المقومات الحضارية والفكرية للامة ، واخرى تعتمد على المقومات ولكنها ترى في الحركة السياسية مجرد وسيلة لتحقيق الوحدة العربية بمقوماتها الاساسية . واختلفت التيارات الفكرية في الاشتراكية العربية ، فمن الناس من يرى فيها اشتراكية ماركسية ، عربية التطبيق ، بينما يرى اخر انها

لا يمكن ان تلتقي مع الماركسية من بعيد أو قريب ، لان الماركسية فكر صهوني معدم للاخلاق والقيم الانسانية التي تحلى بها العقلية العربية . وهناك فريق اخر يرى المزج بين الفكر الماركسي والعربي لتوضيح الاطار الفكري للاشتراكية العربية . هذه التيارات المختلفة في الفكر القومي والاشتراكي ادت الى وجود تكتلات حزبية وحركات سياسية لا تلتقي في صف واحد ، لان التمزق الفكري من شأنه ان يقود الى تمزق وحدة الصف .

٥ - لقد ساعد الاستعمار القوى العميلة في المنطقة العربية لتقوم بدورها في العمل لمصلحة الاسباد . واختلفت الانظمة السياسية والاجتماعية بسبب تدافع الشعب العربي نحو الاستقلال والقضاء على القوى العميلة . فكانت الثورة العربية تظهر في اراضٍ كثيرة ، ولكن بصور متفاوتة ، لذلك نجد عروشا أو حكومات ملكية واخرى جمهورية ، كما نجد مجتمعات تخلفت مرحلة الاستقلال وهي الان في سبيل بناء مجتمع الاشتراكية ، بينما نجد مجتمعات عربية اخرى لازالت اقطاعية واخرى متروكة لتحكم القصور الملكية ورأس المال المستغل . ان هذه الاختلافات في النظم السياسية والاجتماعية يجعل الالتقاء الوجدوي غير ممكن ، لان التناقضات سرعان ما تنشط اذا افمننا مجتمع الوحدة بهذه الاختلافات لتقضي بالتالي على الوحدة وتدعم الانفصال .

٦ - تواجه دعوة الوحدة اعداء داخل الوطن العربي وخارجه ، فتحالف القوى الشعبوية والقوميات غير العربية على محاربة هذه الدعوة متوسلين بحجج انفصالية ، لابقاء الوطن العربي مجزء الاوصال . ويجب ان نميز هنا بين القوى القومية الوجدوية التي تشخص داء الانفصال في سبيل القضاء عليه وعلى جميع العراقل التي تقف ضد الحركة الوجدوية ، وبين القوى الشعبوية الانفصالية التي تحاول تدعيم الانفصال وتراه أمرا طبيعيا لا بد من بقاءه . ان ابتعاد القومية العربية عن مقومات الوحدة والالتزام بالحركة السياسية وحدها معناه فسح المجال لظهور

حركات سياسية قومية وحدوية في الظاهر ولكنها انفصالية في الباطن ،
وفي هذا الصدد تلتقي هذه الحركة مع الانفصال وتقوم بتدعيمه .

هذه بعض العلل الأساسية التي تعوق مجرى الوحدة الطبيعي ،
لأننا نجد فيها تجزئة في الصف والفكر والهدف . وهنا يظهر
جواب السؤال الذي اترناه في بداية هذا التحليل وهو : اذا كانت مقومات
الوحدة موجودة ، فلماذا لا تتم الوحدة العربية ؟ فلقد ابتعدت بعض
الحركات القومية والاشتراكية عن الاصول الأساسية المكونة للوحدة ،
فأخذت بفكر شعوبي بديلا عن الفكر العربي الاسلامي ، وهنا ظهر التمزق
الفكري في الحركات السياسية . لذلك اذا أردنا ان نقيم الوحدة العربية
على أصول متينة ، فمن الضروري ان نرجع الى الوحدة الفكرية التي
صاغها الاجيال العربية منذ بداية الدعوة الاسلامية ، لان هذه الوحدة متوفرة
عند جميع الافراد العرب عدا الشعبويين والحقادين على التراث الفكري
والحضاري لامة العرب . وهذه الوحدة التي جعلت العرب في صف واحد
وربطتهم بوثاق واحد قادرة على ان تصنع المعجزة من جديد، فتدفع الامة العربية
نحو الوحدة والاشتراكية العربية النابعة من تراث الامة العربية وتجاربهما
الحضارية ومبادئ الاسلام الحنيف تجنبنا للمزالق الفكرية والايديولوجية
التي يمكن ان تقود الوحدة الى انفصال ، والاشتراكية العربية الى شيوعية
ماركسية . ومن هذا المنطلق يتحتم على جميع القوى القومية في الوطن
العربي ان تعمل على توحيد الفكر وتحديد حركة الامة سياسيا
 واجتماعيا .

ان توحيد الفكر القومي الاشتراكي في اطار اديولوجي وعملي
من شأنه ان يخلق التنظيمات الشعبية المتشابهة التي تقوم بتحقيق القيادة
وتلاحم القاعدة في الوطن العربي . واذا تحققت الوحدة الفكرية والتنظيمية،
فان ذلك أمر سيعجل بالوحدة ويقضي على جميع الحلفاء والاعداء من
استعمار وشعبوية وقومية رجعية وقوى انفصالية واقليمية وتحالف للاقطاع
مع رأس المال المستغل .

وظهرت الى جانب دعوة القوى القومية الى الوحدة دعوة تدعو الى
الاتحاد . لذلك لا بد لنا ان نقف هنا على ماهية الاتحاد والوحدة واين
يمكن اتفاهما مستفيدين من بعض التجارب . لقد رفع الشيوعيون في
العراق شعار الاتحاد الفيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة ، وكانوا
يريدون من ورائه القضاء على فكرة الوحدة ، لان هذا الاتحاد ما هو
الا تدعيم للاقليمية والانفصال . وبعد انهيار الحكم الشعبي برزت القوى
القومية لتحقق الوحدة ، فكان ميثاق السابع عشر من نيسان سنة ١٩٦٣
حصيلة المحادثات التي تمت في القاهرة بين ممثلي حزب البعث في العراق
وسوريا وبين الجمهورية العربية المتحدة . ولقد نص هذا الميثاق على تكوين
دولة اتحادية تضم العراق وسوريا ومصر في الجمهورية العربية المتحدة .
ولكن الاحداث التي جاءت بعد تصديق الميثاق ادت الى القضاء عليه
وهو لما يزل جنياً . لقد كان في الميثاق مواد مهمة في طريق الوحدة واخرى
ضعيفة تبين بقاء رواسب اقليمية ، وعلى الرغم من ذلك فانه كان محاولة
مدروسة في طريق الوحدة .

واذا نظرنا الى تطورات الدستور الامريكي اتخذنا منه درسا وعظما ،
فقد كان دستور اول مارت سنة ١٧٨١ خطوة اولية ، وكان دستورا مقيدا لانه
لم يخلق حكومة مركزية ولم تسلم الولايات من سيادتها وسلطانها
الا قليلا ، فاحتفظت باقليميتها . ولكن مؤتمر انا بوليس سنة ١٧٨٦ كان
خطوة جديدة بالتقدير لمشاركة كبار القوميين الذين اذعنوا بوجوب تغيير دستور
سنة ١٧٨١ . ثم جاء مؤتمر الدستور سنة ١٧٨٧ الذي اجتمع في فيلادلفيا ،
حيث برزت فكرة السيادة القومية المشتركة ضد السيادة المحلية . وظهرت
في المؤتمر تيارات سياسية مختلفة يدعم فريق منها السلطات المحلية للحكومة ،
وفريق آخر يقول بحكومة مركزية قوية . وكان هذا المؤتمر دعما للحركة
القومية الولايات المتحدة .

واذا رجعنا الان الى الامة العربية فاننا نجد فيها مقومات الوحدة
والقومية أكثر بكثير من تلكم التي حصلت عليها الولايات المتحدة

في اثناء الثورة والتحرير ، واذا اتحدت الولايات في أمريكا بدستور قوي
وبرلمان يمثل الشعب ، فان وحدة الامة العربية امر لا مفر منه . ان النوازع
والمصالح الاقليمية تجعل الكثيرين يرون في الوحدة خطرا عليهم ، ولكنهم
لو درسوا جوانب التكامل بين اجزاء الوطن العربي او دويلاته لاقتنعوا بان
الوحدة قوة لكل جزء . وحياء لكل فرد عربي وتعاون اجتماعي واقتصادي
تام . ان القوى القومية لا تعارض تكوين دولة اتحادية قوية تكون اساسا
لدولة الوحدة ، ولكنها تعارض ان يكون الاتحاد بديلا عن الوحدة .

ومن الضروري ان نشير هنا الى ان الوحدة العربية لا تعني
عملية ضم الاقاليم أو الاقطار مع الاحتفاظ بكياناتها الاقليمية السياسية
والاقتصادية ، لان مثل هذا العمل لا يختلف عن عمل الجامعة العربية .
فالوحدة العربية يجب ان تقضي على الاقليمية وتصهر الكيانات السياسية
المستقلة في دولة حقيقية واحدة .

ولما كنا في معرض الحديث عن الوحدة فيجدر بنا ان نشير
الى الاشكال المختلفة لاقامة الوحدة والتي ظهرت على المسرح السياسي
العربي :-

١ - وحدة القوى الرجعية في دولة تحمي مصالح الاقطاع ورأس
المال المستغل وتكون عوناً للاستعمار في تحكّم أكبر وسيطرة أقوى على
الوطن العربي ولقد حقق هذا الاتحاد نوري السعيد لبناء الدولة الهاشمية
التي تضم العراق والاردن . وكان نوري السعيد من مؤيدي اقامة الهلال
الخصيب تحت زعامة بريطانيا .

٢ - وحدة القوى الحزبية في دولة تحمي مصالح الحزب ، غايتها
اقامة دولة تقف ضد تيار القومية العربية . فكانت دعوة الحزب القومي
السوري لاقامة سوريا الكبرى خير برهان على التحالف الشعبي ضد
الامة العربية ، كما انه تعزيز اقليمي واقتطاع جزء من الوطن العربي في
ظل قومية فينيقية قديمة بدلا من قومية عربية . وبرهن حزب البعث على ان
وحدة القيادات الحزبية هي الطريق السليم لاقامة الوحدة . ولكن المضامين

الفلسفية والفكرية لحزب البعث في الحرية والاشتراكية والوحدة كانت تتعارض في كثير من الاحيان مع مقومات القومية العربية الحضارية ، لان البعث حركة سياسية لا تمت لثراث القومية العربية بصلة • وينطبق هذا التحليل على جميع الحركات السياسية المشابهة •

٣ - وحدة قوى الشعب العاملة في دولة تحمي مصالح الشعب وتدافع عن استقلاله وحرية ، دون ان تكون العوبة بيد الرجعية والاقطاع ورأس المال المستغل ودون ان تكون اداة لتحقيق ماآرب حزبية • كما يجب ان يكون فكر هذه الوحدة قوميا عربيا اشتراكيا اسلاميا بعيدا عن الافكار الشعبوية الحاقدة • وان تكون السلطة في دولة الوحدة للشعب بعدد تخليصه من القيود والرواسب ليستطيع ممارسة حياة ديمقراطية صحيحة من الوجهة السياسية والاجتماعية •

والآن وبعد ان عرفنا شكل الوحدة الصحيح المتمثل في وحدة قوى الشعب العاملة ، أرى من الضروري ان نجيب على السؤال الآتي :-
لماذا تسعى الامة العربية نحو الوحدة ، وكيف تكون هذه الوحدة بشكلها العام ؟ •

من ابسط البديهيات القومية مثلا ان العرب لا يمكن ان يتحدوا مع قومية أخرى في دولة قومية واحدة • ولكن العرب جميعا تؤلف بينهم قومية ، وان أية تجزئة معناها اصطناع غير طبيعي ومخالفة لابطس الحقوق القومية ، فالامة العربية تسعى الى وحدة شاملة ، لانها امة واحدة ذات فكر واحد وهدف واحد ، وان عليها واجب تصحيح الاوضاع غير الطبيعية التي خلقها الاستعمار •

ان الوحدة أو الاتحاد قوة ، لانه يحقق تكاملا اقتصاديا وبشريا واجتماعيا وثقافيا وحركة سياسية واحدة • فالامة العربية واجهت تحديات الصهيونية والاستعمار لانها مجزأة لا تستطيع مقاومة الاعداء • ولكنها بالوحدة ستحقق الانتصارات وتطرد الصهيونية والاستعمار ، وبذلك يكون الاستقلال •

ان الموقع الجغرافي والعسكري الذي يتمتع به العالم العربي يجعله محط انظار العالم لانه يصل بين آسيا وافريقيا واوروبا ، كما ان موقعه البحري يجعله على جانب كبير من الاهمية . فلكي تلعب الامة العربية دورها في التاريخ المعاصر ، من الضروري ان تكون في دولة واحدة تضع يدها على جميع المنافذ الاساسية والمواقع الاستراتيجية المهمة .

ان الثروات الاقتصادية من معدنية وحيوانية ونباتية التي يتمتع بها العالم العربي تجعل من امة العرب دولة صناعية بفضل تكامل هذه الثروات واهميتها بالنسبة لاوروبا ، فالوحدة العربية ضرورية لاقامة مجتمع صناعي وزراعي متطور يمسك بيديه عصب الحياة الصناعية في اوروبا بفضل وجود معظم الموارد النفطية واحتياطياته في العالم العربي .

وعلى هذا الاساس تكون الوحدة ضرورة قومية وحضارية وصناعية واقتصادية وسياسية ، انها قوة لكل العرب ، فيها تتجسد ارادتهم التابعة من ارادة الله وفيها يكون للعرب دورهم الخطير في التقدم البشري والسلام العالمي .

أما كيف تكون هذه الوحدة بشكلها العام ، فان الاجابة تكون مستمدة من التجربة العربية وهي انه لا يمكن للوحدة ان تتم الا بتوحيد الفكر والصف والهدف ، لان اختلاف الاقاليم في الفكر معناه عدم الالتقاء على الصعيد القومي الوحدوي . كما ان اختلاف الاهداف يشتت القوى القومية ويفرق الطرق في سيرها ، فيجعل الالتقاء صعبا ومستحيلا . والوحدة لا تقوم ولا يكتب لها البقاء والاستمرار اذا اختلفت الاقاليم في تنظيماتها ونظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لان هذا الاختلاف في دولة الوحدة من شأنه ان يترك الفرصة أمام القوى المعادية لاستغلال عوامل التناقض وتوسيع شقة الخلاف الذي يؤدي الى القضاء على الوحدة . لذلك اكتسب مفهوم الوحدة العربية في عصرنا الحديث مفهوما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وكان لزاما على جميع القوى القومية ان تدرك جيدا ان تحقيق الوحدة لا يتم الا بعد تجريد القوى الرجعية من قوتها ، لان

ترك القوى المرتبطة بالاستعمار تعمل على المسرح السياسي معناه اتاحة الفرصة أمام هذه القوى وغيرها للقضاء على الوحدة . لذا أصبح من مستلزمات العمل القومي ان تتجمع القوى القومية الوجدوية في صف وفي تنظيم واحد يدعم حركة القومية العربية في تحقيق الوحدة ، ولا يدع للقوى المعادية مجالاً للتسلل والعمل ضد القومية العربية العاملة الا بعد ان يتم توحيد الفكر ، لان وحدة الفكر ضرورة عملية لكل ثورة قومية تسعى نحو اقامة الوحدة . ان اختلاف الفكر واقامة التنظيم معناه ايجاد اجنحة فكرية مختلفة متصارعة ، وهذا امر يؤدي حتما الى تفتيت وحدة الصف . ولا يمكن ان تتم الوحدة في ظل الاستعمار والرجعية والاقطاع ورأس المال المستغل ، لان هذه الوحدة ستحقق ماآرب هذه القوى وتتحكم في رقاب الشعب . وبهذا يجب ان تكون الوحدة في ظل حكم ديمقراطي سليم تحققه مبادئ الاشتراكية العربية . وعلى هذا الاساس تكون الوحدة في اطارها الفكري وحدة النظرية القومية الاشتراكية النابعة من تراث الامة وعقيدتها الاسلامية وواقع العالم العربي . وهذه الوحدة الفكرية كفيلة بتحقيق الوحدة السياسية والدستورية . وبناء على ما تقدم نضع الان الخطوات الاساسية في درب القومية لتحقيق الوحدة :

- ١ - التحرر من الاستعمار وانتزاع الاستقلال بالقوة والتضحيات .
- ٢ - تصفية العناصر الرجعية ، لانها بفعل ارتباطها بالاستعمار تحاول حكم البلاد منفذة بذلك ارادة الاسباد .
- ٣ - تصفية رأس المال المستغل وتحديد فعالياته ، لكي نضمن للفرد حريته السياسية والاجتماعية .
- ٤ - قيام التنظيمات الشعبية الوجدوية المؤمنة بالقومية والاشتراكية لصيانة مكاسب الشعب ولتجنب النكسات .
- ٥ - تحقيق وحدة الصف بتلاحم جميع القوى الثورية في الاقاليم العربية بعد تحقيق وحدة فكرية تحدد شكل النظرية القومية الاشتراكية وتخطط طريق الكفاح والبناء .

٦ - توحيد النظم الاقتصادية تبعا لمقتضيات النظرية القومية
الاشتراكية •

٧ - تحقيق الوحدة الدستورية بين الاقاليم ، لان هذه الوحدة تمثل
الجانب التشريعي للوحدة •

٨ - تحقيق الوحدة السياسية بقيام مجلس الامة العربي تبعا
لكثافة السكان في الاقاليم ، لان هذا المجلس يعكس ارادة
التنظيم القومي والشعب العربي وانتخاب السلطة التنفيذية
للامة التي تتولى قيادة الشعب نحو تحقيق الاهداف •

الدكتور ياسين خليل

عضو وفد العراق

الأدب والأشترأكتر

بقلم

مصطفى الفارسي

منذ ما يقارب من ثلاثين سنة وقف أبو القاسم الشابي على عتبة الموت يسائل نفسه والحياة التي نكبته في الكثير ممن يجب وما يجب وكان من تساؤله حيرة وكان من تلك الحيرة ياس *

نحن نمشي وحولنا هذه الاك — وان نمشي ، لكن لأية غاية ؟
نحن نروي حكاية الكون لد — موت ، ولكن ماذا اختتام الرواية ؟

كان للشابي ان يتساءل وكان له ان يحتار في ان يحتار في أمر شعب انهالت عليه الكوارث والصق الاستعمار بظهره أوزارا كأنقل ما تكون الاوزار واهدر الدخيل دماء خير ابنائه في أيام نحس . كان للشابي ان يتأوه وكان له ان يصرخ ، فهو الشاعر المؤمن برسالته ، المؤمن بانحلال القيم في وطنه ما لم يرسل الله اليه بنبي من نوع جديد يوقفه من غفلته ويأخذ بيده ويسير به في طريق النور .

كنا في تونس على عهد الشابي ، كمن كان ينتظر المهدي في لهفة واشتياق ، ويبدو هذا الانتظار وذاك الاشتياق في أكثر من بيت من قصائد شاعرنا العربي المشهور . وقد ذهب الناس في تفسير هذه الأبيات شتى المذاهب وقالوا فيها ما قالوا ولم يتفطن الا القليل الى ما تحويه هذه الصرخات من أمل وايمان يتضاهل أمامها اليأس . وذلك ان الايمان مبدؤه شك وان الشك لا يقعد عن الفعل وان الفعل من شوق الانسان الى الحرية وان

الحرية هدف الانسان الاسمي وان هذا الهدف سهل المنال اذا وجد الايمان .
ومن الايمان بالفعل الى الايمان بتحقيق الاهداف عبرت الطريق الى
الاشتراكية الدستورية فاذا هي هدف ووسيلة للوصول الى ذلك الهدف
في آن واحد . فهي ترمي الى التخفيف من حدة الفوارق بين البشر وتقريب
الشقة بينهم ، وهي في الوقت نفسه وسيلة وطريق للوصول الى الانماء
والازدهار ورفع مستوى الافراد في عمل مشترك يزيدهم التحاما وانسجاما
ويساعد على بعث روح التضحية والحماس والبذل في نفوسهم وهي في
اعتقادنا أقرب وانجى في الظروف الحالية .

وبالنظر لوضعنا التونسية للوصول الى اهدافنا المنشودة باقل ما يمكن
من التكاليف ، وان ما بلغته الجماهير عندنا من نضج ووعي يجعلنا في غنى
عن الالتجاء الى ضروب والضغط والازدهار .

وقد طبعت هذه الطريقة الحياتية الادب التونسي ، فكيف بها ودعا
لها وعمل على تقريبها من النفوس ، فاذا الادب عندنا رسالة ودعوة واذا هو
من الشعب والى الشعب يحدث بانسانيته جديدة يأبه بمرجات الطريق ما
دامت اهدافه ووسائله الموصلة الى تلك الاهداف مستقيمة راسخة في
القلب والعقل على السواء في الفكر والمظاهر في كل وقفه وقعود ، في
انسجام أبيات القصيدة رشاقة العقد الفريد .

وما عبقرية الشابي الا في انسانية شعره وفي تلك الفلسفة الازلية التي
طبعت ذلك الشعر فجعلت منه أبيات يمكن ان نردها في كل عصر . . . في
كل فترة من فترات حياتنا .

كنا نمشي بخطى متعثرة في ظلام الجهل والرجعية وحب الذات
والانانية والتهافت على المناصب والمكاسب وكان المستقبل بعيدا ومن يفكر
فيه قلة . وما كان يدعو الى التفكير في المستقبل ما دام الحاضر سيسم في
وجه المحضوضين منا من أذئاب الاستعمار والرجعية .

وقليل من كان يؤمن بان المستقبل للحرية وانه للاشترائية وان الحق
لمنتصر ، وان القيد لمنكسر .

كان لابد من توعية الجماهير من تعبئة عامة جارفة من سلسلة متصل حلقاتها من بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا . وكان لابد من الكفاح ومن التضحية فدخلنا معركة التحرير بزاد كبير فكان النصر وكانت نخوة الانتصار . ولم يفتنا ان نيل الحرية يسر وان العسر في الحفاظ على الحرية وطيننا دعائم الدولة واعدنا العدة لخوض المعركة الكبرى معركة القضاء على الجهل والفقر والمعرض ، معركة الانسان لاستكمال انسانيته بالعلم بالعمل الدائب بالسير الحثيث في طريق الازدهار والتقدم بالفعل الفاعل في اسمى واجل معانيه بالحركية التي لا تأتي بالاندفاع بالتحمس بالاشتراكية . فاتي الادب مساعدا للسياسة على خلق المجتمع الجديد على دحض آراء المتطرفين وأساطين الركود في آن واحد ليتم لنا الاتزان والانسجام فنغني الشعر بايامنا وخلصت القصة حركيتنا (وسابقت الساق الساق وتهافتت الايادي على تشييد مجتمعنا الجديد هذا .

الادب عندنا تنمة لعوامل الضغط الديموقراطي والنقابي التي دعا اليها الحزب الاشتراكي الدستوري طوال ربع قرن من الكفاح . فهو يدعو الى الحد من الثروة الفاحشة والفقر المدقع وهو يدعو الى الاقتراب فاكثر من العدالة الاجتماعية التي أصبحت هدف القرن العشرين في كل الانظمة بما فيها الرأسمالية نفسها . فأدبنا بهذه الصورة عامل في السياسة ، متفاعل معهد تعتمده ويساندها ، كل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر اذ كلاهما وجهان لحقيقة واحدة شأنهما في ذلك شأن النمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي ، لا يمكن الفصل بينهما وجهان لحقيقة واحدة هي التطور والتوازن . كلاهما يستهدف توفير الاحتياجات ومواجهة الصعوبات التي تواجه الفرد والجماعة خلال تفاعلهم داخل الهياكل المعقدة للمجتمعات السائرة في طريق النمو .

اذا كان للادب وظيفته ، فوظيفته شوق الى الخلق الى البناء الى التجديد الى الاصلاح وكم من فسادورثناه عن العهد البائد يحفزنا للعمل ويدعونا الى التكاتف والاشترك .

عصرنا عصر تخطيط واقناع وادبنا من وحي ذاك التخطيط يحاول

أفناع البشر بضرورة تبديل ما بانفسهم ليبدل الله ما بهم . الثقافة عندنا
معرفة انصهرت فيها ارادة المثقفين في وحدة النضال التاريخي ووحدة الذود
عن الحرية يدعم أسس الدولة عن طريق الاشتراكية ولبناء مجتمع
أفضل ، فنحن نجد القوى الشعبية الحية عن طريق الكلمة المنفصلة بحياة
البشر وآلامهم وآمالهم ذلك ، لاننا نعتقد ان المجتمع ليس مجموعة أفراد
موضوع أحدهم بجانب الآخر كجنود بين أصابع الاطفال والسفهاء ، بل
ان المجتمع شكل من العلاقات الاجتماعية التي تربط الافراد في أرض معينة
فتخضعهم لحياة معينة ومصير واحد ، فهم محكوم عليه بالاشتراكية في
تلك الحياة وذاك المصير مرغمون على التمتع بالحرية التي ينشدها البشر
بطبيعتهم على صعيد واحد يتساوى فيه الفرد بالفرد كما يتساوى ركاب
الطائرة في مسيرتهم من تونس الخضراء الى بغداد الخالدة . وعنا يحاول
البعض افناعي بان مصير ركاب الرتبة الاولى غير مصير الرتبة الثانية فهم في
السماء متساوون في السراء والضراء مقيد مصير الواحد بمصير الآخر في
مركبتهم الفضائية الى حين .

فحاضر الناس وواقعهم المعاشي هو ذلك الشكل من العلاقات
الاجتماعية الذي اشرنا اليه وهو مصيرهم المشترك الذي هم مرغمون على
ان يقرأوا له الف حساب . وهو المستقبل المرتبط بحاضر البشر وارتباطا
مطلقا احبوا ذلك أم كرهوه ، فما من ثانية تمر الا وتقرنا من المستقبل
الذي نحن مسؤولين عنه وما من أدب يمثل المجتمع تمثيلا صادقا الا وقد
اتسع ليمثل صور الحاضر والمستقبل حاضر يعمل الاديب على ابقائه ومستقبل
يعد العدة له ليكتمل نموه وتزداد قوته ومن ذلك انعكاس لعملية التطور التي
لا تقف .

ويلاحظ ذلك في أدب ما بعد الاستقلال ، فهو أكثر طواعية واوسع
شمولا لمحتوى المجتمع الجديد ، وما التجديد فيه الا نتيجة حتمية لتغير
الواقع الاجتماعي ولبروز مفاهيم جديدة لحياة البشر ومصير البشر .
وليس في عزمي ان اتبع تطور المجتمع التونسي ودراسة أدبه في

هذه الكلمة القصيرة ولو شئت ان أحلل كل هذه الفلواهر لما قدرت ، اذ لست ممن يرى الاكثار في المحاضرات رأياً ولا القيم بها أحسن الوسائل لنشر المعرفة واحتكاك الآراء . والغاية هنا ان تناقش في بعض المفاهيم الجوهرية وقلما تأتي المحاضرات بفائدة ذات بال ان لم تراجع فتسمع أو تطبع فتقرأ . ان المحاضرات في كثير من الاحيان مضجرة تضجر المحاضر والمستمع اليه . وما أخال اتنا جئنا الى بغداد للاستماع الى المحاضرات ، واملئ ان يقوم في مكانها مناقشات ومجادلات حول مواضيع معينة تفيد الكل ، ونحن كل مشاكلنا واحدة واهدافنا واحدة ، فما تونس الا اصعب من تلك اليد الممتدة الى الخير والاسعاد والاصلاح وان تباينت الاشكال وتناوت الاقطار اختلفت رسالنا في الوصول الى نفس الغاية وهي النهوض بشعبنا العربي باقلامنا بافئدتنا بعقولنا ومواكبة التطور للالتحاق بركب الشعوب المتقدمة .

فبقدر ما كان الوعي في البلاد العربية متفاوتا في قوته واصلته ومثانة نفسه يعكس الظروف الاجتماعية السائدة ومقدار تهيئتها للانتفاضة ضد الاوضاع الفاسدة كان الادب في بلادنا متفاوتا في القيمة والوجود والاصالة بعكس ظروفنا الاجتماعية والاقتصادية والانسانية بصورة ومقدار التزامنا ووثبتنا الفكرية ضد الركود والجمود . فكلنا يفهم الدور التاريخي المنعقد له ويقدر مسؤولياته أمام ضميره وشعبه ووطنه . وكل ما اتناه ان يصلكم اتاجنا كما وصلنا اتاجكم وان تطلعوا عليه وتراجعوه كما نطلع ونراجع وان تحفظوا من اسماء قادة الفكر عندنا ما حفظنا نحن من اسماء متقدميكم والمحدثين . فبذلك وبذلك فقط يكون لهذه المتلقيات معنى ويتم النفع وتعم الفائدة . لقد برز وجه مصر في كتابات طه حسين وتوفيق الحكيم وابراهيم المازني وهيكمل وابي شادي وشوقي وحافظ ومئات من الشباب المناضل في الادب وبرز في العراق الرصافي والزهاوي والجواهري وغيرهم كثير ، فهل تعلمون ان وجه تونس برز في كتابات الحداد والدوعاجي واحمد خيرالدين والزروقي والريسي المطوي ومحمود المسعدي وفي اشعار الشابي

وكرباتي والنقاش والطاهري بن عاشور ومصطفى بن عاشور ومصطفى
خريف وغير هؤلاء ممن نعرف وتجهلون • ولامجال هنا لتبسيط ما عاينكم
في ابلاغ هذه الرسائل الانسانية اليكم فذلك من صنع الماضي
ومستقبلنا شاء الله للتعارف والتفاح والمكاملة • وانما يؤلمني تباعد
الافطار رغم الكتب السيارة والطائرات النفاثة والاذاعة والتلفزيون •••

مصطفى الفارسي
عضو وفد تونس

الأدب والوحدة العربيّة

بقلم

الدكتورة سربير الشاماري

لم ير العرب في آل عثمان يوم جاؤا مدافعين عن بيت المقدس الا انهم مثلهم مسلمون • فلم يحاولوا أن يقاوموا حكمهم الا يوم انحرفوا عن الاسلام فاستبدوا وبتشوا وتعالوا بطورائيتهم وتركوا بلاد المسلمين نهبا لقوى الاستعمار الغازية • لذلك كانت أول مقاومة لاستبداد الترك وفساد حكمهم باسم الاسلام على يد الوهابيين في القرن الثامن عشر • وكان العرب يحسون عربيتهم واسلامهم في آن متمازجين مختلطين حتى أنه لما جاء ابراهيم بن محمد على أوائل القرن الماضي ليوحد بين مصر وسوريا ويناهض الوهابيين لم يستطع أن يحرز نصرا الا يوم أكد للعرب أنه عربي مثلهم •

وتداخل التعلق الديني في مفهوم العروبة وعسر ميلاد القومية العربية قرنا أو يزيد • لقد كان العثمانيون الدولة المسلمة الوحيدة بين ثماني عشرة دولة مسيحية في أوروبا • وبدأوا في اخر ايامهم يحاربون الروس والبلقان والطلليان • وحاولوا أن يحملوا الامبراطورية من تسلل الانجليز أو الفرنسيين ولكن فرنسا تضع رجلها في مصر ثم تنزح لتثيت نفسها في الجزائر ثم تتدخل باسم حماية استقلال لبنان فتفرده وتوطد انجلترا اقدامها حريبا في مصر بعد ثورة عرابي وتتسلل الى العراق والى الجنوب العربي • وما تكاد نذر الحرب العالمية الاولى التي أطاحت بامبراطورية آل عثمان تظهر حتى وقع العالم العربي كله نهبا لتسللات الاستعمار باسم الحماية والوصاية والانتداب وما شاء الاستعمار من اسماء • وهكذا دخل

آل عثمان أرض العرب فأحاولوا بلاداً متخلفة فريسة للمستعمرين
وجيوشهم •

وابان هذا التحول وفي أواخره خاصة تنبه العرب على الخطر
المحيق بهم فبدأوا عملية التجمع • وتنبه العثمانيون في الوقت نفسه الى
الخطر المحيق بهم فحاولوا تجميع المسلمين • واختلط الامر في الثلث
الاخير من القرن الماضي في المجال الفكري والعقائدي وأحيطت القومية
العربية بضباب كثيف غذته الاحداث فازداد قتاما •

تجمع العرب وظلم آل عثمان وتعاليمهم وموجات التريك تغذى هذا
التجمع ولا تفرق فيه بين مسلم وغير مسلم ولكن تجمع العرب ايضاً
والعثمانيون يخوضون حروباً عثمانية ضد نصارى أوروبا سموها حروباً دينية •
فاذا كثير من العرب يحبون آل عثمان ويكرهون • يسخطون عليهم
• ويميلون اليهم يرون الظلم والاستبداد فينادون بالانفصال نائرين ثم يرون
تحديات الغرب المستعمر فتخف حدة الثورة ، وتؤجل الى حين الرغبة في
الانفصال • وتكرر حروب تركيا حتى أن أول جمعية تألفت للمناداة
بالانفصال عن تركيا اشترطت الا يحارب العرب الا في بلادهم • ولكن
الحوادث تترى واوضاع البلاد العربية تختلف من حيث الصلة بالحكومة
المركزية في الاستانة فاذا الادب يعكس هذا الخضم المتشابك من الاحداث
في صور شتى •

وكان الادب والشعر خاصة أصدق رؤية وأوضح نظرة من حيث
مايجمع العرب ويجعلهم أمة فريدة هي خير أمة اخرجت للناس خيرها في
أنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أي أن خيرها مستمد من قدرتها
على السلوك المثالي • لذلك اصطفها الله فاختار منها خاتم النبيين وخير
المرسلين بل اصطفى لغتها فجعلها وسيلة التعبير عن الوحي المنزل • ولكن
القدرة على التفتح للغير التي كانت مصدر قوة للعرب طوال تاريخهم والتي
منها دخل المسلمون من غير العرب حاكمين في أرضهم تتدخل في علاقة
العرب بآل عثمان فتضعف من شأنهم اذ تطيل عمر تعلق العرب بالعثمانيين
وتمد في رجاء أن يحققوا مصالحهم معهم وبهم ولا يخيب الظن الا بعد

تجارب طويلة عديدة مريرة •

وصور الأدب تعلق مصر بالدولة العثمانية مع الاعتراف بالوحدة العربية بل مع التعلق بالوطنية والاقليمية • لقد نادى عمر مكرم بالانفصال عن تركيا فلم تجد دعوته قبولا ولكن عرابي لما نادى بالجمهورية المصرية في ظل الدولة العثمانية ناصره الشعب كله في قوة اسطورية وتشبث خيالي • ونادى عرابي ومصطفى كامل بحق المصريين في أن يحكموا انفسهم ولكن في ظل آل عثمان ، فتغنى شعراء مصر هذا الوجه من الوطنية والعروبة لأنهم لم يعانون استبداد الترك لانفصالهم عن الامبراطورية عملا ولم يكن يقويهم في حربهم جحافل المستعمرين الا شعورهم الديني الذي يربطهم بأل عثمان رباطا وثيقا. لذلك لم يرث العثمانيين من الشعراء احد قدر ما رثاهم شعراء مصر •

اما الشام الكبير واما العراق فقد أحس استبداد الترك وفوضى حكمهم وتمييزهم العنصري والعائدي ومن هنا نبتت بذور الادب القومي المستقل عن الترك والدين في الشام صافية خالصة وان كانت اiban ظروف معينة تراها تتحد مع مصر في خلط القومية بالولاء الديني او شبه الديني لآل عثمان • وكان دخول فرنسا لتأكيد الكيان اللبناني وحمايته تعدد حرب الستين ١٨٦٠ أول خطوة دامت لفصل بلد عربي عن سلطان آل عثمان تحت راية اجنبية وكان دخول الجيش الانكليزي مصر سنة ١٨٨٢ لتأييد البيت المالك ثاني فصل استعماري لقطر من الاقطار العربية عن الامبراطورية • وكان الاستعمار الفرنسي قد حل في الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ ولكن المغرب العربي لم يكن يعاني من حكم آل عثمان بقدر ما كان يعاني من فوضى الحال وعدم وجود حكومة فعلية • وعانى الادب القومي من عمليات البتر تلك زمانا ولون الوضع صورته باللوان دخيلة ولم يقو الادب القومي في هذه البلاد الا بعد أن زحفت موجات التحرير وخف التغني بالكيانات المستقلة • ولئن ظلت وثائق السياسة تنطق بأثار الكيانات المستقلة حتى أن مساق جامعة الدول يعترف باستقلال الاجزاء ، فان الادب استطاع في سرعة أن يثور على هذه النغمات ويخفتها في تياره القوي الجارف • وهذا لا ينبغي

وجود شذوذ للقاعدة ولكن موجة التحرر وموجة الالتقاء على طريق الوحدة وخاصة بعد ثورة مصر وتحرير الجزائر قضت على هذه النعرات وعلى غيرها ، وبين الانتصار على التفكك انتصار العروبة على الكيانات والطائفية والاقليمية وغيرها وبين الميلاد المضرب في النصف الثاني من القرن الماضي نجد ترانا ضخما للادب يرسم الخطوات واحدة واحدة ، ويقف بمقومات الوحدة يدفعها ويقويها ويقوي العرب بها .

ولقد ألف الذين كتبوا في هذا الموضوع أن يقفوا مع هذا التراث الادبي القومي حادنا حادنا في تاريخه يعدونه ويستعرضون ما ألف من أدب حوله . . منذ تأليف الجمعيات السرية لمقاومة الاستبداد العثماني وقد توج شعار أول جمعية بابيات ابراهيم اليازجي المعروفة الى ان انتهى العرب من تحديد معركتهم مع الاستعمار وخوض غمار اهم خطواتها في انتصار . ولكن تقسيم هذه الفترة الى مرحلتين مرحلة آل عثمان ومرحلة الاستعمار لم يحظ باكثر من الاعتراف به كتقسيم لمرحلة تاريخية .

ولكن مرحلة الادب القومي في مقاومة آل عثمان وابان الحرب العالمية الاولى تسم بخصائص فنية وموضوعية واضحة بينما مرحلة الادب القومي في مقاومة الاستعمار منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى الى فجر التحرير والوحدة تمتاز بدورها بخصائص أخرى فنية وموضوعية مغايرة .

وسنقف بعض هذه الخصائص لاننا لا نملك في هذه العجالة أكثر من مجرد الوقوف وبالبعض . ففي مرحلة الثورة على العثمانيين نجد موضوعات بعينها تسيطر على الشعر خاصة هي بمثابة ارتياد الطريق نحو تحديد مقومات القومية لتكون سبيل وحدة وتجمع . فالعرب يتكلمون لغة واحدة هي أقوى رباط فهي تتعرض لمحنة فيزداد التعلق بها لانها لغة ولا كاللغات لها قداسة ولها تاريخ . بل ان للعرب ايضا تاريخا ويقف مع اللغة هذا المقوم الاخر على استحياء وفي عموم اول الامر . انه ارث مشترك وهو مما يفخر به الجميع بل هو مما يحفز على الثورة ويأبى الضيم والذل . وضروري أن يتحد المسلمون وغير المسلمون لانهم في ظلم آل عثمان

اخوة .

ان فرق الايمان بين جموعنا فلسانا العربي خير موحد •
ويقول الوليد بن طعمة في مهاجره :

عيسى واحمد بلواهما اعتنفا والناطقون بحرف الضاد اخوان
ويقول غيره :

اتباع أحمد والمسيح هوادة ما العهد ان يتنكر الاخوان
مهما يكن من فارق فكلاكما ينمى الى قحطان أو عدنان

ولو تبعنا الشعر الذي قيل في الدفة العربية على انها الرباط الاول
والاسمى والاقوى في القومية العربية لوجدنا هذا الموضوع يعكس بدوره
ما هو به من أحداث حتى الاستعمار الغربي السافر • ففي محاولة الترك
تنريك البلاد بتريك الدواوين والمدارس واهمال أو منع تدريس اللغة العربية
وفي محاولة الاستعمار أن تحل لغته محل لغة البلاد يقف الشعر موقفا صلدا
ضاغطا على عظمة اللغة وجمالها وتفردتها من بين سائر اللغات • لغة القرآن
الكريم ولغة امة حية أكثر من ستة عشر قرنا وفي حياتها الطويلة يتداولها
التعبير الادبي فيزيد جمالها ويشري من طقاتها ، يقول شوقي :

ان الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره في الضاد
ويقول بدوي الجبل :

كل الربوع ربوع العرب لي وطن للضاد ترجع انساب مفرقة
تفنى العصور وتبقى الضاد خالدة
ما بين مبتعد منها ومقترب شجي بحلق غريب الدار معتصب
ويقول غنيم :

وما وحد الجمع مثل اللسان اذا اتحد الفكر في معشر
قد انتظمت امم الضاد طرا فذا كاتب من اعالي الفرات
ولا اتحد الجمع الا غلب بجمع من شمله ما انشعب
فكانت كعقد وكانوا كحبيب وذا من دمشق وذا من حلب
ويقول شفيق جبري :

تضمنا لغة لم يمح رونقها زحف السنين بالآلام وأشجان

لولا قواف بوادي النيل ننشدها في غوطة الشام او في ارز لبنان
لقطعت بيننا الاوهام واضطربت بنا الوسوس في وصل وهجران
بل انه قيل لسعد يوم تزعم مصر :

امدد يديك وصافح كل من نطقوا بالضاد يقبل عليك القوم كلهم
ولما تعرضت اللغة لحملات الاستعمار قال حافظ ابراهيم قصيدته
المعروفة :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي زادت قومي فاحتسبت حياتي
وهكذا يرسم الشعر لهذا المقوم الاول في القومية العربية تاريخا طويلا
هو قصة انتصار العرب في معركة التريك وافناء الاستعمار لشخصية العرب .
ولكن مرحلة الاستبداد التركي تضغط على موضوعات أخرى غير
اللغة والتاريخ فتقارن بين العرب والترک في الحضارة وتشيد بالاحداث
الجارية على اختلافها وتقف من استبداد الترك مواقف أكثرها ضعيف بسبب
تعلق ما يزال بالترك المسلمين .

فانتصار اليابان على الروس يرى على أنه نصر على اعداء تركيا
من جهة وعلى أنه أيضا أمل في نصره الضعيف على القوى اى في انتصار على
تركيا نفسها . فاذا الشعر يمجّد اليابان في قوة لا يبررها الحادث نفسه
ويقفز الاجتماع بالفرحة بنصر اليابان ليضخم الموضوع الى ما يجاوز حقيقته
بكثير . ويأتي اعلان الدستور العثماني بعد ذلك بأربع سنوات ١٩٠٨ مسويا
بين الترك والعرب فيهلل له الشعراء والأدباء لانه يحفظ كرامتهم ويؤاخي
بينهم وبين الترك .

يا آل عثمان من ترك ومن عرب وأي شعب يساوي الترك والعربا
ولم يبق شاعر معروف أو غير معروف لم يهلل للدستور في مصر
والشام والعراق وكأنما أعلنه قد انقذ الحيارى واوجد الحل الذي يجنبهم
اراقة الدماء . ولكن سرعان ما يتنكر حزب الاتحاد فاذا الثورة أشد وأقوى .
وهنا مرحلة الشعر المستنفر الذي يحض على ثورة ويدعو الى جهاد
الانراك . ويتجلى الشعر القومي في اجلى صورة شعر ينضح بالعواطف
الجياشة وبالاباء والعزة العربية ويرسم التاريخ في أبهى صورة وكأنما هو

يقول هذا تاريخكم ايها العرب فكيف ترضون الذل من بعد ، ويساهم الكتاب كالكواكبي في أم القرى وطبائع الاستبداد في هذا التيار ، ويدفق أدب الإصلاح الديني من جديد ويسهم في توضيح وجوب الثورة . وما تكاد تركيا تنقف في الحرب مع الألمان حتى ينقطع آخر خيط يربطها بالوجدان العربي . لم تعد حربها للذود عن الإسلام وإنما هي حروب مصالح وامبراطوريات فلا بد للعرب من أن يستقلوا . وتأتي حادثة ضحايا الطنبيان التركي شهداء العروبة على يد السفاح جمال باشا الذين شنقوا في ساحة دمشق وساحة بيروت فإذا لهيب يتفجر في رثائهم ويمتلئ الشعر ثورة عارمة . وتأتي ثورة الحسين لتلهم الشعراء بدورها ثورة عربية لهذا ابن النبي يفود آمال العرب الى الاستقلال ويلتقى الساخظون على آل عثمان مع الذين كانوا يتعلقون بهم في تيار واحد لا يشد عنهم الاقلة قليلة يعود بعضها فيما بعد الى التيار العام . وتحيا في الشعر صور عربية قديمة وفي الثورة آمال دينية ودنيوية تتحقق ثم يأتي خلف الوعد والخيانة والغدر وفي شعر يقدر اهله الوفاء بالعهد يجد الشعراء خضما من المعاني والاخيلة والصور ويؤلف كل هذا ديوان شعر حول الحسين يؤكد الطابع العربي القديم ويرسم صورة قديمة قد لوتها العواطف العربية بالوان حديثة من الرومانسية .

وبثورة الحسين تنتهي الفترة الاولى لهذا الشعر وأهم خصائصها الى جانب لصوقها بالموضوعات الحية انها استطاعت في جزالة عربية وبمزيج من غنائية العرب ورومانسية الغرب ان تجمع القوم حول فكرة الكيان الواحد وان تلهب الشعور والوجدان حول مميزات هذا الكيان ووجوب الثورة من أجل استرداد العرب لمكانتهم . انها في تاريخ القومية العربية تمثل حركة استطاعت أن تستنفر الناس وان تثور على ظلم آل عثمان وان ترد على تعصبهم بتعصب أقوى واسمى وان تحافظ على كيان الامة بالمحافظة على لغتها ودينها وتراثها وان تستنقد من العبودية عزمها لتنتقل بآمالها .

وما تكاد الامة العربية تستبدل آل عثمان بالاستعمار الغربي حتى يتدفق الشعور في تيار جارف واضح لا شبهة فيه ولا مهادنة . واخذ الأدب يعلو فوق التقسيمات الجغرافية التي اصطنعها الاستعمار ليتعاقب العرب في كل مكان حول أدبهم وشعرهم خاصة . فما تكاد تحدث ثورة هنا أو هناك

الا الهبت حماس الناطقين بالضاد وبدأت الدائرة العربية تفتح لتضم العرب في شمال أفريقيا عبر مصر بل أصبح أدب المهجرين الشمالي والجنوبي جزءاً لا يتجزأ من أدب الأمة العربية الحديثة ترن أصداً أحداث الأمة عبر المحيط لتتلق الياس فرحات وسليم الخوري وزكي ففضل وابو الفضل الوليد في الجنوب وايليا ابو ماضي ورشيد ايوب وجبران ونعيمة في الشمال . وفي سان بلولو مثلاً يقيم العرب لكل حادثة اجتماعاً وسوق شعر يقيمون حفل تأبين لسعد زغلول وفي مناسبات النكبة والجزائرية والسويس والوحدة بل يقيمون اخيراً حفلاً ابتهاجاً بنصرة اليمن يقول فيها الياس فرحات :

تعالى زئير اسود اليمن فرج السفوح وهز الفنن
الأمة العربية من الخليج الى المحيط ليكون ديواناً واحداً وأدباً واحداً .
وبرزت في هذه الفترة الكيانات الداخلية وحاول الاستعمار أن يشجعها لتكون عامل فرقة بين العرب . فنيقية لبنان وفرعونية مصر وبابلية العراق تطفو على السطح وتلهم الشعراء قصائد ودواوين أحياناً ولكن ماتكاد مؤامرات الصهيونية تتخذ شكلاً منذراً باخطارها قبيل الحرب العالمية الثانية حتى تخف كل هذه النعرات الطائفية لتختفي حيناً ثم تظهر بعد التحرير وقد ذابت في الكيان العربي الموحد تقوية وثبتت أركانه .

وما تكاد النكبة الفلسطينية تقع حتى يبدأ الأدب مرحلة جديدة المغايرة للمراحل السابقة فيها الرؤية الواضحة المحددة التي تؤكد حدود العروبة من الخليج الى المحيط أمة واحدة وجسداً واحداً . ويخفت التيار الرومانسي إزاء الاستعمار الذي ظهر في الثورات الأولى منذ ثورة مصر ١٩١٩ الى أن وضع الأمر امام نكبة فلسطين . ان الاستعمار ما كان يمكن أن تثبت له قدم في أرض الأمة العربية الا لان حكم العثمانية قد خلفها منهوكة مفككة . فسرعان ما استطاع الاستعمار ان يجد أعواناً من الحكام فتحالف الاستعمار والحكام على محاربة التيار القومي . ودقت اجراس الخطر رهية حزينة في مأساة الأرض السلية . ولئن تكن الاسكندرونة التي بكأها الشاعر الحلبي سليمان العيسى في أكثر من قصيدة لم تحرك شعراء العروبة قاطبة فان مأساة فلسطين السلية قد كشفت عن العيون الغطاء

وإذا مسرحية لم تتم فصولا ، زاخرة بالموضوعات والمواقف تبهر الشعراء
فيخرج فيض يواكب النكبة فصلا فصلا • يخرج شعر ابراهيم طوقان
عاطفيا حزينا مستنفرا للجهاد عارضا صورة الحكام الدجالين مصورا
الفدائيين باكيا انه ليس منهم • ووسط هذا الشعر وغيره تنجبه الثورة
العاطفية الى الواقع لترسم صورة هذا الوطن الذي يتحرق الشاعر شوقا
الى العودة اليه • ويأتي عبدالرحيم محمود من طبقات الشعب الدنيا ليستشهد
بعد أن يقول :

سأحمل روحي على راحتي والقي بها في مهاوى الردى
فأما حياة تـسر الصديق وأما مـاة يغيظ العـدا
وابو سلمى صاحب القصيدة المعروفة :

ايه ملوك العرب لا كتتم ملوكا في الوجود
والتي يذكر فيها ملوك العرب ملكا ملكا ويفضح موقفهم في حرب
فلسطين :

قالوا الملوك وانهم لا يملكون سوى الهيـد
ويقول خليل زقطان في نفس المعنى :

جيوش السبعة الاصفار كل تراجع حاملا غار القيود
وانجلت المعركة عن وضوح بُعد جديد للمعركة واضح محدد حكام
خائون • ولكنها انجلت ايضا عن لاجئين يؤسهم يبرع يوسف الخطيب في
وصفه وحينهم الى أرضهم تبرع فدوى طوقان في تصويره وتطلعهم الى النار
والعودة يصفه هارون وعلي هاشم رشيد وغيرهما في كل قطر عربي •

ومن النكبة بتفجر الشعر الواقعي الجديد يحكى القصة السودا •
وهذه ابيات الخطاب وقد أدركته النكبة وهو ابن سبعة عشر عاما :

انا مشعل انا مارد جبار لا الريح تخمدني ولا الاعصار
لو شئت جمعت النجوم مشاعلا ودفقت منها الموت حين اثار
ثم يعود فيرى حاله ويثور :

يا انا يا سلعة هينة للمشتريين

يا انا يا قدحا في سهرات المترفين

يا انا يا شمعة تحرق ليل الكادحين

في ضلوعي اي اعصار من الحقد دفين

حتى يسرف فيقول :

أصلى ؟ لمن تكون صلاتي لاجيء ليس لي هشيم حياة

ليس لي شفرة تضم رفاتي

ويرد عليه شاعر القاهرة محمد بدرالدين :

هي نكبتى فالقدس كانت قبائلي ان لم أكن فيها ففيها أمتي

واللاجئون من الضحايا اخوتي يوما سأكتب في تراها قصتي

بدمي وانسف قيدها بعزيمتي

فاذا صرعت اخي فوسدني هناك انا من هنا لكن روحي من هناك

ويرى الاديب العربي في وهج لهيب المعركة قضية الالتزام في الادب

واذا كل شاعر يسهم في تصوير المعركة حتى شعراء الغزل الرقيقين حتى نزار

قباني يكتب للصغار قصة راشيل تاجر الاعراض وكيف حلت محل امه

واخته الشهيديتين في عزة المؤمنين وكرامة للعرب .

وفي هذا الضوء يرى العرب أسباب التخلف ويرون العدل الاسلامي

في ثوب عصري جديد . وتبدأ نداءات الثورة على النظام الطبقي تفتح

العيون على ركائز الاستعمار وفساد الحكام وبؤس الفقراء وتعطيل طاقات

الشعب تحت وطأة الامتيازات الطبقيّة . واذا نعمة الاصلاح عند الشعراء

القدمى مثل حافظ ابراهيم والزهاوي تأخذ عند شعراءها بعد النكبة أمثال

بحر العلوم والجواهري والراوي لونا داميا حاقدا نائرا حتى يخرج الشعر

عن اطار الدين واطار القومية العربية .

وحول النكبة يبدأ القصص المتنم قصص تصور النكبة وهولها

وأخرى تصور البطولات ويؤلف عيسى الناعوري طريق الشوك وعائد من

الميدان ويؤلف أمين فارس ملحس وحليم بركات وبديع حقي وجبرا

ابراهيم جبرا وسميرة عزام وغيرهم كثيرون وفي مجموعات قصصهم اطوار

المأساة رناء وبكاء واستفازا وهولا ونذيرا وتطلعا واخيرا ثورة على تجسيد

الوقف ثورة على الاعالة والاعانة والخيام والتشريد . وفي مجموعة سميرة

عزام الاخيرة الانسان والساعة قصة « لأنه يحبهم » قصة عن سف مخازن

الدقيق لانها تنيم القضية .

وتأتي ثورة مصر مبشرة بفجر وتأتي حرب السويس لتقوي تيار
الواقعية . ان العرب قد تضافروا فعلا وكسبوا حربا مع الاستعمار وقال
الزعيم العربي جمال للمستعمر « لا » مجلجلة قوية وانتصر العرب وجاء
بعد النصر انتصارات الاخوة في الجزائر استقلوا واذا بلد المليون ونصف
مليون شهيد تبرز في الشعر والادب لتصور البطولات بطولات الشعب بطولة
جميلة التي تغنى بها الشعر في مصر والشام والعراق والى الادباء حولها
شعرا ونثرا ومسرحا واوبرا . ولكن أروع ما نقرأ في حرب الجزائر صورة
مأساة الشعب الذي تحالفت قوى الاستعمار قرنا ونصف قرن على ابادته
شخصيته كما يصورها الجزائريون انفسهم بالفرنسية ، باللغة التي يعانون
منها مأساة الغربة كما يصفها شاعرهم مالك حداد . ان للجزائريين تجربة
فريدة وصورتها من الرافد التي يجب أن تغذي القومية العربية لتشجذ
الهمم نحو تحقيق كيان الامة العربية متوحدا قويا حتي تنتهي هذه الصور
البائسة المريرة الذليلة للانسان العربي . هذا محمد ديب يصف الذين نزع
الاستعمار منهم ارضهم في ريف تلمسان وتركهم دون عمل نهب الفقروهم
يزحفون الى المدينة .

« لم يعد اي حائل يحول دون زحفهم المتلاحق الذي أوصل جحافلهم
الى الاحياء النظيفة الاسواق التجارية واقسام المدينة الشريفة حيث بيوت
الاوروبيين التي تعكس انوارها في الليل الحياة الهائثة . يهيمنون دون هدف
وكثر عدد الموتى بينهم . كم من مسكين لفظ نفسه الاخير دون دمدمة
وكان الموت يفاجئهم بعضهم وهو يزحف دون وعي نحو مخبأ مجهول ثم
يفيون عن الانظار . ان هؤلاء الناس كانوا يودعون الدنيا في تحشم مثالي
وكانهم بذلك يعتذرون عن موتهم » .

ويصور ادريس الشرايبي بؤس العمال الجزائريين في مصانع فرنسا
كالعيد في رواية « التيوس » ويصور مولود المامري بؤس الشباب الذي
يساق الى حرب لا ناقة له فيها ولا جمل لتسمن فرنسا . ويصيح الشاب
انا جزائري ولكن الجزائر كلها سجن كبير رهيب . وكاتب ياسين ومالك
الوادى ومولود فرعون ومالك حداد لتقد صور كل هؤلاء المأساة العربية
المشتركة مأساة الاستنزاف الاستعماري لطاقات العرب وشن حرب الابادة

عليهم وتحالف الاستعمار مع الطغاة والرجعيين للقضاء على عروبة الشعب العربي حتى بات الجزائري يسأل ما الوطن ؟ وما لغتي ؟
وما تكاد الجزائر تتحرر حتى تمد يدها الى العرب لتسير مع اخوتها في الركب الصاعد نحو الوحدة .

ويوحد العرب سياستهم الخارجية في الحياد الايجابي وعدم الانحياز وتحرر اليمن بفضل المبادرة بالمساعدة التي تأتيها في سرعة وفي سخاء وتدخل الامة العربية بذلك طورا يأخذ من تجربة الوحدة وانفصالها درس ضرورة التخطيط . وفي السنوات الست التي مضت زخرت المكتبة العربية بروافد ضخمة من الدراسات المفصلة سياسية واقتصادية كلها تكشف عن وجه الاستعمار في وضوح . ان الاستعمار ما يزال يلعب ادورا خطيرة في الخليج وفي الجنوب ، وما يزال يلعب دورا خطيرا في السياسة وفي الاقتصاد اذا ما عجز على لعب دوره حريبا . وكل هذه الدراسات تفتح أمام الادباء آفاقا على الحقيقة الكبرى حقيقة الامة العربية التي كانت وستظل ابدا امة واحدة تجاهد لتحرير كل شبر من ارضها وفي الوقت نفسه تجاهد لتبني في سنوات وتمحو ما فرضه عليها الاستعمار من تخلف عشرات السنين .

ويتطلع الادباء الى هذه الآفاق الواسعة الى دور الامة الواحدة وقد اطلقت طاقاتها الحرة لتؤدي مرة أخرى رسالتها الفريدة في تقدم الانسانية فيؤلفون بوحى من هذا شعرا ونثرا ولكن هذه الآفاق لا تشغلها عن تصوير الواقع القريب . لهذا الاتجاه الواقعي الذي فرضته النكبة ما يزال سائدا يصور الواقع الداخلي لكل قطر ويحدد مراحل البناء ويركز بطبيعة الحال على هذا الفرد العربي اينما يكون على الارض العربية ليعرف ماذا هو والى اين يسير . لقد فتح الفرد العربي نوافذ الثقافة كلها وعلى مصراعها وراح ينهل بينهم من قد حرم طويلا فأحس كيانه احساسا جديدا ويرى في نفسه صفات الانسان العربي القديم بكل ما فيها من طاقة وقوة مذكورة اياه باجداده الذين فتحوا ليعمروا ولينشروا السلم والامن والحضارة والرخاء وفتحوا قلوبهم وعقولهم للانسانية كلها دون تعصب أو تحزب ليلفوا أقدس رسالة وليحيوا وليجيا معهم الجميع دون تمييز أرفع المثل الانسانية واسماها .

الدكتورة سهير القلماوي

عضو وفد المتحدة

ادب الوحدة

بقلم

فهد السائب

دعوة الى البحث (١)

يجب عليّ القول في مستهل الكلام ، ان الموضوع المقترح للبحث ، أمام المؤتمر الخامس للادباء العرب ، تحت عنوان (الادب والوحدة) ، لا يمكن ان يستوفى بمحاضرة أو حديث ، ضمن تقاليد المحاضرات والاحاديث المعهودة ، مهما بذل واضعو العنوان من مجهود توضيحي ، لتقسيم العنوان الى فروع ، يبقى الواحد منها ملازماً للآخر ، لا ينفع معه تقسيم وتفريع . وأولى بي ان اسارع الى الايضاح بانني عندما اخترت الموضوع ، عزمت على ان يكون سهمي فيه ، دعوة الى البحث ، لا بحثاً ، ولا محاولة لا معالجة . ولعل هذا ، يصلح مدخلاً للتعرف الى جلال الموضوع وقدره .

وعندما مضيت في التخطيط لهذه المحاولة ادركت انني في جانب النقد ، أكثر ما أكون في جانب العرض . وان البحث لجدير بان يتجه نحو : (كيف يجب أن يكون أدب الوحدة) بدلاً من ان يكون (كيف كان الادب في الوحدة) . وان يكن لا بد للباحث من ان يجيب عن السؤال الثاني ، ليتيسر له بالحق ، أن يعالج السؤال الاول - فلا بد في الوقت نفسه ، أن يبادر الى طرح سؤال طالما فرضه الاجاب ، من زائرين وباحثين ، ورجال أدب ، واصحاب فضول : (ماذا لديكم من أدب الوحدة ؟!) وماذا تصحون لنا أن لنا أن نقرأ ، لنفهم حقيقة الوحدة اجتماعياً ، وثقافياً واقتصادياً ، وبشرياً . . . ماذا اعددتم وماذا يجب ان تعدوا . الخ . .

(١) قدم لمؤتمر الادباء العرب الخامس المنعقد ، في بغداد شباط - ١٩٦٥ .

وفي كل مرة ، كنا نجيب عن الاسئلة بالصمت أو كانت أجوبتنا ماثرا
لاسئلة ، تضاف الى اسئلة •

وغالبا ما يعني الاوروبي بكلمة أدب ، في موضوع ما ، كل ما هو
مطبوع من علم فيه واعلام ، فلا يقصر لفظ الادب على الشعر والنثر الفني ،
مادة لعلمه وتعليمه • وعندما أشرت مرة على مستشرق اوروبي ، هو
بالواقع شاب طالب استشراف ، بقراءة مجموعة من كتب في الشعر القومي ،
أعرض عن اشارتي ، بقول الخصة مع الحوار فيه بما يلي :

١ - الاتزالون في مرحلة قراءة الشعر لفهم ادب الحدث؟!

٢ - ان الشعر الوجداني القومي هو لكم وحدكم تطربون له
وتقومون وتعدون ، ولا تستطيعون ان تزعموا انه لنا مثلما هو لكم ، لبن
وخمر ••

٣ - كان الشعر ديوانكم فيما سلف لكم من ايام • فو نشيدكم
الحماسي ، وصحافتكم السياسية ، يوم لم يكن لكم اذاعة دائرة وصحافة
سائرة • واليوم وقد تنوعت الاداب ، واغنتت بالعلوم ، واصبح الادب ، كما
شاء ، وكان عليه ادباؤكم المعلمون الاوائل ، اخذا من كل شيء بطرف ،
علما بالفقه واللغة ، وعلما بنجوم السماء ، وبلدان الارض ، واخبار الاولين
واحوال البشر ، فلا أقل من ان يتخفف الشعر من طموحاته التقليدية
لتستطيع فنون النثر ان تتولى باساليها الواسعة ويحفظونها المتفاوتة من
الافصاح والافهام والابلاغ ، ترجمه مثلكم ، وتحليل واقعكم ، واعادة
تدريس تاريخكم ، والتعريف برسائلكم •

قد يبدو ان هذا المدخل الى محاولة البحث في أدب الوحدة ، نقدا
للشعر العربي ، وصدا عنه • والحق انني لا احط له من قدر ، فيما نقلته
من نظر اجنبي الى عربي بل أميل بالعكس الى التأكيد ان الشعر في مرحلة
من مراحل وعينا الثقافي ، والى ان يفتح الله علينا فنون الكلام ، هو منبرنا ،
وندوتنا ، وافصح مبشر ومنذر ، ومذكر باحياتنا وامواتنا •••

فاذا جنحت الى قول فيه نقد وتعريض ، فليس لانني انتقص من قدر
هذه الثروة القومية ، بل لانظر اليها بالعين التي ينظر بها مراقبونا ودارسو

أيامنا ، من كوكب غير كوكبنا ، وعصر غير عصرنا •• من اجانب اصدقاء
أو خصوم الداء • ولخير لنا أن نرى أنفسنا في أعينهم ، فتبلا ، من ان نظل
نرى أنفسنا في عين أنفسنا ، جذعا عظيما • وانهم على حق اذ يستاءلون عما
بين ايدينا من عتاد ثقافي يليق بطموحنا ، ويرافق خروجنا ويدل على انفتاح
آفاقنا وزوال اوهامنا ومخافنا ، وهل نحن في المعركة ، نحمل سلاح المعركة؟!
تعيش الامة العربية ظرفا تاريخيا ، رميت فيه بالتحدي في أوامه أو
قبل اوامه ، فقبلته ، وكان لا بد ان تقبله ، تحت طائلة الهزيمة والقبول بها •
وخرجت الى الى ساحة التحدي لا لتقابل عدوا واحدا ، مسمى موصوفا ،
بل حالة عداء غامرة محيطية ، ليس لها رسم واحد أو وجه واحد ، لانها
مجموعة الاقنعة التي تحيط بها ، والاصوات الخفية التي تناديها والحراب
المشروعة التي تزرع سياج طريقها ، والاوهام التي تراقص في الظلال ،
والسراب الذي يخادع في الاضواء ، ولس الاستعمار نفسه في هذه الاجواء
التي تقابل الخارجين اليها ، سوى الخضراء في طين السموم ، أو العقبان التي
تحوم فوق روائح الدماء •

في معركة التحدي التي تخوضها أمتنا ، مع حالة العداء الغامرة التي
وصفنا ، ليس عليها ان تحارب أعداءها الاقوياء فحسب ، ممن يمثلون
العنصر الاجنبي السافر ، فيما هي مقبلة عليه من هول التجربة والمعركة ،
بل عليها في الوقت نفسه ان تتعلم ممن تحاربهم كيف يحاربون ، فتقبل عليهم
وهي تاجزهم ، وتقبل سلاحهم بينما هي تحطمه في أيديهم • وان يكن
هذا التناقض العجيب ، عبئا قاصما ، لا تطبيقه ظهور الجبناء ، فهو قدر الذين
يستجيبون للتحدي ويخرجون الى لقاءه • انه ناموس تاريخي أن تتفاعل
الحضارات وتتلاقح ، سلما وحربا • ويأخذ مستجد من مستقر ، بالحسنى
أو بالقسر • وليس التلاقح دائما فعل تلاق ومحنة ، اكثر ما هو فعل كسب
وقسر • وسواء أكانت المعركة بالمطاوله أو بالمناجزة بين مستقر ومستجد
باصطلاح ابن خلدون - فلا بد من ان يستعمل المستجد سلاح خصمه ،
وابقى السلاح وافعله ليس الحديد والقوة ، بل سلاح الثقافة ، قبل كل
سلاح من اجل هذا - يؤكد المؤرخ توينبي - نجحت روسيا بدءا من بطرس

الكبير في خوض معركة التحدى مع اوروبه مستعملة حديدها وثقافتها ،
بينما رسبت الدولة العثمانية على هامش المعركة ، برغم انها استعملت حديد
الخصم ، ولبست بزته العسكرية ، دون أن تبلغ من ثقافته شأواً بعيداً أو
قريباً .

ولنحذر من الوقوع في التوهم بان استعمال السلاح الثقافي في معركة
التحدى ، يؤخذ من ترسانة الغير ، انما يعني التماثل الثقافي لزاماً بين
الآخذ والمأخوذ عنه كتماثل الاصل والنسخة بل ان المستجد غالباً ما يميل
الى توكيد ذاته بتخطي ثقافة خصمه ، ثم بتمثلها في حياته الذاتية ، قوة
دافعة ، تتخذ لها مجرى جديداً ، يكاد يقطع الصلة بينايعه .

وليس الا ان نلقي نظرة متأمله على المجتمع الروسي لئرى كيف
تقبل الحضارة الصناعية ، والمثالية الاوروبية معا ، وكيف خرج منهما بثقافة
ترسل التحدى ، بدلا من ان تستقبله . ونظرة مقابلة على المجتمع الياباني
أيضا ، لنعلم كيف تمثل الحضارة الصناعية ، واتخذها سلاحاً ، بينما
استطاع ان يوازن بين تقاليد وعصريته موازنة بارعة الحركة والنشاط
والاستمرار .

ان تجارب الشعوب أماننا حافلة بالدروس التي يجب الا تخفي علينا،
والا نجهلها أو نتجاهلها ، تحت اى ظن من الظنون او زعم من المزاعم .
وان من شأن تفتحنا على الحركة الكونية التي أغلق علينا دونها ، خلال
حقب طويلة من جاهلية عثمانية جهلاء ، ان يؤدى بنا حتما الى طرح سؤال
اولي بين شتى ما يعرض لنا من اسئلة . على اى اسس تكون الثقافة العربية
في تماسها وصراعها مع الحضارة السائدة . وما هي مقاييس ما يجب ان
نأخذ ان نطرح ؟! والسؤال كما نعلم ، مطروح مفروق ، ولكن الاجوبة
عليه ، كما نعلم ايضاً ، أجوبة اعتباطية مرتجلة ، تتأرجح بين العvisية للسلفية
من طرف والتحررية المستهتره بالقيم الموروثة من طرف آخر . وان يكن
ليس في نيتي او طموحي أن اجيب على السؤال الكبير ، فلا اقل من يطرح
السؤال ويعاد طرحه . اذ كثيراً ما انفرج الجواب ، عبر اسلوب طرح
السؤال !!

بل بوسع الامة العربية ، أن تفيد حتى من تجارب الشعوب الصغيرة المتخلفة عنها كالشعوب الاسيوية والافريقية ، التي شبت على الطوق منذ عهد قريب ، وظفرت باستقلالها الوطنية على مستويات متفاوتة من الجدارات والكفاءات ، لان هذه الشعوب على ضحالة مياها الثقافية قد استطاعت خلال عشر سنوات أو أقل ان ترسي قواعد تحررها الثقافي ، بله السياسي ، على اسس نظرية وعملية من صفاء الفكر وحسن التدبير . ولقد قيل ان نجاح هذه المجتمعات الفتية ، في التعرف الى طريقها مبكرة ، يعود الى الوعي الثقافي الذي تتميز به قيادات نضالية ، نشأت مع الشعب وولدة في حضنه ، بالاضافة الى أن الحركة النضالية بالذات ، عبر أدوار المجادلة والاتحام مع الاجنبي اجرت تيارات اجتماعية ثقافية في حياة المجتمع ، بما يعده فعلا لمستوى المعركة ، وضرورتها ، وهذا هو رأى الدكتور فانون ، في ثورة الجزائر . كذلك يعزى نجاح بعض هذه المجتمعات الناشئة ، في اكتساب ثورتها طابعا ايجابيا ، انها مجتمعات غير ذات جذور عميقة في الارض ، وغير ذات اعباء من التراث العريق ، تنوء بحملها ، لان اصحاب الجذور لا يمشون الا باقتلاع الخطى اقتلاعا ، واصحاب الاعباء من الامجاد ، كثيرا ما ينهظهم امجادهم ، وتتغر خطاهم وهم اكثر اهل السرعة ، حاجة الى السرعة .

انا ان نضع الوحدة العربية ، وهي الهدف القريب من اهداف الامة في حركة التحدى ، على ما وصفنا ، فلكي نقدرها بجميع ابعادها في كوننا معركة وثقافة . اى انها رفض وقبول ، ودفع وجذب في آن واحد . ان قبولها شروط المعركة يفرضها الخضم القوي ، لا يعني هزيمة لها ، بل يعني انها قد وعت حجم المعركة ، فتعد لها ما استطاعت . ومثلما ان المعركة حشد آلي وبشرى ، وحصار هندسي ، ورصد نفسي ، كذلك فهي تعبئة اقتصادية ، وتنظيم اجتماعي وسياسي . وما من شىء قديم اتقنه الانسان بالممارسة العملية ، وغذاء بتقنيات التقدم ، كفن المعركة . وليس الا ان نعلم بان غزو النجوم في افلاكها غدا مجرد مناورة لتجربة طاقات الغزو في مجالات الارض ، حتى ندرك اى مدى بلغه فن المعركة بعلمه

الالية وانفسية والاجتماعية • والمعارك في التاريخ مثلما وطنت الخراب
ونقلت الاويثة ، وطنت الخبرات والتجارب ، ونقلت العلوم والفنون •
ان فرض شروط المعركة من أعلى الى ادنى ، لايعني اتقان فنون
التعارك فحسب ، بل التوضع في مستوى المعركة ومعناها ، وعصرها ، وهذا
هو الالم فيها كمنعنى ثقافى • فالكتاب الفرنسى من أصل افريقيى - الدكتور
فانون - يرى فى ثورة الجزائر غنما ثقافيا كبيرا لاهل الجزائر ، من
بعض مظاهره ان المرأة المحافظة ، خرجت الى المعركة ، وكان لزاما عليها
ان أن تطرح حجابها تحت الظرف والحركة ، ففعلت ومارست عملها
النضالى ، وشعرت بقيمة ممارستها ، كما شعر الرجل المناضل بجانبها •
وايقن الاثنان من بعد ان المشاركة ليست من فروض المعركة فحسب ، بل
من فروض العصر وثقافته الاساسية ايضا •

يبقى ان المجتمعات المحاربة ، تقبل شروط المعارك ، بردود فعل
مختلفة متفاوتة • فاذا قبلتها ، فانا لا بد مدركة سلفا انها مغايرة لتقاليد
القوم ، وتربيتهم ولنوع من راحة نفسية يالفونها • واذا رفضتها ، وهى
تؤلف بمجموعها ثقافة المستوى والضرورة ، كان ذلك امعانا من القوم فى
جاهلية ليس يبروها مبرر • انما الجاهلية كما رجمناها ، نحن العرب ،
غرور وعناد ، الى جهل واسراف ، ليس يجملها تفاخر ولا غلو ، ولا بيان
فنى جميل فى مثل هذا القول القروسى الفحولى الرنان ، للشاعر الجاهلى
عمرو بن كلثوم :

اذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا ...

بل يقرعها ويصغر من شأنها قول بكرى فى التغالبة :

ألهى بنى تغلب عن جل امرهم قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسؤوم

نعود الى تلازم المعركة والثقافة ، في حركة الامة العربية نحو الوحدة ،
لنذكر ان الثقافة ، مثلما هي عمل بناء ، يرص لبنة فوق لبنة ، وراء النصر
السياسي ، ويحفظه من التبثر والضياع من جهة ، ثم ليؤمن له سلامة
حركته واتصاله ، كما يقال باللغة الحصارية ، من جهة أخرى - كذلك فان
الثقافة بمعنى الخطاب ، والتعبير ، هي البلاغة المكتسبة من فهم أحوال
الزمان والمكان ، لتقوم بدورها المزدوج : الفني والاجتماعي .

بهذا الجانب من معنى الثقافة ، لا نخرج عن دستورنا العربي العريق
في فهم البلاغة ، كما قرره لنا معلمونا الاوائل ، وفي مقدمتهم الجاحظ .
اذ لم يحددوا البلاغة على انها لفظ ومعنى فحسب ، بل هي كما قالوا (انطباق
اقدار الكلام على اقدار المعاني ، واقدار ، على اقدار السامعين وحالاتهم) .
وهو ما يعبر عنه عادة بجملة (لكل مقام مقال) أو مطابقة الكلام لمقتضى
الحال) . والرقعة ، واجتباء اللفظ والمعنى فحسب ، بل هو الى ذلك ،
خطاب موجه الى نوعية المستمع ، وحالته النفسية ، وظرفه التاريخي . وما
لم يأخذ التعبير الادبي بهذا الدستور لا يعدو كونه ارسالا في الهواء أو
جمجمة تلتهمها اصداؤها .

* * *

مقارنة مؤجلة

رغبة في اختصار حجم البحث ، حذقت في هذا المكان ، دراسة مقارنة ،
بين قصيدتين مشهورتين في الجاهلية ، لكل من عمرو بن كلثوم (ألا هبي
بصحنك واصبحينا) تمثل الجاهلية بكل تفاخرها وتكبرها ، وهياجها العصبي
القبلي ، وعدوانيتها السلبية ، وقصيدة بن حنزة ، تمثل العقل والحكمة
مع علم بأحوال البشر ، والتاريخ ، والنفس الانسانية ، وحرص على القيم
كالحق والعدل والامانة والوفاء ، ضد الجهل والغرور ، والظلم والغدر
والنكث بالعهود . ومعلوم ان القصيدتين القيتا أمام ملك المناذرة عمر بن

هند في حادثة احتكام قبيلتي عمر بن كلثوم ، وابن حلزة الى الملك ،
فلما اطلع على القصيدتين اتارته الاولى ، واقنعه الثانية ، فحكم لبني
بكر ، على بني تغلب . وتوصف قصيدة ابن حلزة الهادئة ، بانها أدب
نموذجي في مطابقة الكلام لمقتضى الحال) اى قد تمثلت فيها ثقافة المعركة ،
في مستواها وضرورتها ، وبلاعه القول في معنى ان البلاغة ، ابلاغ المعنى الى
الموجه اليه ، بقسط من الفصاحة المناسبة لمستواه .

(يقع القسم المحذوف من البحث ، في حوالى صفحتين من ورق الآلة
النسخة - المؤلف -) .

* * *

سنحاول ، فيما بعد ، ان نتحدث بايجاز عن نوع الثقافة التي يجب ان
تلازم نضال الامة العربية ، في سبيلها الى الوحدة . ونطرح السؤال : هل
وجدت تباشير هذه الثقافة في تاريخنا الحديث ، وهل لها في تاريخنا التليد
جدور؟! وهما سؤالان ، يؤلف الجواب عليهما بحثين كبيرين ، من بحوث
ادب الوحدة ، اقترحها على نفسي ، وعلى من يعني بمثل هذا الموضوع
من الباحثين ودارسي التاريخ .

وقبل ذلك ، علينا ان نعود الى منطلق الحديث حيث نقلنا رغبة طالب
الاستشراق ، في أن نصله بادب عقلي علمي ، يرافق نضال العرب ، لتوكيد
حريتهم بوحدتهم ، على أساس اننا تجاوزنا حول اعتبار الوحدة قوة
ثورية ، لا تمنح الحرية ، جميع العرب ، فحسب ، بل توسع لهم منها بالقدر
العزير ، الذي يتيح لهم ، تفتيح جميع طاقاتهم وتحشيد جميع مواهبهم ،
من اجل غاية تتخطى الوحدة والحرية ، الى ازدهار المجتمع ، وسعادة
الانسان العربي فيه . ويعني ذلك ان الحرية والوحدة ، غير مقصورتين على
جانب النضال السياسي ولا تقومان الا في الحدود المرحلية من الهدف الابدع ،
وهو الانسان العربي في مجتمعه الافضل . وبمثل هذا ترتبط ثقافتنا
ونضالنا ارتباطا قوميا ، بالمجهود الانساني المشترك ، وبقيمه الخالدة .

قلنا ان الشاب الاوروي ، طالب الاستشراق ، اعترض على ان تكون

دراسات في الشعر العربي ، مراجع له في تقصيه أدب الوحدة ، مشيرا الى ان عددا غير قليل من الاجاب طفق يدرس نوعية المجتمع العربي في طريقه الى لم شعته واجزائه ، واكتشاف شخصيته وتحليلها . وأشار علي بكتاب تحت عنوان (العالم العربي) للمؤلف الامريكى (مورو برجر) ، فبادرت الى اقتنائه كما ذكرنا معا كتاب المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) : (العرب بين الامس واليوم) ، علي انه محاولة جريئة ؛ في دراسة الشخصية العربية . واتفقنا علي أن مثل هذه الدراسات ، هي المراجع ، عندما نفتقد المراجع ، لاسيما اذا كتب المؤلفون العرب انفسهم تحت مثل هذه العناوين وعندما استعرضنا بعض ما يعرف من الآثار الادبية ، التي قد تجدى في دراسة المجتمع العربي واحواله وأمانيه السياسية ، وجدنا ان بعض الباحثين الاجانب ، كالمستشرقين (بيرك) انما يفضلون القصة علي اى نوع اخر ، في دراسة الفرد والمجتمع ، والنفس ، في الحياة العربية ، اذا لم تكن القصة ، عملا فنيا يقلد فيه كاتبه عملا فنيا غربيا ، تحت تأثير المطالعات العابرة . وقد استشهد بيرك في كتابه (العرب بين الامس واليوم بطوائف من القصة والرواية في الادب العربي الحديث : مسترشدا بها كتيارات اجتماعية ، وثقافية ، ونزعات رجعية أو تقدمية . وفي هذا ما يدل علي صبر المستشرق ، ودقته ، ومشقة عمله ، موضوع يعتبر الخوض فيه مغامرة وكشفا ، في منزلقات خطيرة .

وقد لا يصيرنا ، هنا ، ان نستطرد الى ذكر فصيلة من نوع المشكلات التي يطرحها الاستاذ جاك بيرك ، في تحليل الطاقة الثقافية العربية ، اذ يبدى تخوفه من ان تكون اللغة العربية ، التي ادت دورها بالفعل كأداة حفاظ علي الشخصية العربية ، وتحد للاجنبي الدخيل ، - من ان تكون لغة جمود ، وعناد ، وحرون ووقوف بوجه التقدم ، وسير التاريخ ، بل ان المستشرق يحمل اللغة الضخمة تبعات الكثير من تخلف العرب ، في مرافق الحياة السياسية والاجتماعية ، بله الادبية(*) .

(*) عرض الى جانب من هذا الموضوع ، الدكتور عبدالسلام العجيلي في مقاله ، في مجلة المعرفة العدد - ٣٦ - .

كذلك يبدو لي من حوارى مع طالب الاستشراق ، أن الباحثين
الاجانب الذين يستشدون بنماذج من الشعر العربي المعاصر ، عندما لا يجدون
سواه مرجعا للتفسير والتقصي ، يقعون على مادة أقرب الى تضليلهم ، منها الى
ارشادهم ، في تفهم نفسية المجتمع العربي •

وقد تذكرت بالفعل انني في اعداد هذه المعالجة ، نقلت بعض ابيات
من الشعر للشاعر المهجرى الياس فرحات - سترد بعد قليل - يتنزل بها
بالصحراء ، ويدعو اليها • بينما هو ، كأديب مهاجر ، يقع في الطرف
المنافض من حرفية شعره ، فهو مجدد في اسلوبه وابتكار معانيه وفي اهدافه
القومية والاجتماعية • يبقى ان مبعث دعوته الى الجاهلية والصحراء في
بيت من الشعر ، لا يعني سوى انه يتحدى ازياء الفرنجة والفينقة في
موطنه الاصلي ، ويفضل على جديدها ، وترفها ، ومعسول حياتها ، شطف
الصحراء ، وجهل الجاهلية ، تمسكا بعروبة أصله واهله • ولا يعني شره
بأى حال ، انه في حقيقته ، عدو التقدم ، وثقافة العصر ، يمثل نموذجا
للعربي المضحي مستقبله وطءا تحت اقدام ماضيه •

وإذا أخذ الشعر بحرفيته حقا على مائدة التشريح ، مجردا من
ظرفه التاريخي ، ومن شخصية قائله ، وحالته الاجتماعية ، وهو ما قد
يقع فيه المستشرقون يصبح الشعر حقا ، مضللا لا مرشدا •

اضيف تحفظا آخر ، مسألة التمثل بالشعر او القصة ، في العصر
الحديث ، لدراسة الشخصية والمجتمع العربيين ، هو ان صاحب الدراسة ،
لا يستطيع ان يتفرد ببعض النماذج الادبية ، للاتكاء عليها دون أن يحيط
بالمشهد العام للانتاج الادبي ، في حقبة من الحقب التاريخية ، اذ قد يوحي
المشهد الادبي العام ، بعناصر دراسة المجتمع والشخصية البشرية ، بينما
اللقطات المنتزعة لذاتها ، لاتشير الا الى العناصر الدخيلة أو العارضة
فالشخصية العربية الملحقة ، بالثقافة الغربية ، خارج المجتمع العربي بالذات ،
لا تدرس مثلا في ابيات شعر للشاعر المهجرى الياس فرحات مجردة عن
مجموع اتاجه اولا ، وعن مجموع الانتاج الادبي المهجرى ، ثانيا •

* * *

كل هذا لا يمنعنا من القاء نظرة على مشهد عام من الشعر القومي الحديث ، خلال نصف قرن مضي ، بصرف النظر عن اعتراض الأوروبي طالب الاستشراق ، الذي سبق ان لخصناه بأن الاجنبي ، لا يطرِب لجرس الشعر ، ولا يتأثر بوجوديته ، ويفضل عليه مرجعا عقليا دراسيا ، يسهل مهمة صاحب الفضول الذي يريد ان يطلع بأهون او بقعقل سبب لا ان يلقي نفسه في مغامرة استكشاف بدءا من نقطة الصفر .

يبقى الشعر ، على كل حال ، جزءا ضخما ، من ثروتنا القومية ، وقد احتوى مفاهيم الوحدة كلها خلال نصف قرن ، كتعبير ادبي قوي ، شبي المنبر ، مرهوب المقام تضالى السمات ، الى جانب التعابير الاخرى التي يمكن حصرها : بالبان السياسي ، والمقالة الصحافية ، وبكتابة التاريخ ، وبعض المحاولات في البحوث الاجتماعية ، الجانبية ، كبحث في القرية أو العشيرة ، وآخر في المرأة ، أو نظام الارث ، أو حق التملك . . . الخ . ولعل اجزل البحوث فائدة من هذا النوع من البحث الديني الاجتماعي ، الذي تناول الديد من الاغراض الاجتماعية ، كما رآها الدين ، بتطوير أو دون تطوير ، وبأخضاع لحكم العصر بدون ذلك . مثل هذه البحوث ، ليس له عناية بموضوع وحدة الامة ، بقدر ما له عناية بالدفاع عن وجهة نظر اجتماعية ، دفاعا ذهنيا بحتا . وذلكم هو جانب حساس من جوانب (ثقافة الوحدة) مقترح للبحث والباحثين .

كذلك فان كلا من البيان السياسي ، والمقالة الصحافية ، يتطلب بحثا خاصا فيه . لاسيما وان بعض البيانات السياسية ، والمقالات ، قد ارتفع الى سوية الامهات الفكرية التي يصح ان تكون صوى ومعالم توضحية ، في طريق الخط العربي المتصاعد . بينما اسف بعضها الاخر ، وهو القسم الاعظم ، الى دنية الحياة اليومية ، والمشاكل السياسية والشخصية ، مما حملته اطنان ورق الصحافة والبيانات ، فذهب مع الهباءات الصغيرة التي تعبش وتموت بين ريح وريح . ولعل جمع المقالة والبيان ، كعمل دراسي ، لا يقل أهمية عن جمع الشعر القومي ، والاجتماعي ، في تيسير مهمة الباحث .

وسنلم بمشهد العام للتاريخ القومي ، والبحث الاجتماعي ، عندما
نعالج الموضوع ، من حيث نوع الثقافة العقلانية التي يجب ان ترافق الحركة
العربية في طريقها نحو الوحدة .

اما الشعر القومي فسنخصه الان ، بوقفه قصيرة لانه التعبير الادبي
الارقي الذي عكس الفعل في الحركة العربية ، بقدر ما عكس ردود الفعل
واكثر ، ولانه كان سجلا مقصودا او عفويا لكثير من الاحداث والمواقف
المعادية لحركة التجمع العربي ، بل يمكن القول ان الشعر كان حتى نهاية
النصف الاول من هذا القرن ، أى حتى توضحت للعرب ملامح الوحدة ،
توضحا ذهنيا ، وأصبح التمييز - مثلا - بين كلمتي (شعب) و (أمة)
ضروريا للخاصة من المتورين ، قبل العامة (*) أقول كان الشعر او كاد ان
يكون أقوى التعابير الفنية ، عن المد والجزر في الحركة العربية ، وبالاخص
انه كان تعبيراً عاطفياً ، عن عمل سياسي عاطفي من جهة ، ومن جهة ثانية
انه كان تخطياً لليومي ، والشخصي ، نحو الكلى والمطلق ، في بعض الجيد
منه .

وبذا يمكننا التعرف على المشهد العام للشعر القومي الحديث
- خلال نصف قرن مضى - بالملامح التالية :
وبهذا يمكننا التعرف على المشهد العام للشعر القومي الحديث - خلال
نصف قرن مضى - بالملامح التالية :
أولا - انه مشى وراء الاحداث لا امامها ، وتلكأ احيانا في مواكبة
طلائع العمل القومي العربي .

ثانيا - في بعض ظروفه الزمانية والمكانية ، استطاع ان يعبر عن

(*) ورد في خطاب مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر في حفل اقيم
لوضع بروتوكول - ميثاق - الاسكندرية المهدي لقيام الجامعة العربية عام
١٩٤٤ ما يلي : (يطيب لي ان اشيد بما يربط بين الامم العربية في مختلف
البقاع من صلات قوية) .

ومعلوم أن الاصطلاح الذي يتناسب مع العلم والواقع والفهم الذهني
هو أن العرب أمة واحدة لا مجموعة أمم .

ضمير الامة في مواقف لسم يكن لهذا الضمير سلفة او قدرة على التعبير •
وهنا ارمي الى القول بانه كان أقرب الى ضمير الامة ، منه الى رأيها العام •
بل قد تحدى الرأى العام في بعض مواقفه ، عندما كانت تخترقه اختلافات
مربية ، تمنع اندفاعه القومي •

ثالثا - تميز الشعر القومي ، بانه لم يقصر انشاده على عناصر القومية
ومقوماتها من وحدة الاصل ، واللغة والتاريخ ، والتراث ، فحسب ، بل
قد تغنى بروح النضال العربي ضد القوى التي تهدد سلامة الكيان ، أو
الحدود ، من عثمانية الترك ، الى تمدينية الانتداب ، الى ويلسونية المبادئ •
الخادعة والالفاظ الضخمة • فاضاف الشعر القومي اضافة فعلية ، عامل
النضال ، الى عوامل الوحدة • وفي تحليل لكثير من أحداث التاريخ
الانساني ، يؤكد الفيلسوف المعاصر (ارنولد توينبي) ان بعض المجتمعات
وحدها عامل (السلامة القومية) المهددة ، ولم يكن لها أى عامل اخر من
مقومات الوحدة •

وقد لجأت الى هذا التصنيف بحسب الملامح العامة ، للإشارة الى
قيمة الشعر القومي ، مقابلا بالحدث • ثم ان هذا التقسيم يمكن ان يساعدنا
في القاء نظرة عامة على المشهد ، دمن تفاصيله ، مما هو شأن الدراسات
الخاصة في الشعر (*) •

على ان هذا لا يعفينا من توسيح بعض المعالم في رقعة المشهد العام •
وهذا التوضيح من شأنه ان يقرن الادب بالحدث ، فنطلع بذلك على أهم
وقائع الصراع والتحدى ، في حركة الوحدة •

١ - من حيث الشعر مشى وراء الاحداث العربية فغالبا ما ضربت
الامثال بشوقي ، أمير شعراء العصر كشاعر طالما تغنى بالشرق وبالعثمانية
نفسها ، قبل ان يتصل أدبه بالجوار ويتأثر بالاحداث الجارحة التي تمر

(*) من الدراسات الواسعة في موضوع الشعر العربي ، كتاب
(الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث) للاستاذ عمر الدقاق - حلب -
و (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية) للشاعر الاستاذ جورج صيدح •

بساكني الديار ، وقبل ان يزور دمشق بصفة خاصة ، ليكي جراحها ،
ويستندى الامجاد العربية في تاريخها ، يشعر من ارق شعره ، واحفله
بعاطفة الانسان والمواطن ، بل قد كان دأب معظم الشعراء وانبههم ذكرا ان
يمجدوا الشرق حتى عندما يأتون على ذكر اوطان عربية ، نسجا
على طراز شوقي قصيدته (الجلقية) المشهورة :

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والالام اخوان

ان هذا البيت الرائع الجامع ، على جلال قدره ، وقدرته ان يجمع
عناصر الوحدة ، في اطارها الجغرافي والتاريخي كشرق ، وفي مفهومها كنفة،
وكرحم ثم في واقعها كجرح وألم - لم يعرف كيف يفصح عن كل ذلك
بكلمة (عدوية) كأنه يخشى اللفظ ومعناه ، ويشيح عنه كلما رآه واصطدم
به وجها لوجه . قبل ان امتلاءه باسلامه قد غلب عليه ، فلا يشعر بعصية
قومية ، وقيل ان ضعف الخيط العربي في نسب الشاعر قد اضعف شعوره
بالعروبة . وقيل ان الرأي العام السائد في مصر آنئذ ، كان يؤلف وطنية
مصرية ضد الاحتلال الانكليزي ابان ما كان العرب يحالفون الانكليز ضد
بني عثمان . وقيل ان الفرعونية ، اصاب هوى من الشاعر وكان لها في
مصر دعاة وانصار . وكل ذلك صحيح حقا ، مجتمعا لا منفردا .

على ان شعراء امجادا ، خارج مصر ، لم يسلموا من سحر الشرق ،
حتى عندما راحوا ينادون بلاد العرب الى الجهاد في مثل دعوة رضا
الشيبي .

هاجدي يا أمم الشرق الألى قتلونا جاهديهم اجمعا ...

ولم يكن (الشرق) و (الامم) في كلام الشاعر سوى قومية
العرب ...

حتى عندما انشئت (الجامعة العربية) عام ١٩٤٤ وترنم بها الشعراء ،
بقي الشرق تعبيراً عن العرب ، في مثل قصيدة لعلي الجارم :

سنا الشرق من اي الفراديس تنبع ومن أي آفاق النبوة تلمع
تذوب حشاشات العواصم حسرة اذا دميت من كف بغداد اصبع
ولو بردى أنت لخطب مياهه لسالت بوادي النيل للنيل أدمع

وفي رأينا ان هذا الامتاع اللغوي ، لا يصدر عن هفوة لسانية عريضة بل هو ينبع آتئذ ، والى ما قبل عشرة أعوام او خمسة عشر عاما ، من أعماق
الذهنية الثقافية وهي ذهنية ان تكن تدرك ادراكا ماديا ان الاخوة يتضامنون
والجيران يتشاكون ، ويتكفكون ، فليست بقادرة ان تنتج من هذه
العلاقات الطبيعية تكوينا عاما أو تصور لها مفهوما واضحا يتسامى ذهنيا
حتى يقين العقيدة . كما ان جهل التاريخ - كما قيل - ليس علة ذلك
الحذر من العروبة ، لان شوقي وكبار مثقفي العصر ، لا يجهلون تاريخ
الاسلام وامة العرب بل هو قصور ذهني عام عن ادراك الكليات تحت تأثير
التزوير العقلي والعاطفي الذي كان ممتدا في حياة العرب ، من حكم الجاهلية
الهمايونية الجهلاء .

ومثلما أن الحدث العربي في الراق والشام ، كان سباقا تاريخيا ،
كان الشعر في الميدان الفكري وراء الحدث ، سباقا ايضا في هذين المواطنين
من المواطن العربية . اذ بينما كان العرب هنا في ثورة ضد الدولة العلية ،
وفي حلاقة مع الحلفاء المحاربين كان العرب في مصر يتنون تحت النير
الانكليزي ، ويتأبون على حلاقة الاحتلال تحت اي حجة من الحجج . في
هذه الحقبة التاريخية ، كان شعراء الشام والرهاق ، شعراء الدعوة القومية ،
لاسيما بعد ان غدر الحلفاء بحليفهم العربي ، ففقدوا الحرية والامل المعقود
على أدياء الحرية ، في وقت واحد معا .

فمن شعراء المهدين : عهد الثورة العربية ، فعهد الاحتلال الفرنسي ،

خليل مردم ، ومحمد البزم ومن بعدهم شفيق جبيري ، وبدوي الجبل ،
وخير الدين الزركلي . وقد تميزت مدرسة الشام الشعرية في النطاق
القومي بفحولة اللفظ وبعروبة المضمون ، ومنبرية الالقاء ، فكانت المناسبات
القومية في الشام وقفا على شعرائها ، كما كانت المنابر في العراق آتد ،
والرصافي والكاظمي والشبيبي ، الذين اشتعلت بباكير شعرهم لفظة الامة
العربية ، فانارت مساحات من الشعور القومي ، برغم ضيق الرقعة
التي كان ينتشر فيها الادب العراقي والشامي .

في نفس الفترة هذه طلعت في أندلس الاغتراب في الامريكيتين ،
مدرسة شعراء المهاجر ، الذين انشدوا العروبة أجمل اشعارهم ، ومنحوها
من قلوبهم وعقولهم أخذ روائع الادب القومي في القرن العشرين . لقد
كانوا ، مثل زملائهم في مصر والعراق والشام وراء الحدث السياسي
حقا ، ولكن شعرهم كان أكثر استجابة للحدث ، والتفافا حوله ، حتى
ليغدو الشعر بالنسبة لجمهير العرب في المهاجر ، قيادة وتبشيرا وتهذبا .

قيل ان السوريين واللبنانيين ، هاجروا وهاجرت معهم في مركب
واحد ، احقادهم ، وعصبياتهم ، وخلافاتهم ، فما كادوا ان يستقروا ، حتى
طلعت بينهم صحف وورقات يتنازلون بها ويتناحرون . وعندما
ارتفعت بينهم منابر الشعر القومي ، خرست لاغنية السوء واشراأت اعناق
القوم نحو المنابر وروادها الاوائل ، تاركين وراءهم سموم الصحافة
واحقاد مستغليها ، ثم ما لبثت ان توارت كأن يدا سحرية مسحتها من اللوح
الاسود . وتمت السيادة المطلقة لحناجر الدعوة القومية التي ما كانت
اغانيها تتعالى في (سانباولو) ، حتى تتردد بعد اسابيع في دمشق ، تنشدها
حناجر المنشدين . وكان شيان مشهوران ، ايام الثورة السورية عام ١٩٢٥ :
سيف سلطان الاطرش - وقصيدة الشاعر القروي في سيف سلطان .

فيالك غارة لو لم تدعها اعاديننا لكذبنا المديعا
وياالك اطرشا لما دعينا لثأر كنت اسمعنا جميعا

وفي القصيدة ، خطاب مشهور ، للسيد المسيح :

ألا انزلت انجيلا جديدا يعلمنا أباة لا خنوعا
أجرنا من عذاب النير لا من عذاب النار ان تك مستطيعا

وأخيرا تمت المعجزة في أرض الوطن العربي ، بعد طول ارتقاب •
وصمت وذهول ، وجاء الحدث العربي الكبير في ثورة مصر عام ١٩٥٢
لا ليدعو اليه الادب واعجاز البيان شعرا ونثرا ، بل ليخرج الى الحياة
العربية خمسة عشرين مليونا من العرب ، قبعوا زمنا طويلا وراء السد
الكبير ، الذي حجبه عن أهلهم واخوتهم في مشرق الوطن العربي
ومغربه • كان تهديم السد الكبير اول اعمال الثورة • ثم بدأ لقاء
فكري جديد ، على نطاق واسع وعمق بعيد ، يشهد التاريخ العربي
مثلها منذ الف عام •

ان الحديث عن اللقاء الفكري العربي ، بعد ان تدفقت مصر على
الخوض العربي ، وسبقتها في التدفق اقطار المغرب العربي - ليس
حديث كشف عن التاريخ وتنقيب في آثار الماضي ، انه حدث ، تدرس فيه
بالحق ، صورة تكوين المستقبل العربي • وهو جزء من الموضوع المقترح
على الباحثين •

وكل ما يمكن قوله في حديثنا السريع ، بينما نطوف حول بعض
المعالم البارزة في المشهد العام ، ان الثورة العربية الجديدة ، لم تطفى
(سنا الشرق) ولم تمس عزة الاسلام ، بل قد انقذت الفكرة العربية
من سراب سنا الشرق ومن تمييع العروبة اى دعوة وحجة • واما الاسلام
بالذات • فلا يخشى عليه ان يضعفه العرب ، بل اولى بالمسلمين ، اينما
كانوا ان يخشوا على اسلامهم من ان يضعف العرب •

٢ - ان ما بلغه معنى القومية العربية ، اليوم من وضوح في اذهان
الخاصة ، لم يبلغه الا بعسر وتباطوء ، وسط محاولات مصممة لتمييعه

وتضييعه • وقد حارب تجليه اقارب واباعد ، ووطنيون ، واجانب •
 وسنلم فيما يلي ببعض ما لقيته الفكرة القومية في ما زقتها ومخانتها ،
 ونحن نستعرض بعض الشعر القومي ، الذي وصفناه سانه عبر عن ضمير
 الامة ، في مواقف لم يكن لهذا الضمير من سلطة أو قوة على التعبير •
 يمكن القول أن الشعر المهجري كان سباقا الى التشهير بالحكم
 العثماني ، الذي هرب السوريون واللبنانيون من مظالمه ومجاعاته ، الى ديار
 الاغتراب • اذ بينما كان رعايا الدولة ، تحت النير ، وقد اشتدت مظالمها
 باشتداد مخاوفها ، وبانهيار قوتها في الحروب والثورات ، كان المهجريون
 يتمتعون بالحرية التي نفخوا في بوقها اول اناشيد الدعوة الى خلع
 النير والشعور بالوجود القومي • قال ابو ماضي ، وهو من كبار النافخين
 في البوق ، أيام الحكم العثماني :

ألم كم يحصرون الحكم فيهم وكم ذا يتغنون بنا احتكاما
 السنا نحن اكثرهم رجالا اذا عدوا وارفعهم مقاما

واهاب بالقوم ان يتشبهوا بالثائرين من أصحاب القوميات المحشورة
 في الدولة العثمانية •

ابناؤكم لهفي على ابنائكم يلهو بهم ابنا جنكيز خان
 ثوروا عليهم واطلبو استقلالكم وتشبهوا بالصرب واليونان

حتى اذا سبت الثورة ، استشرى الظلم ، وعصف الهول في كل مكان ،
 وظن السفاح انه يروع العرب باعدام احرارهم والتشهير بهم على أعواد
 المشائق ، تدفق معنى العروبة ، متمزقا عن الخلافة ، والولاء للدولة
 وعبر جميع شعراء العروبة في المواطن والمهاجر عن هذا الانفصال بالانفعالات
 شتى • قال الزهاوي ملخصا مأساة المشائق في دمشق :

لعمرك ليس الامر ذنبا اصابه قصاص - ولكن يعرب ومغول

وخطب الشاعر القروي ، في حفلة أقيمت في سنبول البرازيل ،
تكريماً لشهداء الاعواد المطهرة ، فقال في قصيدة طويلة :

قد علقتكم يد الجاني ملطخة فقدست بكم الاعواد والمسدا
اكرم بحبل غدا للعرب رابطة وعقدة وحدت للعرب معتقدا

وظهرت العروبة في شعر حافظ ابراهيم ، اثر نهاية الحرب العظمى ،
مقرونة بالشرق ، بحسب تقاليد الشعر ، ولكنها منفصلة عن القومية التركية:
قال حافظ :

واها على دولة بالامس قد ملأت جوانب الشرق رغدا من اياديها
والله ما غالها قدما وكاد لها واجتت دوختها الا موالها
لو انها في صميم العرب قد بقيت لما نعاها على الايام ناعيا

وبذلك عبر الشاعر العربي عن عصبية قومية في الموالي شعوبيين
يعادون العروبة وكائدين لها وحاطين في دوختها .
أما اللغة العربية ، فقد قام لها الشعراء في لاميع ديارها ، بلا استثناء ،
ينتصرون لها من دعاة التريك والطورانية ، عندما اسفر العنصر التركي في
الدولة عن عصبية حاقدة ، وتصدى للغة القوم ، اول ما تصدى لمجابهة
العرب وقهرهم . ولعل ابرز سمات الشعر في أواخر العهد العثماني ، انه
قد بدأ يتلمس طريقه الى القومية عن طريق الاحساس اللغوي . اذ ليس
مسلماناً يدنس لغة القرآ . وقد حشد الشاعر حشود العرب في جميع
ديارهم ، على اعداء العربية فقال فؤاد الخطيب :

جاروا على لغة القرآن فانصدت له القلوب وضج البيت والحرم
فالقدس باكية ، والشام شاكية وفي الحجاز يكاد الركن ينحطم

وفي هذا القول وسواه عزل للعثمانية عن العروبة في جميع ديارها .

ولعل طريق اللغة نحو التبشير القومي ، عند نفر غير قليل من شعراء الديار ، كان ايسر للسلوك ، واقرب الى الذهن ، في البدء من مجرد الدعوة الى قومية عربية متميزة ، انشد لها شعراء المهاجر افانين من شعرهم ، واطلقوها حقيقة ذات جوهر خالص ، ثمين ، تكرم اللغة به ومن اجله . وليس يخاف ان وجود المهجرين خارج حدود السلطنة ، من جهة ، ثم تأثرهم الفكري بالدعوات القومية السائدة عصرئذ في اوروبة ، ثم ما اتبع لهم من اجواء الحرية للتعبير عن الفكر والوجدان ، ثم الحنين الذي الهب مشاعرهم واذكى قرائحهم ، الى جانب ما حل بهم من هوان في غربتهم وهم مشردون متضورون ، ينسبون الى الترك - توركو - ويسبون بهم ، امعانا في اذلالهم - كل ذلك جعل النسب القومي أكثر من لغة ودين ، وان تكن اللغة والدين ، من بعض ما تمثلوه فيه عزة وجلال . انه ، بالواقع ، صرخة وجودية يكررها العقل والوجدان ، كلما تلمس المشرد اسانيته في أهاب وجوده القومي . او ليست القومية في أعماق معانيها وانبلها ، تجمعنا انسانيا ضد الضياع .

وعندما استقر الامر لمن سموا بالحلفاء في الديار التي جزأوها ، وتوزعوها فيما بينهم ، بلغ الشعر اوج احتداه ، ضد الغاصبين الخادعين لولا ان طفق المستمرون والمخدوعون يزيتون لفئات من الجماهير العربية ، دعوات جديدة الى عصبيات اقليمية حاولت ان تطلع الوعي القومي العربي من جذوره ، لتغرس في مواطنه قوميات سورية ، وفينيقية وفرعونية وآشورية ، كاد ان يستتب لها بعض الشأن ، لو لا ان اوهنها حمقها مرة ، وظهور اجنبي غير مقنع وراها ، مرة اخرى ، فانحسرت عنها الجماهير ، وقام لها كتاب وشعراء يهزون جذوعها ويمرغون في التراب افواه دعائها .

لقد اصيب الشعر العربي بالتشرد ، حقا ، عندما تسربت هذه الاختلاطات الموبوءة الى الجسد العربي في دور نقاهته ، اذ مثلما قام بعض الكتاب في مصر والعراق والشام ، يستنكرون الدعوات المشبوهة ، كان كتاب آخرون يمضون في اناشيد وثنية خادعة ، يهللون بها لامجاد مزيفة ،

لم تترك اى أثر في حياة الناطقين بالضاد ، اينما كانت مساكنهم • فليس للفينيقية سمات وتقاليد في حياة السوريين واللبنانيين ، كذلك ليس للفرعونية ، برغم هياكلها العجيبة وآثارها المادية فوق التراب اى اثر ، يشهد أو يعقل في حياة المصريين • على انه مما يجب ان يذكر ان ليس كل الهوى الشعري والادبي نحو التاريخ الفينيقي ، كان تفينقا ، ولا الهوى نحو التاريخ الفرعوني ، تفرعا • فقد ذكر لبنانيون مقيمون مغتربون أمجاد عابري البحار ، ومخترعي الابدادية ، دون ان يقصدوا الى اذكاء عصبية ، او بعث وثنية • وانشد شوقي ، وحافظ ومطران ، كثيرا من امجاد الفراعنة ، ولكنهم لم يذهبوا قط ، الى تصديق دعوة جاهلية كتلك التي صدرت عام ١٩٣٢ عن بعض كتاب مجلة (السياسة الاسبوعية) تزعم ان مصر ورثت من غزاتها العرب اللغة والاسلام ، ولكنها حافظت على قوميتها ، وان للشعوب الشرقية ، ان تبث آدابها القومية ، من عراقية وسورية ، ومصرية ، بمعزل عن لغة الضاد •

في الرد على هذه الدعوات التي تلافت منذ ثلاثين سنة ، فوق الارض العربية كأنها على ميعاد - وكانت كذلك - قامت قيامة الشر ، في مصر ، قبل الشعر ، وقام على رأس الحملة المضادة ، قلم جبار كقلم مصطفى صادق الرافعي ومن في مدرسته من شباب • وللمرة الثانية يعود النبض الى قلب العروبة ، مهتزا بنشوة الضاد ، محزوننا لما يراد وبأهلها • وكان لصيحات حافظ والرصافي ، ومردم ، والبزم ، ذودا عن العربية ، اصداء بعيدة ، انلجت قلوب الملايين من العرب الذين كانت نحز في نفوسهم ، دعوة السى وثنية ضالة تصدر عن البلد العربي الذي حفظ للصفى قدسيتها وثقافتها وخضارتها عندما كادت ان تبيد في جهالات الحكم التركي • وكانت قصيدة حافظ ، مشهورة في يومها :

ايطربكم من جانب الغرب ناعب ينادى بوادى في ربيع حياتي
واسمع للكتاب في مصر ضجة فاعلم ان الصائحين نعاني

أما الفينيقية ووراءها كل أحقاد المهزومين في الحروب الصليبية ،

فقد قام لها في سورية ولبنان والمهاجر اللاتينية ، من لا يقصرون نثرهم
 وشعرهم على توهينها والازدراء بها ، بل يذهبون الى أبعد من ذلك ، في
 التعبير ببادرة جديدة من بوادر الاخلاص للقومية العربية ، هي وضعهم
 التراث الاسلامي في جبين العروبة موضعا كريما . لقد انقلب الشاعر
 المهجري من خيال ناعل يتلمس وجوده في ديجور الشقاء - كما أسلفنا -
 الى عملاق يتحدى الاوهام المتطاولة . وانه الان ، فوق وجوده ليشعر
 بمجده وتفوقه . انه ليس المشرد الهارب من ظلم الخلافة العثمانية
 ولا الفرارى الهارب من عسكرها ووبائها ، انه العربي الذي استوى
 على قدميه ، واصبح وهو النازح الامي ، مبشرا ورسولا ، وصاحب بيان .
 لقد أصبح جزءا من الهيكل الذي طالما تعبد فيه ، واسلم قلبه الى ربه . وان
 لهذا المهاجر المناضل ، فضل الصدارة ، على زملائه الشعراء المستوطنين ،
 يحميهم وطنهم وقومهم ، وقانونهم ، ودولتهم ، ويحيط بهم مجتمعهم ،
 فيلازمهم ويلزمهم ولكن من لهذا المشرد ، الهائم ، على الشاطئ
 المهجور ، يحمل من ماضيه ذكريات الاضطهاد ، ومن حاضره وقائع الاذى
 والهوان يتعلم العربية ، بين الجوع والعطش ، وانطفاء السراج ، حتى اذا
 تمت شفتاه بصلاة الدموع ، كان بعض صلواته ، شعرا يمجده به أهله
 وقومه وأمته ، وانه ليزداد وجدا وايمانا ، كلما اضعفوا مذهبه ، وأثاروا
 نعرته ونخسوا طائفته :

اني على دين العروبة واقف قلبي ، على سبحاتها ولساني
 انجيلي الحب القديم لاهلها والذود عن حرمانها فرقاني

ومثل هذا التشيد المتعالي ، الملقى من عل ، ليس مقصورا على لهاة
 الشاعر القروي ، سيد منابر الشعر القومي في المهاجر الامريكية انه واحد
 من عشرات ، ظلوا يزرعون الحنين في تراب الغربية ، شعرا ونثرا ، حتى
 اخضرت الصخور ، وازهرت الاشواك ، ومشى الدم الغزير في عروق
 السيوف : ابو ماضي ، فرحات ، صيدح الشرتوني ، الجر ، آل المعلوف ،

وآل قنصل وسواهم ، ممن لهم في الشعر فرائد غير مجموعة قيلت في
مناسبات قومية ، ودينية ، كان يشترك فيها مسلمون ومسيحيون ، علي
اسواء .

وهذا الياس فرحات ، يذكر ابناء وطنه بأن الصليب لا تجوز معه
تجارة ، وباسمه سياسة وامارة ، ويقول لهم :

نار المحارق في اسبانيا اكلت	باسم الصليب نتاج العلم والعمل
لسنا نجادل عميا يطلبون علي	ضوء النهار دليلا والنهار جلبي
ان العروبة في لبنان سائدة	من اخمص البحر حتى مفرق الجبل
ان كان يسمع فيه همس فرنجة	بيض الصوارم لاتخلو من الفل

وكأن محبوب الشرتوني ، يغيب المارقين ، يطلبون حماية فرنسا
الدائمة ، او يتسبون الى فينيقية الضالة ، عندما يقول لهم :

قالوا تحب العرب قلت احبهم	يقضي الجوار علي والارحام
قالوا لقد بخلوا عليك اجبتهم	اهلي وان ضنوا علي كرام
قالوا البداوة ، قلت أطر عنصر	صفت القلوب هناك والاجسام
ومحمل بطل البرية كلها	هو للأعارب اجمعين امام

حتى عندما انطلقت الحناجر تدعو للتجديد ، في أرض الوطن العربي ،
فعلا وكلاما ، كان المجددون انفسهم في ديار الاغتراب ، يدعون الى الصحراء
تعصبا لترات عربتهم وتقاليدهم ، ضد الفينيقة والفرنجة ، لاختصومة
لتجديد حقا : فعندما كان حافظ ابراهيم يقول :

تغيرت الدنيا وقد كان اهلها	يرون متون العيس الين مضجع
ونحن كما غنى الاوائل لم نزل	نغني بارماح وبيض وادرع

كان فرحات ، يولي وجهه شطر الوطن المنكوب بدعاة تغريبه ،
وبتر صلته بعروبه لغة ووطنا :

حي البداوة نوقها وخيامها والجاهلية رمحها وحسامها
حيثك اشباح القديم وسلمت فمن العدالة ان ترد سلامها •

وفي مكان آخر من قصيدة آخر :

فليظنر الناس هل من امة فعلت للمجد فعل رعاة الشاء والابل

اما القروي ، انذى مثل بروحه وسنه ، روحا وعقلا عربيين ، وعاش
عروبه كما غناها ، فانه يأخذ بيد الضال الحيران ، يفتش عن نسب له في
فينيقية قائلا :

أتريد اعظم من ابي بكر ومن عمر ، اذا انتسب الكرام ومن علي

فكان يأخذ طفلا أمامه ، ويفتح له الواقع الكبير ، ويقرر بالسؤال
جوابا لا مرد له ، ولا رد عليه •

قلت اني لا أقوم بدراسة أدبية ، في الشعر القومي ، ولن اتمكن في
حديث قصير من الموضوع استشهادا واحاطة ، على نحو ما فعلت بزواية
من الشعر المجري ، الذي احببت ، بالواقع ان اخصه بوقفه صغيرة ، أجمل
فيها رأيي بأن هذا الشعر ، لو خلا حوله كثير من الشعر ، لكفى وحده
دليلا على وفاء الشاعر لنفسه ، وولاء العربي لعروبه • فهنا قد عبر الادب
عن ضمير الامة ، في وسط لم تتوافر فيه قط أسباب التعبير ، او حتى
أسباب التكوين البدائي للشعور القومي ، لاسيما اذا كان المغترب المهاجر ،
قد حمل معه ذكريات الخروج ما حمل ، ولقي • بل قد عبر الادب في
تفجير مواهب أهله ، عن قوة الرشد الحضاري العربي عندما تغذى به
الطاقة الانسانية • لذلك انهارت الدعوات الغربية ، وغدت تحت اقدام
الجماهير التي سرعان ما تجمعت غريزتها حول هذا الهتاف القومي ، وتكون
منه كثير من الكفاية والغبطة •

ومما لا ريب فيه ان اللغة العربية في البدء ، كانت طريق الادباء المهجريين الى التماس النجاة ، وجهاد الضياع . وقد بلغوا باللغة ، تاريخ الامة ، وبلغ بها التاريخ تراثها العظيم ، فانخرطوا في عمقه ، وتولت الطبيعة عندئذ عملها في اعادة تكوين الانساني العربي . فلم تكن اللغة لديهم ، غاية يقفون عندها لان طموحهم في غربتهم ، بعد ان تزودوا خير زاد ثقافي قد بلغ بهم القمة التي اشرق منها فجر كامل من الشعور القومي الغامر ، بعيدا عن التيارات التي كانت تعكر صفاء الشعور القومي ، في ارض الوطن العربي نفسه ، وأبرزها التشاد الطائفي .

أقصد الى القول بان التكوين القومي الجامع الذي تم للمهجريين وادبهم ، مرده الى عاملين : الاول هو انغمارهم بالتراث العربي ، عن طريق اللغة العربية تمسكا بالنجاة ، وتمكنا من الوجود . والثاني ، هو حصول التجربة في جو توافر له الصفاة في البعد ، فسلم من تيارات البيئة الفاسدة ، وبهذا يكون جو الاغتراب عنصر صفاء في تبلور الشعور القومي ، لا عنصر تشويش وتعكير ، يضاف الى هذه العوامل ان الحضارة في المجتمع الامريكي الجنوبي لم يكن لها طابع مميز يدمغ الداخلين فيه ، كما هو الشأن في المجتمع الامريكي الشمالي ، حيث كاد ان يتلاشى الطابع العربي تحت تأثير عاملين : بعد العربي عن تماسه بترائه - وقوة الطابع الحضاري في المجتمع الذي ارتقى في احضانه .

فاذا ما تقابل الطابع الحضاري الاجنبي مع التراث العربي ، كانت الغلبة للتراث بقدر ما يحمل منه حامله في ذاته ، بصرف النظر عن مسكته ومقامه . ولعل أبا ماضي والريحاني ، وجبران ، - نماذج للتجربة واضحة فالاولان نموذجان للتأثر بالتراث تأثرا عميقا ، يشمل العقول والقلوب واللسان (*) . واما الثالث فهو نموذج للاسان الشرقي ، المتمرد على لغته وتقاليد قومه ، الا ما تبقى له من نزعات روحية ، اسبغ عليها اضواء ثقافية

(*) يروي عن الريحاني ، انه اجهد نفسه كثيرا في تعلم اللغة العربية ، بعد اتقانه اللغة الانكليزية .

غربية ، فعدت كقوس قزح تجربة جديدة من تجارب التلاقح بين الشرق والغرب •

* * *

٣ - لن اتحدث طويلا في الوجه الثالث من ملامح الادب القومي ، وهو الوجه النضالي بتبسيط وتفصيل ، اذ قد لخصت فيما اوردت من شواهد ملامح الادب النضالي • والمقصود بهذا الجانب من الشعر ، عدم اعتماده على مقومات الوحدة من نسب ولغة ، وتراث حافظا له وغذاء • فهو دعوة الى النضال ، والقتال ضد العدو المشترك ، وانذار بان الغنم واحد ، والغرم كذلك فاما الفناء للقوم أو البقاء لهم جميعا • وقد حاول العقاد في قصيدة (تعليمية) جمع عناصر الوحدة في خمسة ابيات من الشعر ختمها بدعوة النضال المشترك والمصير المشترك :

شكواكم شكواي او سلواكم سلواي او اشغالكم اشغالي
ومطالب الغازين في بيدائكم كمطالبي ومآلكم كما لي

بل بدأ هذا الشعر ، ينصرف عن التغني بامجاد الاسلام ، وذكريات الماضي ، ليتمكن العربي من مجابهة المستقبل والتفرغ له • وفي قصيدة مشهورة قال الرصافي :

تقدم أيها العربي شوطا فان أمامك العيش الرغيدا
واسس في بنائك كل مجد طريف واترك المجد التليدا
وخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسبا جديدا

وكان رضا الشيببي ، افسى عندما نزع نزوعا عنيفا نحو التقدم ومجاراة الامم :

يا أمة من جهلها تأتي مجارة الامم
ذلت حديثا أمة ابدا تفاخر بالتقدم
وأحال منها رمة طول التباهي بالرمم

ومعنى هذه النماذج الشعرية ، أن الدعوة النضالية ضد الاجنبي الدخيل ، غدت دعوة تقدمية في الوقت نفسه . ولعل ابرز ملامح الادب القومي النضالي ، في هذه المرحلة ، انه بدأ يقرن النضال القومي بحركة الجماهير ، تعزيزا له ، وتنظيما لها ، وطفقت كلمة (جمهور) تتخذ مادة معقولة محسوسة ، أكثر مما كانت اللغة تعطي سابقا كلمة (شعب) .

وكان طبيعيا ان ترافق دعوة الجماهير العربية الى تسلم زمام النضال ، حركة قلمية تدعو الى النظر في واقع هذه الجماهير ، واوضاعها المادية والروحية وتحديد علاقاتها الاجتماعية ، الجديدة . وكان الشعر الذي عقب كارثة فلسطين ، يحمل طعم المر والدم في كثير من دعواته النضالية لاضد الاعداء الغاصبين فحسب ، بل ضد من قادوا الشعب من حكامه وخذعوه وباعوا جهاده ، ومثل الشاعر عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - في معظم شعره مدرسة (الشعر الحر) . ولا يمكن حصر عدد شعراء هذه المدرسة ، اذ قد انتشرت بين شباب العرب في جميع ديارهم ، وعلى الاخص خلال العشرة الاولى بعد منتصف هذا القرن ، كآبة وحزنا وتمزقا وغضبا .

أما انشغال الاديب بمشاغل قومه سياسيا ، واجتماعيا ، واقتصاديا ، فقد أعرب عنه شعر مهجري اخترت منه ، هذه الابيات الحاشدة الجامعة للشاعر صيدح :

ياولاة الامور سمعا لشكوانا	وسعيا . . ان المهم المقدم
أوثقوا عروة العروبة فينا	ذهب ريح امة تنقسم
وجهونا فنحن قوم حيارى	بالزعامات والظوائف ناتم
افهمونا كنه السياسة إنا	قد شقينا في حب ماليس نفهم
عللونا بوحدة الروح تأتي	بعدها وحدة التخوم فتسلم
ارشدونا الى السيل المؤدي	لامان القطيع في غاب ضيفم
دربونا على اتزاع كفاف العيش	من قبضة الثري المنعم
وانصرونا على غلاة اسأؤوا	فهم طه وفهم فيسى بن مريم
شهد الله ما أردنا وليا	غير من حرر البلاد ونظم

وانه لجلبي من سياق هذا الشعر ، ان الفكر طفق يلازمه ، والعقل
ينظمه ويبصره بواقع المجتمع ، وتبعات اولياء امره وانه لذو اغراض غدت
ابعد من نخوة وحماسة ، وانتساب لانها تتناول كل ما يعني الامة ، والشعب ،
واولياء الامر ، من مشاغل الجاد الى مشاغل العمل والتنظيم ، فاذا لم يكن
الولي محررا أو منظما ••• فقيم ولايته ••• ولمن؟! ان الشعب لا يريد
اسما اذا لم يكن فعلا •

أرجو ان أعذر اذا اقصرت في الاستشهاد بطوائف واسعة من شعر
الشعراء ، اذا قدمت بعضا ، واخرت بعضا ، وسهيت عن بعض • فاني كما
قلت لا أقوم بدراسة ، ولست ابتغي التقصي • انما ما رويت من نماذج
شعرية ، كان محاولة لتوضيح الملامح في المشهد العام • وقد اصررت على
تتبع الشعر المهجري ، لانه بالواقع تعبير بليغ عن المقومات الثابتة والمتحركة
معا في تيار القومية العربية ، واتجاهه في طريق الوحدة - اولا - ولانه قد
اتيحت له الظروف الزمانية والمكانية ليتسامي عن الاختلاطات التي
رافقت الحركات والمحاولات القومية في أرض الوطن العربي بالذات -ثانيا-
ومهما يكن من شأن الشعر في حياتنا القومية ، فيجب ان نؤكد ان
عنايتنا به ، لم تكن فقط دون قيمته وقدره ، وأحيانا بلغ من تقديرنا هذا
الكلام الفني الرشيق ، ان نسينا واجبنا نحو أنواع شقيقة من التعبيرات الادبية
الآخري •

فكم باحث ، حصر جهده وعناؤه في جمع الشعر ، ودراسته وتحليله ،
وقصر في جمع فنون النثر ، والافادة منها فيما يتبنيه من دراسة التاريخ او
حياة المجتمع (*) •

وبالحق انا لا نستطيع ان نفي البحث حقه ، امام الاجيال ، اذا
اعتبرنا ديوان الشعر ، تاريخنا ، ومرجع ابحاثنا • ففي الموقف اللبناني
- مثلا - ضد نزعات الفرنسية او الفينقة ، او القومية السورية المناهضة

(*) من الكتب المفيدة في جمع الشعر وتحليله ، كتاب للدكتور
عبدالكريم الاشر (الشعر المهجري) •

• للعروبة ، آثار رائعة من النثر بأقلام الفئة الممتازة من الأدباء والباحثين .
أما المعركة ضد الفرعونية فقد أسفرت عن آثار قلمية اسلامية ، تعتبر ذروة
في الابداع الفني ، والعلم التاريخي . فكيف يمكن ان ندرس تاريخ نشوء
هذه الدعوات وموتها ، واسبابها ، فيما وصل الينا من قليل الشعر ، ولا
ندرسها في الكثير من النثر الذي عالج المشكلة واحاط بها ، وسجل وقائعها
للاجيال ، . ومن اجل هذا ، ذكرت في مدخل اللوحة العامة عن الشعر
القومي ان فكرة الوحدة العربية انما تدرس في مقالتها : في المقالة ، والبيان
السياسي ، وكتابة التاريخ القومي ، والبحث الاجتماعي ، والشعر . واعتقد
ان دراسة القومية العربية بحركتها الجديدة المعاصرة في هذه المقلان الرئيسية ،
من شأنه ان يكشف لنا عن دقائق نموها وتطورها ، مقارنة ابدا بالظرف
السياسي ، والبرهنة التاريخية ، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي . ومن
شأن هذا البحث ايضا ، ان يساعدنا في كشف مستقبلها مثلما ساعدنا في
كشف ماضيها ، لاسيما وان علوم التاريخ والاجتماع والسياسة والاقتصاد ،
والنفس ، والانسان ، اصبحت ذات قواعد ، لا نزع منها نهائية او حسابية ،
بل دقيقة بما يكفي لقياس الواقع ، وتحديد تخوم الممكن من غير الممكن ،
والموهوم من المعقول ، بأقل تقدير . لاسيما اذا استرشد هذا العلم بتجاوب
الشعوب .

أما ان يتجلى القصور عن العلم المعاصر ، بالسلبية العريضة على قلوب
بعض مثقفينا ، التي تتخذ شعارا لسليتها ، عنوان الدكتور الكسبي كارل
(الانسان ذلك المجهول) ، فلا أقل من ان نرد على هذه السلبية المخدرة
للعقل العربي والمريحة في آن واحد ، بأن ندعو الى بلوغ ما بلغوه من شأو
في المعرفة لتتعرف على حدود العلم والجهل . والجاهل لا يحق ان يقرر
حدود العلم .

بهذا أعود الى الشعر ، كرة ثانية ، لاجمل ملامحه ، بنوعين ؛ لا
أنلته يتعداهما ، على تنوع اغراضه وفنونه واساليه . وهما أنه غناء ، وخطاب
وكثيرا ما كان غناء وخطابا معا في موافقه القومية .

ولا نكران ان الغناء والخطاب لهما ذوقنا ، وشعورنا ، ومستوى تفكيرنا فيما مر بنا من أحداث ، حيث كنا بأشد الحاجة الى نوع من الهداء لنسلو ، ونوع من الغناء لنصفو ، ونوع من النشيد لنشد ، ونوع من الخطاب بالصوت المدوي ، لتتحرك ، ونفعل ونرهف السمع ، ونجلسو البصر . وان الشاعر والسياسي والخطيب ، والقائد ليعلمون أن التوقيع على نغم يهز الفكر ، أو القلب ، لا يبلغ مهما كان جميلا الا اذا خرج الى هدفه بالصوت العالي ، وبالسهم الحاد . حتى أن التطرف في أداء كل فكرة أو مذهب ، ليس سوى جنوح الى التأثير بالتعبير الصاعق لان صاحب التعبير يعلم سلفا انه ليس ببالغ هدفه في النفس الا ان يقرع بابها قرعا عنيفا ، مهما كان رد الفعل من بعد ، وحسب القارع انه اسمع ، وشق الى الغفلة واللاوعي ، والجمود المنير ، طريقا لصوته وعقله وقلبه .

انا نعرف بهذا الواقع النفسي ، على انه نابع من واقع اجتماعي وثقافي ، يضاف اليه واقع الحدث الطارىء ، الذى كما قلنا واقع المعركة . والصراخ بالصوت العالي جزء من سلاح المعركة وتكوينها .

ومع اعترافنا بواقعنا النفسي الاجتماعي ، لامندوحة من التأكيد بأن التعبير بالغناء والخطاب ، ليس سلاح المعركة وحده ، او هو ليس سلاح الميدان ، بالاحرى . لان الميدان اوسع افقا ، وابتعد اتصالا بالمواقع الكثيرة ، التي تغذى المعركة من قريب او من بعيد .

ومع تسليمنا بأرجحية المعركة في حياتنا القومية وبحالة الطوارئ التي تسود ظروفنا المعاشية والروحية ، يجب ان نستدرك بادراك ان المعركة ليست مجرد اصطدام عابر بغزوة ، بل هي امتداد نضالي مستمر عبر أجيال واطياف ، لان العدو الذى ندخل معه معركة المصير ، ليس مجرد عدو معروف موصوف ، بل هو الى جانب ذلك وقبل ذلك حالة عداء غامرة شاملة تحيط بالامة وتبتدىء منها وتنداح دوائرها حولها . والامة معها في حالة دائمة من قبول التحدى ، والاستعداد للصراع . وان من شأن حالة الصراع ان تفرض حركات رياضية ، يمارس بها الجسد المتصلب المتخشب ، تمارين

السكر والفر ، والمضاء والالتواء ، والاستقامة والالتفاف • يعني كل ثقافة الفروسية الاصلية التي هي تمارين روح وحسد ، وعقل وخلق •
وليس كاللغة العربية من يعي قيما مادية ومعنوية متماثلة ، لالفاظ الترويض ، والتأديب ، والتثقيف ، والتهذيب • وليس كالسلف من يقرن الادب بالعلم والعلم بالعقل ، والعقل بالاخلاق •
لعل هذا المتكأ من الحديث ، يجيز لي ان أعود الى السؤال عن ثقافة الوحدة وكيف يجب ان تكون •
لابد ان عرض المشكلة ، منذ البدء ، قد اوضح الفاية من طرح السؤال ، ورمى بعض خيوط الجواب •
وسأطوف حول السؤال بعض الطواف عسى ان يزيد الجواب وضوحا • مع الاشارة دائما ، انني لا ابحت ، بل اقدم للبحث •
انا لا نجهل بان علوم التاريخ والاجتماع ، والاقتصاد ، والتدبير السياسي ، تدخل الى معالجة شؤون المجتمع من أبواب مختلفة ، كل من باب اختصاصه وتخرج كلها أمام الهدف الواحد وهو ضبط واقع المجتمع وتخطيط السلوك الانساني ، واتماء القدرة البشرية على تغطية القدر الاوفر من المجهول ، وتمكين هذه القدرة من رصد المستقبل ، كأنه بين يدي صانعه ، وتسييط ارادة الخير على العالم •
حتى ان العلوم الطبيعية نفسها التي تجعل المادة موضوع العلم ، لا تتمكن من التصرف بالنتائج التي تبلغها ، وبالحقائق التي تعطيها ، فقد تزيج القبلة جبلا من طريق المدينة ، وقد تزيج مدينة من طريق الوجود • لكن العلوم الاجتماعية التي تجعل الانسان موضوعها ، فان هدفها اعظم طموحا وقدرا ، لانها ترمي الى التحكم بالطبع الانساني الذي تطوف حوله •
صحيح ان الانسان طبيعة ، وهو امنع معاقل الطبيعة ، على العلم المادى والعلم الاجتماعي معا • والصحيح ايضا ان العلم المادى ، يحاول ان يفرس الفضيلة في دمه ، ونسيج مادته ، غرسا صنعا ، يشبه صنع الآلات بينما يحاول العلم الاجتماعي ، ان يكشف له عن ارادة انسانية ، بها وحدها

يمارس فضيلته بطوعه واختياره • ان العلوم الاجتماعية لا تنتظر نتائج العلوم الطبيعية في الانسان ، لانها لا تهدف الى تغيير طبيعته ، بل الى تطويرها . تلك تؤمن بالخلق وهذه تؤمن بالتهذيب • لعلها أكثر طموحا أو ادنى ، ومن المؤكد انها أكثر انسانية ، واسمى غرضا •

ان هذه العلوم الاجتماعية ، قد سلطت انوارها على الوجود الانساني ، والمجتمعات البشرية ، وكشفت خلال مئة السنة الاخيرة عن غياهب ، لم يكن يجروء العقل عليها الا بالظن والتوهم • من العائلة الصغيرة ، في الكوخ حتى الامة الضخمة في عين الشمس ، تدرجت العلوم صعودا ونزولا ، وتوسعت وتعمقت في نطاق شعب معروف ، وقبائل مجهولة • عوالم تعيش ، مندثرة ، تدرس فيها حياة الانسان • ينظر المؤرخ الى ماض شعب ، ليفهم في ضوء معارفه ، حقيقة واقعه وحاضره ، ثم طريق مستقبله • أما العالم الاجتماعي ، وان يكن لا يجحد أثر الماضي في تلاوين الحاضر ، فان مذهبه في البحث ينطلق من كشف الحاضر ، ليفهم فيه أثر الماضي ، وامكانية المستقبل •

كذلك يتعارض الاقتصاد الفردي ، علما وعملا ، مع الاقتصاد الجماعي • واحد ينطلق من الفرد ليصعد نحو المجتمع ، واخر يبدل اتجاهه منطلقا من المجتمع الى الفرد •

ومثلما يفوض العالم الاجتماعي ، والمؤرخ وسط تجربة المجهول ، ويخرج كل منما حاملا بين يديه ، أثرا او دليلا على أثر ، وغنما أو بعض غنم • كذلك يتنافس الاقتصاد ان في حياة المجتمع وثروته ، كأنهما فارسان يحنان جوادين ملتهين ، في حلبة لا عدد لاشواطها ولا نهاية •

ان ما كسبه الفارس الواحد من اخطائه ومن مهارة خصمه اجزل مما كسبه بالواقع من علمه ومعرفة وصوابه • والتحكم النظام الفردي بالنظام الجماعي ، التحاما عقائديا خرج بالمعركة من طور العلم ، الى طور المذهب والعقائد وظل الواحد يأخذ من مكاسب الاخر سواء اقر بذلك أم لم يقرر • وليس سبق في نهاية الشوط ، ان كان له نهاية ، بين

الفردية والجماعية الا لمصلحة الفرد والمجتمع معا .
متى يجوز ان يرجح مذهب المؤرخ على مذهب العالم الاجتماعي ، في
دراسة أحوال المجتمع اى متى نبدأ من الماضي صعودا الى احاضر او من
الحاضر ، نزولا الى الماضي؟! .. وما فائدة كل من الاسلوبين .
ما هي الطبيعة الطبقيّة في المجتمع العربي . اهي ثقافية ، أم اقتصادية
أم اجتماعية . وبم تعالج عندما تعترف؟! هل صحيح ان التخلف
الاقتصادي والاجتماعي ، عرض لمرض التخلف الثقافي؟! ما هي حوافز
التقدم ، وعوامل التخلف بين مجتمع عربي واخر؟! هل تنجع حملات
التوعية ، في الاوساط الامية؟! وما هو اثر الامية في فشل القيادات المتنورة ،
وفي نشر الرأى العام الواعى؟! وهل الامية في بعض المجتمعات ضرورة
سياسية لاستتباب الحكم واستقراره الخ

في أى حال من الاحوال الاجتماعية والاقتصادية ، ينجع الاقتصاد
الفردى ، أو الاقتصاد الجماعي . هل يجب ان يتمذهب العربي بمذهب
اقتصادي أم يجب ان يكشف عن اسرار علم الاقتصاد ، ليعمل سحر
العلم في تحصيل الثروة . وهل الثروة قوامه على الانسان أم الانسان قوام
على الثروة؟! وهل المجتمعات سواء في تقبل المبادئ وتطبيقها . . الخ الخ .

ان اى سؤال من هذه الاسئلة ، يجذب نحوه حشودا من الاسئلة
والاجوبة . ولسنا نحسب المجتمع العربي ، الذى نبنيه ونوحده بغنى عن
الاسئلة والاجوبة لان الجهل بها ادعى لراحة نفسه واستقراره من العلم
بها ! كما لا يهم اباحث العقلاني ، ان يأتي الجواب فورا على راس اللسان
بان هذا الاقتصاد اجدى ، وذاك الاسلوب في التوجيه والتخطيط؟! لان أقل
جواب يجذب اليه هذه الاسئلة : لماذا؟! وكيف . . . ومتى . . . واين . . .
ومن أجل ما . . . ومن أجل من؟! ولان الجواب يجب ان يكون قاعدة ،
لا اهتزازا ، وبقينا ، لا رجما . وعلمنا لا غناء ولا حذاء .

كذلك يبدو للمتأمل احيانا ، ان العربي في طريقه الى وحدة أمته ،
انما ينظر بالواقع الى وحدة ذاته ، ووضوح هويته ، فيتمنى ان ينقذ ذاته

من التناقض ، وهويته من الغموض •
ان الاسئلة لا حصر لها ، مما يعرض للمواطن العادي والمتقف على
السواء • وقد يطرحها العادي كأنها أغنية (اللاأدرى) لابي ماضي ، وقد
يتعثر ويزداد تمزقا وحيرة وانطواء •
انا اذ تشير الى هزال ما قام لدينا من البحوث الاجتماعية ، التي تنقف
المجتمع العربي ، وتبصره بموقفه الاجتماعي والتاريخي ، وثبتت في
عقله وضميره ، وحدة الامة ماضيا ومستقبلا ، نضرب مثلا واحدا على ذلك
بان تاريخ العرب ، كوحدة ، لم يكتبه كاتب بعد ، ولم تتوله حكومة بما
يستحق من رعاية ، سواء اوقع موقع التفكير منها أم لم يقع • وليس جمع
التاريخ ، باسلوب أحمد أمين ، ولا التركيز على بعض جوانبه وعبقرياته
باسلوب عباس محمود العقاد ، بالتاريخ العام للحدث العربي على ما في
المجهودين المذكورين من عمل فكري وادبي رائع •

لقد اغنى بعض الكتاب والمؤلفين مكتبة العصر ، ببحوث في التاريخ
ونشوء القومية العربية ، وتحليلها ، وادوارها الحديثة ، كالاساتذة فريد
أبو حديد وساطع الحصري ، وعزة دروزة ، وكتب في التاريخ العام ، جزئيا
أو كليا مؤرخون كالاستاذين فيليب حتي ، وجورج انطونيوس في امريكا
الشمالية ، فكانت هذه الاعمال التاريخية ، اعمالا مقدورة احسن الله الى
اوليائها ، ولكن حاجة الامة غدت اوسع مطلبا ، وابعد مدى ، لاسيما وان
الاجيال العربية المتتابعة ، لا ترى ، امامها اثرا قوميا تاريخيا جامعا ، لازما ،
ينعقد حوله اجماع المثقفين والموجهين ، واهل الرأي ، على انه الانس
الفكري ، الذي تعاون له ، علماء التاريخ والاجتماع ، ورسموا له العمود
الفكري الذي يحدد اتجاهه ويشد اليه مجموعة ، ويختار لكل من الاحداث
في السلك مقاومه ومكانه • حتى لبدو التاريخ وحدة فقهه وارتفاعه ووحده
في جزره وانحداره • لانه تاريخ مجموعة بشرية جغرافية ثقافية واحدة •
وفي كل مسكن من مساكن العرب ، يحاول مؤرخون ، وجامعو
عاديات ، ان يكتبوا شذرات من التاريخ ، كل بما ترغب قبيلته ، وتهوى

كان التاريخ مقبرة مباحة عظام أمواتها للدارسين ، يعثرونها تحت الاقدام أو يعلقونها في الصدور ويزينون بها جدران القاعات ، وانهم ليعلمون ابناء العشيرة ان هذا ما يجب ان يجوبوا وذلك ما يجب ان يكرهوا ، كأن التاريخ مدرسة للحافدين والاحقاد .

لسنا وحدنا بالامة العريقة التي تحمل التاريخ على ظهرها عبئا ثقيلا ، وتبعة تنقض منها المناكب ، وليست المخازي والمجازر ، بوقائع تلازمتها كخصائص او تدمتها كطبائع . ففي تاريخ الاقوام ، شرقية وغربية ، ما هو ادهى منها ، وادمى . فكيف استطاعت تلك الاقوام ان تتغلب على انقلاب الموجات المظلمة من اعماق التاريخ فتنتقد الاجيال من طغيان الاشباح ، وعويل الدمار ، وانتقال الاوبئة .

ليست كتابة التاريخ وحدها ، هي التي تقف الاجيال ، وادخلت التاريخ مادة حية في مستقبل الحياة . يبقى القول ان كتابة التاريخ القومي نفسها غدت في كل امة ، دليلا من أدلة مجدها ، واثرا من آثار ذكائها ، وعاملا من عوامل وحدتها . وقد خلدت الشعوب مؤرخيها ، حتى ليندو التاريخ القومي ، جزءا من كتبها المقدسة .

ونحن اذا عزمنا على الوحدة ، فلنعزم بلا وناء وفي البدء على كتابة تاريخ الامة دليلا للاجيال المقبلة على النضال المتصلة حلقاته ، جيلا بعد جيل وبناء فوق بناء . وليس فهم التاريخ القومي دليلا الى الوحدة فحسب ، بل تعميقا للوحدة وتوضيحا ، بما لا تعود معه بحاجة الى دليل .

ان المستشرقين ورواد البحوث في تراثنا وتاريخنا ، قد كشفوا لنا الكثير من مزايانا وعبوبنا . منهم من نظر بغرض ومنهم لم يكن له سوى غرض العلم ، مقرونا بمتعة الكشف وتحقيق الانتصار على المجهول ، وفي صناعة التاريخ القومي ، يحفل المؤرخون وعلماء الاجتماع ، بالنقد قصدا الى المزيد من البحث واكتساب اليقين وليست قدسية التاريخ في ان لا يمس ، بل في ان يخرج من أهواره ، وينفض من كهوفه ، وينشر للنور . ولعل كل ما عابه علينا المستشرقون أو طعنوا به علينا ، ليس ابلغ اذى من بعض ما

رمانا به مؤرخنا ابن خلدون ، عندما نظر الى ما وراءه في تاريخ العرب ، من نقطة خراب وظلام ، فظهرت في مقدمة الصورة وكأن كل شيء في حياتهم ، توحش وبداعة : أوتاد خيام مقلوعة ، وأنا في موقد ترحل عنها أهلها ...

وفي رأينا ان جملة من المجهود الفكرى يجب ان يوجه نحو تألف المستشرقين لاجراء الحوار بينهم وبين المتقنين العرب ، على ملام من الجمهور العربي والاجنبى . لان الحوار عدا عن انه يوسع لاولئك الدارسين سبل الاطلاع ومتابعة الكشف في تراثنا فانه المدى الخارجى تعريف بأمجاد الحضارة العربية ، عن طريق النخبة من هؤلاء العلماء . وقد قال احد باحثنا لاجانب ان العرب مكروهون في كثير من الاوساط الاجنبية لسبب رئيسي انهم مجهولون ، على شهرتهم !

وليس الا ببحوث المجتمع العربي وباعادة كتابة التاريخ في ضوء الطاقات العلمية التى عرفت المجتمعات بالمجتمعات ، والشعوب بالشعوب ، ولقحت التجارب بالتجارب - ليس الا بمثل هذه العلوم نكشف واقفنا لانفسنا قبل العالم بأسره ، وللعالم في الوقت نفسه دفاعا عن قومية انسانية غالبا ما تتهم بلعدوان وظراوة الاحقاد ، والتوحش ويرمى تاريخها بكل اقداع وتشنيع ، وحاضر مجتمعا بأنه ليس شديد التخلف فحسب ، بل شديد الاصرار على التخلف والولوع به ، لانه جزء من فطرة القوم وتكوين سعادتهم وراحة نفوسهم .

كيف يمكننا ان نرد على تهمة التخلف ، والاخلاص لروح التخلف ، وهى تهمة أمر وادهى !؟

ان العلوم الاجتماعية التي نحن بحديثها ، وكان يسميها ابن سينا ، بالعلوم العملية ، كعلم تدبير المنزل اى التربية ، وعلم تدبير المدينة ، أى نظام الحكم السياسى ، وعلم الاخلاق ، والصناعة الشارعة اى التشريع - ان هذه العلوم العملية حقا ، ليست بحكم هذه التسمية العربية من ثقافات الترف والكماليات ، بل هى تولد بقدر ما مع كل دولة ناشئة ، وتنمو بالممارسة

والتجربة واقتباس خبرات الشعوب • ولقد تامت شعبيتها بصفة خاصة في اوروبة ، خلال الحرب الاولى ومن بعد وان تكن منابتها الاولى موازية لتفاهم العصر الصناعي ، ولظهور رأس مال ماركس في أواسط القرن التاسع عشر • ولقد بلغت من اهتمام الرأي العام بها أن كانت مشاداتها الفكرية والسياسية احدانا يتابعها الجمهور ويرقبها •

وان يكن ظهور بعض الكتاب الاجتماعيين وقادة الاصلاح في مصر وبعض البلاد العربية ، مثل محمد عبده وأحمد فارس الشدياق وأديب اسحاق ، والكواكبي ، والشميل وقاسم أمين وأمين الريحاني في الجيل الاول ، وخليل مطران وعباس محمود العقاد والمازني وسواهم في الجيل الثاني ، ان يكون ظهور بعض الادب الاجتماعي على يد فئة من المثقفين ، دليلا على بلوغ تيارات العصر ، بعض الاوطان العربية ، فلا أقل من القول بان موجة الجديد ، ما لبثت ان انحسرت ، فمن هؤلاء الاصلاحيين النقاد من صمت أو تقهقر ، أو تبدل ، ومنهم من لاذ بالشعر والادب الفني ، واخرون أخذتهم الصحافة اليومية السياسية أو العمل السياسي بالذات •

فقد عرف خليل مطران في طلعه الاولى ، على انه شاب مثقف يترجم شكسبير من جهة ، ويكتب في علم المالية والاقتصاد ، وله ترجمات مشتركة في هذه الشؤون مع زميله العقاد ، كما عرف في نشأته بان كاتب اجتماعي ، يلاحق تيارات العصر ، ويرصد الاشتراكية بصفة خاصة ، وفي رد له على الدكتور غوستاف لوبون الذي ترجم بمصر تحت عنوان (سر تطور الأمم) يحمل العقاد العربي ، على الفيلسوف الفرنسي ، لانه عدو المساواة والاشتراكية ، ومع الفرد ضد الجماعة ، ويدعو العقاد ذا نزعة اشتراكية واضحة • ثم يزول مطران الباحث الاقتصادي ، والعقاد الناقد الاشتراكي •

بل ان الخط البياني الممتد من القرن التاسع عشر ، حتى منتصف القرن العشرين ، في مضمار البحث الاجتماعي والنقد الاصلاحى يميل نحو الهبوط ، دون الصعود ، كما هو مفروض • فمن يقرأ احمد فارس الشدياق - مثلا - ١٨٠٥ - ١٨٨٧ في مطلع القرن التاسع عشر - اى قبل ان يتجه

علم الاجتماع والاقتصاد في اوروبا نفسها نحو الجماهير - يلمح في تفكير هذا الرائد ، نزعة علمية تحررية اجتماعية ، ترسم زاوية حادة لانطلاق جديد في التأليف العربي . فاذا ما بلغ المتبع عصر محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي ، ١٨٤٩ - ١٩٠٥ و ١٩٠٢ - وجد ان الخط لا يزال في اتجاه الصعود ، بحيث ان مطلع القرن العشرين سيسجل زاوية جديدة للانطلاق . وبرغم تنوع ثقافة العصر ، وغناها بالترجمات عن الآثار العلمية ، في هذه المرحلة ، واتصال عدد كبير من المنقنين بالمجتمعات الغربية بمعنى ان الباحث يفرض احتمال التصاعد الدائم لا يلبث ان يلاحظ الفكر الاصلاحى ، الذى هو فى عهده وزمانه ، فكر ثورى حقا فى اجواء باردة مائة ، وتعدم ملامح الجرأة ، أو الثورية فى التفكير العربى ، مقاسمة بوثباتها السابقة فى عصر مضى . والشواهد القليلة التى تثبت العكس ، لا تقلل بالحق من قيمة هذا الواقع : وهو ان الفكر العربى طفق يتجنب التماس بالمشكلات الاجتماعية ، التى هى مشكلات قومية . ونعني هنا بالمشكلات القومية ، انها ليست مقصورة على مسكن عربى دون اخر ، بل هى عامة تشمل جميع اجزاء الوطن العربى ،الذى تحكمه تقاليد واحدة ومقاييس اجتماعية واخلاقية واحدة على ما بين جزء وجزء من درجات التفاوت .

ومع الاعتراف بأن السوية الاجتماعية والثقافية فى عصر الشدياق ، دونها فى عصرنا نحن ، فان طاقة التوتر الفكرى التى انطلق منها الشدياق ورواد الاصلاح منذ منتصف القرن التاسع عشر ، هى التى تدنت نسبتها من بعد ، تدنيا واضحا امتد حتى منتصف القرن العشرين . ولو استمر الانطلاق الفكرى العربى من نقطة التوتر التى انطلق منها الشدياق منذ الثلاثين الاولى من القرن التاسع عشر ، لكان يجب أن يكون تفكيرنا على سوية التفكير الاوروبى . فماذا حصل؟! وماهى علة الانتكاس ، والركود ، والهروب؟!

قبل الجواب لابد من ان نتعرف بسرعة على مصير الدعاة الاصلاحيين

والمفكرين غير العاديين • كل منهم ، بدءا من الشدياق الى الكواكبي ،
ومحمد عبده وأديب اسحاق وولي الدين يكن وسواهم ، لقي السجن
والهوان والنفي والتشرد • ثم خرجت موجة من بعد ، لتخذف بعض
الآثار الى النسيان على أنها ضلال وتضليل (*) كأن يدا مأجورة ، مديرة ،
قد دخلت في التاريخ ، لتقطع الخط المتصاعد ، وتمحو آثار الخطي ، نحو
التقدم •

وعلى هذا فان الجواب عن سؤال : أين علة الانتكاس؟! انها في
المجتمع الفظالم والحكومات الجاهلة • ان اولئك الذين اذنوا بالفجر ، لم
يكونوا أئمة صلاة الصباح • والذين قرعوا الاجراس ، لم يشاهدتهم
المصلون في الهيكل ، لانهم كانوا قد شنقوا بجبل القبة • بل قد جاز
المجتمع على قادة الفكر اكثر مما جاز رجال الحكم • اذ كان يصعد الى
منبر السلطة بين الحين والحين ، حاكم متور ، أو دعي التنور على الأقل ،
فيدعو الى صلاح واصلاح ، ولكن المجتمع العربي ، او بالاصح المجتمعات
العربية كلها ، سادها غباء مظلم وانغلاق عنيف ضد أفكار الاصلاح ولعل
كثيرين من المثقفين عرفوا وزراء دول ، يحملون أفكار الاصلاح وبدور
التقدم في صدورهم ، واسرارهم ، فلا يجهرون بها ولا يقدرّون • فاذا ما
خاطبهم المتور سرعان ما اجابوا بأنهم عاجزون او أن الامر ليس بين
ايديهم ••• انه للناس ، للمجتمع ••• لهذا الشيء الضخم ، المنيع ،
كليل امرى القيس ، للجمهور •• هذا الجمهور الممتنع ، المجهول ، الذي
يأبى عليك أن تتعلم لتعرف به ، او لتعرفه بنفسه ، فكيف يبيح لك ان
تزحزحه عن راحته ، او أن تبدله تبديلا •

ثم قد نشأت من وراء هاتين العلتين اعراض مرضية ثقافية وبرزها

(*) ان جمع (النشر الاجتماعي) ، لنخبة من أدباء القرن التاسع عشر
- في النقد والاصلاح والتوجيه - اصبح ضرورة قومية نلفت اليها انتباه
المحققين والباحثين ، ولا سيما ، ما ظهر منه في صحف اصدرها هؤلاء
الرواد ، وكانت مناير للشعب •

هروب المثقفين من قضايا مجتمعهم ، بما ان معالجتها مغامرة وغرم عداما
يبدل لها المثقفون من جهد وعناء وعلم . واقترن ذلك بما يوازيه من اهمال
الحكومات للبحث الذي يكشف عن موطن التخلف ويرشد الى سبيل
التقدم .

ثم قد اتسعت دائرة المجتمع ، فشمكت معارف شتى ، تزداد يوما بعد
يوم ، حتى اصبح البحث الاجتماعي نظريا وعمليا ، ممتعا على قدرة
الافراد ، وصار لزاما له حكومة متتورة ، تكفيه وتحميه معا ، والا استمر
انحدار الخط البياني ، في الفكر العربي ، حتى في النصف الثاني من القرن
العشرين ، وهو المرحلة التي نشط فيها الحكم العربي وبدأ ينهض على
قاعدة واسعة من مصالح الجماعات ، وتقويم المجتمعات .

كنت منذ شهور في حديث مع الباحثة الموسوعي الاستاذ عثمان
الكعك ، عما قام به العرب في هذا العصر ، وما يجب ان يقوموا به ، سواء
من ناحية الكشف عن الجليل المفيد من تراثهم او من ناحية التحصيل
العلمي لشؤون حاضرهم ومستقبلهم . فذكر لي الاستاذ الكعك نموذجا من
اهتمام الاجانب بشؤون البلدان التي ينزلون فيها ، ويستعمرونها ، وكيف
يتحول هذا الاهتمام المصلحي ، الى علم وبحث علمي . فقال انه قد صدر
باللغة الفرنسية ثلاثمائة بحث جيولوجي عن تونس . وخمسة وخمسون
كتابا عن (النملة الحمراء) وهي حشرة ذات خصائص علاجية طيبة ، كما
ان هناك ثمانية آلاف رسالة عن الحشرات المضرّة بالزراعة في ليبيا ، باللغة
الاطالية ... الخ الخ ...

فالطريق واحدة اذن ، وليس هناك طريقان لمن يريد ان يستعمر ،
ولمن يريد ان يتحرر من الاستعمار ...!! وان يكن ثمة من فروق بيننا وبين
مستعمرينا ، فهو أنهم برغم الجهول أمامهم يزرعون ، ونحن في جو الصفاء
والمستقبل المعلوم ، لا نكاد نزرع شيئا .

* * *

قد يعترض أحد على أن هذا البحث ، يمكن ان يوضع تحت عنوان

(الادب والمجتمع العربي) او عنوان (الادب والعلوم الاجتماعية) أو
(الادب والثقافة العامة) ، اكثر مما يمكن أن يوضع عنوان (الادب
والوحدة) . فاذا ورد مثل هذا الاعتراض ، فإني أجيب بأنني ما قصدت
سوى ادب الوحدة وثقافتها ، بالعنوان وبما تحته ووراءه .

ولقد اخترت الطريق ، الى الوحدة من مدخلين :

الاول وهو النظر في مقومات الوحدة ، واعتبار النضال القومي
المشترك ، عنصرا اساسيا ، ديناميا من عناصر الوحدة الى جانب العناصر
الثابتة ، من أصل ولغة وتاريخ ، وتراث .

والثاني اعتبار النضال تنقفاً وتثقيفاً ، لا مجرد معركة ذات زوابع ،
تنتحر في دوارها عند اقرب أفق .

وعندما يثبت لدينا ثبوتاً ذهنياً وعملياً أن الوحدة ، معركة وثقافة ،
كما قلنا ، يكون قد تأكد لنا معنى المناجزة والمطالبة ، في معركة ، ليس
لميدانها حدود الا حدود أقصى طاقات الامة مادة وروحا ، حاضرا ومستقبلا .
والعلوم التي نقترحها على انفسنا ، هي علوم تأهيل المجتمع العربي ، لمعركة
نضالية كبرى ؛ يدخل فيها مادة حية ، لا حطبا ولا هشيما .

ان العنصر النضالي ، كمولد للطاقة الدائمة ، في حركة الوحدة ، هو
خير عناصرها ، لا سيما اذا استطاع ان يقبس من العناصر الثابتة ، طاقات
مولدة ، وحركة مستمرة . ولقد تداعت شعوب افريقية المستقلة ، الى وحدة
النضال ، للتخلص من الاستعمار ، والتخلف ، وليس لديها من مقومات
الدعوة سوى الغنم المشترك ، والغرم المشترك .

ولقد ضرب نكروما ، رئيس غانا ، مثلا بسيطا في دعوته الى الوحدة
الافريقية ، بأن اوضح للافريقيين أن سدا للمياه على أحد انهر بلاده ،
يكفي ، فيما عدا الري ، لتوزيع قوة كهربائية تغطي افريقية كلها ، على
أن مشروعا ضخما لكل افريقية ، لا يمكن أن تنهض به الا كل افريقية .

فالدعوة الى الوحدة ، دعوة الى مكافحة التخلف والاستعمار في الوقت

نفسه •

يبقى أن تستطيع القيادة رفع الشعب الى مستوى الدعوة • وهذه هي

رسالة الوحدة •

ويبقى ان نعتقد العزم ، على ان الانسان ليس غاية الوحدة فحسب ،

بل هو السبيل اليها ايضا •

فؤاد الشايب

عضو وفد سورية

- انتهى -

الدوب والوحمة العربية

بقلم

محمد الروسان

حضرات السادة المؤتمرين

احيي جمعكم هذا أطيب تحية • احبيكم باسم العروبة والاسلام ،
وخير تحية تقدمها الانسانية وتتوق لها البشرية ، ان يرفرف على ربوعها
لواء السلام عاليا غير منكس غير مدحور ••• فسلام الله عليكم ورحمته
وبركاته •

وانه ليسعدني ان افق بينكم في هذا البلد الطيب المضيف الذي ضمخ
أجواء أمتنا العربية العريقة على فترات متعددة من التاريخ بين متباعدة ومتقاربة
باروع عطر واكرم شدى من البطولة والابداع والروعة والفخار ،
والكرامة والمجد ، راية خفاقة ، وسيفا مصلتا ومنارا للعلم لا ينظفي •

هذه دار السلام ملتقى القادة العظام ••• دار الرشيد ••••• مختبر
المأمون فيلق المعتصم محراب ابي حنيفة ••• يسير فيها وعلى هدى وبصيرة
وبأيمان عميق عميق ، مستمد من رسالة امتنا الخالدة الماجدة وقوميتها
الراسخة الشامخة المنطلقة نحو السوهد والعزة رسالة امتنا في الوحدة
والحرية وتحقيق الاماني القومية •

ابن العروبة البار السيد الرئيس ، مجردا من كل لقب الا لقب الخير
والنبل والرجولة والاقدام والوفاء بعيدا عن كل زخرف تحف به القلوب

المؤمنة كلما أقبل على ربه في محراب صامت وركن وقور ، وتتعلق
به العيون المتطلعة ، كلما بعثها صرخة مدوية لتوحيد الصف وجمع الكلمة
والتضامن العربي ورفع مشعل العروبة عاليا خفاقا وانقاذ الوطن السليب من
أيدي المغيرين ومخالب المستعمرين وتزوين جبينه اكاليل الغار والفخار كلما
انطلقت من حنجرتة دعوة العروبة والقومية الرائدة تتعاقب مع راية الاسلام
... ذلكم هو عبدالسلام محمد عارف

ومن تلك التربة الطاهرة المقدسة المضمخة بالنجيع ، نجيع الشهداء
الذين تستصرخ ارواحهم قادة العرب ورجالانها للنار والكرامة ، من
رحاب الاقصى المبارك وجنات المهدي والقيامة ... من هناك من قلب الاردن ،
أردن العرب ، وجنوده البواسل ابناؤكم واخوانكم جنود بواسل من ابنا
العروبة يقفون على خط العروبة الاول وهم يحملون رسالة امة ويحرسون
كرامة قومية ، وينتظرون يوم النار ليكونوا من طلائع الفداء وفيالق امتنا
العظيمة ومن كتاب الزحف المقدس وليؤدوا الرسالة مع جيوش العروبة
في انقاذ من استلب من وطننا ، فردوسنا الغالي ، فلسطين العرب ... من
هناك من ميدان التجمع الكبير ومركز الانطلاق المتلهف ، من ضفتي
الاردن ، النراخالد ، المستغيث نهر العرب ومن تربة فلسطين الجريحة
انقل اليكم التحية تحية الوفاء تحية الامل تحية الفداء واحيي العراق
الشقيق ، وشعب العراق العظيم وابطل العراق المؤمنين الصامدين واي تحية
اسمى من ان يذيب رجال الفكر والقلم عصارات عقولهم وسمو مثلهم في
بغداد لتكون عطرا للقلوب المؤمنة وغذاء للارواح العطشى وافكارا تسير
الدروب وتهدى الى الرشاد وتوجه للمجد والخلود ... مثلا تسرى الي
كل اجزاء الوطن العربي الكبير فتحيا الامل وتحقق الاماني ...

اخواني

ان وحدتنا ... وحدة امتنا العربية الكبيرة ... وحدة شعوبنا
المتلهفة للوحدة المتحفزة ... واذا كان حملة القلم ورجال الفكر هم رسل

التوجيه السديد والرأى الرشيد فمن واجبي في موقفى هذا بينكم ان اتناول موضوعا طالما تعرضت له الاقلام ، وبحث تفاصيله العقول المستتيرة والافهام المدركة ذلكم هو (الادب والوحدة العربية) خاصة وان الفكر العربي الحركان دائما طلعة النضال العربي وسيظل ضوءا غامرا يهدى كل ضمير وطني ويدفع كل يد تعمل بصدق وكل قلب ينبض بالوفاء في هذا الوطن الكبير .

ان الاخطار المحدقة بعالمنا العربي الذى فرض وجوده ، وقال كلمته ، والتحديات التي تواجهها امتنا العربية التي ادركت حقيقة عظمتها وكريم رسالتها وقررت اين ستقف في هذا الوجود ، وكيف تحافظ على كرامتها ، كل هذه تفرض على رجال الفكر ان يجعلوا من اقلامهم ومن عقولهم المستتيرة الواعية ومن اتناجهم الفكرى عصارت وغذاء ينمي الشور بالقومية العربية وبالايمان بها ، وان يستلهموا من رسالة السماء ومن اقداس الكلمة المنزلة روحا تطوف بالطهر والحق واليقين . فيساعد الفكر بذلك على تكوين رأى عربي عام يحس احساسا مشتركا باهداف الامة العربية ويشترك ايجابيا في تحقيق هذه الاهداف وعلى تنمية شعور المواطنين بالمشكلات والصعاب التي تواجه وطنهم واحساسهم بمسؤولياتهم في مواجهتها ، وتحصين المواطنين ضد كل تسلل اجنبي بالرأى الدخيل المستورد لافساد الروح العربية وتوهين الشعور بالقومية العربية ومنابذة المثل العربية . . . كما ان من واجبهم تبصير المواطن العربي بالاخطار الخارجية التي تهدد كيان امتنا وتستهدف طهر رسالتنا وتشويه مثلنا ، اخطار الاستعمار والتبعية والصهيونية المجرمة وخلق روح النضال والارادة الايجابية لرد هذه الاخطار وحفزهم على العمل الايجابي لاستخلاص حرية الاجزاء السليية من الوطن العربي وفي طليعتها فلسطينا الحبيبة . . . ومن الضرورى كذلك العمل على تأكيد المقومات والاصول التي تستند اليها القومية العربية وتقوم بها ، وتأكيد حقائق التكامل العربي وتربية الضمير والسلوك الوطني بحيث تهدف كل هذه الاقداس الى بناء جيل عربي واع مستتير مؤمن بالله ، مخلص

للوطن العربي مدرك لرسائله القومية والانسانية واثق بنفسه وبأمنته متبصر
لقدسية هذا الوجود ، عامل للحياة وللخلود ... ومن احق من الانسان
العربي ، وهو صانع التاريخ وقد شئت ارادة الله ان تكون انطلاقته المجنحة
ورسالته الكبرى من صميم تراثه ومن اعماق اقداسه ومن التربة التي
كانت وستظل مهد الحضارات والديانات وللعربي فيها النصيب الاكبر في
دفع عجلة التقدم الانساني والحضارى منذ فجر التاريخ الى هذا اليوم
الذى يشرف فيه هذا العربي نفسه على نهضة حضارية كبيرة زاهرة
يقوم على التحرر والتقدم وتحقيق العدالة الاجتماعية والايمان بالانسان
العربي وبحقه في الحرية والمساواة والتنمية والعدل ، وقد عرف مكان وطنه
من العالم ومركزه من التيارات ، والسياسات المعاصرة ...

ان القومية والعروبة ، وقد اشرقا برسالة الاسلام ، قيادة فكرية
منبتقة من صميم دعائم الانسانية روحا ومصدرا هما المحور الضخم الذى
تدور عليه احداث التاريخ كما انهما كل متكامل لنضال امتنا والنور الذى
يجمع كفاحها على صعيد واحد ويحشد امكانياتها الضخمة في قنوات تنطلق
من حصائل جهود العاملين من رجالها كما انها الخط الخط الوحيد لسير
شعبنا العربي في الدروب والمسالك حيث التقى العرب بانفسهم على انبثاقه
نور الحقيقة واشراقه الفجر الباسم الذى اضاء قلوبهم ... ان عجلة التاريخ
لا تدور الى الوراء وحنمية التاريخ لا يمكن ان تتجاهلها العصور او ان
توهنها أو تدحرها قوى الشر وهي كثيرة وطامعة وستبقى قوميتنا المؤمنة
النامية شرارة الحياة المتقدحة وجذوتها المتقدمة كما ستظل الوحدة العربية
الشاملة السبيل الوحيد لحل قضايانا القومية وفاتحة سجل خلود امتنا
وعنوان وجودها وقد احتضنتها رسالة الهدى والنور ، وجبلت ذرات تربتها
بدماء الشهداء ...

ان اللغة العربية ايها السادة هي وجه الامة العربية المنير ، وانعكاس
خصائصها الدالة على الصدق والحق ، والمرأة المجسدة التى تعكس الصورة
الطبيعية لقوميتنا ، انها روح الشعب العربي نحو المجد بقدر ما هي صوت

الحرية المجلجل ... انها لغة الانسانية وجوهرها قدسية الكلمة ، وانها لغة الخلود ، انها اللغة التي توشحت خلال الصور بالاجلال والوقار والهيبة، فكانت حلقة خليقة بمد التواصل الانساني بالاستمرار جديرة بنقل الحضارة العالمية ، وبها مرونة لا تجاريتها مرونة في اية لغة أخرى ، فما روعها من رسالة وما اعرفها من قومية وما اعظمها من وحدة وما اقدسها من لغة في وطن تجمعها اقدس الروابط وتنتج قلوب ابناءه وتير بأسمى المثل وتظلل ارفع سماء وتضمه اطهر تربة ويخلده تاريخ حافل بالبطولات ويسير لتحقيق اشرف الاماني والامال ونبيل الغاية يتدفق كبريا واعتزازا فيخلق بالكلمة ويستلهم من الكلمة ويصور الحقيقة والحياة وهو يؤمن ان الكلمة والكلمة وحدها قادرة على التعبير وقد كانت وحدها منذ ان عرفت الانسانية وستظل وحدها نبراس الوجود وطريق الخلود ... وبالكلمة وقد انطلقت مع الايمان مشيت في ركاب امتنا العظيمة عندما كانت جيوشها نملاً الارض وتدفع وهي تدك عرش قيصر وتطيح بايوان كسرى وتبني للمجد وتصنع للوجود . عليها لواء العدل ويظللها رحمة السماء ...

اخواني :

لا اظنني بحاجة الى الاسهاب في سرد ذلك الصراع الذي كان يدور في ارجاء الجزيرة العربية بين قبائلها المتناحرة على بئر تستسقي منه أو كلاً ترعاه الماشية أو انعام تحمل القبيلة الى بلد بعيد ولا الحروب الطاحنة التي دارت عندما لم يكن للكلمة بعد ذلك القدر العظيم ولا تلك القدسية التي يدركها رجال الفكر والقلم في يومنا هذا او في العصور التي تلت ذلك التناحر عندما كان يقول الشاعر :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان
او حين يردد اخر :

انا بنو نهشل لا ندعى لاب عنه ولا هو بالابناء بشريتنا

الى ان ولدت الكلمة الخالدة التي جمعت شملنا ووحدت كلمتنا وبدأ
أثر الادب العميق في وحدة امتنا وبدأت مفاهيم الوحدة تبلور منذ تنزل
على قلب قائدنا العظيم الرسول العربي الامين محمد صلى الله عليه وسلم
« وان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » ... وكان طبيعيا ان
يقوم المجتمع العربي على أساس من الفكر العميق في وحدة متماسكة واهاء
شامل لا يجمعه مال ... ولا توحيده مادة وانما تدفعه امال مشتركة يقررها
من لا ينطق عن الهوى ، مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد
الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى
ومن مستوى هذه الكلمة الرفيعة ، ومنطلق الادب السامي بدأت زخوف
أمتنا تحمل مشاعل الهدى وتزين صدر الوجود بأقباس الخير والمجبة ...
وكان ان تلمذ على الرسول العظيم عظام افاض كانوا طلائع النور وكنايب
الايمان واساتذة البشرية ... فكانت علاقة الفكر ورابطة العقيدة اساسا
لاقامة مجتمع فذ انطلقت فيه اقلام الادباء والشعراء تدعو امتنا ان تلتقي على
سميد واحد من الفكر الى ان جاء عصر بني أمية وفيه كانت وحدتنا تقوم
على كلمة الحق يقولها شاعر صادق او كاتب بار وبلغت العروبة ما لم
يسبق ان بلغته من قبل ، وبلغ التمازج بين الحضارة العربية والحضارات
اذخرى الانسانية في هذا العهد شاواً جديداً ... وفي عصر بني العباس
الزاهر بدءا من ابي جعفر المنصور وانهاء بسقوط بغداد كان للادب اثر
كبير في وحدتنا ونحن نرى جيوش الرشيد والمأمون تمضي فاتحة . وجيش
المتعصم يزحف ظافرا « وابو تمام » يصور بالكلمة فيهتف .

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

مينا انصار المتعصم لامرأة في المغرب استغاثت بجيش المتعصم ، جيش
الامة جيش الوحدة ليقول لها ليك ... وليمضي ابو تمام في ركابه يصور
بالكلمة النيرة اروغ مواقف البطولة والوحدوية الخالدة ... وفي العصر
العباسي اصبح تمازج الثقافات ظاهرة بارزة في حياة العرب واخذ اسمى

اشكاله لان الفتوحات العربية كانت فتوحات ثقافية روحية ، ومن هنا فالعرب يمثلون الجسر الحقيقي الذي عبر عليه الثقافات المختلفة في تاريخ الانسانية وفي العصر الاندلسي الزاهر كانت خطبة ، طارق بن زياد ، الخطبة التي مهما تعال في تحقيقها تاريخيا ذات اثر بالغ في فتح الارض الجميلة والربوع الطيبة في الاندلس التي اضائها شموع الفتح وانارتها رسالة الهدى والنور يحملها العرب ليعلموا الدنيا الاقداس الانسانية وقواعد المحبة والاخاء واقامة صروع العدل ،

ثم جاء العصر التركي حيث اصيب الادب العربي بنكسة واحاطه ضعف وانحلال لان الحاكم لم يكن ليتذوق جمال اللسان العربي وروعة وبلاغة الجمل القرآنية حتى اطل علينا العصر الحديث بشعرائه وادبائه العمالقة فانبرى كتاب وشعراء يدعون لوحدة امتنا على اسمى سليمة غايتها جمع الكلمة وتوحيد الشمل ومن مفاخر امتنا وعظمة رسالتها ان شعوب الارب جميعا تضع وحدتها أو اسس على الارض . اما نحن الامة العربية فقد سطرت وحدتنا في السماء ورسخت على اقدس تراب وفي اطهر أرض . . . ومع اطلالة القرن العشرين وقف أمير الشعر رحمه الله شوقي يشدو للعروبة انشودة الوحدة ويتغنى بها وتصور بعض اسسها تصوير شاعريا مدركا . ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والآلام اخوان وفي ألم ممرض يتحدث شوقي عما اصاب دمشق الابية من عدوان فرنسي غاشم في ثورة العرب السوريين الاحرار على استعمار باريس سلام من صبا بردي ارق ودمع لا يكفكف يا دمشق الست دمشق للاسلام ظنرا ومرضعة الابوة لاتعق صلاح الدين تاجك لم يجمل ولم يوسم يا زين منه فرق ثم يحدد جانبا من معالم الطريق واسس الوحدة فيقول :

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

ثم يدعو للحرية باعمق معنى توري لها فيقول :
وللحرية الحمراء باب بكل يد مزرجة يصدق
انه يشارك دمشق في محنتها ويسكب دمة حرى على ترات

الاندلس ويدعو الشعب الليبي ان يقف شامخا عملاقا يحيي بطله عمر المختار:
ركزوا رفاتك في الرمال لسواء يستنهض الوادي صباح مساء
ياويحهم ركزوا منارا من دم يوحى الى جيل الغد البغضاء
ثم ينطلق شوقي شاعرا انسانيا عربيا يدعو للاخاء والمحبة تعم الارض
كلها في صورة من العدل والشرف والانصاف :

ماضر لو جعلوا العلاقة في غد بين الشعوب مودة واخاء
وفي دعوة صريحة لخطوة نحو الوحدة يخاطب شوقي زعماء
مصر والسودان متساؤلا عما وقع بينهم وهم اخوة من خلاف :
الام الخلف بينكم الاما وهذي الضجة الكبرى علاما
رفيم يكيدهم لبعض وتبدون العداوة والخصاما
وها نحن نسمع بلبل النيل المرحوم حافظ ابراهيم في اروع اناشيد
الوحدة التي تتجسسها اليوم بكل دفقة دم ، وخفقة قلب :

لمصر ام لربوع الشام تتسب هنا العلى وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما قلب الهلال عليها خافق يجب
حدران للضاد لم تهتك ستورهما ولا تحول عن مغناهما الادب
ام اللغات غداة الفخر امهما وان سالت عن الاباء فالعرب
اذا امت بوادي النيل نازلة باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعا في ثرى الاهرام ذو الم اجابه في ذوى لبنان متحجب
لو اخلص النيل والاردن ودهما تصافحت منهما الامواه والعشب
ثم يسهم الشاعر العربي السوري ابو ريشة في هذا المضمار يتحدث
لدينا عن مأساة امتنا في فلسطين حيث يقول :

امتي كم غصنة دامية خنقت نجوى علاك في فمسي
اي جرح في ابائى راهف فاته الاسى فلم يلتئم
الاسرائيل تعلقوا رايى في حمى المهدي وظل الحرم
او ما كنت اذا البغي اعتدى موجة من لهب او من دم
ونصفي بروعة لهتاف حق وصيحة نذير نادى بها شاعر فلسطين

المرحوم طوقان وهو يؤكد وحدة امتنا .

واذا الرشاد من الضلالة والعمى ومن الشقاق تألف واخاء

واذا الخيام قصور املاك السورى
 وعلى ربوع الصين كبر فيلق
 وبارض قسطنطين رف لواء
 ناديت قومي لا اخصص مسلما
 واذا القفار دمشق والزوراء
 وتفتح قلوبنا وهي تعانق الامل وتعيش للانطلاق عندما ينشد الشاعر
 المجلي بشاره الخوري وينا جي فلسطين يوقف الضمائر ويتغنى بأمجادنا فيقول:
 يا جهادا صفق المجدل له لبس الغار عليه الأرجوانا
 شرف باهت فلسطين به وبناء للمعالي لايدانسي
 ان جرحا سال من جبهتها لثمة بخشوع شفتاننا
 يا فلسطين التي كدنا لنا كابدته من اسي نفس اسانا
 يشرب والقدس منذ اختلما كعبتنا وهوى العرب هوانا
 شرف للموت ان نطعمه انفسا جبارة تأبى الهوانا
 ونعطر افئدتنا بعواطف شاعر بلغ من الشعر مكانة الفحول وغني
 بالموضوعات السياسية وغنى فلسطين وكانه عاش النكبة قبل وقوعها فالشاعر
 محمد مهدي الجواهري الذي يسطر بالقلب واللسان بعض أسس وحدتنا الكبرى *
 بيافا يوم حظ بها الركاب تمطر عارض ودجا سحب
 وقفت موزع النظرات فيها لطرفي في مفاتيها انسياب
 وقلت وما أحر سوى عتاب ولست بعارف لمن العتاب
 احقا بيننا اختلفت حدود وما اختلف الطريق ولا التراب
 ولا افرقت وجوه عن وجوه ولا الضاد الفصيح ولا الکناب
 نقوا انا توحدنا هموم مشاركة ويجمعنا مصاب
 ولنذكر الشاعر المرحوم ابراهيم اليازجي وهو يحلق بشعره القومي

التوجيهي :

سلام ايها العرب الكرام - وجاد ربوع قطر كم الغمام
 لقد ذكر الزمان لكم عهدا مضت قدما فلم يضع الذمام
 لعمر ك نحن مصدر كل فضيل وعن اثارنا اخذ الانمام
 ونحن اولو المائر من قديم وان جحدت مائرنا اللثام
 ومن ادب النكبة لنصغ الى شاعرنا ابي سلمى وه ويعيش للعودة

والامل يخفق في حنايا اضلعه :

فلسطين الحبيبة كيف احيا
تأديني الشواطئ باكيات
غدا سنعود والاجيال تصغي
مع الرايات دامية الحواشي
ولنتأمل بما تجود به قريحة الشاعر محيي الدين الفارس وهو يعني
فلسطين بقصيدة نابعة بالحياة يصور بها خيام العائدين بعواطفه الجياشة عندما
بيعها انعاما جريحة باكية ليؤكد ان جرح فلسطين يتجاوب اسي في تربة السودان:

الريح اطفأت السراج
وقهقهت خلف الخيام

وفراخه الزغب الصغار
تراعشت مثل الحمام

وتكومت فوق الحصير ، وتكومت مثل الحطام

ناموا على جوع ، فما عرفوا هنا طيف ابسام

نام الوجود ولم تنامي

وتوقفت في ناظريك دميعتان من الضمام

وهمست نائرة الضرام

يافا الجميلة لم تزل دنياك ماثلة امامي

ولنصغ الى شاعر الحرية والتجديد والمخلق المبدع جميل صدقي

الزهاوي الذي دافع عن العرب وعن الحقوق العربية بضمير ووفاء وهو

يشير الى بعض اسس الوحدة :

بني وطني لا تسكتوا عن حقوقكم
ليس لكم منكم فم يتكلم

لكم ثروة في الارض اتعابها لكم
وارباحها للغرب نهب مقسم

وما بال ابناء العروبة اصبحت
على الذل اشتاتا تشب وتهرم

لالام قومي الصيد نفس تألمت
لك الويل يا نفسي التي تتألم

واذا كنا قد الهينا في ذكر مواقف الشعراء من الوحدة العربية والدعوة

لها وهناك من الشعراء المبدعين كثيرون من اخواني الذين ضمهم هذا المجلس

او الذين لم تساعدهم ظروفهم من مشاركتنا اعتذر عن ذكرهم لضيق

المقام ، فلا بد من الوقوف هنا بكل تجلته وتقدير عند اراء ادباء العربية

وكتابها ممن عمقوا فكرة الوحدة ودعوا لمفهومها السليم وكانت افكارهم

نورا يضيء للاجيال الصاعدة دروب العمل ويدفعهم الى البذل والعطاء
بوعي وادراك ، منهم انتم ايها السادة الافاضل والاساتذة الكرام ومنهم من
يعيش بروحه هنا ولم يستطع مشاركتنا كذلك ... ولنبداً بعميد الادب
العربي استاذنا الجليل الدكتور طه حسين وهو يحدد معالم الوحدة اروع
تحديد ويصر على مفهومها السليم حيث يقول :

« واذا كانت هناك وحدة يحاول العرب ان يعودوا اليها وقيموا عليها
وهم في الحياة الحديثة كما قامت عليها حياتهم القديمة فالقرآن هو اساس
هذه الوحدة الجديدة كما كان اساساً للوحدة القديمة ... الى ان يقول
والعرب اجدر الناس ان يفهموه وينفذوه فهو انزل فيهم وانزل في لغتهم
واتجه اليهم اول ما نزل ، ٠٠٠٠ ص ٩٦١ - ٩٦٢ قرآن الاسلام

ويقول سيد قطب وهو غني عن التعريف

« ليست الحياة لهوا وعبثا وليست الحياة سلامة كسلامة الاذلاء وليست
الحياة راحة واسترخاء وتعطيلاً للطاقات الكامنة في الروح والذهن والعصب
والعقل انما الحياة هي كفاح في سبيل حق وجهاد في سبيل خير وانتصار
لاعلاء كلمة الله او استشهاد في سبيل الله ورضوانه ، هذه هي الحياة ، »

ولفتياتنا الاديبات في هذا المضمار صوت صارخ مدوي مشاركة منها
لرسالة العظيمة وهذه الحقيقة تحدثت عن نفسها ونحن نقرأ ونحتفظ بتلك
الثروة الادبية الهائلة من مؤلفات مجموعة كبيرة من اخواتنا وهن يضعن
عصارات افكارهن لخدمة العروبة ورسالتها الكبرى فلنستمع الى ما قالته
الايية الكاتبة الانسة مي زيان مخاطبة الشرق العربي ايها الشرق :

يا شرقي الكبير الرؤوف • يا شرق الطرب والحمية والنخوة والشدة
العاصفة كريح السموم انك لتتجمع تحت نظري كلوحة مصورة فارى منك
الفقر والجهل والاضطراب والاحتماد والانفعال الى ان تقول : ورغم ذلك
فاملئ بك عظيم كالحياة والحرية ... اى قوة هذه التي تشد وثاقي اليك ؟
لماذا اهوى من لغتك الشدو الشجي النواح والنبرة السريعة الحادة والهتاف
الاببي الحار ؟ انك ايها الشرق اصطفيت لتكون ارض الابطال ومنشأ
الجبايرة واليوم قد آن ان ترتفع موجتك الجديدة وتمتد ، وهناك فجر

منتظر ولم يلح بعد .. انت برج الفجر ايها الشرق ..
وهناك كثيرون من رجال الفكر والادب الذين جعلوا التاريخ السنة
تطلق لتذكرهم بسمو افكارهم وغزير ادبهم وتفهمهم للقواعد الاساسية
للوحدة العربية الشاملة امثال اديب العربية الكبير المرحوم مصطفى صادق
الرافعي والاستاذ الجليل العقاد والدكتور نظمي لوقا وهم يدعون الى الوحدة
ويناقشون مفاهيمها والروابط التي تربط بين اجزاء امتنا الواحدة لتكون
امة طلابية تقود الجماهير نحو الظفر والمجد والفضار .

ومن هذا الذي ذكرناه مستعرضين ، نصل الى ان مقومات وحدة
امتنا تترايط في وثاق واحد وفي بيان مرصوص يشد بعضه بعضا على اسس
ثابتة راسخة من الفكر العميق وهي امور ليست بالمصطنعة وانما جذرية
اصلها ثابت وفرعها في السماء مما يؤكد حتمية الوحدة بين ابناء هذه الامة
الكريمة وكم يسعدني ان انهي كلمتي هذه لجمعكم الطيب هذا ان نشق
طريقنا نحو فكر واع وعقيدة وعقيدة خالصة ندفع الاجيال الصاعدة
ليستوحوا من قضاياهم القومية ومن جراحات العائدين واستغاثات ما استلب
من اوطاننا سبيل العمل بالتوجيه الفكري السليم فننظم شعرا ونكتب نثرا
لنصور بالصدق والحق والضمير وبالقلم المبدع والفكر المدرك حقيقة قوميتنا
البناء العريقة وصفاء عربتنا المشرقة المنطلقة وهما تعانقان مع رسالة الاسلام
الخالد في ظل حياة حرة كريمة ، ويقف العرب بعد ان ينفضوا عنهم كل
ما اتابهم من عوامل القلق والبلبلة ليؤدوا الرسالة وليحملوا الامانة ،
وليكونوا مرآة جيل الغد الذي تنتظره مسؤوليات جسام ... نكتب ونصور
بالكلمة ، ومنطلقنا في وحدتنا الكبرى ، ومعركتنا المقبلة ، الارض التي بارك
الله حولها لتكون اغنية كل شاعر وترتيلة كل نائر ، حتى نقذ جسم امتنا
من الاخطبوط الاستعماري الصهيوني البغيض ، فتبدأ يومئذ اقلامنا تكتب
لتحدث عن الرخاء والكرامة ورغد العيش مثلما كتبت وتحدثت عن
البؤس والفاقة والحرمان وعن النكبة والتشرد والجراحات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود الروسان

عضو وفد الاردن

الأدب وحمية الوحدة

بقلم

عبدالرزاق البصير

مجد تاريخ امتنا العربية وعراقتها في الحضارة ، وما قدمت للإنسانية في جميع ميادين الحياة وحبها للحرية ، كل أولئك من الأمور التي اجتمع عليها الباحثون في مشرق الدنيا ومغربها . وهي فوق هذا وذاك غنية بأفرادها الذين يعدون ثمانين مليوناً . وقد عرفوا بقوة الشكيمة ومضاء العزم وهي غنية بما تحويه أرضها من خيرات قل ان تناح مثلها الا لقليل من الأمم .

واما هذا شأنها كيف تصبح عرضة لطمع الطامعين وانتهاز المنتهزين ؟ وكيف تمكن اعداؤها من انتهاك حقوقها وهدر كرامتها واغتصاب قطع عزيزة من بلادها ؟ وما هي الوسائل التي استعملوها حتى تمكنوا من فعل ذلك بها ؟

هذه الاسئلة لا بد وان تدور في جميع الأذهان . وليس من شك ان هذه الاسئلة تلح الخاخا شديدا على الأذهان لما للقضية من أهمية عظيمة . وفي اعتقادي ان كل من يطرح هذه الاسئلة على نفسه فانه لا بد وان يجد بان الجواب سيكون واحدا . واعني به تفريق الكلمة وتفريق الشمل . أو ان شئت الشمول في العبارة فقل هو التجزئة العميقة التي صورت لبعضنا انا شعوب مختلفة اشد الاختلاف مما يجعل وحدتنا من الأمور التي تكتنفها العقبات حتى كادت ان تصبح من الأمور المحالة .

لقد ادرك اعداؤنا انهم لن يتمكنوا من ان ينالوا ما آربهم منا الا بتعميق
التجزئة . كما ادرك المفكرون منا اننا لا يمكننا ان نصل الى ما نصبوا اليه
من القوة والمنعة ، واننا لا نستطيع ان نحتل مكائنا اللائقة بنا بين الامم
الحية الا بالوحدة .

لذلك كان الصراع عنيفا بيننا وبين اعدائنا لان ايمان مفكرينا كان عميقا
بالوحدة حتى جعلهم لا يتوقفون عن السخاء بالحياة في سبيل هذه العقيدة .
وكان اعداؤنا يدركون ان الوحدة هي التي ستقضي على مصالحهم وهي
التي توصلنا الى ادراك حقوقنا واسترداد كرامتنا . فقاوموا الداعين اليها
مقاومة شديدة وسلكوا في ذلك شتى السبل من سفك دماء المفكرين
وتضليل الجماهير بتسخير الذين حرفوا الكلم عن مواضعه . وما يزال
الصراع عنيفا بيننا وبين اعدائنا . فإين يقف الادب من هذا الصراع ؟

من الملاحظ ان كتابنا المؤمنين بامتهم قد رأوا ان من الاجدى لقضيتنا
ان يسلكوا سبيل التوضيح والنقاش في كتاباتهم لما يعرفونه من ان التجزئة
قد أخذت طريقها الى الناس في كثير من العمق . لانها تركز على مصالح
مادية وثقافية . فكثير من يؤثر مصلحته على مصلحة امته . وكثير من الناس
من غدى عقله بغذاء غير صالح حتى اصبح لا يعرف طريق الحق في قضية
أمة ، ولا يدري انه يعيش في المتناقضات . ولست اعني ان ادباءنا لم
يقولوا شيئا في الدعوة الى الوحدة والتشويق اليها . وانما الذي اعنيه
هو ان معظم الجهد الفكري قد سلك طريق البرهنة والاستدلال .

وفي رأبي ان كتابنا قد وفقوا كل التوفيق حين اتخذوا هذا الاسلوب
في الدعوة الى الوحدة ذلك لان اعداءنا ادركوا بان للكلمة وقعها في القلوب
وتأثيرها على العقول فبادروا الى تسخير بعض الكتاب الذين ماتت ضمائرهم
فنشرت مؤلفات وصحف مملوءة بالاضاليل والاكاذيب لتغريير الجماهير .
وما ينبغي لنا ان ننسى ان التجزئة قد مضى عليها زمن طويل مما يشكل
عنصرا قويا سواء كان للكتاب النفعيين أو لبعض الناس الانتهازيين الذين
لا يهمهم الا مصالحهم الخاصة .

من هذا كله تجمع ضباب كثيف حول قضية الوحدة • وتبديد هذا الضباب لا يمكن الا بابرار الحجج التاريخية والمنطقية • وانا بطبيعة الحال لا استطيع ان اتعرض في هذه العجالة لكل الشبهات التي حشدتها المضللون حول قضية الوحدة لانها متشعبة كثيرة • وانما اريد ان اشير اليها اشارة موجزة • لان الكتب التي ألفت في اثبات صحة العقيدة القومية كثيرة يسهل الحصول عليها لكل من يريدتها •

ولعل اول ما يثيره المشككون هو انها غامضة غير واضحة المعالم بدليل انا لا نعرف تعريفا للقومية متفق عليه بين المفكرين • وانها من الافكار المستوردة اذ انا لا نعرف لها جذورا في تاريخنا الطويل • والذين يثيرون هاتين الشبهتين يعتمدون التضليل لانهم يعرفون بطلانها بكل تأكيد • فليس كل شيء لم يتفق على تعريف واحد له يصح لنا رفضه أو انكاره لان كثيرا من بديهيات الحياة لم يتفق على تعريف لها بين المفكرين كالحق والعدل والجمال • فالفلاسفة مختلفون في تعريف هذه الاشياء مع ان كل احد يحسن بها اعظم الاحساس حتى انه لا يمكن ان يحيا بدونها ، لان الحياة بدون هذه الاشياء أو عدم الاحساس بها يعني فقد الحياة •

أما القول بانها عقيدة مستوردة جاءتنا من الغرب ، ومن الافضل لنا ان نرفضها كل الرفض ، لانها شيء لا يمت الينا بصلة • فهو قول مردود يدل اما على الجهل أو على تعمد الخداع • اذ ان الصراع بين الشعوبية والعرب أمر معروف لانه سلك الطريق الفكري والمادى • فنحن نعرف جميعا ان كثيرا من الدماء البريئة قد اراقها الشعوبيون وان كثيرا من الارواح الطاهرة قد ازهقت لا لذنب اقترفته وانما لانها عربية خالصة • وقد سلك أعداء العرب في هذا السبيل طرقا عديدة كان الكثير منها يتخذ الغدر أسلوبا في تنفيذ ما ربه •

ونحن نعرف ان كتبا كثيرة قد ألفت في الحط من العرب والتحقير من شأنهم ونشر مثالبهم على يد اناس اتصفوا بالانحدار الخلقي كزياد ابن ابيه وعلان الوراق وابي عبيدة وحمزة الاصفهاني وسهل بن هارون

وغيرهم من الشعوبيين • وان كثيرا من الشعر قد شارك في هذا العرض
مشاركة قوية • وان المفكرين والادباء من العرب أو المنصفين للعرب قد
الفوا كتباً تنقض ما قاله اولئك المتعرضون • وما اظن اني في حاجة انسى
القول بان ظهور الشعوبية يعني وجود قوميات مختلفة منها العربية وغير
العربية • والصراع بين الشعوبية وغيرها يعني الصراع بين هذه القوميات •
وما اظن اني في حاجة الى ايراد أمثلة على هذا الصراع لان معرفة ذلك
سهلة ميسورة وهو من الامور الواضحة التي لا تحتاج الى تبين •

كان بحث هذا الموضوع فيما مضى لا يكاد يوجد الا في كتب المراجع
ككتاب البيان والتبيين للجاحظ وفي كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه •
أما في عصرنا الحاضر فان مفكرينا قد رأوا تجديد هذا البحث بحيث
يسهل على كل من يريد معرفته ان يرجع اليه لما للقضية من أهمية •
فالفوا في ذلك كتباً سهلة المآخذ يتوجب على كل واع معرفتها والامام
بها •• يتجلى ذلك فيما كتبه الاستاذ الجليل ساطع الحصري والدكتور
عبدالرحمن البزاز والدكتور عبدالعزيز الدوري والاستاذ عبدالصاحب
الدجيلي وغيرهم من الباحثين •

لقد بحث كتابنا المخلصون كل ما يتصل بالعقيدة القومية أو كل ما
يحوم حولها من الشبهات كتعارض القومية والدين • أو ان القومية خلوة
من المحتوى الاقتصادي • وما هو موقف الوطنية من القومية • أو ان القومية
العربية تعني العنصرية الى غير ذلك من الحجج والشبهات التي ينشرها
اعداؤنا ليخدعوا سائر الناس •

لقد بحث كتابنا هذا كله واثبتوا ان العقيدة القومية عقيدة تتمشى مع
العقل والمنطق • وانها قابلة للتطور بعيدة عن الجمود • وانها اهل للبدل
والتضحية وان شهداءنا كانوا على حق حين بذلوا ارواحهم في سبيل
أمتهم •

ولقد اجمع هؤلاء الباحثون على ان اللغة هي من اقوى الروابط في
العقيدة القومية • فاللغة هي روح الامة وهي الاساس الذي تعتمد عليه في

التعبير عن شعورها • وهي المرآة التي تعكس تقدم الأمة وتجربتها في الحياة • وليس من شك ان الشعر كان ولا يزال من أقوى العناصر لتقوية اللغة • ولقد كان من أهم الأسباب في توحيد لهجات الأمة العربية • كما انه من أقوى العوامل لتوثيق رابطة هذه الأمة • فنحن نعلم ان العرب حينما كانوا يجتمعون في اسواقهم سواء اكان ذلك في الجاهلية أو الاسلام كانوا لا يكتفون بما كانوا يتزودون به من حاجاتهم المادية • وانما كانوا يغذون عقولهم وافكارهم بما كانوا يستمعون الى ما يلقي فيها من خطب واشعار • فلقد كانت تلك الاسواق بمثابة الاندية التي تلقى فيها المحاضرات في عصرنا الحاضر •

ومعنى هذا ان المثقفين كانوا يقومون بمهمتهم في تلك العصور وهي صقل وتقوية اللغة ونشر الثقافة حسب مقتضى تلك الفترة • ولم يقف نشاط الادباء في تلك الفترة وانما امتد الى جميع العصور الا انه اخذ يتطور بتطور الحياة •

فالافكار التي كانت تتضمنها الآثار الادبية في الجاهلية واولئ الاسلام أخذت تتوسع على مر الايام وذلك بما يلائم الثقافة العربية الاسلامية بعد ان امتزجت بالثقافات المختلفة حتى اصبحت على ما هي عليه في عصرنا الحاضر •

وهناك عنصر اخر كان له الفضل الأكبر في تقوية اللغة العربية وغرسها في النفوس ونشرها في مختلف البقاع • واعني به القرآن الكريم • فان فضل القرآن على الأمة العربية لا يقدر اذ انه طور هذه الأمة في فكرها ولغتها وسلوكها واخلاقها • ولولا القرآن لاندثرت هذه اللغة لان أعداء هذه الأمة قد بذلوا جهودا لا تحصى في اضعاف هذه اللغة لكن القرآن الكريم هو الذي كان يقف سدا منيعا بينهم وبين ما يحاولون لما له من مكانة مقدسة في النفوس •

من هذا يتبين ان اللغة العربية قد اعتمدت في تطورها وتقويتها على

كتاب الله العزيز وعلى الادب العربي العظيم • وظل شعراؤنا المخلصون
يعبرون في كل عصر عما يجيش في ضمير الانسان العربي •

على اني لا استطيع ان افصل في هذا المقام ما ذكرت وانما اكتفي
بان اورد بعض ما قاله شعراؤنا في تصوير ما كان يعتلج في النفوس يوم ان
بزغت شمس اليقظة العربية على يد اولئك الذين جادوا بنفوسهم في
سبيل امتهم • واعني بهم اولئك الشهداء الذين ازهق ارواحهم الطاهرة
السفاح جمال باشا التركي •

يقول المرحوم جميل صدقي الزهاوي :

على كل عود صاحب و خليل وفي كل بيت رنة وعويل
لعمرك ليس الامر ذنبا اصابه قصاص ولكن يعرب ومغول
وهذا هو الشهيد فؤاد حجازي احد الذين استشهدوا على يد السفاح
جمال باشا التركي بوضوح للناس اسباب بذله لنفسه :

غضبت لامتي ، ومضت حياتي فداها في وهي عند الله قربي
سلاما زائري حيتك روحي وحي العرب حيا الله عربا
وهذا هو المرحوم محمد علي الحوماني يخاطب النسيم فيئنها وجدد
وشكواه فيقول :

بالله يا نسيمات الروض هل بعثت فيك الشذا شامي الفيحاء أم عدن ؟
هيجت وجدفتي لم يدم عبرته منذ الطفولة الا انت والوطن
متى ارى الوطن المحبوب تمنعه هضم العدى : حلب الشهباء واليمن

ولما روعت دمشق بقتابل الفرنسيين ورساصهم الغادر ضجعت شعراء
العروبة تخاطب المستعمرين بان هذا الفعل لا يروع الشام وحدها وانما
يروع الشام وحدها وانما يروع جميع الاوطان العربية • فهذا الاستاذ
محمد بهجت الاثري يصور هذا المعنى فيقول :

ريعت دمشق فضجت مصر واضطربت بغداد واكتابت في الريف اقوام
نعيا السياسة عن تمزيق وحدتنا ما دام يجمعنا جندم واسلام

رحمدا هو المرحوم حافظ يخاطب كل عربي فيقول :

لمصر ام لربوع الشام تنسب هنا العلا وهناك المجد والحسب
ام اللغات غادة الفخر امهما وان سألت عن الاباء فالعرب

ونحن اذا تاملنا في جميع ما وقع علينا من احداث سواء كان ما احرزناه
من انتصارات أو ما وقع علينا من نكبات كانتصار الجزائر وتونس والمغرب
على المستعمرين واستقلال ليبيا • وما جرى في الجمهورية العربية المتحدة
قبل الوحدة وبعد الوحدة • وكارثة فلسطين • الى غير ذلك من احداث ،
نجد ان ادباءنا قد تاتروا بها اعظم التأثير فسجلوها في صور مختلفة تحرك
احاسيس الناس وتهز اوتار قلوبهم •

وهكذا نجد ان ادباءنا كانوا دعامة الوحدة العربية منذ اقدم
العصور حتى عصرنا الحاضر وسيظلون كذلك لان هذه من مسؤولياتهم •

ومن الملاحظ ان للابيات التي قيلت في الوحدة تأثيرا خاصا على
النفوس لانها تعبر عن احاسيسنا تعبيرا فييا صادقا لذلك نجدها على لسان
الكثيرين منا • فهي سائرة مسرى الامثال • فاي فرد لا يحفظ هذا البيت
مثلا :

ليس بين العراق والشام حد هدم الله ما بنوا من حدود

واى حر لا تهتز مشاعره حينما يقرأ هذه الابيات :

حلل الحب ما التعصب حرم واتحدنا فما خلقنا لتقسم
شرع مجدنا سواء نسبنا مجد حين ام نخيل المقطم
حدثونا عن انفصال فلذنا باتصال من الطوائف محكم
رب سور على الحدود منع ان لسناه بالشعور تهدم

ما بناه علوج عهد اتداب كيف تبنيه دولة الخال والعم
شهد الله ما أردنا زعيما غير من حرر البلاد ونظم
والزعيم الذي يقود السرايا يوم نار هو الزعيم المعظم

والخلاصة ان الوحدة العربية قد وجدت من الادباء والمفكرين كل
تأييد وتعزيز • وانها لا يمكن ان ترسخ وتثبت الا اذا اهتم بها المثقفون
والادباء لانها قامت على اكتافهم • والذي نأمله ان يبذل الادباء والمفكرون
كل جهد مستطاع في سبيل تأييد الوحدة العربية لانها مسئوليتهم أمام الله
والتاريخ •

عبدالرزاق البصير

رئيس وفد الكويت

دور الاديب العرب في دعم القومية والوحدة العربية

بقلم

محمد خلف الله احمد

حين يثار النقاش في دور الاديب العربي في كفاح أمتهم ، تقفز الى
الذهن بضعة أسئلة تتطلب البحث والمعالجة :

أولها :

أن الادب الحق هو ما كان فيض الاحساس الصادق والتجربة
العميقة . فهل للاديب دور غير أن يحس وينفعل ، فيعبر تعبيرا حرا صادقا
جميلا ؟

الثاني :

ان الاديب مواطن ، وليس لاي مواطن أن يتخلف عن الصفوف
حين تخوض أمتهم معركة من معاركها الشاملة الحاسمة ؛ فماذا يستطيع
الاديب بصفة كونه أديبا أن يساهم في معركة الوحدة والقومية العربية ؟
واذا كان هناك دور يجب أن يقوم به وقصر فيه ، فهل للمجتمع أن يلزمه
بأدائه ؟ وهل يمكن التوفيق بين حرية الاديب وهذا الالتزام من جانب
المجتمع ؟

الثالث :

ما مدى ارتباط الاديب العربي بحياة مجتمعه خلال العصور ؟

الرابع :

ما الدور الذي قام به الادباء العرب في كفاح أمتهم منذ بدء النهضة
العربية الحديثة ، وعلى الاخص بعد قيام ثورات التحرير العربية ؟ وما
الذي يستطيعون أن يقوموا به في دعم بناء الوحدة والقومية العربية ؟
وسأحاول في الكلمة القصيرة التالية أن أرسم الخطوط الاساسية
لبحث هذه النقاط كما أتصورها .

ان الخلاف حول مهمة الاديب قديم : وقد ظل النقاش حينا بين نقاد الغرب وعلى الاخص في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يدور حول فكرتين رئيسيتين في الموضوع : اولاهما أن مهمة الاديب أن يعبر تعبيرا قوليا جميلا بصرف النظر عن أثر هذا التعبير في مجتمعه أو وقعه عنده ؟ والثانية أن مهمة الاديب أن يبلغ الناس من حوله ما يحسن به . وكلتا الفكرتين تثير خلافا داخليا بين القائلين بها : فإذا كانت مهمة الاديب أن يعبر ، فعم يعبر ؟ عن نفسه ، أم المجتمع من حوله ؟ أم الطبيعة ؟ أم الكون ؟ وإذا كانت التبليغ ، فماذا يبلغ ؟ أيصف للناس أحاسيسه الذاتية ؟ أم يقصد الى أن يوجههم وينقدهم ويعلمهم ؟ وكان هناك - ولا يزال - نقاش من واد آخر : هل الاديب مقيد بمواضعات مجتمعه ؟ أم انه حر في تناول أي موضوع على الطريقة التي يراها ، والتي تناسب فنه وطبيعته ؟ كان هذا النقاش صدى لمراحل من تطور التفكير الانساني ، وتطور البحث في طبيعة النفس الانسانية ، وفي فلسفة الفن والفن وفلسفة الحياة بوجه عام . وكان مما يثيره أحيانا ظهور عبقريات فذة في الفن والادب ، تؤثر بروائع أعمالها على المفاهيم الانسانية وتثير التساؤل الذي أشرنا اليه .

ويبدو أن حكمة الله اقتضت أن يخلق الناس مختلفين في أمزجتهم ، وفي نواحي الحياة التي تجذب انتباههم ، وتنبه قواهم المبدعة : فهذا الاديب أو الفنان أو الفيلسوف من النوع المنطوي ، وذاك من المنبسط ، وهذا واقعي ، وذاك مثالي ، وهذا ينحو بطبعه نحو الوضوح ، وذاك نحو الرمز والغموض ، وهذا يستمد مادته من الطبيعة ، وذاك من الاجتماع الانساني ، وهذا يعتمد على خواطره الشعورية وتفكيره الواعي ، وذاك يمنح من عقله الباطن .

وفي رأينا أن حياة الجماعة تتسع لكل هؤلاء : انها تتطلب أن يكون فيها الاديب العاطفي مبدع الاغنية الرومانسية ، الى جانب الاديب الناثر خالق النشيد الهادر ، والقاص الذي يدبر قصصه حول أحداث الحياة ومواقفها ، والروائي الذي يتخذ من ظواهر المجتمع وقضايا الحياة وصراع النفوس نسيجا لحبكة روايته ، وشاعر الملاحم الذي يصور البطولة والكفاح

في أروع صورهما ، وكاتب الرسالة أو المقال الذي يبني أسلوبه على
الحجة والاقناع ، أو على التحميس والهيب عواطف الجماهير . وكل
هؤلاء مواطنون تصب روافد أدبهم في تيار الجهد المشترك للامة ، وفي
اشباع ذوقها ، واغناء حياتها ، والعمل على تحقيق أهدافها .

على أن القرن الحاضر جلب معه ظاهرة أصبح لها تأثيرها على
تحويل مجرى النقاش في طبيعة الادب ووظيفة الادب وجهة جديدة : ذلك
أن التطور الحديث في النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في كثير
من البيئات الانسانية ، عمل على توثيق الصلة بين الفرد والمجموع ، وعلى
ضرورة أن يقوم كل مواطن - حسب تخصصه وقدراته - بنصيب في
المجهود الجماعي المشترك . ومن هنا برزت أهمية الاديب . والفنان
- بصفة كونه مواطنا يملك أداة ذات قيمة وفعالية كبيرة في اصلاح حياة
الجماعة ، وفي زيادة رصيدها من الثروة الروحية والنفسية ، في معالجة
قضاياها الكبرى ، والتوعية بفلسفتها في الحياة ، وفي تعبئة قواها لتحقيق
أهدافها التي تتطلب صراعا ونضالا . وقد أصبحت تلك المجتمعات تتطلب
من أدبائها أن يشاركوا بأدبهم في النضال ، وان يوجهوا نشاطهم الخلاق -
لا نحو الذات وعواطفها وحياتها الفردية ، ولا نحو الطبيعة وجمالها
ورومانيتها ، ولكن نحو المجتمع وكفاحه ومعاركه وقيمه ، ولم تعد تلك
البيئات تستسيغ السلبية أو الانانية الفردية أو الانعزالية من جانب الاديب
أو الفنان .

ولهذا التطور منطلق يقوم على أساس من طبيعة الفن والادب ، وتأثر
النفس الانسانية بهما . ذلك أن الفنون عامة - والاداب خاصة - حين
يتوافر لها الصدق وعمق التجربة وحرارة الايمان - تجد طريقها الى
النفوس سهلا مسرا ، وتعمل عملها في العواطف والمشاعر ، وتخلق من
الصلات الوجدانية بين الناس مالا تقوى العوامل المصطنعة على اضعافه أو
هزيمته ، وبذلك تكون ذات أثر فعال في توجيه مجتمعا الى مقاصد متماثلة
في الخلق وفلسفة الحياة ، والى وحدة شاملة في الوسائل والغايات .
ان للكلمة المقروءة أو المسموعة تأثيرا قويا في النفس البشرية ، واذا

ما أخذت الكلمة شكلا فنيا متكاملا : قصيدة ملهمة ، أو خطبة مؤثرة ، أو رسالة مبينة ، أو قصة مجبوكة أو تمثيلية من صميم الحياة ، كان تأثيرها في النفوس بالغا وعميقا ، فاذا ما كان موضوع الاثر الادبي بطلا من أبطال الامة ، أو ملحمة من ملاحمها الخالدة ، أو أزمة من أزمت كفاحها ، أو تخليدا لسيرة مصلح من مصلحيها ، أو استنهاضا لهمم أبنائها الى جلائل الاعمال ، أصبح ذلك الادب سلاحا نضاليا ماضيا ، وكان له في الجهد الجماعي للامة آثار قوية ، وعمل عمله في الوحدة المنشودة بين المواطنين ، حتى ولو لم يقصد منشئه حين أنشأه الى غرض آخر وراء الابداع والتعبير الفني .

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نقول أن الادب ليس تعبيراً فقط ، وليس تبليغا فقط ولكنه الاثنان معا : فكل فرد عضو في مجتمع ، واللغة أداة الاتصال الاجتماعي ، والفكري بين أفراد المجتمع ، والادب هو لغة التواصل الوجداني والنفسي لأولئك الافراد ، وكل تعبير أدبي فهو في الوقت ذاته أداء وتبليغ . وما دام للادب تأثيره الذي أشرنا اليه سابقا ، فإن من طبيعة الحياة الاجتماعية للانسان أن تفسح للادب مكانا في تجاربها وآرابها ، وأن تنشده عونه في تحقيق أهدافها وغاياتها . واذا تراخت في طلب هذا العون في أوقات الرخاء والاستقرار ، فإنها لن تتوانى في افتقاده في أوقات الكفاح والازمات . واذن فمن الطبيعي أن يشهد اللاحاح على قيام الاديب بوظيفته في مراحل الانتقال الكبرى في حياة الامم ، كأن تكون الامة مشغولة بثورة على ظلم خيم عليها طويلا ، أو معركة تحرير ضد غاصب اعتدى على مقدساتها ، أو نهضة اجتماعية أو صناعية أو اقتصادية تقيم أركانها ، أو رابطة قومية تحاول أن تبنيها وتدعمها ، أو دعوة انسانية تبناها في سبيل الاخاء والعدالة والسلام البشري .

ولكي يقوب الاديب بوظيفته هذه لا بد أن يتوافر فيه شرط أساسي هو الايمان الصادق بما يعبر عنه ويدعو اليه . ولا جدوى من مطالبة الاديب بالقيام بدوره اذا لم يكن مؤمنا بذلك الدور في قرارة وجدانه . وهو اذا آمن لا محالة منفعل بايمانه ، صادر عنه في أدبه . في تلك سنة الفطرة

وهذه طبيعة الفن والحياة •

وإذا انتقلنا من التعميم الى التخصيص ، ونظرنا الى أدبنا العربي فسي
ضوء الرأي الذي اتيننا اليه من تحليلنا السابق ، وجدناه أدبا خصبا غنيا ،
ارتبط منذ نشأته بحياة مجتمعه ، فتطور بتطوره ، واتسع باتساعه ، وتلون
بالوان تفكيره السياسي والاجتماعي ، وكان صدى له في حالي قوته وضعفه ،
وتحركه وجموده ، وأصالته وتقليده • والذين نشأوا منا على حب الادب
العربي الاصيل وحفظ روائحه ونماذجه الخالدة يدركون ما لذلك الادب
من تأثير وتوجيه للوجدان ، ومن اثاره للحنين الى مفاخر الآباء والاجداد
والاعتزاز بها ، حتى ليصل الامر بالمتأثر به الى درجة التعلق الروحي
بالمواطن التي عاش فيها الاسلاف ، والاماكن التي ردد شعراؤهم أسماءها ،
والشخصيات الحقيقية أو المتخيلة التي تحدثوا عنها •

لقد كان الشاعر العربي في الجاهلية لسان قبيلته ، المدافع عن حوزتها
والمحامي عن شرفها وأعراضها • وقام الشعر والخطابة بدورهما في المراحل
الاولى من الدعوة الاسلامية ، وفي معارك العصابات والاحزاب السياسية
والمذهبية ، وفي تخليد البطولات العربية في حروب المسلمين ضد الروم ،
وفي حروب الشرق الاسلامي ضد الصليبيين ، كما قام الادب بدوره في
تسجيل صور الحضارة العربية الزاهرة ونتاج عقول أبنائها ، والتعبير عن
خلجات النفوس فيها زودتها به الفطرة من عواطف وأحاسيس • وفي
عصور التأخر والركود كان الادب العربي صدى لحياة مجتمعه الراكدة
يعبر عنها في مناسباتها وظواهرها العادية •

فلما جاءت النهضة الحديثة ، وقف أدباء البلاد العربية صفا في معارك
القومية والتضامن العربي ، فصور كثير منهم آلام أمتهم وآمالها ، وأحاساس
اكل جزء منها بمشاركته للاجزاء الاخرى في السراء والضراء ، وحفلت
قصائد شعرائنا ومقالات كتابا بنقد الحياة العربية وتوجيهها نحو أهدافها •
وقد امتدت هذه المرحلة من أواخر القرن الماضي الى قرب منتصف القرن
الحاضر ، وكان في أدبها كثير من الارهاصات بالوثبة الكبرى التي وثبها
العرب في ثوراتهم التحررية في المرحلة التي نعيش أمجادها الان • وفي
هذه المرحلة الحاضرة عرف الادباء العرب مكانهم في الصفوف الاولى من

كتاب الثورة بين شاعر وخطيب ، وكاتب مقال ، ومذيع حديث ، ومنشيء قصة أو رواية أو مسرحية ، ودارس لادب الكفاح ، ومؤرخ لتطوره ، وداع الى الحفاظ على الصحفي - وهي الدعامة الكبرى للقومية والوحدة العربية ، وعامل على رقيها واتساعها ووفائها بمطالب الحياة الجديدة . ومن شواهد هذا الاحساس من جانب أدبائنا بمسئولياتهم في الكفاح ، ودورهم في العمل لتحقيق الوحدة العربية هذا الربط الذي ربطوه بين دورات مؤتمرهم وبين موضوعات القومية والوحدة . وهامهم أولاً في مؤتمرهم الخامس وفي بغداد عاصمة الحضارة العربية الاسلامية في عصرها الذهبي ، والقلعة الشرقية للزحف العربي الحديث نحو الحرية والاشتراكية والوحدة - يجتمعون - كما يجتمع المحاربون - بعد سلسلة من الانتصارات في المعركة - يراجعون خططهم وينظمون صفوفهم ويستجمعون قوتهم للجولة التالية من الزحف المقدس . وان ايمانهم بأهداف الكفاح العربي الحاضر - في القومية والوحدة والاشتراكية وتحرير جميع أجزاء الوطن العربي واسترداد الجزء السليب - يفتح أمامهم الى جانب الآفاق التي جابوها في الادب الثوري آفاقاً جديدة يوجهون فيها مواهبهم الخلاقة لتسمية الوعي بمفاهيم الثورة في الحرية والعدالة والكرامة والكفاية ، وتوضيح أصول القومية وعوامل وحدة الوطن العربي الاكبر ، والربط بين مثل الحياة التي ننشدها ، والتقاليد والتعاليم العربية الاسلامية التي صنعت تاريخنا ، والمجادات التي خلدها أسلافنا في معارك الكفاح وميادين المعرفة ، ونجاح قادة ثوراتنا في توجيه السياسة العربية الحاضرة في المجال الدولي ، ونصيب أمتنا في العمل من أجل سعادة الجنس البشري وسلامه . وان أدبنا العربي وقد استكمل فنونه ، وعرف بين الآداب الخصبة الحديثة - كما عرف في القديم مكانه بين الآداب الكلاسيكية الكبرى - لكفيل بأن يكون اللسان الناطق بآمال الأمة والمترجم الأمين عن مشاعر جماهيرها ، والدليل الحادى لركب العروبة نحو الغايات والاهداف المنشودة .

محمد خلف الله أحمد عضو وفد المتحدة

ومدير معهد الدراسات العربية العالية

وعضو مجعبي اللغة العربية والبحوث الاسلامية بالقاهرة

الادب والقومية العربية

بقلم

مصطفى البندري

لئن كانت بعض اجزاء الدولة الاسلامية في الفترة الثانية من الحكم العباسي ، قد انفصلت واستقلت عن الخلافة فقد ظلت هذه الاجزاء تعترف بوحدتها المعنوية ، وظل الترابط والتعاون والاحساس بينها قائما أمام كل الاخطار الخارجية ، ذلك لان الاسلام وضع لها أسس تاريخها ، وعلى هذه الاسس قامت أصول قوميتها ، هذه الاصول المثلة في وحدة الوطن العربي ، في لغته وتراثه الفكري ، في تاريخه المشترك ، في روابطه الروحية ، في آلامه وآماله ومصيره .

ولئن كان العالم الاسلامي قد انشطر بعد الغزو المغولي الى شقوق أعجمي ، وغرب عربي ، فان القسم العربي منه ظل محتفظا بكيانه السياسي والعربي ، واصبح هذا القسم هو الامة العربية ، الامة التي انتصرت على عدو مخرب في عين جالوت ، فحفظت بذلك تراث الحضارة الاسلامية المجيدة ، حفظت تراث الانسانية العام من خطر التدمير والتخريب ، وانتصرت في حطين فأبقت للمنطقة اسلامها وعروبيتها ، الامة التي احتفظت بوحدتها الظاهرة حتى في ظلام العهد التركي ، أقول بوحدتها الظاهرة لان الوحدة الحقة تفقد حيويتها عندما تراجع عن صف الصدارة ، وان كان العرب قد نظروا الى المسألة في اول الامر على انها شركة مع الترك في دولة اسلامية يتزعمها أقوامهم ، ويدعم هذه الوحدة شعور الاخاء الاسلامي ، والمصلحة الاسلامية المشتركة .

ولم يكن العرب يحسون في هذا الوقت بعقدة التخلف عن الترك ، لانهم كانوا الاقوى في ميزان الثقافة والحضارة ، كما كان الترك اقوى في

ميزان القوة العسكرية • وظل الحال كذلك الى ان سيطر الاستعمار الغربي على الامة العربية فجزأها ، ووضع لها الحدود المصطنعة ، وحمل لبعضنا في ركابه ذل التابع المستكين ، كما حمل التجزئة وتفرق الكلمة ، وما تبعهما من ضعف واستغلال وضياع •

ولكن المحن تشحذ الهمم ، وتبرز البطولات ، فجاهرت الامة العربية منذ وقعت في قبضة الاستعمار الغربي ، بل جاهدت وهي في ظلام الحكم العثماني ولم تستكن في مشرقها العربي ، ولم تهن في مغربها العربي • وبقيت الامة العربية ، لان ارادة الحياة وقوة الروح ، جعلتها ثور وثور حتى انتهى أمرها الى التحرر أو كاد •

ان كل دولة من الدول العربية تؤمن بأنها جزء من الوطن العربي الكبير ، ولذلك توجب على نفسها مساندة كل حركة تحررية تقوم بها أخت لها يكبلها الاستعمار ، كما تلزم بفتح مجالات التعاون بين جميع الحركات الوطنية والتقدمية ، وتعتقد بان هذا هو سبيل العمل العربي ، العمل الذي أساسه الايمان بأن الوطن العربي لا يتجزأ وبأن الحرية لا تحيا في أرض اذا هي قهرت في أرض تجاورها ، وبأن الايمان بالوحدة رسالة يعمل لها كل من يقدر عليها •

هذا الشعور العربي يرجع الى أيام الحملة الفرنسية على مصر • فمن آثارها انها نبهت العرب ، وفتحت عيونهم على النهضة الحديثة والفكر الحديث ، ولقد انفصلت مصر عن تركيا واصبحت لها شخصيتها ، مما جعل اخواتها العربية يتطلعن الى مثل ما وصلت اليه من الخروج عن الدائرة العثمانية • وأخذ الادباء والمفكرون يجاهرون بان الخلافة لا تكون الا في العرب ، والعثمانيون لذلك ليسوا أهلا لها • وبهذا نشأت وترعرعت فكرة استعادة العرب لمجدهم وسلطانهم وكان الذي يشغلهم هو مصير أمتهم العربية ومستقبلها مما يدل على أن فكرة العروبة سبقت فكرة الدول العربية ، والفضل في هذا التيار الجديد لرجال والفكر والادب ، اولئك الرواد الذين حملوا الراية والجماهير نائمة ، والدخيل متسلط والحكام غافلون أو مسيرون ، ولا سلاح لهم الا الكلمة يقذفون بها كحجم البركان

فهذا الشاعر احمد محرم يستثير العرب ليدودوا عن وطنهم بالوحدة
حيث يقول :-

هبوا بني الشرق لا نوم ولا لعب حتى تعد القوى او تؤخذ الاهدب
ماذا تظنون الا أن يحاط بكم فلا يكون لكم منجى ولا هرب
سيروا بني الشرق في ظل الاخاء عسى ان تفلحوا ولعل الصدع يرتب
كونوا به أمة في الدهر واحد لا ينظر الغرب يوما كيف تحترب

ومن قصيدة أخرى يقول للامة العربية :-

ضمي القوى وتجمعي في وحدة عربية تحمي اللواء وتحتمي
دعوا الى العروبة في اصرار ، وادركوا بوجدانهم ان حياة هذه الامة
في وحدتها ، وما زالوا يحملون اللواء ، ويصارعون اعداء قوميتهم وانصار
الاقليمية ، ويدعون رجال السياسة الى ان يتدبروا مصير أمتهم •
ما زالوا كذلك حتى كان الاقتناع ، وبارك الله جهادهم بما تنعم به
اليوم من ايمان بالعروبة والوحدة •

وكانت هذه الجماعة اعني جماعة الادباء تمثل حركة البعث العربي ،
ولم تقف الطائفية حاجزا يعترضها ، فدعا اليها المخلصون من مفكري
الامة وادبائها بافلامهم والستهم ، من أمثال نجيب الحداد والرصافي
ولويس شيخو وجورجي زيدان والكواكبي ومما قاله اليازجي في الدعوة
الى اليقظة العربية :-

بالله يا قومنا هبوا لشأنكم فكم تناديكم الاسفار والخطب
ألستم من سطوا في الارض واقتحموا شرقا وغربا وعزوا اينما ذهبوا
فمالككم ويحكم اصبحتم هملا ووجه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشتد ازركم بها ولا ناصر للخطب يتدب
اقداركم في عيون الترك نازلة وحقكم بين ايدي الترك مغتصب

ويقول الشيخ احمد طيارة في مؤتمر باريس العربي :-

« نحن نعني بالعرب كل ناطق بالضاد ، لا فرق في ذلك بين المسلم
وغير المسلم »

ويقول ندره مطران في المعنى نفسه :-

« ان لعمري فيما ابداه نصارى غسان من العصية العربية في هذا الشأن - يريد نصرتهم وهم مسيحيون لجيش ابي عبيدة وخالد - لا اعظم شاهد على ان العرب متحمسون بالجنس قبل الدين - وهي فضيلة الشعوب الحية ، فضيلة الشعوب التي لا تريد ان تموت » •

ويهب الكواكبي بالامة ان تتحرر فيقول : يا قوم ! كان اجدادكم لا ينحنون الا ركوعا لله ، وانتم تسجدون لتقيل أرجل المنعمين مغموسة بدم الاخوان ، واجدادكم ينامون الان في قبورهم مستوين أعزاء ، وانتم احياء معوجة رقابكم اذلاء ، البهائم تود لو تنتصب قامتها ، وانتم تطلبون الانخفاض » •

وكانت هناك جماعة تدعو الى تقوية الخلافة العثمانية ، مع القيام باصلاحات دستورية ، ووجوب مراعاة حقوق العرب كمواطنين في الدولة الاسلامية • وقد دعاهم الى ذلك طمع الغرب في الرجل المريض وتركته ، مما يؤذن بروح صليبية وحرب صليبية ، وقد حمل لواء هذه الدعوة جمال الدين الافغاني وتلاميذه وشوقي ومصطفى كامل وغيرهم •

ولما فعل جمال باشا ما فعله بالزعماء في بيروت ودمشق استحك العدا بين العرب والترك ، وضعفت أصوات الداعين الى الخلافة العثمانية ، فلما نشبت الحرب الاولى قامت الثورة العربية بزعامة الشريف حسين بن علي • وقد ابلى ادباء العرب بلاء حسنا في الدعوة الى القومية العربية ، وتثبيتها في اذهان الناس لانها الوسيلة الى القوة ، والمحافظة على الكيان ، والمؤدية الى ما نريده من عزة وكرامة ، فرجعوا الى الماضي يبرزون امجاده ، ومفاخره ، لتكون أمام الناس صورة مشرقة ، تجمعهم حول راية القومية والوحدة •

وحمل الشعر لواء هذه الدعوة ، فقال شوقي وحافظ وطوقان والجارم وعبدالمطلب وابو ريشة واليازجي وشفيق جبري وعبدالحليم المصري وغيرهم ، فصوروا البطولات الاسلامية والعربية ، لتكون نماذج امام شباب الامة •

ولم يتخلف النثر ، فظهرت التراجم والقصص والتمثيلات حول التاريخ الاسلامي والعربي ، للعقاد وهيكل وطه حسين والحكيم وجورجي زيدان وابو حديد وباكثير وتيمور وعزيز ابازيه وغيرهم .
كما ظهرت المقالات تستنهض الهمم ، والكب تتناول جوانب كثيرة من التاريخ العربي ، وفرسان هذا الميدان كثيرون منهم الكواكبي والرافعي وجواد علي والخضري ورفيق العظم ...

قامت الثورة العربية على الحكم التركي ، ولكن عدوا جديدا كان يتربص بالعرب ، ذلك العدو هو الاستعمار الغربي ، فما ان تخلصت العروبة من الكابوس العثماني حتى وقعت في غدر الاستعمار الغربي ، فمزقتها وشتت شملها وتوزعها مناطق لنفوذها ، واقام بينها الحدود المصطنعة وصبغها بصبغاته في الثقافة ، فالفرنسيون ينشرون ثقافتهم في الاجزاء التي استولوا عليها ، ويفعل الانكليز والاطليان ما فعل شركاؤهم ، بل لقد ذهبت فرنسا الى أكثر من هذا ، فجعلت الجزائر المسلمة العربية الافريقية ، جزءا من فرنسا الكاثوليكية اللاتينية الاوربية .

ولكي يزيدوا فصم العري بين اجزاء وطننا سخروا عملاءهم لبعث العصيات الاقليمية ، واحياء التاريخ القديم لكل عربي يحتلونه ، ليحصروا كلا منها في ماضيه قبل ان يجمعها كلها الاسلام تحت رايته ، وقبل ان تنصهر كلها في بوتقة الامة الواحدة ، ذات اللسان الواحد والتاريخ المشترك والتراث الفكري والروابط الروحية والآمال والمصير .

ولئن كان الاستعمار قد احرز بعض النجاح في هذه السيل ، فقد كان نجاحا مؤقتا ، اذ ما لبث اذباء الامة ومفكروها ان أحسوا خطر هذه الاتجاهات المرسومة ، وقد ايدتهم الاحداث التي كانت نذرا بما يهدد الامة ، ان هي ظلت على تفتتها وتفرقتها . وكان هجوم ايطاليا على ليبيا ، وما صحبه من معارك وحشية وتصرفات بربرية ، كما كانت ميسلون وما فعل الفرنسيون بعدها من ضرب دمشق ، علامة الخطر التي توقظ وتنبه فقال شوقي قصيدته في عمر المختار وفي ضرب دمشق ومنها :-

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا - اذا اختلفت بلاد لسان غير مختلف ونطق
ولالأوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يدني الحقوق ولا يحق

وكان حافظ ومحرم وعبدالمطلب وغيرهم من الكتاب والشعراء
ساخطين على الاستعمار ومتوعدين عدوهم وداعين الى البذل والتضحية
والفداء .

وحمل الادباء راية القومية العربية ، لانهم الرواد ذوو الاحساس
المرهف ، والثقافة الواسعة والنظرة الثاقبة ، والتحرر من قيود الحكم
والسياسة . فهذا الشاعر العراقي رضا الشيبلي يعترف بالعراق والشام معا
حيث يقول :-

بغداد أشتاق الشام وها أنا الى الكرخ من بغداد جم التشوق
فما أنا في ارض الشام بمشتم ولا أنا في ارض العراق بمعرق
هما وطن فرد وقد فرقوهما رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

وهذا الشاعر العراقي ايضا عبدالمحسن الكاظمي ، يحس حب الشام
ومصر والحجاز وغيرها من بلاد العروبة كما يحس حب العراق .

احن اذا قيل العراق وانحني واشهق ان قيل الشام وازفر
واطرق ان قيل الحجاز على جوى وأعجب اما قيل مصر وابهر
جميع بلاد العرب في القدر واحد اذا وزنوا البلدان يوما وقدروا

وهذا الشاعر الاردني محمد الشريفي يرى الاقاليم العربية وطنا
واحدا :

يا سحابا يزجي الينا ركاما فترى الودق فائضا من خلاله
اين تغدو؟ أشاطيء البحر ترجو أم بواديه؟ أم رؤوس جباله
ام الى مصر أم الى الشام تصبو والشقيقان واحد في وصاله

وطن العرب خافه كل عسات أغرق الفاتحين بحر رماله
كفلته الصحراء شرقا وغربا ثم فت الأعداء في أوصاله
وهذا شاعر النيل حافظ يرى انه في لبنان قد انتقل من جانب في
وطنه الى جانب آخر :

لى موطن في ربوع النيل اعظمه ولى هنا في حماكم موطن ثاني
حسبت نفسي نزيلا بينكم فاذا اهلي وصحبي واحبابي وجيرانى
أنى التقينا التقى في كل مجتمع أهل بأهل واخوان باخوان
وهذا الشاعر محب الدين بن الخطيب يبرأ من الاقليمية :-

ليك يا أرض العروبة واسمي ما شئت من شدوي ومن انشادي
أنا لا أفرق بين اهلك انهم اهلي وانت بلادهم وبلادي
ولقد برئت اليك من وطينة بتراء تؤثر موطن الميـلاد
وهذه الشاعرة السورية طلعت الرفاعي ، تتطلع الى الوحدة وتأسف
لمحن البلاد العربية :-

ليك يا بغداد انـ ت على المدى مهد العروبة
ما بورسعيد ما الجـزا ثر ما فلسطين السلية
ما الارز يخفق ما عما ن الحر ما اليمن الخصية
هي كلها وطني الصـمو د وان تنوعت المصيبة
هي كلها وطني الكـبير بوحدة كبرى قريبة

ويطول بنا الحديث لو استعرضنا أكثر من هذا •

ثم كانت جامعة الدول العربية ، فاستبشر بها العرب ، وعقدوا عليها
كبار آمالهم ، فقال الجارم قصيدته « العروبة » يوم اجتمعت الوفود
لوضع ميثاق الجامعة :

تذوب حشائش العواصم حـرة اذا دميت من كف بغداد اصبع
ولو صدعت في سفح لبنان صخرة لك ذرا الاحرام هذا التصدع

ولو بردى انت لخطب مياهه لسالت بوادى النيل للنيل أدمع
ولو مس رضوى عاصف الريح مرة لبأت لها أكبادنا تتقطع
وقال علي محمود طه قصيدته « يوم الملتقى » وقال الشاعر السعودي
طاهر زمخشري قصيدته تحية لميلادها ، وقال الشعراء علي الديب والامين
أبو حامد و ابراهيم الاسطى عمر من شعراء ليبيا قصائدهم معبرين عن
ابتهاجهم بمولدها .

وكانت نكبة فلسطين ، وذلك موضوع قائم له أدبه الخاص ، ادب
فيه الحسرة والمرارة والثورة . وكانت النكبة من أهم اسباب الوحدة .

وقامت الثورة في مصر وهي طليعة النضال العربي ، وشبت نار حرب
تحريرية في الجزائر ، وجاءت معركة السد العالي فأمنت القناة ، وحدث
العدوان الثلاثي الغادر على مصر العزيزة ، وولدت الجمهورية العربية
المتحدة ، ورسم العرب لهم سياسة الحياذ الايجابي ، رسموها لانفسهم ،
وقادوا اليها أمما كثيرة ثم قامت ثورة العراق المجيدة . هذه الاحداث
الضخمة في تاريخ الامة العربية ، كانت نصرا لم تظفر بمثله أمة من الامم في
هذا المدى القصير من عمر الزمن ، كانت انتصارات متلاحقة ، وكانت
انتصارات بذلت فيها هذه الامة ، أروع ما تبذل الامم في سبيل مثلها العليا
الحررة الكريمة ، واجتمعت عليها هذه الامة كما لم تجتمع امة من الامم .

وكان الادب ممهدا لبعض هذه الاحداث فأوحى به ، ومستوحيا لآثر
هذه الاحداث ، فصور وبرع في التصوير ، وسجل في أمانة يصحبها الزهو
والفخر وكثر الانتاج الادبي ، فهو ملاحم وقصائد وانشيد عن بطولات الجزائر
لهاشم الرفاعي وانور العطار ومحمد مهدي الجواهري واحمد السقاف
ونزار قباني . وهو مقالات يكتبها الادباء والمفكرون حول حق الجزائر
في حررتها ، وكان حفل فتاة العرب جميلة بوحريريد من أدب هذه المعركة
حظا موفورا ، فقد صور بطولتها كثيرون منهم الشاعرة العراقية نازك الملائكة ،
وسليمان العيسى ومحمد الفيتوري وعبدالرحمن الشرقاوي في مسرحية له

كما أخرج لها فيلم سينمائي • ومن قول الشاعر الكويتي أحمد
السقاف :-

توحدت المشاعر في كفاح فريد لم تر العبراء مثله
وما ارض الجزائر غير أرضي بقلب تفدى مني ومقلبه
أقبل من تراها كل شبر بكل جوارحي مليون قبله

ويقول الشاعر القطري « سلطان العلي » في شعره النبطي :-

والجزاير بغالي الروح نفديها عمرنا دونها للموت نسخى به
دونها النار وشعب دوم يحميها من شباب ومن كهل ومن شبيه

وكانت ثورة مصر والسد وما تبعه من تأميم وعدوان ميدانا خصبا
بانع الثمر في ميدان الادب على اختلاف صورته واشكاله • اخذ الادب في
هذه الفترة يركض وراء الاحداث ، ساخطا على الاعداء ، ملها للغزائم ،
مبتهجا بالنصر ، يبارك الحرية التي ظفر بها الشعب العربي ، واصبح للادب
التوري هدف ، فهو يعيش في واقع الامة ، يستمد موضوعه من وثباتها
وتطورها السريع ، مؤمنا بمستقبلها وحيويتها وقدرتها على الحركة الدائمة
والصمود في وجه اعدائها •

لقد كانت هذه المعارك معارك القومية العربية ، وكان النصر فيها نصرا
لكل عربي ، كما كان توقع الهزيمة من وجهة نظر الاعداء نهاية الامة
العربية بكل آمالها ، ولهذا خاضها الشعب العربي من محيطه الى خليجه ،
خاضها بقلب رجل واحد مؤمن شجاع بمصيره وحقه في الحياة ، وتحركت
اجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وخطابة ومؤلفات فقرأ الشعب العربي
مقالات ادبائه ومفكريه ، وسمع الشعب العربي خطبا نارية لقيادته الواعية
الملمة ، ولخطبائه في بيوت الله ، وفي الاذاعة والاندية حيث يجتمع الناس ،
وسمع الشعب العربي شعراء على موجات الاثير ، وردد الشعب العربي
اناشيد المعارك ، ردها الطفل والشاب والشيخ في كل مكان • وكان التاج

خصبا فيما شارك فيه ادباء العروبة ممن لا يحصون عدا من أمثال غنيم ونزار
وهاشم الرفاعي وعادل الغضبان وصلاح الاسير والعوضي الوكيل وسليمان
العيسى الذي يقول في قصيدته « اهلا بمعركة القناة » :

كنا ملاينا يسمهم ع	لمى المذيع سامر
عقدوا بنيرتك القلو	ب وجلجت معك الحناجر
في الشام في بغداد خلد	ف سجوننا السود الفواجر
في القدس تحتضن الصبا	ح وتستفيق على البشائر
في قمة خضراء تو	رق بالرجولة في الجزائر
كنا العروبة علقست	انفاسها بزئير زائر

وهذا الشاعر السعودي عبدالله الحمد السناني لا يرى ان القناة تعني
مصر وحدها بل تعني العرب جميعا حيث يقول :-

بني مصر ما هذي القناة تخصكم	ولكنها دون العروبة بساب
أقامتكم دنيا العروبة حارسا	عليه فمن رام الدخول يصاب

وحين ضربت تونس بكأها الشاعر الليبي أحمد رفيق حيث قال :-

أما زال للاعياد في الشرق رونق	وتونس في سيل من الدم تفرق
فلسطين لم يندمل بعد جرحها	وها هو في الخضراء آخر يفهق
شقيقتنا بنت العروبة تونس	تقلب في جمر الطفاة وتحرق

ولم يغفل الادب جانبا هاما هو الدفاع عن اللغة العربية وهي أقوى
مقومات قوميتنا كما دافع عن تقاليدنا ومثلنا ، ودعا الى المحافظة عليها
حتى لا تفقد شخصيتها فنفقد وجودنا .

واخيرا كانت الوحدة بين مصر وسوريا فهلل العالم العربي كله
واحتفل بها الادب وتعنى بها الشعراء من أمثال هند هارون وعزمي الدباغ
وعبدالله العثيمين وغنيم الذي يقول من قصيدة مطلعها :-

عرسان في بنت المعز وجلقا هذا بلحظهما الشجي المشرقا
المارد الجبار اقسام جاهدا ألا يرى في الشرق شعبا موثقا
وغدا نرى التوحيد صار عقيدة وصداه أنجد في البلاد واعرقا
قالوا : اتحاديين مصر وسوريا فأجبت : بل حلم القرون تحققا

تفنون بها لانها في نظرهم ونظر الملايين من ابناء امتنا نقطة البداية
للوحدة الكبرى ، حيث يستعيد العرب ما فقدوا ، وحيث يقوى جانبهم
فيرهبهم عدوهم ، وتخطب الدنيا ودهم ، حيث ينتزعون شوكة تدمي
جنوبهم ، ويستعيدون كرامة لن تعود حتى يلقوا بعدوهم في البحر ،
ويومها يعود المشردون الى ربوعهم ، فيعود السلام الى ارض السلام •

ويوم أعلنت الوحدة الثلاثية ، احتفلت قطر شعبا وحكومة بهذا اليوم
الميمون ، كما احتفلت به ارض العروبة كلها ، وانشد الشاعر القطري حسن
نعمة قصيدة من رائع الشعر يحيي بها ذلك الحدث العظيم :-

ومن قبل وقفت مع مصر كما وقفت اخواتها ابان العدوان الثلاثي الغادر ،
وفرحت بالوحدة كما فرحت الامة كلها ، واستقبلت شاعر الجزائر
في يوم مشهود • تفعل قطر ذلك لايمانها العميق بانها جزء
من الامة العربية وبانها واحدة من حرس الحد الشرقي لامتنا المجيدة

ان معاركنا لم تنته بعد فليكن ادبنا ملها لمشاعرنا ولهيا على اعدائنا ،
لنبعد عنه نغمات البكاء والالين ، ولنصفه عزما وتصميما يقودان جماهير
امتنا في معارك التحرير والبناء •

نريد الاناشيد القومية يهتف بها ناشئة الامة وشيوخها ، نريد القصة
والتمثيلية تصور البطولة والمواقف التاريخية المجيدة ، وتصور عواطفنا في
كراهية الذل والجبن وحب العزة والشجاعة •

نريد أدبا يبني نفوس ابنائنا على الفضائل الاسلامية والرجولة
والمبادئ القومية ، ادبا يحارب الغزو الفكري المدمر ، فما زال الاستعمار

يتوسل بأساليب كثيرة ، يجتذب بها عقول الشباب وقلوبهم ليفسدها ، ويفسد
أعلى ما تملك الأمة العربية ، ليفسد ذخيرة الحاضر والمستقبل ، شباب
الأمة ، أملها وعدتها •

نريد أدبا عربيا يتغنى بالوحدة ويمجدها ، لأنها طريق الحرية والقوة
والخلاص •

الشعور بالقومية العربية أصبح ايمانا يملأ قلوب أبناء هذه الأمة
من المحيط الى الخليج ، يستوى في ذلك البدو حيث يضربون خيامهم في
جوف الصحراء حيث الثقافة ونور المدينة ، ونحن لم نصل الى هذا المستوى
من الوعي إلا بفضل الاحداث التي هزت كياننا وبفضل الادب الذي شحذ
عزائمنا وحرك مشاعرنا •

فلتبقي شعلة الادب مضيئة وهاججة ، تثبت معنى العروبة وتدعمه ، نملأ
به نفوسنا تؤمن بالوحدة وبالقيم الروحية والفضائل الانسانية •

مصطفى البنداري
عضو وفد قطر

القومية العربية في شعر سوري

بقلم

الدكتور أحمد محمد الحرفي

ما كاد القرن التاسع عشر يتنفس صباحه حتى جعلت حماسة العرب الى الوحدة تتأجج ، وأخذت عقول مفكريهم ترسم الخطط وتدبر ، وشرع أدباؤهم يدعون الى الوحدة ، ويبشرون بها ، ويتلهفون على تحقيقها ، بعد ان انفصمت عرى الخلافة العثمانية ، وسارع العرب الى مجاهدة المحتلين ، ليتحرروا من اوهاق الاحتلال البغيض .

وكلما مرت السنون ازدادت الامة العربية شعورا بحاجتها الى تجمع مرهوب ، ووحدة قوية وفيه تجمع شتاتها ، وتقف في مهب الاعاصير العاتية كالطود الراسخ الاشم ، تنحطم قوى الاستعمار دون سفحه فترتد حسيرة مغلولة ، ويبقى الطود وطيد الاساس ، ثابت البناء ، ساخرا من اوهام الاعداء .

ولقد طالما جلجل شعراء العصر الحديث بالقومية العربية من الخليج الى المحيط ، حاملين على الاستعمار الذي خرب العمران ، وقوض البنيان ، وقعد بالعرب عن مجاراة الزمن ، ونفت في قواهم سموم الضعف والانقسام ، وكاد ينسيهم ماضيهم وعزتهم الموروثة .

وحسبي أن أعرض بعض ما لشوقي من جهود في هذا المجال .

وحدة اللغة

١ - أثرها في الوحدة

تنبه شوقي الى أن اللغة أقوى رابطة في روابط القومية ، وأعظم سبب في جمع شمل الامة ، لانها تتفاهم بها ، وتقرأ تراثها المشترك ، وتعبر عن مشاعرها ، ولانها سجل أدبها وافكارها .

ولهذا أياس الترك من محاولاتهم التعفية على القومية العربية ، وتدويب العروبة في التركية ، لان اختلاف اللغة فجوة واسعة تفصل ما بين القوميتين فصلا لا سبيل الى التامة ، ونصح لهم أن يتعلموا العربية ، ويصطنعوها لغة ثانية لهم ، ليتقربوا الى العرب بوسيلة أخرى مع فربي الدين . قال في سنة ١٩٠١ :

شمل اللغات لدى الاقوام ملتئم والضاد فينا بشمل غير ملتئم
فقرّبوا بيننا فيها وبينكم فانها أوثق الاسباب والذمم

ولم يكن شوقي خياليا في دعوته الترك الى أن يستعربوا ، أو الى أن يتعلموا اللغة العربية ليتدانوا الى العرب ، لانهم كانوا في عهدهم الاول يتعلمون اللغة العربية ويتكلمون بها ، ويضعون مؤلفات فيها ، مثل الفيروزابادي وابي السعود وملا خسرو والجامي وحاجي خليفة وابن كمال باشا .

وكان بعض ملوكهم يدرسون العربية وآدابها كما يدرسون التركية وآدابها ، ومنهم من كان يروى الشعر العربي وينظمه كالسلطان أحمد الاول .

ولم تضعف عناية علماء الترك باللغة العربية الا في عهد السلطان محمود الثاني وابنه عبدالمجيد الاول ، اذ احبوا اللغة التركية وسهلوا قواعدها ، وسموها اللغة العثمانية .

ولما ضرب الاسطول الفرنسي دمشق بمدافعه سنة ١٩٢٦ واسى

شوقي سورية مواساة الاخ الوفي المتاع ، وبصر السوريين بدسائس
المستعمر ومكره ، وأنار لهم طريق الجهاد بنصائحه ، ومهد لهذه النصائح
بالبواعث التي دفعته الى النصح الخالص ، ليحسنوا الاصفاء ، ويحسنوا
الاستجابة ، وكانت وحدة اللغة من هذه البواعث التي تربط قلوبهم
بقلبه :

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شـرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

وفي قصيدته التي شكر بها لمكرميه بدمشق سنة ١٩٢٥ توجيه
العمل الجاد الدائب المنير ، وحث على الحفاوة بالعلوم والاداب ، وحث
على التأخي والاتحاد ، ثم تعزيز لهذا النصح بأنه صدى لحبه اياهم
واخلاصه لهم ، لانهم اخوته جمعته عدة وشائج منها اللغة :

نصيحة ملؤها الاخلاص صادقة والنصح خالصة دين وايمان
ونحن في الشرق والفصحى بنورحم ونحن في الجرح والآلام إخوان

٢ - دفاعه عن اللغة

حينما نجحت المؤامرات الاستعمارية متوخية قطع الوشيجة الوثقى
التي تربط العرب على اختلاف ديارهم ، وهي اللغة العربية الفصحى ،
بايثار اللهجات المحلية عليها ، وباتهام الفصحى بالجمود والعجز عن مسايرة
الحضارة الحديثة ، هب الشعراء يذودون عن الفصحى ما يراد بها من كيد
ويبصرون العرب بما يبيت لهم من شر ، ودعوا قومهم الى الاستمسك
بوحد لغتهم ، والاعتزاز بماضيها ، والفخار بما خلفته من تراث عظيم
خالد ، وفندوا دعاوى الاعداء وأبطلوها •

من هؤلاء الشعراء شوقي ، فقد دافع عن الفصحى بانها ليست
كالعامية في أن قدرتها منوطة بالتعبير السهل عن الشؤون العادية في البيت
والسوق ، مع عجزها عن التعبير العلمي والادبي ، بل ان الفصحى

وحدها هي القديرة على الافتتان الادبي ، وعلى جلاء التعبير العلمي ، وهو بهذا يرد على الذين اتهموها باطلا بالجمود والتخلف وزعموا أن العامية أكثر منها قدرة ومرونة .

ثم عزز حجته بان الفصحى لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهما المصدران الاولان للتشريع الاسلامي ، وهما ذروة البلاغة العربية ، وارتباط الفصحى بهما يحيطها بهالة من العظمة والقداسة ، فكيف يتهاون العرب في حمايتها من العدوان ؟ ولماذا لا ينهضون بها الى الارجح الذي تستعيد فيه حيويتها وقدرتها على مسايرة العلم والحضارة ؟ وأضاف الى هذا أنها لغة ثرية مرنة صالحة للتعبير عن حاجات كل عصر ، اذا ما لقيت من ابنائها حذبا عليها ، ورعاية لها ، واعتزازا بها .

ثم طالب الشاكين في هذه الحقيقة أن ينهضوا بانفسهم ، وان يرتقوا في سماء العمران ، فانهم سيجدونها تصاحبهم في صعودهم ولا تتخلف عنهم ، ومثل لهذا بأن يجعلوا عمرانهم روضة يانعة ، ليجدوا الفصحى تجرى جداول عذبة في هذه الروضة فتسقيها وتحييها ، ونهاهم عن ترقيعها بكلمات دخيلة مسروقة من لغات شتى ، لان الترقيع لا يجدي ولا يفني ، بل يشوه ويزري . ولم يفته ان يدلل على ثرائها بماضيها العريق في بغداد ودمشق والقاهرة والاندلس وفارس وغيرها ، اذ زكت أصولها ، وبسقت فروعها ، ونهضت بمقتضيات العصر في جميع المرافق ، ولم تقصر في شيء مما أراد أهلوها ، فمحت غيرها من اللغات ، واستقرت واستقلت محافظة على خصائصها وكيانها .

قال شوقي :

ان للفصحى زماما ويــــدا	تُجَنَّبُ السهل وتقتاد الصعابا
لغة الذكر لسان المَجْتَبَى	كيف تعيا بالمنادين جوابا ؟
كل عصر دارها ان صادفت	منزلا رجبا وأهلا وجنابا
أنت بالعمران روضا يانعا	وادعها تجر ينابيع عذابا
لا تجبها بالمتاع المقتضى	سرقا من كل قوم ونهابا

سل بها أندلسا هل قصرت دون مضمار الفلاحين أهابا
غُرِسَتْ في كل ترب أعجم فزكت أصلا كما طابت نصابا
ومشت مشيتها لم ترتكب غير رجليها ولم تحجل غرابا

وردد هذه الفكرة في قوله يناجي الاسكندرية :

فخذي كأس من الثقافة زينة وتجملي بشبابك النجباء
وتقلدي لغة الكتاب فانها حجر البناء وعدة الانشاء
بنت الحضارة مرتين ومهدت للملك في بغداد والفيحاء
وسمت بقرطبة ومصر فالتنا بين الممالك ذروة العلياء
وفي قوله :

ان الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره في الضاد

وفي قوله مشيدا بالقرآن الكريم والحديث الشريف :

جاء النيون بالآيات فانصرفت وجئنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد يزينه جلال العتق والقدم
يكاد في لفظة منه مشرقا يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم
يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة حديثك الشهد عند الذائق الفهم
حليت من عطّل جيد البيان به في كل مُنتَشِرٍ في صف متظّم
بكل قول كريم أنت قائله يحيى القلوب ويحيى ميت الهمم

٢

الوجدان المشترك

يذكر علماء النفس وعلماء الاخلاق ان للوجدانات آثارا عظيمة في حياة الانسان ، وسيطرة قومية على سلوك الافراد والجماعات، ويذكرون أن الوجدان المشترك هو المظهر الوجداني الاجتماعي ، كالشفقة على المصابين ، والحنو على الضعفاء ، ومقاسمة المتألمين آلامهم ، والمجورين سرورهم . وهذه المشاركة الوجدانية هي المثير القوي لانفعالات المجتمع ،

والدافع الاصيل لكثير من أعماله ، كالذعر عند الخطر ، والغضب عند الاعتداء على الدين أو الوطن ، وهي أساس النهضات الاجتماعية ، والعامل الاقوى في توحيد الميول والعواطف .

وليست هذه المشاركة الوجدانية مقصورة على الانسان ، بل هي واضحة في كثير من الحيوانات الراقية التي تميل بطبيعتها الى التجمع ، فهي كما يقول العلامة (مكدوجل) تربط كل افراد الجنس الواحد من الحيوان معا ، وتوحد اعمالهم وتنظمها بطريقة تجعل منها جماعة قوية تعوض باتحادها في ميدان الجهاد للعيش ما ينقصها من الذكاء وحسن التصرف . وهذا هو السبب في أن اخراج العسوب - ملكة النحل - من الخلية عنوة يحدث في نفس الدبّر - جماعة النحل - انفعالا شديدا ، فتنتقل من الخلية انطلاق السهام للبحث عن العسوب في كل مكان ، وكلما طال عليها الوقت تزايد هياجها ، وتعالى طنينها .

ويقول العلامة الامريكي (هولمز) ان جماعة النحل والنمل وكثيرا من الحشرات يظهر عليها الغضب اذا غضب احدها ، فتجعل تتجمع ، وكلما زاد عددها ازداد غضبها ، فتتلف كل ما تجده في سبيلها ، حتى لا تبقى ولا تذر .

ويؤكد العالم الالماني (كهلمر) أن صراخ فرد من الشمبانزي أو هجومه على انسان يكفي لاثارة غضب الجماعة فينب افرادها من كل مكان للمشاركة في هذا الهجوم .

فلا غرابة اذاً في أن يكون الوجدان المشترك دعامة من دعائم القومية العربية .

ولهذا الوجدان المشترك عدة مظاهر .

١ - التآلف والتعاطف

ليس من شك في أن للامة العربية وجدانها المشترك في احدائها العامة ، ممثلاً فما تتجاوب به من أفراح أو أتراح ، ومن رضا أو سخط ، ومن قلق أو اطمئنان .

وهو في أعم حالاته وجدان حافز الى العمل ، سواء أكان هذ العمل سخاء بالمال أو المقال ، أم للدماء ومشاركة في القتال ، أم سحقا على المستعمر وتشنيعا بمظالمه وحضا على النار منه ، وعلى تحطيم اغلاله ، أم مشاركة في الزهو والفخار ، أم مجاوبة في الفرخ والابتهاج •

ولقد برع شوقي في تصوير الوجدان المشترك تصويرا جمع بين الصدق الواقعي والصدق الفني في قصيدته التي حيا بها مبايعيه بامارة الشعر من أقطار العروبة سنة ١٩٢٧ ، اذ وصف المهرجان بأنه عكاظ واجتمعت فيه العروبة - التي عبر عنها بالشرق على نهج كثير من الشعراء - ثم ختم القصيدة بتصوير الامة العربية جسدا واحدا اذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والالم ، فاذا تأوه بالعراق جريح أمسك اخوته في الوطن العربي جنوبهم ، كناية عن الالم الشديد الذي يضطر المتألم الى هذه الحركة ، وعرض شوقي لبعض ما يتصل بوحدة الشعور بالآلام من مظالم الاستعمار ، والتكيل بالاحرار ، والجهاد للاخلاص ، فقال :

يا عكاظا تألف الشرق فيه	من فلسطينه الى بغداده
شرقت مصر بالشموس من ا	لشرق نجوم البيان من أعيانه
رب جار تلفتت مصر توليه	سؤال الكريم من جيرانه
بعثتى معزيا بما قي	وطني أو مهتبا بلسانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح	ح وأن نلتقى على أشجانه
كلمان أن بالعراق جريح	لمس الشرق جنبه في عمانه
وعلينا كما عليكم حديد	تنزى الليون في قضبانه
نحن في الفكر بالديار سواء	كلنا مشفق على أوطانه

وأغلب الفن أن علي الجارم أعجبه فصله وأضاف اليه خطوطا وألوانا وأبعادا ومعالم ، وصور المشاعر مشتركا بين الجمادات والنباتات ، غير مقصورة على الاناسي ، ليؤكد انها بينهم قوية غاية القوة ، لانها استجابة للفطرة لا تزول ولا تحول •

قال الجارم :

تذوب حشاشات العواصم حسرة
ولو صدَّعتْ في سفح لبنان صحرة
ولو بردى أنت لخطب مياهاه
ولو مس رضوى عاصف الريح مرة
إذا دميت من كف بغداد إصبع
للك ذرا الأهرام هذا التصدع
لسالت بوادي النيل للنيل أدمع
لبانت له أكبادنا تنقطع

وقال في قصيدة أخرى :

إذا مست البأساء أذيال دجلة
وان طُرِفَت عين ببغداد من قذى
قرأت الاسى في صفحة النيل والكمدا
رأيت بمصر أعينا ملئت سهدا

وقال في قصيدة ثالثة :

بغداد يا بلد الرشيد
اهلوك اهلونا وأبنا
بين القلوب تشوف
حتى يكاد يحب نخلك
الرافدان تمازجا
وتعانق الفلان ظل الطاق
ومنارة المجد التليد
العشيرة والجدود
نخل أهلي في رشيد
في الحب بالنيل السعيد
والهرم المشيد

ب - فظائع الاستعمار

هب العرب الاحرار يناضلون الاستعمار ، مقتدين وطنهم بالدماء
والارواح متسابقين الى ميادين الكفاح ، غير آبهين بجنود العدو الكثيرة
واسلحته الموفورة ، ووحشيته المسعورة .

وحينما كان يستشهد بعضهم في الجهاد ، أو تضرب مدنهم بالقنابل ،
يهيج أخوانهم في الاقاليم الاخرى ، ويشاركونهم في الاسى والسخط على
العدو الفاشم .

ولشوقي في هذا المجال صوت طالما دوى وجلجل .

فلما ضرب الاسطول الايطالي بيروت سنة ١٩٢١ والحرب قائمة
في طرابلس بين العرب والايطاليين ، قال شوقي قصيدة صور فيها الابطال

الذين قتلهم القنابل أسودا ماتوا غدرا في غير معركة ، فليس لايطاليا
أي فخر في قتلهم ، لان الليث المقيد يسهل صيده أما الليث الطليق فان صيده
مرهوب .

وحزن شوقي على دماء الابطال التي سالت حول المساجد والكنائس
والدور ، تمنى لو طال العمر باصحابها ليدودوا عن الحمى ، وصور
أسى المصريين مما نزل باخوتهم اللبنانيين بكوا بيروت بدموع لو استطاعوا
أن يغسلوا جراحها لفعلوا ، ولكنه عبر عن المصريين بانهم (جيرة)
بيروت ، ولو انه قال (اخوة) لاصاب الحقيقة :

بيروت مات الاسد حتف أنوفهم	لم يشهروا سيفا ولم يحموك
سبعون ليثا أحرقوا أو أغرقوا	ياليتهم قتلوا على (طبروك)
كل يصيد الليث وهو مقيد	ويعزيزُ صيد الضيغم المفكوك
يا مَضْرِبَ الخَيْمِ المنيفة للقري	ما أنصف العُجم الا الى ضربوك
ما كنت يوما للقنابل موضعا	ولو أنها من عسجد مسبوك
سالت دماء فيك حول مساجد	وكنائس ومدارس وبنوك
كنا نؤمل أن يُمدَّ بقاؤها	حتى تبل صدى القنا المشبوك
لك في ربا النيل المبارك جيرة	لو يقدرن بدمعهم غسلوك

ولما ثارت سورية على الحكم الفرنسي سنة ١٩٢٥ ثورتها الباسلة
التي استمرت سنتين ، وضرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم في مايو سنة
١٩٢٥ التهمت عواطف شوقي وجزع مما أصابها ، ومجد ماضيها
وحاضرها ، وصور عزازتها عليه وعلى الامة العربية ، وحزن لما أحدثه
الفرنسيون بآثارها الخالدة ، واستنكر وحشيتهم ، وحمل عليهم وندد
بهم ، لانهم تنكروا لاصول ثورتهم التي زعموا أنها كانت أول هتاف
بالحرية والاخاء وندد بهم ، لانهم تنكروا لاصول ثورتهم التي زعموا
أنها كانت أول هتاف بالحرية والاخاء والمساواة ، وندد بطيش القائد
الفرنسي ، ووصفه بأنه أحمق غاشم كان حربا على فرنسا بما جنى ، وبما
جر عليها من سبة وسوء سمعة ، ثم انذر فرنسا بأن السوريين لا بد أن ينالوا

حريتهم ، وبأن وحشيتها غذاء لحماستهم ، لان شهداء الجهاد خالدون ،
وذكراهم تؤرث النضال •

وختم القصيدة بتشجيع السوريين على الجهاد ، ونصحهم بأن
يحذروا خدع فرنسا ، لانها تحاول ان تصرفهم عن الاستقلال بأوهام
خداعة كالدولة السورية ، ولبنان الكبير ، ودولة جبل الدروز ، وحكومة
العلويين ، وبألقاب توهم بالملك والسيادة وهي في حقيقتها ذل واستعباد ،
وصور لهم الحرية حصنا لا يقرع بابه الا المجاهدين المصبوغة ايديهم
بدماء الجهاد •

ولقد غاظت القصيدة فرنسا ، فمنعت شوقي أن يزور المغرب اندي
كان خاضعا لها حيثذ :

سلام من صبا بردي ارق	ودمع لا يكفكف يا دمشق
ومعذرة اليراعة والقوافي	جلال الرزء عن وصف يصدق
وذكرى عن خواطرها لقلبي	اليك تلفت أبدا وخفق
وبى مما رمتك به الليالى	جراحات لها في القلب عمق
لحاما الله أنباء توالى	على سمع الولي بما يشق
تكاد لروعة الاحداث فيها	تخال من الخرافة وهي صدق
وقيل معالم التاريخ هتدت	وقيل أصابها تلف وحررق
ألبت دمشق للاسلام ظنرا	ومرضعة الابوة لا تعق ؟
صلاح الدين تاجك لم يجمل	ولم يوسم بأزين منه فرق
وكل حضارة في الارض طالت	لها من سرحك العلوى عرق
بنيت الدولة الكبرى وملكها	غبار حضارتيه لا يشق
له بالشام اعلام وعرس	بشائره بانسدلس تُدق
سلى من راع غيدك بعد وهن	أبين فؤاده والصخر فرق ؟
وللمستعمرين وان الأنوا	قلوب كالحجارة لانرق
رماك بطيشه ورمى فرنسا	أخو حرب به صلف وحمق
اذا ما جاءه طلاب حرق	يقول عصابة خرجوا وشقوا

دم الثوار تعرفه فرنسا
 وحررت الشعوب على قناها
 بنى سورية اطرحوا الاماني
 فمن خدع السياسة ان تغروا
 وقفتم بين موت أو حياة
 وللواطن في دم كل حر
 ولا يبنى الممالك كالضحايا
 ففي القتلى لاجيال حياة
 وللحرية الحمراء باب
 وتعلم انه نور وحق
 فكيف على قناها تسترق؟
 وألقوا عنكم الاحلام ألقوا
 بألقاب الامارة وهي رق
 فان رمت نعيم الدهر فاشقوا
 يد سلفت ودين مستحق
 ولا يدني الحقوق ولا يحق
 وفي الاسرى فيدي لهم وعتق
 بكل يد مزرجة يسدق

ج - رثاء المجاهدين

- أمة واحدة في وطن واحد .
- أمة وفيه لأبطالها المجاهدين وعظماؤها الراحلين .
- وشعراؤها كلفون بالبطولة وبالمجد ، تياهون بالابطال والمجاهدين ،
- فمن الطبيعي أن يكون الشهيد في اقليم عربي شهيد الوطن العربي كله ،
- وأن يكون العظيم في بلد عربي عظيما في نظر العرب أجمعين .
- ولهذا تجاوب الشعراء برثاء الزعماء والقادة والشهداء والعظماء .
- وكان شوقي من السابقين في هذا المجال .

فلما احتفلت سورية بذكرى استقلالها سنة ١٩٢٨ ، مجد شوقي
 شهداءها ، واختص بطلها يوسف العظمة بالاشادة ، وقد كان يوسف وزير
 الحربية في حكومة فيصل بن الحسين بعد فتح سورية بقيادة فيصل ،
 واستطاع يوسف بعد المناداة بفيصل ملكا على سورية ان ينظم جيشا وطنيا
 من عشرة آلاف مقاتل . فلما اعلن الحلفاء في مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠
 فرض الانتداب على سورية ، وتحرك الجنرال غورو ليحتل دمشق ، نهض
 يوسف العظمة لصدده ، وكانت موقعة ميسلون التي ابلى فيها العرب أعظم
 بلاء ، واستشهد فيها يوسف ، فكان من طلائع شهداء الحرية والعروبة .

صور شوقي قبر يوسف العظمة يهتف بالجهاد للثأر له من الفرنسيين،
ونوه بطولته في منازلة الجيش الفرنسي الباغي المستظهر بطياراته ودباباته ،
وكيف استهان بها يوسف ، وثبت في مكانه كالطود ، حتى استشهد أيا
في ميدان الشرف ، مبكيا من المسلمين والنصارى جميعا :

سأذكر ما حيت جدار قبر	بمظاهر جلق ركب الرمالا
مقيم ما اقامت ميسلون	يذكر مصرع الاسد الشبالا
لقد اوحى الي بما شجاني	كما توحى القبور الى النكالي
تغيب عظمة العظام فيه	واول سيد لقي النبالا
ترى نور العقيدة في نراه	وتنشق من جوانبه الخلالا
ملأن الجو أسلحة خفافا	ووجه الارض اسلحة ثقالا
وأرسلن الرياح عليه نارا	فما ضل الجنوب ولا الشمالا
اقام نهاره يلقي ويلقي	فلما زال قرص الشمس زالا
وطاح ترى به قيد المنايا	ولست ترى الشكيم ولا الشكالا
فكفن بالصوارم والعوالي	وغيب حيث جال وحيث صالا
اذا مرت به الاجيال ترى	سمعت لها ازيزا وابتهالا
تعلق في ضمائرهم صليبا	وحلق في سرائرهم هلالا

ورثي الزعيم السوري فوزي الغزي سنة ١٩٣٠ ، وبكى فيه بطلا
عربيا كان يذود عن الوطن كما زاد اسلافه من بني عبد شمس وبني أمية ،
وختم القصيدة بدعوة المجاهدين ان يرعوا وحدتهم ، واستحلفهم بالله وبمحمد
وبعيسى وبالغزي ان يعتصموا بالوحدة ، لان خروج واحد من الصف قد
يجبب التدبير المحكم ، والتفكير السديد ، والجهاد المظفر :

جرح على جرح حانك جلق حُصَلت ما يوهي الجبال ويرهق

.....

يا مانما من عبد شمس مثله	لشمس يُصنع في الممات ويُتسَّق
ان ضاق ظهر الارض عنك فبطنها	عما وراءك من رفات أضيَّق
لما جمعت الشام من اطرافه	وافى يعزى الشام فيك المشرق

يبكى لواء من شباب أمية
من مبلغ عنى شبولة جلق
بالله جل جلاله بمحمد
قد تفسد المرعى على اخواتها

يحمى حمى الحق المين ويخفق
قولا يبر على الزمان ويصدق
يسوع بالغزى لا تفرقوا
شاة تند عن القطيع وتمرق

ورثى سنة ١٩٣٠ الحسين بن علي زعيم الثورة العربية على الاتراك ،
واحسن الاعتذار له عن مهاجمته من قبل ، لانه تبين ان الحسين مناضل
كان يأمل تحرير العرب ، ولكن الاستعمار خدعه :

قد بعث القضية اليوم ميتا
أنت كالحق ألف الناس يقظا
حبذا موقف غلبت عليه
ذائدا عن ممالك وشعوب

رب عظم أتى الامور العظام
ن وزاد ائتلافهم وهو نائم
لم يقفه للعرب قبلك خادم
نقلت في الاكف نقل الدراهم

موطن الخيل او مطار القشاعم
كل ماء لهم وكل سماء

ورثى الشهيد عمر المختار ، بطل طرابلس الذي لقي الايطاليين في
عشرات المواقع ، فلما قبضوا عليه اعدموه سنة ١٩٣١ ولم يعطفهم عليه
ما عرفوا من بطولته وشغفه بوطنه ، ولم يرحموا سنه التي نيفت على
التسعين .

وقد حمل في مرثيته على ايطاليا ، وانذرنا بثأر اشد وانكى ، وصور
رفات الشهيد الموارد بالثرى كنزا من الحماسة المتقدة ، يستنهض العرب
في كل وقت أن يثاروا لشهيدهم ، وان يقتدوا بجهاده ، وأيقن انهم
سيورثون ابناءهم بفضهم للايطاليين والدأب على نضالهم ، حتى يطردوهم
من ديارهم ، ثم ختم القصيدة بنصائح اختص بها الشباب الليبي :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
ياويحهم نصبوا منارا من دم
جرح يصيح على المدى وضحية
افريقيا مهد الاسود ولحدها

يستنهض الوادي صباح مساء
يوحي الى جيل الغد البغضاء
تلمس الحرية الحمراء
ضجت عليك أراجلا ونساء

لا يملكون مع المصاب عزاء

والجاهلية من وراء قبورهم
 لبي قضاء الارض امس بمهجة
 وافاه مرفوع الجبين كأنه
 وأتى الاسير يجرد ثقل حديد
 عضت بساقية القيود فلم ينؤ
 ويكون زيد الخيل والفلاحاء
 لم تخش الا للسماء قضاء
 سقراط جر الى القضاة رداء
 اسد يجرد حية رقطاء
 ومشت بهيكله السنون فساء

د - الفرح المشترك

كانت اهازيج البهجة في اقليم من الوطن العربي تتجاوب بها بقية
 الاقليم ، وكثيرا ما صور الشعراء افراح العرب المشتركة ، وابتهجوا بها .
 فحينما احتفلت سورية سنة ١٩٢٨ بعيد استقلالها حياها شوقي بقصيدة
 اشاد فيها بالاحياء من الاحرار وبالشهداء والابطال ، ونوه بما بين مصر
 وسورية من اخاء ومن ضيق بقيود الاستعمار :

بني البلد الشقيق عزاء جار اهاب بدمعه شجن فسالا
 قضى بالامس للابطال حقا واضحى اليوم بالشهداء غالى
 يعظم كل جهد عبقري اكان السلم ام كان القتالا
 وما زلنا اذا دعت الرزايا كأرحم ما يكون البيت آلا

ثم حضهم على الاتحاد والعمل الدائب في السلم وفي الحرب ، ودعاهم
 الى الاعتصام باخاء المسلمين والنصارى ، والى الحرص على الثام الشمل ،
 وذكرهم بوعود الاستعمار الخادعة وعهوده المنقوضة ، ليأخذوا حذرهم :

بني سورية التثموا كيوم خرجتم تطلبون به التزالا
 سلوا الحرية الزهراء عنا وعنكم هل أذاقنا الوصالا ؟
 وهل نلنا كلانا اليوم الا عراقيب المواعد والمطالا ؟
 عرفتم مهرها فمهرتموها دما صبغ السباب والدغالا ؟
 دعوا في الناس مفتونا جباننا يقول : الحرب قد كانت وبالا
 وكونوا حائطا لا صدع فيه ووصفا لا يرقع بالكسالى
 وعيشوا في ظلال السلم كدا فليس السلم عجزا واتكالا

التاريخ المشترك

لم يكن عن مصادفة هذا الفخار الكثير في الشعر الحديث بتاريخ العرب المجيد وحضارتهم العريقة ، وتراثهم المشرق ، وعظمائهم وأبطالهم • ولم تكن الاشادة بهذا مظهرا من مظاهر الاقتدار على المعارضات الشعرية ، او تدريب القرائح على التجويد ، بل كان عملا مقصودا صادرا عن عواطف قوية صادقة نبيلة •

ذلك ان العرب افاقوا في أواخر القرن التاسع عشر ، فاذا اعداؤهم ينتقصون اقدارهم ، ويستولون على بلادهم ، ويحاولون ان يطمسوا معالم مجدهم ، ويرخوا استارا كثيفة صفيقة بينهم وبين ماضيهم العريق الحافل بالعظمة والعظمة ، على حين ان هؤلاء الاعداء يحرصون اشد الحرص على التويه بتاريخهم هم وبعضمتهم وعظمائهم ، ليضعفوا ثقة العرب بأنفسهم •

أفاق العرب على هذه الخدع التي حاكها الاستعمار ، فهبوا سراعا الى إبطالها واجباطها ، فأحيوا تاريخهم المجيد ، واشادوا بحضارتهم الزهراء ، وبوهو بأسلافهم الذين سموا في كل ناحية من نواحي الحياة ، ليصدوا الدعاوى الاجنبية عن العقول والقلوب ، وليضاعفوا ايمان العرب بانفسهم ، وانهم اهل لان يسودوا كما ساد آباؤهم ، واهل لان ينبغوا كما نبغ اسلافهم ، وليبينوا ان الضعف الذي يعانون جرائره ليس طبيعة فيهم ، بل هو طارئ موقوت ، مناهم به الانقسام والاستعمار والتحلل من المثل العليا التي سنها لهم دينهم ، وارسى قواعدها اجدادهم ، وهم لا يلبثون ان ينهضوا الى ذروة العلاء والقوة والمجد اذا ما عرفوا قدر انفسهم ، واهتدوا بالقيم النفيسة السامية التي خلفها لهم سابقوهم •

وقد سلك المستشرقون والقادة الى احياء المجد القديم مسالك متنوعة ،

كان الشعر من ابرزها •

فاذا ما رجعنا الى شوقي استرعى نظرنا انه كثيرا ما لهج بماضي العرب المجيد ، واشاد بحضارتهم وتراثهم وابطالهم وعظمائهم ، يقصد بعث العزائم على رفض الذل ، والانفة من الاستعمار ، والاقتداء بالاجداد الذين

كانوا سادة العالم وزينة الارض ، والمثل العالية في القوة والبطولة والعلم
والحضارة ومكارم الاخلاق ، فانه لا يحفز الامم على النهوض مثل الجهاد
الدائب لاستعادة مجدها الذاهب .

فهو يصف العرب بأنهم امة البيان والعلوم ، سادوا العالم ، وكانوا
اساتذته احقبا طوالا ، وكان الحق والعدل والحرية والخير والعلم ترافق
فتوحهم حيثما حلوا ، فهم الذين حملوا معهم تعاليم الاسلام الى كل اقليم
نزلوا به ، فطبوا البشرية من امراضها ، وسنوا لها اسمى النظم في العقيدة
والتشريع والتفكير والاجتماع والحكم وسائر ما يتصل برقي الافراد
والجماعات . وليس للبشرية دواء ناجع يقبها ويعالج ادواها غير الاسلام ،
بما قضى من عقائد وتشريع ونظم يقبس منها اتباعه وغير اتباعه ، وهي
نظم يجد فيها المصلحون بغيتهم ، ويجد فيها العلماء والباحثون طلبتهم .
ثم استنكر شوقي من الاعاجم ابناء الخصب والظل والتعم والترف
ان يعجبوا من ان تخرج الصحراء عباقرة في السياسة والعلوم ، وان
ينطلق من الخيام افاذا في الحروب وقيادة الجيوش استطاعوا في زمن
قصير ان يدكوا عرش كسرى وقصر ، وان يقيموا حكما اساسه العدل
والحرية والرخاء والخير للمحكومين :

أمة ينتهى البيان اليها وتثول العلوم والعلماء
جازت النجم واطمأنت بأفق مطمئن به السنا والسنا
كلما حثت الركاب لأرض جاور الرشكدها اهلهما والذكاء
وعلا الحق بينهم وسما الفضل ونالت حقوقها الضعفاء
تحمل النجم والوسيلة والميزان من دينها الى من تشاء
فيه ما تشتهى العزائم ان هم ذووها ويشتهى الاذكياء
ايرى العجم من بنى الظل والماء عجبيا ان تنجب اليبداء ؟
وتثير الخيام آساد هيجاء تراها آسادها الهيجاء
ثم وقف على آثار العرب بالاندلس ، فغالبه البكاء اذ استرجع تاريخهم
الوضاء هنالك ، فترقرق الدمع في عينيه ، ولكن تناه عن البكاء وعن انحدار
الدمع اجلاله لاجداده الاباء ، الذين لم يخضعوا الا لله ، ولم يبكوا الا

في صلاتهم وضراعتهم لله ، وهو بهذا التصوير يضعهم في ذرا العزة والكرامة
والاباء في علاقتهم بالاقوياء من الناس ، ويصفهم بالتدين وحب الله والخشية
من عقابه والانقياد له ، ثم يعقب على هذا بانهم سادوا العالم ، معتمدين
على دينهم ، وعلى اخلاقهم التي اشتهروا بعلائها قبل اسلامهم :

رسم وقفنا على رسم الوفاء له نجيش بالدمع والاجلال يتينا
لفتية لاتال الارض ادمعهم ولا مفارقهم الا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة للناس كانت لهم اخلاقهم ديننا
وكذلك ناجى بني امية في دمشق ، فمجدهم ، وباهى بفتوحهم وقوتهم
في الشرق وفي الاندلس :

قم ناد جلق واتشد رسم من بانوا مشت على الرسم احداث وازمان
هذا الاديم كتاب لا كفاء له رث الصحائف باق منه عنوان
الدين والوحي والاخلاق طائفة منه ، وسائر دينا وبهتان
بنوا امية للانبياء ما فتحوا وللحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكا سرير الشرق تحتهم فهل سألت سرير الغرب ما كانوا ؟
ثم كرر الفخار في قصيدة اخرى ، وصف فيها دمشق بانها ظفر
للاسلام ربت كثيرا من رجالاته ، وحسبها من العظمة انها مثوى رفات
صلاح الدين ، وانها كانت عاصمة الامويين الذين مهدوا للدولة العباسية
في الشرق ، واسسوا الدولة الاموية في الغرب ، فكانوا اساسا لحضارة
هؤلاء وهؤلاء ، واذ كانت حضارة العباسيين والاندلسيين ذات اثار عظيمة
في حضارة الامم الغربية ، فان للامويين اذا فضلا على هذه الحضارات
لا ينكر :

الست دمشق للاسلام ظفرا ومرضعة الابوة لا تعسق ؟
صلاح الدين تاجك لم يجمل ولم يوسم باجمل منه فرق
وكل حضارة في الارض طالبت لها من سرحك العلوى عرق
سماؤك من حلى الماضي كتاب وارضك من حلى التاريخ رق
بنيت الدولة الكبرى وملكها غبار حضارته لا يشق
له بالشام اعلام وعرش بشائره باندلس تندق

وقال في قصيدة اخرى :

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت ببني العباس بغدادان
على ان له ديوانا مستقلا في (دول العرب وعظماء الاسلام) ، واربع
مدائح نبوية اشاد فيها بعظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالشرعية
الاسلامية ورجال العرب .

وله قصيدة في تمجيد العرب بالاندلس وبكاء حضارتهم ، مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكرا لي الصبا وايام انسى

وله موشح في صقر قریش عبدالرحمن الداخل ، مطلعها :

من لِنِضْوٍ يَتَنَزَّى الْمَا بَرِحَ الشُّوقُ بِهِ فِي الْفَلَسِ
حَنَ لَلْبَانَ وَنَاجِيَ الْعِلْمَا ابْنَ شَرْقِ الْاَرْضِ مِنْ اَنْدَلَسِ ؟

كما نجد في ديوانه ابياتا كثيرة تنوه بعظمة العرب مثل الابيات التي
في قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل) ، والابيات التي في قصيدته
(أيها النيل) . فهو في اشادته بالعرب الذين فتحوا مصر يصفهم بالشجاعة
المقترنة بمكارم الاخلاق ، لانهم يجاهدون ليحققوا الحق ويزهقوا الباطل ،
فلا بغي ولا جبروت ولا استعمار ولا استئثار بخيرات البلاد ، وبانهم كانوا
المثل الاعلى في التسامح والعدل والمساواة ولم يكونوا اصحاب ابهة
واستعلاء ، ويرسم صورة رائعة لعمر بن العاص والى مصر وهو جالس
على حصير كما يجلس الناس ، وحوله ابهة روحانية من دينه واخلاقه
تفوق ابهة الملك المتوج ، وهو موئل الخائفين ، وملاذ المستضعفين ، نس
يؤكد عدله بأن النصرى واليهود احبوه ، ودعوا له في كنائسهم وبيعتهم ،
لانه انقذهم من احوال الرومان ومظالم البيزنطيين . قال شوقي في مناجاة
النيل :

وودائع الفاروق عندك دينه ولواؤه وبيانه والمنطق
بعث الصحابة يحصلون من الهدى والحق ما يحيى العقول ويفتق
احلاس خيل بيد ان حسامهم في السلم من حذر الحوادث مفلق
تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم جيش من الاخلاق غاز مورق

في الحق سُلِّ وفيه أعمد سيفهم
والفتح بغى لا يهُونَ وقعه
ما كانت الفسطاط الا حائطها
وبه تلوذ الطير في طلب الكرى
عمرو على شطبِ الحصرِ معصب
يدعو له الحاخام في صلواته
سيف الكريم من الجهالة يفرق
الا العفيف حسامه المترفق
ياوى الضعيف لركنه والمرهق
وبيت قيصر وهو منه مؤرق
بقلادة الله العلى مطسوق
موسى ويسأل فيه عيسى البطرق

ويتحدث شوقي عن بطولة صلاح الدين وحمايته للمسلمين وتحريره
الوطن العربي من الصليبيين اذ انتصرت عليهم موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ
(١١٨٧ م) وعن انتصار توران شاه على لويس التاسع ملك فرنسا
والقبض عليه واسره في موقعة المنصورة سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠ م) ثم اطلاقه
بفدية ، لا لان مصر أغرتها الفدية ، او كانت محتاجة اليها ، بل لانها
اطمأنت الى انه صار بعد الهزيمة والاسر لا يخشى له بأس . ثم ختم شوقي
اياته بالعظمة البالغة من هذه الاحداث ، وهي ان العرب كانوا أصحاب
هذه الاخلاق العظيمة التي أراد الاستعمار تشويهها ، وباخلاقهم هذه سادوا
وشادوا وخذلوا انباء يتناقلها التاريخ في زهو بهم وفخار :

يعرف الدين من صلاح ويدرى
انه حصنه الذي كان حصنا
يوم سار الصليب والحاملوه
يضمرون الدمار للحق والناس
ويهدون بالتلاوة والصليبان
فتلقنهم عزائم صدق
مزقت جمعهم على كل ارض
وسبب أمرد الملوك فرته
ولو ان المليك هيب اذاه
هكذا المسلمون والعرب الخا
فيهم في الزمان نلنا الليالي
من هو المسجدان والاسراء
وحماه الذي به الاحتماء
ومشى الغرب قومه والنساء
س ودين الذين بالحق جاءوا
ما شاد بالقنا البناء
نص للدين بينهن خباء
مثلما مزق الظلام الضياء
وما فيه للرعاية رجاء
لم يخلصه من اذاها الفداء
لون لا ما يقوله الاعداء
وبهم في الورى لنا انباء

واذ خايل شوقي بمجد العرب ، واشاد بابطالهم ، ونوه بفضلهم على
العالم كله ، لم يغب عنه ان يعيس الحاضر المتخلف الى هذا الماضي
السباق ، فيشتد به الاسى ، وتغالبه الحسرة ، ولكن حسرتة لم تكن
استسلاما أو استكانة أو قناعة بحسب الآباء والاجداد ، بل هي وقاء للماضي
واعزاز ، وتبصير بما بينه وبين الحاضر من بون شاسع ، ليحفز العزائم
الى العمل الدائب ، وتحطيم قيود الخور والهوان ، فقد بكى حضارة
الاندلس في سينيته ، وبكى عزة العرب في مناجاته لدمشق في نونيته ،
وحسبنا من بكائه قوله :

بنو أمية للانباء ما فتحوا	وللاحاديت ما سادوا وما دانوا
ياويح قلبي مهما اتاب أرسهم	سرى به الهم او عادته اشجان
بالامس قمت على (الزهراء) أندبهم	واليوم دمعي على (الفيحاء) هتان
مررت بالمسجد المحزون أسأله	هل في المصلى او المحراب مروان ؟
تغير المسجد المحزون واختلفت	على المنابر احرار وعبدان
فلا الأذان أذان في منارته	اذا تعالى ولا الأذان أذان

هكذا كان شوقي يصدح بالعروبة ، ويحمي ذمارها ، وهكذا كان
شوقي يتغنى للقومية العربية ، ويعلى منارها ، فليته عاش حتى يراها اليوم
وهي تشق طريقها لتحقيق ما كان يرجوه لها .

الدكتور أحمد محمد الحوفي
عضو وفد المتحدة

الادب والبناء

بقلم

الدكتور محمد ضرور

يقولون ان الاديب هو مهندس النفوس البشرية . ومعنى ذلك هو أنه بانيها . ولكن على أى نحو وبأية وسيلة يستطيع الادب أن يبني النفوس البشرية ؟ وهنا يتبادر الى الذهن ذلك التعريف الذي يقول أن الادب نقد للحياة . والنقد ينتهى الى الهدم . ولكنه في الواقع هدم يعهد للبناء ويعين عليه ولولا الدور الذى يقوم به الادب في نقد الحياة وقيمتها الفاسدة لما قامت الثورات التي تهدم القديم الفاسد لتبني محله الحياة الجديدة المرجوة . وذلك لان البؤس نفسه لا يحرك الشعوب وانما يحركها الوعي به . والادب هو الذى ينشر هذا الوعي ولا زلت اذكر كيف كان شبابنا الجامعيون يقود المواكب الوطنية في شوارع القاهرة احتجاجا على الاستعمار والاستبداد والظلم وهو يردد مع شاعرهم الناصر عندئذ قوله :

لقد ضاقت بنا الاوطان ما للعبد أوطان

ونفس هذا الشاعر الناصر يوجه الى زميله القائه النداء قائلا :

في سماء الخيال ضم جناحيك - تقمع بيننا فتصبح منا

دع جمال الخيال وادخل كهوفا للملايين وارو للكون عنا

انما الفن دمعة ولهيب - ليس هذا الخيال واليه فنا

وبالرغم من أن الثورة ضد الاستعمار الاجنبى قد اشتعلت نيرانها منذ أن وطىء المحتلون أرض وطننا ، وبالرغم من ان تلك الثورة قد انفجرت على أوسع نطاق في أعقاب الحرب العالمية الاولى وظل لهيها متقددا طوال

فترة ما بين الحربين - فانها مع ذلك لم تحقق هدفها وهو تحرير الوطن من سيطرة الاستعمار لان الفساد الداخلي والانحلال الاخلاقي واستشراء الانانية كانت تنخر في عصب الامة وفي سلوك المواطنين الخاص والعام وقد توفر الادب القصصي بنوع خاص على نقد كل هذه المفاسد وتجسيدها وابرزها أمام ضمير المجتمع على نحو ما فعل نجيب محفوظ في ثلاثيته التي تابع فيها ثلاثة أجيال تعاقبت خلال تلك الفترة وعانت من نفس المفاسد - وذلك في « بين القصرين » و « قصر الشوق » و « السكرية » .
وكل ذلك بعد أن مهد هذا الكاتب لهذه الصورة العامة بعدة لوحات جزئية معبرة مثل « خان الخليلي » و « بداية ونهاية » و « القاهرة الجديدة » و « زقاق المدق » .

وإذا كانت السلطات الاجنبية والداخلية المستغلة لم تسمح للادباء الثائرين بأن يفضحوا مخازي ذلك العهد وينقدوها فان الانفجار الثوري الذي أخذ يضطرم في النفوس لم يلبث أن حطم الاغلال والقيود فسراح الأستاذ عبدالرحمن الشرفاوي يصور في قصة « الارض » سيطرة الاقطاع على الفلاحين واستنزافه دماءهم شفع نقده لسوءات الحياة الريفية يقده لسوءات حياة المدينة في قصته الاخرى « الشوارع الخلفية » .

وانطلق الادب في مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ يصور مخازي عهدها قبل الثورة ومظالمه وفساده لا لكي ينفس الادباء عن مكنون صدورهم فحسب بل ولكي يدعموا الثورة الجديدة ويؤكدوا شرعيتها ، بل ضرورتها بالامعان في تصوير تلك المخازي على نحو ما فعل يوسف ادريس في قصة « ملك القطن » التي صور فيها استغلال ملاك الاراضي فغرق جبين الفلاحين المستأجرين . وعلى نحو ما فعل في قصة « الحرام » . التي صور فيها ما كان يعانيه عمال التراجيل عندئذ من ظلم واستغلال وشقاء .

ولما كانت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ قد حرصت على بناء المواطن الجديد بناء سليما باعتباره خالق الثورة وحارسها ، فقد أولت أجهزة الثقافة الجماهيرية الكبيرة أكبر الاهتمام وبخاصة جهاز المسرح فأنشأت دور التمثيل وكونت ما يقرب من العشرين فرقة تمثيلية في القاهرة وحدها فضلا عن

الفرق العديدة التي أخذت تتكون وتعمل في عواصم المحافظات مثل الاسكندرية ودمهور ودمياط وطنطا والسويس وغيرها من العواصم وكان لهذا التوسع الكبير في هذا الجهاز الجماهير القوي أثره الفعال في جذب معظم المواهب الفنية النامية اليه حتى اصبح تأليف المسرحيات هو الفن الغالب على كتاب الجمهورية العربية المتحدة بحيث يمكن القول أن هذا الفن الذي نستطيع أن نتابع من خلال دراستنا لنتاجه الدور الكبير الذي ساهم به الادب في بناء حياتنا الجديدة التي تجمع بين القيم الاشتراكية العادلة والقيم الديمقراطية السليمة .

ولما كان الفكر البشري لا يمكن الا أن يفعل بالتغيرات المادية والاجتماعية التي تحدثها التورات الجريئة الناجحة في المجتمع وحياته فقد رأينا اديبا مخضرا من أدباء البرج العاجي كتوفيق الحكيم يجذبه الاشعاع الثوري الى سفح الحياة ليشارك في البناء الجديد للمجتمع بمسرحيتين ملتزمين هادفتين ايجابيتين كتبهما خلال السنوات الاولى من حياة ثورة يوليو المجيدة المدينة وهما مسرحية « الصفقة » التي جعل الفلاحين ينتصرون فيها على اقطاعي منحل جشع في شراء صفقة أرض زراعية كانت شركة بلجيكية عقارية تملكها في زمام احدى القرى المصرية ثم قررت بيعها موحيا بذلك أن الارض أولى بملكيتها من يزرعها ويعمل فيها حتى لا يستغل غيره جهده ، ثم مسرحية « الايدي الناعمة » التي يوصي من خلال احداثها الطريفة أن الايدي الناعمة المرهفة لم يعد لها مكان في المجتمع الاشتراكي الجديد الذي يطلب الى كل مواطن أن يعمل لكي يعيش وان تخشوشن يدها كما تخشوشن أيدي جميع العاملين والعاملات ذوو الايدي الناعمة جوعا بعد أن قرر هذا المجتمع الجديد أنه لا مكان فيه للتافهين وللمتطلعين بالوراثة كما قال الرئيس جمال عبدالناصر .

وأما كتاب المسرح الجديد فمنهم من ركز جهده في المساهمة في بناء المجتمع الثوري الجديد على مواصلة الكشف عن مساوىء العهد الماضي ومظالمه وفساده تبريرا للثورة ونشرا لمزيد من الاقتناع بضرورتها على نحو ما فعل سعدالدين وهبة في مسرحياته الاربعة (السبسة - كفر البطيخ -

المحروسة - كوبرى ناموس) حيث يعرض فيها أنواعا من المظالم والقلق
والتشوق المضمن للخلاص .

وذلك بينما راح كتاب اخرون مثل نعمان عاشور يتابعون دراسة
التغيرات التي أخذت الثورة تحدثها في سلم القيم حيث انهارت قيم انهيارا
جزئيا بينما أخذت تنهضه قيم أخرى وان ظلت براعم ، لان تغير سلم
القيم لا يتبع فورا بسرعة تغير أوضاع الحياة المادية وعلاقات الانتاج
وروابط المجتمع . وان يكن من الضروري الحتمى أن يتغير سلم القيم
تدرجيا وعلى مهل نتيجة للتغير الثورى الذى حدث في ماديات الحياة .
ومتابعه هذا التغير البطيء في سلم القيم ودراسته وبراظه هو ما فعله نعمان
في سلسلة مسرحياته الناجحة « الناس اللي تحت » - « الناس اللي فوق » -
« الناس اللي تحت » أى الطبقة الشعبية من تغير يتركز حول الايمان
بالعمل وبالقدرة على الانتاج ووضعها في قمة سلم القيم الجديد . وفي
المسرحية الثانية صور ما طرأ على عقلية بعض ابناء الناس اللي فوق من
تغير ، بينما ظلت عقول البعض الاخر ترفض حتمية هذا التغير وتمسك
بعنجهية ماضيها البائد . وفي مقابل ذلك نرى في نفس المسرحية ابن خادمه
لا يزال يعاني من مركب النقص الذى غرسه فيه المجتمع البائد رغم أن
هذا الابن قد استطاع في عهد الثورة أن يتم تعليمه وان يحصل على درجة
ليسانس في القانون ويعمل محاميا ولكنه مع ذلك يظل منكشما منطويا على
نفسه أمام أسرة من الطبقة الوسطى حدثته نفسه بالزواج من ابنتها . ولكنه
لا يستطيع أن يفصح عن هذه الرغبة أما أم تلك الفتاة لمجرد أنها تمت
بصلة الى أسرة الباشا التي كانت أمه تعمل خادمة عندها . وفي المسرحية
الثالثة يصور أنواعا من الجشع والانانية والحذر والشك التي تسيطر على
افراد اسرة من الطبقة الوسطى هي عائلة « الدغرى » . واذا كان الادب
الذي استعرضنا بعض انتاجه فيما يوفق ظلت مهمته قاصرة أما على التمهيد
للثورة عن طريق نشر الوعي بما كان يعانيه الشعب من ظلم وفساد
وانحلال نتيجة للاوضاع السياسية والاتباعية الفاسدة واما في تدعيم الثورة

وتقوية بنائها بعد نجاحها عن طريق مواصلة الكشف عن مساوىء الماضي تبريرا لقيامها وتعزيزا لشرعيتها ، بل لضرورتها الحتمية ، واما متابعة ما أخذت تحدته تلك الثورة من تغيير في سلم القيم كنتيجة حتمية لتغيير ماديات الحياة وبالتالي أوضاعها الاجتماعية فان القاهرة قد شهدت في العام المسرحي الماضي عملا أدبيا فريدا وجديدا من الناحية الايدولوجية الخالصة ، ونعني بهذا العمل مسرحية (حلاق بغداد) للكاتب المنقف الواعي ألفريد فرج . فهذه المسرحية لا تصور مفاسد الماضي ولا تقنع بتسجيل اصداء الواقع الثورى الجديد ، بل تستهدف تربية القيادات الثورية الجديدة التى نعمل اليوم جاهادين في جمهوريتنا العربية المتحدة على تنشئتها ، لتحمل بعد الجيل الحاضر مشعل الثورة وتعدو به الى الامام دائما شوطا وأشواطا . فحلاق بغداد في هذه المسرحية يفوق بكثير زميله حلاق اشيلية الذى كان من كبار رواد الثورة الفرنسية الكبرى وذلك لان حلاقا البغدادي لا يحارب الظلم ويتصدى له في هذه المسرحية عن وعي فكرى كما كان يفعل حلاق اشيلية ، بل يحارب الظلم ويتصدى له بدافع من ضميره ، رغم وسوسة العقل وأنانيته ومحاولته تى صاحبنا عن المخاطرة بحياته وراحته في سبيل الدفاع عن المظلومين . فطوال هذه المسرحية يوسوس له عقله هذه الوسوسة الانانية الخبيثة . ولكن صاحبنا لا يلقى لهذه الوسوسة بالا بل يندفع كالسهم نحو المعارك يخوضها بوحى من ضميره الصامت الصامد من أجل المظلومين والمستضعفين في الارض والاذلاء المعتدى عليهم . وبذلك تعتبر هذه المسرحية في نظري نموذجا للعمل الادبى الخلاق القائد الذى يساهم في بناء حياتنا الثورية الجديدة برسمه للصورة المثالية الرائعة للقائد الثورى الذى لا يصغى الى وسوسة العقل الجبان المؤثر للراحة الفردية على الكفاح ضد الظلم والظالمين .

واذا كنت قد قصرت حديثي حتى الان على دور الادب في بناء حياتنا الجديدة عن طريق الواقعية النقدية ثم الواقعية البناءة . فانتى لا أستطيع أن أختم هذا الحديث دون الاشارة الى الدور الكبير الذى قام به الادب في حشد العزائم للتصدى للعدوان الثلاثي الغاشم في سنة ١٩٥٦

عندما كان اطفالنا ونساؤنا وبناتنا يحملون السلاح الى جوار جيشنا الباسل
ورجالنا المقاتلين ليهرعوا لملاقاة العدو والغادر على ارض المعركة في منطقة
القتال وهم يرددون جميعا قول شاعرنا •

الله أكبر فوق كيد المعتدي
والله للمظلوم خير مؤيد
أنا باليقين وبالسلاح سافندي
بلدي ونور الحق يسطع في يدي
قولوا معي، قولوا معي: الله فوق المعتدي

أو يصبح مع الشاعر الثوري الاخر في وجه العدو :

دع سمائي فسمائي محرقة
دع قناتي فمياهي مفرقة
واحذر الارض فأرضي صاعقة

هذه أرضي انا

وأبي ضحى هنا

وأبي قال لنا

مزقوا أعداءنا

—
ثم عندما فتحت مسارحنا أبوابها أمام أبناء الشعب ليشهدوا المسرحيات
الوطنية الداعية الى البذل والفداء والاستشهاد في سبيل أعز ما يملك وهو
الوطن مثل مسرحيات « كفاح الشعب » (وعفريت الخيانة) وغيرهما .
وكل ذلك فضلا عما سيظهره زملائي عن الدور الكبير الذي نهض
به الادب في معركة بناء حياتنا العربية الجديدة باحتضانه لقضايانا العربية
الكبرى كقضية فلسطين وقضية الوحدة والقومية العربية ومعارك محاربة
الاستعمار ومناصرة حركات التحرر في كل بقاع العالم والدفاع عن السلام
العالمي • العمل في سبيل كل هذه القضايا يعتبر بلا ريب مساهمة في البناء
بحكم أن مجتمعنا لم يعد منعزلا عن غيره من المجتمعات الكافحة النامية بل
ويقف من هذه المجتمعات في موقف الطليعة الرائدة •

الدكتور محمد مندور

عضو وفد المتحدة

الأدب والديمقراطية

بقلم

صن محمد كتيبي

حضرات السادة الاعلام

احبيكم تحية الاسلام

التحية التي علمها الله لنا فقال

فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة •

وما دنا بصدد الحديث عن الديمقراطية فلا بد ان نقف وقفة اجلال وتقديس للمعنى القرآني العظيم الذي اشارت اليه كلمة (انفسكم) بعد كلمة التسليم • فانها تجعل الفرد من نفس الجماعة التي يسلم عليها فرد عليه السلام فتجعله هو ايضا من نفسها • ولا يمكن لتصور ان يتصور انه يمكن ان يوجد اي تفريق في الانسان بين نفسه ونفسه فليس بعض نفسه انفس من البعض الآخر ولا اوفر حفظا ولا اعلا مقاما ولا اعظم جاها واحق احتراما • كما انه لا يمكن لتصور ان يتصور ان من يدخل بيتا اي بيت كان على جماعة اية جماعة كانت يجدهم جميعا على مستوى واحد من المال والجاه والمقام والمركز الاجتماعي وغير ذلك مما يسبب تفاوت الطبقات وتمايزها • بل لابد وان يوجد شيء من تلك الاسباب •

وهكذا في اسلوب تربوي لطيف حكيم مهذب يعلمنا الله اسمى معاني

الديمقراطية او ما يعبر عنها الاسلام بالسواسية وعدم التمايز في اصل
الخلقة وان الناس في الحقوق العامة سواء لا يفاضل بينهم منشأ ولا مال
ولا مركز ولا سلطان ، اما هذه الاشياء جميعها فانها حدود للمسؤوليات
الاجتماعية وليس للتفريق بين شخص وآخر وجنس وآخر ولون وآخر ،
كما يهيء لنا الالفه بين من عرفنا ومن لم نعرف بواسطة هذه التحية
المباركة .

والسلام بين الجماعة لون من الوان الادب الاجتماعي والديمقراطية
الحقة . يستلم الواحد على غيره فردا أو جماعة فيردون عليه التحية بأفضل
منها وكل واحد آخذ في اعتباره ان هذا السلام هو تحية من عند الله
مباركة طيبة وهي تعني في صميمها اللقاء على مبدأ المساواة في الالوهية وفي
الحقوق فاذا كان اصل الخليفة واحد والههم واحد فلا بد ان تتحد الحقوق
فلا تمايز ولا يبقى للعنصرية والطبقية والفوارق الاجتماعية اي أثر فالناس
كلهم لادم وآدم من تراب .

واذا كانت السواسية والمساواة في الحقوق العامة يلقنها الاسلام للناس
من اي جنس كانوا وبأي عقيدة دانوا منذ أول لقاء يكون بينهم .
واذا عرفنا بان الاسلام جاء على وفاق مع الفطرة العربية وانسجام
تام وقابلية كاملة ، وان هذه الفطرة على ما كانت عليه هي (السر) في
حروج هذا الدين بين الاميين .

اذا وضعنا ذلك جميعه في الاعتبار نجد ان الديمقراطية في الفطرة
العربية طبيعة وسجية غير متكلفة ولا مصنوعة يقوم عليها نظام حكمهم
واسلوب حياتهم وطريقة فهمهم لشئونهم . وان التعاليم الاسلامية انما قامت
بصقل تلك الفطرة والسجية وتهذيبها وتوسيع مداركها وفتح نوافذها على
الحياة الواسعة التي كانت تحياها امم الارض من حولها لتعمل الفطرة العربية
السليمة مطعمة ومصقولة بالتعاليم الاسلامية على تقويم ما اعوج من اخلاق
وانظمة الشعوب الاخرى . ونذكر بهذه المناسبة - مناسبة صقل التعاليم

الاسلامية للفطرة العربية - ذلك الحوار بين الديمقراطية والطبقة بشأن
التحية •

فقد دخل سعد بن عبدالله بن النعمان الاوسي الملقب (بالقاري) علي
النعمان بن المنذر ملك الحيرة فصاح به الحجاب (الارض للملك) ولكنه
دخل رافعا رأسه يقول « ان الله امرنا ان لا يسجد بعضنا لبعض وجعل
التحية السلام ، واما تحيتكم هذه فهي تحية جبابرة الملوك •
وبعد هذه النبذة الموجزة عن التحية الاسلامية الديمقراطية او
السواسية كما نفضل ان نطلق عليها نعالج باختصار المعنى المقصود من
- الديمقراطية والادب - فنأخذ في تعريف كل ركن من الركنين للموضوع
علي حدته •

(الديمقراطية) تنصرف غالبا عند اطلاقها الى المعنى المعروف في نظام
الحكم الذي يمكن كل فرد من افراد الشعب تتوفر لديه الاهلية للمشاركة
مشاركة فعلية في تشكيل سياسة الحكومة بالتدخل في ادارة دفة الحكم
ومراقبة الحكام والاشراف علي تصرفاتهم وهذا ينطبق علي الحكم الجمهوري
او الملكي المقيد • فان الملك في النظام الملكي الدستوري يكون رمزا ، اما
السلطة الحقيقية فهي بيد حكومة يحاسبها نواب الشعب •

فالديمقراطية في هذه الحدود تعبر عن نوع من الحكم مصدره
الشعب • ولقد عرفها الرئيس ابراهام لنكولن بأنها •

« حكومة الشعب ، بواسطة الشعب ، لصالح الشعب »

وان الغرض من كل ذلك هو ضمان الحرية والعدالة والمساواة

للمجتمع البشري •

فاذا قدرنا بأن هذا هو الغرض المقصود من الديمقراطية نجد ان عمر
ابن الخطاب كان اصدق احساسا بهذا المعنى واوفى تصورا له وأدق تعبرا
عنه واوسع تطبيقا فيه حين قال لعمر بن العاص عندما ضرب ابنه احد
الاقباط • -

يا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ،

ثم مكن القبطي بالقصاص من ابن عمرو وقال له - اضرب ابن الاكرمين •
وان الديمقراطية بمعناها الحقيقي لا تتجلى في القصاص وحده
ولكن في تحطيم الفوارق بين الملوك والعامّة أمام الحقوق ولكن سواسية
كأسنان المشط •

وهذه الديمقراطية السلسة الطبيعية السهلة الموارد والمصادر كما
تبدو في افعال عمر واقواله يطبق بها نظام الحكم الاسلامي والدولة
الاسلامية والفكر الاسلامي والتشريع الاسلامي •• هذه الديمقراطية التي
تبدو صافية المنابع هي نفس تلك الغاية التي ظل ينشدها في كد وجد
ولهت يقطع الانفاس فلاسفة الاغريق والرومان ومن حذا حذوهم وجاء
بعدهم فكان منهم من يأخذ الصدف وتفلت الجوهرة من يده ومنهم من
يخلط عليه الامر بين الجوهرة والصدف • فلم تقم الديمقراطية اليونانية
أو الرومانية الا على أساس من بواعث الصراع الطبقي والنزاع الاجتماعي
المرير على مذاهب تقوم وأخرى تبيد اما الديمقراطية العربية فانها فطرة
وطبيعية • ولذلك فقد كانت سهلة ومبسطة وواضحة ومفهومة ، وكان
اقصى ما يعثور صورها الجميلة هو ان ترتكس في مظاهر المدنية والترف
الذي جد على العرب ثم لا تلبث ان تغلب الفطرة والطبيعة وتكشف الصبغة
والطلاء •

وان الفوارق لتظهر واضحة بين كل من الديمقراطية العلمية
والديمقراطية الفطرية في ان الاولى تمثل فكرة ناتجة عن فلسفة والاخرى
تمثل عملا ناتجا عن طبيعة •

فلقد أراد افلاطون ان يصور المجتمع الفاضل في جمهوريته تصويرا
يقوم على توزيع الصفات والفضائل وتقسيم الاعمال تقسيما يحقق لجميع
الطبقات المشاركة في تصريف شؤون الحياة والحكم والقيام باعبائه وهو
في طريقه الى غايته هذه جعل (الدولة) كل شيء أما (الفرد) فقد اعتبره
شيئا عرضيا فجاءت ديمقراطيته مهددة بجور الدولة وانحرافها واهدار
حقوق الافراد • أما ارسطو فانه صحح النظر الى الدولة فجعل الفرد

هو الأساس في بناء الدولة وان حرية الفرد هي المحور في قيامها ودعا الى لزوم تدوين النظام السياسي ليكون دستورا لنظام الحكم ونظام الحياة ومع كل هذه المحاولات في سبيل تحقيق الحرية الشخصية للفرد فقد عاشت الشعوب مغلوقة على أمرها وكان بعضها يستعبد البعض الآخر وكانت جميع موارد الارض للسادة اما اصلاحها وخدمتها واخراج كنوزها فهي للبيد ، وكان الحاكم هو الذي يملك المال في الدولة وكذلك الارض ويملك من يعمل فيها من البشر وكان يفيد من يشاء بهباته واعطياته ويبيد من يتعرض للاعتداء على حريتهم •

فالديمقراطية العربية ليست فلسفة ولا تخطيطا أو تنظيما لفك أغلال وتوزيع أعمال ووصف فضائل وخصال ولكنها فطرة وطبيعة ومفخرة وعزة وعمل انساني نبيل ثم جاءت التعاليم الاسلامية فصقلت الفطرة وهذبته ونظمتها وشرعتها أفضل تشريع وأكمل تشريع •

وإذا كانت كلمة الديمقراطية في التعابير الاصطلاحية تميل عادة الى تصوير المعاني السياسية ، فانها في الفكر العربي تعني تلك المعاني الاجتماعية السليمة التي تشف عنها هذه الكلمات السامية :-

اخوانكم خولكم • اطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فاذا فعلتم ذلك فاعينوهم •
وهذه الصورة من الاخاء والتعاون التي تكون بين المخدم وخادمه تكون أيضا بين المحكوم وحاكمه وبين العامل وصاحب العمل وبين جميع طبقات الشعب •

ولقد كانت هذه الروح الكريمة النبيلة التي يتمتع بها الشعب العربي هي الأساس في ان التشريع الاسلامي جاء منسجما مع الفطرة العربية •

تلكم ايها السادة - هي الفوارق بين الديمقراطية في صورة فكرة فلسفية اوحتها ونمتها ووضعت أصولها الحاجة والضرورة • والديمقراطية في صورة فطرة وسجايا وتربية اجتماعية عامة وحياة تسودها روح التعاون ولا يستغنى فيها رئيس القبيلة عن أفراد القبيلة وافراد القبيلة بعضهم عن

بعض ولا يجد معها خليفة المسلمين عمر بن الخطاب غضاضة في حمل صرة بها دقيق على كتفه لينقلها من بيت مال المسلمين الى خباء منزل لاعرابية مجهولة فقيرة يتضاوى ابناؤها من الجوع لم تطرق باب الخليفة وانما هو الذي طرق عليها خباها ليتعرف أحوالها ، وقد فوجيء بمسئولته الدينية والانسانية تختبي وراء الخباء . بل انه لم يكتف بحمل الدقيق اليها ولكنه قام لها ولاولادها مقام الطاهي وهو الخليفة التي ترتعد خوفا واشفاقا من عدله فرائص الحكام والابطال والاكاسرة والقياصرة ويدوي اسمه من يشاء بحرمانه ومصادرة أمواله ، ويعز ويذل ويرفع ويخفض ويبقي .

وما زالت البشرية تعاني الشيء الكثير من طغيان القوة وسيطرتها وتعسفها ان لم تكن قوة على الطرق البدائية فانها تكون على هيئة النظم الاستعمارية واخضاع الشعوب المتخلفة للشعوب المتقدمة والضعيفة للقوية والفقيرة للغنية والتحكم في موارد رزقها وفي طرق تطوير حياتها .

هذه صورة من الديمقراطية التي كان ولا يزال العالم يحاول تخليصها من بين انياب القهر والسلطان والجبروت والطغيان وهي تصور الديمقراطية كفكرة فلسفية ونظرية ونظام مدروس مقنن ودساتير مبنية تكامل نظريا وفلسفيا وتتضام عملا وتطبيقا .

اما الديمقراطية كفطرة وطبيعة فانها تتجلى في حياة هذا الشعب العربي الذي يربط نفسه قديما بفلاحة الارض وحمى حرته من كل مقتصب .

ولقد روى ديودورس الصقلي ان الاسكندر أرسل بعض قواده لمحاصرة الانباط وهم من أعراب بلاد الحجر العربية (البتراء) فابادوه هو وجيشه فأرسل اليهم جيشا آخر بقيادة ابنه ديمتريوس فلما اقترب من ديارهم أرسلوا اليه هدية مع رسالة يقولون فيها :-

لماذا تحاربنا ونحن سكان الصحارى التي لا ينبت فيها زرع ؟
انا نقتن هذه البقاع القاحلة الجرداء فرارا من العبودية ، فأقبل هديتنا

وارجع من حيث اتيت • واذا رغبت في حصارنا حرمت كل هنا ورأيت
عجزك عن اكرامنا على تبديل طرق حياتنا التي تعودناها ، واذا قدرت على
اسر بعضنا فلن تجد واحدا منهم يرضى بحياة غيرها •

وقد عاشوا يتنقلون في صحرائهم الواسعة وراء الغيث والمطر حيث
تمرع الارض ويفيض الضرع وتنمو الماشية ويخصب الخيال وترى
الفضائل وحميد الخصال ومن اقام منهم في المدن اقام بنفس تلك الروح
الحررة الطليقة ، ولم يزل هذا شأنهم حتى عصرنا الحاضر وهو أيضا شأن
بالهول مع الرحمة والانصاف في كل مكان •

هذه الديمقراطية كقطرة تعلوها ملامح الطابع العربي المشرق البهيج •
وتلك ديمقراطية ارسطو وافلاطون وتوماس هوبس وجون لوك وجان جاك
روسو وغيرهم من أصحاب المذاهب السياسية تعلوها ملامح الطابع الطابع
العربي المعقد المملوء بالتجاويد والتلايف نتيجة الكد الذهني والدرس
والمقارنة والفلسفة التي تنقل أسوأ ما في حياة المجتمعات من حالات تصع
الانظمة لمعالجتها فتحمل تلك النظم انعكاسات المشاكل التي وضعت لمعالجتها •

هذه هي الديمقراطية الغربية التي تنبع من روح المقاومة للظلم
واستعباد الانسان لآخيه الانسان وعسف الاقوياء بالضعفاء •

وتلك هي الديمقراطية العربية التي تنبع من الفطرة السليمة التي تقوم
على أسس من وحدة العشيرة والقبيلة وتحابها ومناصرة افرادها بعضهم
لبعض وحسن جوارها لجيرانها واکرام الضعيف واغانة الملهوف وقضاء
حوائج المحتاجين •

فاذا فرغنا من هذه اللمحات الخاطفة عن معنى الديمقراطية الذي
يعتبر احد شقي الموضوع فاننا سنعالج في المامة وجيزة معنى الادب لنخلق
روح الالفة بين اللفظين حتى يستقيم انسجامها وينفسح المجال لما يؤديه
تزاوجها من معنى مطلوب •

فلفظ (الادب) يعني في اللغة العربية - الظرف •• والتهذيب
وترويض النفس على الاخلاق والفضائل • والاديب هو الشخص المثقف

المتضلع باللغة وفنونها وطريقة عرض الصور والمعاني والافكار على أساليب
رفيعة بليغة تطرب النفس وتنعش الحس •

وكلمة تأدب - تعني الادب وجمعه آداب وهو لفظ يطلق على العلوم
والمعارف عموما أو على المستظرف منها فقط ويطلق أيضا على ما يليق بالشيء
أو بالشخص فيقال آداب الدرس •• وآداب القاضي •• وآداب المجالس ••
وآداب المرافعة •• ويعني هذا الاطلاق الوانا بعينها من علوم ومدارك وتعايير
وحرركات مهذبة تناسب مع ذلك القصد •

أما بالنسبة الى مفهوم الادب في الاصطلاح العام عند اطلاقه فإنه يعني
الكلام الجميل المعبر عن عاطفة أو غرض من الاغراض المعروفة في فنون
الادب شعره أو نثره تعبيرا يتمشى مع أصول البلاغة المتعارفة في اللسان العربي
والنكات البيانية • ويعبر ابن خلدون في مقدمته عن هذا المعنى بقوله :-

ان المقصور من علم (الادب) هو الاجادة في فنى المنظوم والمنثور على
أساليب العرب ومنهاجهم ، الى ان يقول :-

ثم انهم اذا أرادوا حد هذا الفن قالوا (الادب هو حفظ اشعار العرب
وأخبارهم والاختذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم
الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك
من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة
البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب
هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على
فهمها •• وسمعنا من شيوخنا في مجلس التعليم ان أصول هذا الفن واركانه
أربعة دواوين وهي :-

أدب الكتاب لابن قتيبة

وكتاب الكامل للمبرد

وكتاب البيان والتبيين للجاحظ

وكتاب النوادر لابي علي القالي

ثم يقول : وكان الغناء في الصدر الاول من اجزاء هذا الفن لما هو

تابع للشعر اذ الغناء انما هو تلحينه ثم يشيد ابن خلدون بكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني الذي يصفه بانه ديوان العرب وجامع اشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ، وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها •

فالادب - كما يظهر مما تقدم هو :

تهذيب في الاقوال •• وتهذيب في الاعمال •• وتهذيب في الافكار ••
وادراك للتراث العربي الذي يؤدي الى هذه الغاية • وتضاف لفظة الادب الى شأن بعينه فتعنى بذلك تهذيبا يتناسب مع ذلك الشأن الذي اضيف اليه وهو أيضا ادراك لاسرار اللسان العربي التي وردت في منشوره ومنظومه وهو ايضا صناعة علم البيان التي يراد بها الوقوف على اسرار الاعجاز في القرآن ومعالجة ما في لغة العرب من الهيئات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال •

فاذا كانت هذه معاني الادب في اللغة العربية فان اقربها فيما يتعلق بموضوع الديمقراطية هو ما يخص تهذيب الفرد تهذيبا يعين على خلق مجتمع متناسق الافراد متسق الطبقات تربط بين اجزائه روابط من أسباب التفاهم والتعاون والحياة السليمة الكريمة ، وهذا يعني تلقيح الافكار في المجتمع الديمقراطي بمفاهيم وصور ومعاني من الادب تعين على خلق هذه الافكار وتمكينهم من النفوس وتطرية القلوب بها واثارة العواطف للتحقق بها والتمسك باداتها •

وهذا يجعلنا نفسر الموضوع الذي نعالجه (الادب والديمقراطية) بانه البحث عن المعاني والصور الواردة في نصوص الادب العربي التي من شأنها تنمية الديمقراطية في نفوس الافراد والسمو باخلاقهم للقضاء على الروح الطبقيّة التي تنشأ عن التمايز بين الافراد بعضهم بعضا في مال او سلطان أو علم أو مقام أو نسب أو لون أو خلاف ذلك مما يجنح بعض النفوس الى التعالي أو اذلال الآخرين •

ومن المدهش ان الباحث عن هذا اللون من الادب في الذخيرة العربية

يجد العجب العجائب من النفائس التي لا يمكن لها تقييم ولا حصر • وذلك راجع لان العقل العربي والفكر العربي مهينان للمعاني الروحية بفطرتيه فهو مشغول دائما بتتبع كل ما يمكن ان يطرأ على تصرفات الفرد الخاصة أو حتى في نيته من سوء فيعقب على اصلاحه وتطيره •• أو خير فينميه ويصفيه ويضاعفه •

وامر آخر ينبغي التنبيه اليه في أسباب هذه الوفرة من أدب التهذيب في اللغة العربية ذلك هو محاولة الادباء ان يجاروا بصنيعهم الادبي آفاق تلك الرسالة الروحية التي جاءت بها التعاليم الاسلامية شمدت اللغة العربية بالوان التفكير والمعاني الاخلاقية والقيم الانسانية العالية لم تكن ضمن ما احتوته اللغة من قبل ، كما انها احتوت على أساليب من الفصاحة والبلاغة حفزت عقول الادباء على الاقتباس منها • ولقد كان الحكام المسلمون يرفعون من شأن الدين ويعتبرونه الدستور الذي يدعمون به سلطانهم ، فكان الادباء يكدون عقولهم في ارضاء السلطان بابرار المعاني الدينية والاخلاقية في انتاجهم الادبي شعرا ونثرا هذا الى جانب الاغراض الادبية التقليدية في الادب العربي الجاهلي والاسلامي •

فمحاولة مجازاة المثل والمعاني والآفاق الروحية والاخلاقية والمثالية التي جاءت بها التعاليم الاسلامية كانت من أهم العوامل التي ضاعفت الثروة الادبية التهذيبية والتربوية في اللغة العربية •

واذا كان القرآن والحديث من أصول وروافد الادب العربي العليا كما جاء في كلمة ابن خلدون التي نقلناها عنه سابقا ، فاننا سنعرض صورا من تلك النصوص الادبية التهذيبية التي جاءت في القرآن والحديث لنرى أي مجتمع ديمقراطي كانت تلك النصوص تدعو الى تحقيقه •

ففي مجال التضحية بالمال بسخاء وطيب نفس وباسلوب يفتح مغاليق القلوب يقول القرآن :-

« الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • قول معروف

ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم • يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلته كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء ما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين • ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فانت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير •

وفي مجال الخلق العالي والعشرة الكريمة :-

- ادفع بالتي هي احسن السيئة •
- ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم •
- يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء عسى ان يكون خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تباذروا بالالقب بس الا سم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون •
- يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم •
- يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير •
- يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالانم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون •

وفي مجال التربية الفردية :-

- واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير •

● ولا تمشي في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا •

وفي مجال التربية الاجتماعية :-

● قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خير بما يصنعون •

● وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نساءهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون •

● الذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما •

● والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون •

● ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الذا الخصام • واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد • واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالانم فحسبه جهنم ولبس المهاد •

هذه صور تبهر القلوب والعقول من أدب القرآن وهي لا تخاطب الطبقة ولكنها تخاطب الناس جميعا • الناس المخلوقين من ذكر وانثى والمقسمين الى شعوب وقبائل ليتحقق بينهم التعارف ، واذا كان بينهم من تمايز حقيقي وتفاوت في المراتب والدرجات فان ذلك يعود الى التقوى • (والتقوى) هي جماع الفضائل ، ولن تتوفر الفضائل مع جهل او غباء أو نقص في الخلقة أو الخلق أو عجز عن سلامة الفكر والتصرف •

ان (التقوى) تحدد معايير من الكمالات فتمسى توفرت في النفس
الاسانية فانها تمكنها من فهم الفضائل والتحلي بها ومعرفة النقائص والتحلي
عنها وهي وحدها الميزة التي يقرها الاسلام . . . والطبقة التي يعترف بها ، وقد
يصاحب هذه (الطبقة) مال أو جاه أو مركز اجتماعي أو سلطان أو غير
ذلك هذه جميعا ليست الميزات التي يقيم لها التقييم القرآني وزنا اوليا ، وانما
اذا توفرت هذه الصفات في نفس متحلية بالفضائل متخلية عن الرذائل فان ذلك
ما يدعو الى الزيادة في تفضيلها وتكريما والا فان المال والسلطان والجاه
وغيرها انما هي مسؤوليات اجتماعية لا تؤدي الى تمايز معترف بها في المجتمع
الفاضل الذي يدعو القرآن الى تحقيقه . ومن هنا وجد اعرابي مجهول
الشجاعة الادبية المستمدة من الروح الديمقراطية حين قال لعمر بن الخطاب
خليفة المسلمين على مسمع من المسلمين الذين يخطب فيهم - لو وجدنا
بيك أعوجاجا قومناه بسيوفنا . فما كان من الخليفة الا ان حمد الله على
توفر هذه الروية في الشعب الذي يحكمه ولم ينكر على الاعرابي قوله .

هذا هو أدب القرآن - اصدق ما يمكن ان يطلق عليه وأول وآخر
ما يمكن ان يقال في وصفه انه اعجاز - اعجاز في اللفظ - واعجاز في الربط
بين الكلمات واعجاز في الاداء والجرس واشراق ديباجة وسمو وتهذيب
للفوس والاخلاق . ومن هذا النبع الغزير الذي لا تدرك غزارته يأتي أدب
النبوة الذي نأخذ مثلا عليه من أقوال الرسول عليه السلام ما يأتي :-

- المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، ويرد عليهم
أقصاهم وهم يد على من سواهم .
- ما أملق تاجر صدوق .
- لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم تر الامانة مغنما والصدقة
مفرما .
- دب اليكم داء الامم من قبلكم : الحسد والبغضاء . والبغضاء هي
الحالفة حالقة الدين لا أقول حالقة الشعر . والذي نفس محمد بيده
لا تؤمنون حتى تحابوا . الا انبئكم بامر اذا فعلتموه تحاببتم .

- افشوا السلام • وصلوا الارحام •
- اوصاني ربي بتسع - اوصاني بالاخلاص في السر والعلانية
- وبالعدل في الرضا والغضب • وبالصدق في الغنى والفقر •
- وان اعفو عمن ظلمني واعطني من حرمي واصل من قطعني وان يكون صمتي فكرا ، ونظمي ذكرا ، ونظري عبرا •

ومن أدب النبوة :-

- اذا ساد القبيل فاسقمهم • وكان زعيم القوم اردلهم • واكرم الرجل اتقاء شره ، فليتنظروا البلاء •

- ان قوما ركبوا سفينة في البحر فاقسموا ، فصار لكل رجل موضع • فنقر رجل موضعه بفأس فقالوا - ما تصنع ؟ قال - هو مكاني اصنع به ما شئت • فان اخذوا على يديه نجا ونجوا • وان تركوه هلك وهلكوا •
- ومن أدب النبوة ايضا :-

- من ذب عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقا على الله ان يحرم لحمه على النار •

- ليس من اخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم •

- فضل جاهك تعود به على أخيك الذي لا جاء له صدقة منك عليه ، وفضل لسانك تعبر به عن أخيك الذي لا لسان له صدقة منك عليه ، وفضل علمك تعود به على أخيك الذي لا علم عنده صدقة عليه ، وفضل قوتك ترده على أخيك الذي لا قوة له صدقة منه عليه ، واماطتك الاذى عن الطريق صدقة منك على أهله •

أليس هذا المذاق العذب السلسيل من ذلك النبع النوراني الاصيل ؟
 انها النبوة تتحدث بلغة سامية لتسمو بالبشرية الى اهداف سامية -
 البشرية جميعها من غير تفریق في لون او جنس أو دين ومن غير تفضيل
 لجاه أو مال •

فأية ديمقراطية في هذا الادب ؟؟
واي أدب خالد في هذه الديمقراطية ؟؟

ولسنا نكتفي من ذلك السحر الحلال بهذا القدر من الامثال لولا الافاضة لا تقف بنا عند حد ولكنا ونحن بصدد عرض نماذج من هذا الادب الغزير المادة الذي يهدف الى تهذيب عقل الفرد وروحه وخلق المجتمع الفاضل تحت تأثير من العقيدة الحنفية السمحة وتسليطها وقدرتها على تصفية الرواسب في الطبيعة البشرية حتى ترى الخير واضحا وتؤمن به وتقرن الايمان بالعمل الصالح .

أما ونحن بهذا الصدد فنرى لزاما ان نستعرض العهد الذي يمثل أوضح صورة لكل هذه المعاني - عهد ابي بكر مؤسس الدولة الاسلامية الى خليفته عمر الموسع لامدادها والذي نشر ألويتها حيث لم يكن أحد يحلم في ذلك العهد بمثل تلك الفتوح فقد عهد اليه بقوله :-

اوصيك بتقوى الله لا شريك له . واوصيك بالمهاجرين الاولين خيرا . ان تعرف لهم سابقتهم ، واوصيك بالانصار خيرا فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئتهم ، واوصيك بأهل الامصار خيرا فانهم رده العدو وجباة الاموال والفيء لا تحمل فيئهم الا عن فضل منهم . واوصيك بأهل البادية خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام ان تأخذ من حواشي أموال اغنيائهم فرد على فقرائهم واوصيك بأهل الذمة خيرا ان تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، اذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا أو عن يد وهم صاغرون . واوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقتته ان يطلع منه على ريبة . واوصيك ان تخشى الله في الناس ولا تخشى في الله . واوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وشفورهم ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فان ذلك - باذن الله - سلامة لقلبك . وحط لوزرك وخير في عاقبة أمرك حتى تفضي من ذلك الى من يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك ، وأمرك ان تشد في أمر الله ، وفي أمر الله ، وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمه

واجعل الناس سواء عندك • ولا تبالي على من وجب الحق ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، واياك والاثرة والمحابة فيما ولاك الله مما افاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك •

وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة فان اقرتف لدياك عدلاوعفة عما بسط الله لك ، اقرتف به ايمانا ورضوانا ، وان غلبك عليه الهوى ، ومالت بك شهوة اقرتف به سخط الله ومعاصيه • وأوصيك الا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد اوصيتك وحضنتك ، ونصحت لك ابتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلالتك ما كنت دالا عليه نفسي وولدي ، فان عملت بالذي وعظتكم ، وانتهيت الى الذي امرتكم ، اخذت به نصيبا وافيا ، وحظا وافرا • وان لم تقبل ذلك ولم يهكم ، ولم تنزل معاظم الامور عند الذي يرضي الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا ، لان الاهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة والداعي الى كل هلكة ابليس • وقد أضل القرون السالفة قبلك فاوردتهم النار ، ولبس الثمن ان يكون حظ امرىء موالاة لعدو الله • والداعي الى معاصيه ثم اركب الحق ، وخض اليه الغمرات ، وكن واعظا لنفسك ، واشدك الله لما ترجمت على جماعة المسلمين ، فاجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضر بهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالقيء فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجهمهم في البعوث فتقطع نسلهم (يعني لا تجسهم في أرض العدو وتمنعهم من العودة الى أهلهم) ولا تجعل المال دولة بين الاغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم •

هذه وصيتي اياك • واشهد الله عليك • وقرأ عليك السلام •

٤٧٤

عهد - أي عهد ، في موضوعات هي دستور الحكم الذي لن تجد الإنسانية حكما أفضل منه - من زعيم انساني عظيم - من الصديق الذي نهل وروى وفاض اناؤه من نبع النبوة الصافي يعهد به الى عمر بن الخطاب

عقبري الاسلام الذي لا يفري عقبري فريه .
لقد شمل هذا العهد أفضل قواعد الحكم واسمى معاني الاخلاق
وابل صفات الانسانية وكمالاتها والقي اضواء على نوع الحكم الاسلامي
ورسالته وسياسته وأساليبه .

فالسطة التي يتبواها الحاكم هي منزلة من منازل الدنيا والآخرة .
فان اقترن بها عدلا وعفة اقترن بها ايمانا ورضوانا ، وان غلب عليه الهوى ،
ومالت به الشهوات اقترن به سخط الله ومعاصيه ؟؟

ثم أي بيان اعلا من هذا البيان واي لسان افصح من هذا اللسان .
تلكم أيها السادة هي :

الديمقراطية النقية الانسانية التي لا تشوبها أي شائبة لانها ديمقراطية
محصنة بالاخلاق والفضيلة ومراقبة الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي
الصدور .. ديمقراطية شاملة على النحو التالي :-

وانشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين ، فاجللت كبيرهم ورحمت
صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضرب بهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالثقي .
فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمرهم في البعوث
فتقطع نسلهم . ولا تجعل المال دولة بين الاغنياء منهم . ولا تغلق بابك
دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم .

وهذا هو الادب الذي يصوغ تلك الديمقراطية صياغة بلورية شفافة
مفدقة مشمرة تعلق ولا يعلى عليها .

أيها السادة :

ان تتبع مظاهر الديمقراطية العربية في الادب العربي .. ودراسة
نصوص الادب العربي الذي يعرض الديمقراطية عرضا كريما سليما مشرقا
مبهجا لهو شأن لا يمكن الفراغ منه اذا أراد الانسان ان ينسقه ويوبه
ويعرضه في صنوفه التي تفوق العد وتتجاوز المد - ولن يتسع لمثل هذا المقال

ولكننا نكتفي بهذا القدر الموجز على سبيل المثال لنتتهي الى العبرة من ذلك وهي :-

ان الديمقراطية العربية فطرة وليست فلسفة •
وان التعاليم الاسلامية قد صقلتها فجعلت منها نظاما للحكم ونظاما للحياة وقواعد لخلق المجتمع الانساني الفاضل الكامل •
وان أدب الديمقراطية أو الصياغة الادبية التي عالجت معاني الديمقراطية في اللغة العربية قد جعلت منها أدبا ممتازا مشرق الديباجة سامي المعاني بارع التراكيب يصلح لان يكون زينة تحلى بها جيد الانسانية •
وقد رأيت ذلك فيما نقلناه من صور بارعة تبهر النفس وتفحم الخيال •
وان علينا معشر العرب ان نتفهم هذا التراث العظيم الذي تغمرنا نعمته وتشدنا الى اصوله فنأخذ منه بما يتلاءم مع حياتنا الحاضرة حتى نربط بين أطراف امجادنا التليدة والجديدة •

ان أمة تملك مثل هذا التراث العظيم لا يصلح لها ان تعيش على فضلات موائد الآخرين • ولكن الاليق بها ان توجد بخيرها على غيرها وتضيف أفضل ما يصل اليه العقل البشري من علم وسمو وبر بالانسانية الى حصيلتها وهي اذا فعلت ذلك لا تضيف جديدا على تراثها وانما تفسر هذا بذلك وتفصل الجديد بما اجمله القديم •• وتضفي على هذا الجديد حللا قشبية من ذلك التراث الخالد العظيم •

حسن محمد كتيبي
عضو وفد السعودية

تسمية الخليج بالعربي

بقلم

عبد الرزاق البصير

طلما شكوا المهتمون بمقومات هذه الأمة المجيدة من تأثير الاعاجم على تلك المقومات كاللغة والادب والجغرافية والتاريخ ... وكان هذا التأثير في مبدأ الامر ضعيفا لا يكاد يلتفت اليه الا المدققون أصحاب الازهان الحادة ... لانه مقصور على اللحن في الكلام ... وقد كان تلافي هذا الخطأ هو ان وضعوا (على النحو) وكان ذلك على يد ابي الاسود الدؤلي ... لكن هذه الاخطاء ما لبثت ان زادت وتفرعت حتى شملت كثيرا من الاسماء التاريخية والادبية والجغرافية .

وقد شاعت هذه الاخطاء الى درجة لم يلتفت اليها بعض كبار العلماء والادباء ... ولا يعني هذا ان جميع العلماء قد وقعوا في هذه الاخطاء فنحن نعرف ان كثيرا من الباحثين قد ألفوا كتباً في التنبه على هذه الاخطاء نذكر منهم :

علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٩٢ هـ ، فقد ألف كتاباً اسماه كتاب ما تلحن فيه العوام .

وابن السكيت الكوفي المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ، وكتابه (اصلاح المنطق) .
وابو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨ هـ فقد ألف كتاباً اسماه ما يلحن فيه العوام وغيرهم كثير .

غير ان هذا الجهد لم يقف على تلك الاخطاء وانما بقي بعضها شائعا حتى الان .

نجد ذلك واضحا في المجالات التي تصدرها المجامع اللغوية كمجلة
المجمع اللغوي في القاهرة ومجلة المجمع اللغوي التي تصدر في دمشق ، وفيما
يصدر عن بعض العلماء اللغويين المعاصرين من تأليف عامة • وقد يكون
من الخير ان ننقل بعض الاسماء التي أثرت فيها الاعاجم ، فمن ذلك :

١ - مارجيل او نهر معقل :

أصل هذه الكلمة المحرفة - أعني مارجيل - نهر معقل ، وهو نهر
قديم مشهور من انهار البصرة •

٢ - المكلا :

هكذا ترد في كتب الجغرافيا والاطاليس وصوابها (مقلة) عاصمة
حضر موت الساحلية ، والامثلة على ذلك أكثر من ان تحصى ولعل من
أهمها الخليج العربي ••• فقد اشتهر ان اسمه الخليج الفارسي •
قلت ان اصلاح هذا الخطأ من الامور الهامة لما يترتب عليه من أمور
كثيرة لها أهميتها البالغة ••• والحق أن كثيرا من العلماء والمؤرخين لم
يلفتوا الى هذا الخطأ ••• وسنحاول ان نثبت بصورة موضوعية ان الاسم
الحقيقي للخليج هو الخليج العربي ، معتمدين في ذلك على أقوال مؤرخين
حسب تسلسل أزمنتهم التاريخية مثل سترابون الذي عاش قبل الميلاد
والمقدسي المعروف بالبشاري الذي عاش عشرة قرون ، وكارستن نيور
الذي عاش قرنين من الزمن •

استعمل (سترابون) وهو جغرافي ، عاش قبل الميلاد ، ويقال انه
اشترك في حملة اوليوس غالوس ، استعمل كلمة الخليج العربي في وصفه
للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب^(١) •

واستعمل (المقدسي) المعروف بالبشاري ، وهو عالم جغرافي عربي

(١) ذكر هذا الدكتور جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام
- الجزء الثاني صفحة ٣٨٠ •

معروف اثنى عليه بعض العلماء المستشرقين مثل جلد ميستر وسبرنجر ...
وقالوا عنه انه امتاز عن سائر علماء العرب بكثرة ملاحظاته وسعة نظره ...
عاش هذا العالم نحو عام ٩٨٥م ، أى منذ عشرة قرون ، استعمل كلمة بحر
العرب في تقسيمه للابحار السبعة (فبحر عمان - بحر هاجر - بحر
العرب ... الخ) (١) .

يقول (كارستن نيور) الرحالة الدنمركي « لقد اخطأ جغرافيونا على
ما اعتقد ، حين صوروا لنا جزءا من الجزيرة العربية خاضعا لحكم
الفرس ... لان العرب هم الذين يمتلكون خلافا لذلك جميع السواحل
البحرية للامبراطورية الفارسية من مصب الفرات الى مصب الاندوس على
وجه التقريب ... » .

صحيح ان المستعمرات الواقعة على السواحل الفارسية لا تخص
الجزيرة العربية ذاتها ولكن بالنظر الى انها مستقلة عن بلاد الفرس وان
لسان العرب وعاداتهم فقد عنيت بايراد نبذة موجزة عنهم .

« يستحيل تحديد الوقت الذي انشأ فيه العرب هذه المستعمرات على
هذا الساحل . وقد جاء في السير القديمة انهم انشأوها منذ عدة عصور
سلفت » (٢) .

واذا أردنا ان نعرف ما لهذه الأقوال من أهمية علمية فإن الجدير بنا
ان نتعرف على الشخص الذي أدلى بها .

كارستن نيور مهندس دنمركي رحل الى اليمن مع بعثة مكونة من
خمسة أفراد هو من جملتهم ، وذلك في سنة ١٧٦٢م ، وقد شاء الله الا
يعود من هؤلاء الخمسة الا نيور ، ذلك لانه استفاد من الاخطاء التي وقع
فيها رفاقه ، فعوّد نفسه على طريقة المعيشة العربية وذلك ما اكسبه صحة

(١) كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي صفحة ١٧ ،
وقد نقله كثير من الاوروبيين الى لغاتهم .
(٢) كتاب (اكتشاف جزيرة العرب) تأليف جاكولين بيرين ترجمة
قدري قلعجي - ص ١٦٦ .

ممتازة ... وبعمله هذا لم يعد يلاقي أية صعوبة مع سكان هذه البلاد ، في حين ان رفاقه لم يفعلوا ذلك •

ولم يكتف نيور بالعود على الحياة العربية ، وانما كيف نفسه بحيث نقبل كل ما حصل عليه من مضايقات وبذلك استطاع ان يكون لنفسه فكرة عن البلاد البلاد العربية التي زارها •

ولقد نشرت هذه الرحلة عدة مرات باللغات : الالمانية : والفرنسية والانكليزية ، ذلك لان هذه الرحلة قد زادت في معلومات الباحثين عن هذا الجزء من الوطن العربي ، وكانت رحلتهم في بلاد البن من المخاليق صنعاء ... وفي عودته بعد وفاة رفاقه الاربعة مر ببلاد الفرس ، وبين النهرين وقبرص وآسيا الصغرى (١) •

وقد رسم نيور خريطة للخليج العربي مبينا عليها رحلته عام ١٧٦٥ (٢) •

وذكر الاستاذ محمد سعيد المسلم ان الخليج العربي كان يسمى بحر القطيف •

أما شبرنكر فينص على انه كان يسمى خليج (القطيف) قبل ان يعرف بأي اسم آخر (٣) •

وذكر الاستاذ مصطفى مراد الدباغ انه لم يرد اسم الخليج في الكتابات الفارسية القديمة لذلك لا يعرف ماذا كان يسمى عندهم (٤) •

وقال الاستاذ ان نجدة هاجر وسعيد الغز ، ان كلمة الخليج العربي تنسجم مع الحقيقة التي لا مفر من نكرانها ، والتاريخ الذي لا سبيل الى

(١) كتاب (اكتشاف جزيرة العرب) تأليف جاكلين بيرين ترجمة قدرى قلعجي - ص ١٤٦ •

(٢) كتاب (اكتشاف جزيرة العرب) تأليف جاكلين بيرين ترجمة قدرى قلعجي - ص ١٦٧ •

(٣) كتاب (ساحل الذهب) لمحمد سعيد المسلم - ص ١٧ •

(٤) كتاب (قصر ماضيها وحاضرها) لمصطفى مراد الدباغ - ص ٢٤

طمسه ، وتستجيب للشعور القومي الذي لا قيمة بدونه لاي وعي ثقافي^(١) .
وقال جان جاك بيربي : « في سنة ٦٣٤ م ، في البصرة على الحدود
العربية الفارسية جرت معركة السلاسل التي قررت شخصية الخليج
العربي ، وقبل هذا النصر المبين كانت شواطئ الخليج وايران وبلاد
الرافدين خاضعة كلها لسلطان الاكاسرة ، وازاء الزحف العربي الكاسح
ما لبث هذا السلطان حتى تلاشى^(٢) .
ولابد لنا هنا من ان نشير الى سبب اطلاق بعض المؤرخين على الخليج
بالخليج الفارسي ، فان ذلك يرجع الى ان القائد اليوناني (نيركس) لما
عاد مع جنوده من الهند عن طريق الساحل الشرقي للخليج وقدم تقريره
لسيده الاسكندر الكبير رأى هذا اطلاق اسم الخليج الفارسي عليه لان
نيركس لم يذكر في تقريره سوى الساحل الشرقي الذي مر به ... وبقي
الاسم المذكور علما يدل عليه في العصور اليونانية والرومانية^(٣) .

ومن المؤسف حقا ان بعض المؤرخين ، كياقوت الحموي وغيره ،
وقعوا في هذا الخطأ التاريخي بالرغم من ان الحجج والبراهين التاريخية
والعلمية التي قدمنا ذكرها لا تقف أمامها أية حجة أو برهان .

من هذا يتضح ان تسمية الخليج بالخليج العربي أمر يعتمد على
الحجج التاريخية الصحيحة التي لا سبيل الى مقاومتها ، كما يعتمد على
أقوال باحثين ومؤرخين عرب وأجانب لهم مكاتهم العلمية في أواسط العلماء
... فلا غرابة اذا اعتمدنا على هذه الأقوال المدعمة بالبراهين العلمية
والحجج التاريخية . ودعونا هذا الخليج بالخليج العربي .

هذه نبذة موجزة عن الواقع التاريخي ... اما الواقع الجغرافي فان

-
- (١) مقدمة كتاب الخليج العربي لجان جاك بيربي ترجمة نجدة جاهر
وسعيد الغز .
(٢) كتاب الخليج العربي لجان جاك بيربي ترجمة نجدة هاجر وسعيد
الغز ص ٢١٠ .
(٣) كتاب قطر ماضيها وحاضرها لمصطفى مراد الدباغ - ص ٢٤ ، ٢٥ .

الخريطة المرفقة مع هذا البحث تصور لنا بوضوح طول الساحل الغربي
(العربي والساحل الشرقي) الفارسي) ، فالملاحظ ان الساحل الغربي
الواقعة عليه البلاد العربية أطول من الساحل الشرقي ، كما ان الخليج
العربي يتصل بخليج عمان العربي ، وهذا الآخر يتصل ببحر العرب والبحر
الاحمر .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث لاثبات تسمية الخليج
بالخليج العربي .

والله موفق للصواب .

عبدالرزاق البصير

رئيس وفد الكويت

دُولُ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ وَأَمَارَاتِهِ

بقلم

سيف سرزوق السملون

مع الاسف الشديد ان كثيرا من أبناء العروبة لا يعرفون شيئا عن امارات الخليج العربي وعن عمان • والواجب القومي يحتم عليهم ان يلموا بذلك الماما كبيرا ، وقبل ان ابدأ في الحديث بايجاز عن دول الخليج العربي واماراته يجدر بي ان اذكر لمحة خاطفة عن تاريخ منطقة الخليج العربي وفي العصور الغابرة اتماما للفائدة • فأقول وبالله التوفيق والعون :

عرف الخليج العربي باسماء متعددة فكان ابو المؤرخين (هيرودوت) يسميه (البحر الاحمر) احيانا عندما يتحدث عن هجرة الفينيقيين من الخليج الى سواحل سوريا • وكان يسمى (ارض الله) ويسمى (ارض البحر) ويسمى (خليج البصرة) ولما جاء الاستعمار اسماء الخليج الفارسي خدمة لاغراضه ، علما بانه عربي فالسواحل العربية الممتدة على شواطئه اطول من السواحل الفارسية والناس الذين يسكنون تلك السواحل اكثرهم عرب لهم صلات مع اخوانهم العرب في الجزيرة العربية • فالاهواز عربية ، والجزر التي تقع في الخليج العربي امام سواحل فارس اكثر سكانها من العرب •

من أهم مناطق الخليج العربي القديمة وذات التاريخ العريق جزر البحرين والتي كان العرب قديما يسمونها (اوال) نسبة لصنم لبكر بن وائل ، سكانها القدامى • وكانت قديما تسمى (دلموه) بالدال او (تلموه) بالتاء ، وفيها كثير من الآثار التاريخية واشهرها الاكام والمدافن وتغطي ما مساحته ثلاثين ميلا مربعا من الارض ، وتقع في جزيرة (المنامة) عاصمة البحرين حاليا • وقد قام العلماء منذ أواخر القرن التاسع عشر

بفتح عدد من هذه المدافن والاكام ومنها الكبير الذي يقارب ارتفاعه النخلة ، السحوق ، والصغير الذي يعلو على الارض نحو ثلاثة امتار . وكان (تيودورنيت) احد الذين اهتموا بفتح بعض هذه المدافن في اواخر القرن التاسع عشر ، ويعتقد انها مدافن فينيقية الاصل ، وقد ايدته في رأيه هذا جماعة من العلماء . ويقول بعض المؤرخين بان جزر البحرين كانت مقدسة في ذلك الوقت ، فكانوا ينقلون الاموات اليها من الخارج لدفنها في أرضها . جاء في بعض النصوص الاكديّة اسم موضع يقال له (مجان) والاصح انه (عمان) ورد في اخبار الملك (فرام سين) نحو ٢٧٣٠ سنة قبل الميلاد انه اخضع مجان وتغلب على ملكها واخذه اسيرا . وورد ذكر مجان في الحديث عن الاخشاب والنحاس ونحوها .

من الاماكن الاثرية المهمة في الخليج العربي هي جزيرة (تاروت) ويرى بعض المؤرخين ان اسمها القديم (عشتاروت) نسبة لآلهة الفينيقيين لانه كان فيها معبدا لعشاروت ، ثم حُرقت بعد ما حذفت العين والشين فاصبحت تسمى تاروت ولا تزال تسمى بهذا الاسم ، ويعثر فيها على آثار قديمة وهي جزيرة تقع مجاورة لمدينة القطيف ، التي يرى بعض المؤرخين انها هي مدينة (جرها) الجرعاء القديمة وتقع في جزيرة تاروت على البحر مدينة أخرى قديمة الا وهي مدينة (دارين) ولا تزال تسمى بهذا الاسم ، وكانت مشهورة لدى العرب بمسكها الدارى حتى انهم كانوا يسمون بائع المسك والطيب بالدارى ، وكانت من اشهر الموانئ في الخليج العربي الى العهد الجاهلي وعما يقول فيها الأعشى :

يمرون بالدهنا خفقا عياهمم ويخرجن من (دارين) بجر الحقايب
وهي الآن غير عامرة وهجرها اكثر سكانها ويعثرون فيها على آثار
قديمة . واما تاروت فهي بالوقت الحاضر اعمر من دارين وفيها النخيل
والمياه وفيها قلعة برتغالية قديمة وقد زرت تاروت ودارين بضع مرات
آخرها عام ١٩٦٣ م .

في الخليج العربي عدة جزر هامة ورد ذكرها في كتب التاريخ
والجغرافيا أهمها جزيرة (فيلكا) اعمر جزر الكويت وتعتبر قرية ومياها

حلوة وكانت قديما تسمى (ايكاروس) وعثر فيها على آثار قديمة هي أهم ما يفخر به متحف الكويت من آثار .

كان الفينيقيون يسكنون في سواحل الخليج العربي من البصرة الى عمان ، ولما هاجروا الى سواحل سوريا سنة ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد لم ينسوا بعض مدنهم في الخليج العزيزة عليهم فمن مدنهم بسواحل الاحساء (الجليل) اسسوا مدينة في سواحل لبنان اسموها (جيل) ومن مدنهم في عمان على البحر (صور) اسسوا مدينة في سواحل لبنان اسموها (صور) وهكذا . هذا بغض الطرف عن مدينة (تاروت) مركز آلتهم عشتاروت .

كان الفينيقيون من امهر الملاحين ولهم فضل كبير في علم الملاحة . كما ان لهم الفضل الاكبر في وضع الحروف الهجائية ومن المؤرخين من يرى انهم حسنوها ولم يضعوها . وقد نشروا حضارتهم في كل البلاد التي استولوا عليها أو اتصلوا بها وخصوصا في البحر الابيض المتوسط .

الحديث عن تاريخ الخليج العربي ، وعن الفينيقيين طويل عريض يحتاج الى مجلد ضخم عله يستوعب ذلك كله بيد انه يكفي من القلادة ما احاط بالجيد والآن لنبدأ الحديث عن دول الخليج العربي واماراته راجين ان تتمكن من اعطاء المستمع الكريم صورة صادقة عن ذلك في هذه المحاضرة علما بان البحث نفسه دقيق يحتاج الى وقت طويل وجهد وان شاء الله ساحول ان اضع كتابا في المستقبل عن تاريخ الخليج العربي بالاضافة الى الكتاب الذي اعلم على طبعه هذا العام باذن الله تعالى والذي بدأت البحث فيه وجمع المعلومات والصور ونحوها منذ مدة طويلة الا وهو (تاريخ الفوس) على اللؤلؤ في الخليج العربي (حقق الله الآمال .

١ - العراق

اكبر دول الخليج العربي ومناطق أمله الكبير ولا حاجة للتحدث عنه فالمعرفة لا تعرف وتقع منه على ساحل الخليج العربي مدينة (البصرة) ميناء العراق . وجميع سكان الخليج العربي يعلقون آمالهم على العراق ونهضة العراق .

٢ - الكويت

تقع على ساحل الخليج العربي مجاورة للواء البصرة والكويت حديثة العهد تأسست نحو عام (١١٢٥هـ - ١٧١٢م) على ارجح الأقوال وسميت الكويت تصغيراً لكوت بني خالد ، وكانوا اصحاب السلطة آنذاك على الاحساء وقطر وقسم من نجد والعراق والكويت هو الحصن او البيت المربع ونحوه .

من اشهر اماكن الكويت القديمة والتي ورد ذكرها في كتب العرب واشعارهم هي (كاظمة) ولها ذكر في فتوحات العرب ، ونزل قريها الجيش العربي بقيادة (المثنى بن حارثة الشيباني) كما مر بها في طريقه لقتال الفرس (خالد بن الوليد) ويقع بنواحي كاظمة جبل يسميه العرب (المقر) ويسمى عندنا (مغيرة) وفي المقر قبر (غالب بن صعصعة) والد الفرزدق الشاعر الشهير .

تغنى بذكر كاظمة جماعة كبيرة من الشعراء جاهليين واسلاميين ولو ذكرنا اشعارهم لخرجنا عن الموضوع وفي عام ١٩٥٣ زار كاظمة المرحوم الدكتور (عبدالوهاب عزام) فاوحت اليه بهذين البيتين قالهما ارتجالاً وهما :

بكاظمة طوفت في مبة الضحى وقلبي الى الماضين جم التشوق
اكاد ارى في رملها قبر (غالب) وأسمع بالآفاق شعر (الفرزدق)

تبلغ مساحة الكويت نحو (٦٠٠٠) ميلاً مربعاً . وجوها قارى حار في الصيف بارد في الشتاء . وامطارها قليلة . ويبلغ عدد سكان الكويت جميعاً نحو اربعمائة الف نسمة . واما عدد الكويتيين الاصليين فيبلغ نحو مئة الف نسمة فقط ، وعاصمة الكويت الكويت نفسها . وكانت الكويت قبل النفط صغيرة وتعتمد في معيشتها على الفوص على اللؤلؤ والملاحة والتجارة ، والكويتيين ملاحون مهرة .

تعتمد الكويت اعتماداً كبيراً على البترول وهو سر ازدهارها وعمرانها وقد بدأ البحث في الكويت عن البترول عام ١٩٣٤م في شمال الكويت في منطقة (بحرة) ثم بعد ذلك انتقلت الابحاث الى منطقة (البرقان) في

الجهة الجنوبية من الكويت قرب مدينة (الاحمدى) فعثروا على النفط بكميات وافرة ، ولكن حالت الحرب الثانية دون استخراجها وفي شهر مايو سنة ١٩٤٦م شحنت اول شحنة من بترول الكويت باحتفال حضره الحاكم السابق . ولا حاجة للتحدث باسهاب عن بترول الكويت فأمره معروف ومدون في كتب النفط وفي بعض الصحف .

٣ - المملكة العربية السعودية

الجزء الرابع المكون للملكة العربية السعودية هو اقليم (الاحساء) ويسمى في الوقت الحاضر (المنطقة الشرقية) وتقع بين الكويت وامارة قطر على ساحل الخليج العربي ، وكانت تسمى قديما (هجر) ويسمى ساحلها (الخط) ومنه الرماح الخطية وعاصمة الاحساء (الهفوف) وتقع في الداخل ، وللإحساء ذكر طويل في كتب التاريخ والأدب والجغرافيا ، وكانت من ضمن منطقة البحرين الممتدة من البصرة حتى عمان . وكانت الاحساء من مساكن الفينيقيين وفيها كثير من الاماكن الاثرية . وهي عبارة عن واحة خصبة غزيرة المياه وتكثر فيها اشجار النخيل بصفة خاصة ومن اطيب انواع التمر فيها نوع يسمى (الخلاص) .

تعتمد المملكة السعودية في ثروتها على البترول المستخرج من الاحساء في منطقة تسمى (الظهران) قريبة من ساحل البحر وقد بدأ اكتشاف البترول في الاحساء سنة ١٩٣٦م وتأسست مدن بواسطة الثروة البترولية اهمها (الخبر) و (بقيق) و (نجمة) و (رأس تنورة) من اكبر الموانئ في الخليج العربي . وكانت الاحساء قبل ذلك تعتمد في معيشتها على الغوص للبحث عن اللؤلؤ ، والملاحة ، والتجارة والزراعة ، وصيد السمك ، وقد طورها البترول كثيرا من جميع النواحي . ويمتد من الظهران الى البحرين خط انابيب البترول تحت البحر لتصفيته في البحرين وطوله (٣٥) كم كما يمتد خط آخر كبير جدا ويعتبر اطول خط في الشرق الاوسط الى مدينة صيدا في لبنان وطوله (١٨٠٠) كم ويستطيع نقل ٢٠ مليون طن من البترول سنويا .

من اشهر مدن الاحساء (القطيف) وتقع على البحر وهي قديمة
ومن مدن (القرامطة) وكانت عاصمتهم وفيها بعض آثارهم و (الخبر)
وهي مدينة حديثة كما قلنا و (الدمام) وهي مدينة قديمة على ساحل
البحر وكانت فيها قلعة برتغالية قديمة وهي من اكبر موانئ الخليج العربي
ويمتد منها خط سكة الحديد الى الرياض لنقل البضائع والركاب .
و (العُفير) على ساحل البحر وكانت منذ اربع قرون ميناء كبيرا للسعودية
بيد انها الآن اصبحت ليست ذات اهمية فهجرها جل سكانها والتجار .
و (الجبيل) وتقع على البحر وكانت ميناء مهما للسعودية ثم اضمحلت
(وهناك قرى كثيرة لا حاجة لذكرها) . ويقدر عدد سكان الاحساء بنحو
مئتي الف نسمة .

٤ - امارة البحرين

مجموعة من الجزر تقع قريبا من سواحل الاحساء وتبعد عنها نحو
(٢٠) كم وعاصمتها (المنامة) وهي اكبرها وأهمها ومساحة المنامة (نحو
٢٥٠ ميلا مربعا) ومجموع الجزر نحو (٤٠٠) ميلا مربعا . ويتكون
سطح المنامة من هضبة مرتفعة في وسطها يقع (جبل الدخان) ويرتفع
(٤٤٠) قدما عن سطح البحر . ومناخ البحرين رطب في الصيف ومعتدل
البرودة شتاء ونصيبها من الامطار قليل لا يزيد عن ثلاث بوصات سنويا .
وهي غزيرة المياه كثيرة النخيل والاشجار والفواكه ، ومن اشهر عيونها
(عين عذاري) التي يضرب فيها المثل فيقال (فلان عين عذاري تسقي
البيد وتخلي القريب) .

يسمى بعض الكتاب والمؤلفين البحرين عروس الخليج او لؤلؤة
الخليج والحقيقة انه اسم على مسمى ، فالبحرين قبل البترول كانت اكبر
سوق لبيع اللآلي في الخليج العربي وكانت مركز التجارة والنشاط
الاجتماعي والثقافي .

• أول سيارات عمومية كانت في البحرين .

- أول سينما عمومية كانت في البحرين
- أول حديقة حيوان كانت في البحرين
- أول كهرباء عمومية كانت في البحرين
- أول بلدية في الخليج كانت في البحرين
- أول نظام للدوائر الحكومية والمحاكم كان في البحرين
- أول اضراب ومظاهرات في الخليج كان في البحرين سنة ١٩٢٨ م
- أول مطبعة في الخليج كانت في البحرين للمرحوم الاديب (عبدالله بن زايد)
- أول بعثة تعليمية جاءت الخليج كانت للبحرين سنة ١٩٢٣ م وكانت من سوريا ويرأسها الاستاذ (عثمان الحوراني)
- أول ناد في الخليج كان في البحرين
- أول تنقيب عن البترول في سواحل الخليج الغربية كان في البحرين سنة ١٩٣١ م وبعد ذلك الاحساء
- أول انتاج للبترول في سواحل الخليج الغربية كانت من البحرين سنة ١٩٣٤ م
- كانت البحرين أيام ازدهار تجارة اللؤلؤ في اوج عظمتها وكانت عروس الخليج بلا جدال • وكانت الكويت آنذاك لا تعتبر شيئا بالنسبة للبحرين فكانت تستورد الاشياء النفيسة من البحرين او الهند • وعلم البحرين احمر له شريط صغير ابيض عند السارية له نتوات • ثاني جزيرة بعد المنامة هي (المحرق) وفيها المطار ويصلها مع المنامة جسر • ويبلغ عدد سكان البحرين نحو مئة وخمسين الف نسمة • وتقع البحرين تحت الحماية البريطانية • ويحكمها الشيخ (عيسى بن سلمان آل خليفة) •

٥ - امارة قطر

شبه جزيرة تقع بين الاحساء وامارة ابي ظبي وتبلغ مساحتها نحو (٤٢٠٠) ميلا مربعا وتبعد عن البحرين نحو (٢٧) كم وعاصمتها (الدوحة)

تقع على البحر وهي اكبر المدن فيها • ويبلغ عدد سكان قطر نحو ثلاثين الف نسمة وتقع تحت الحماية البريطانية ويحكمها الشيخ (احمد بن علي بن عبدالله آل ثاني) •

ورد ذكر قطر في بعض المراجع التاريخية والجغرافية القديمة وكانت من اسواق العرب في الجاهلية وسبق ان نشرت مجموعة كبيرة من المقالات عن تاريخ قطر القديم وجغرافيتها في مجلة (البعثة) الكويتية من سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٤ الى ان اغلقت المجلة وكنت عازما على تأليف الجزء الاول من تاريخ قطر منذ عهد الفتيقيين الى سقوط الدولة العباسية سنة (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) ولبعض الظروف تركت تأليف الكتاب في الوقت الحالي •

تعتمد قطر في معيشتها على البترول وكانت قبل ذلك تعتمد على الغوص على اللؤلؤ والملاحة والتجارة والرعي ، وقد بدأ البحث عن البترول سنة ١٩٣٥م وتفجر النفط سنة ١٩٤٠م وقلب حياتها المعيشية رأسا على قلب • وحصل التقدم وال عمران في البلاد • واشهر مدن البترول في قطر (دخان) مركز آبار البترول و (ام سعيد) ميناء شركة البترول وتقع قريبة من بلدة (الوكرة) وهي ثاني بلدة بعد العاصمة وبعدها مدينة (الخور) • وجو قطر حار صيفا حار شديدة في اكثر الاحيان • وشتاؤها قصير دافئ وهي قليلة الامطار • وعلم قطر احمر غامق له شريط ابيض عند السارية وله تتوات •

٦ - امارة ابو ظبي

تقع على ساحل البحرين قطر وامارة دبي وتبلغ مساحتها (١٦٤) الف كيلومتر مربع اي قدر مساحة الكويت والبحرين وقطر جميعا • وعدد سكانها نحو عشرة آلاف نسمة ومن الكتاب من يرى انهم اكثر من ذلك • وعاصمتها بلدة ابو ظبي المسماة الامارة باسمها وهي عبارة عن شبه جزيرة قاحلة وفي المد تنفصل عن البحر • وتقع ابو ظبي تحت الحماية البريطانية

ويحكمها الشيوخ (شخبوط بن سلطان بن زايد آل ابو فلاح) .

كانت أبو ظبي تعتمد في حياتها المعيشية على استخراج اللؤلؤ ،
والملاحة ، وصيد الاسماك ، والرعي . وظلت منزوية الى ان خرج فيها
البترول في نيسان سنة ١٩٦٠ فاحتلت مكانة مرموقة في العالم وقصدها
الباحثون عن الثروة وتبدلت الحياة فيها تبديلا كبيرا وازداد عدد السكان .
وحدود ابو ظبي متداخلة مع قطر . والمملكة العربية السعودية ، ومسقط ،
ودبي ، وعمان ، وليست هناك حدود رسمية واضحة بل متداخلة وكثيرا
ما تقوم المشاكل بينها وجيرانها على الحدود واهمها مشكلة واحة البريمي .
ويتبع ابو ظبي نحو ثلاثين جزيرة في الخليج العربي اهمها جزيرة (داس)
التي تدفق النفط فيها وهي مدينة من مدن البترول وفيها مطار وآلة لتقطير
المياه المالحة ونحو ذلك . وعلم ابو ظبي لونه احمر وفي الزاوية العلوية
منه مربع صغير لونه ابيض .

٧ - اماره دبي

تقع على ساحل الخليج العربي بين ابي ظبي والشارقة وكانت تسمى
قديمًا لدى العرب (دبا) بالالف وكانت من اسواق العرب المعروفة ولا
تزال الى الوقت الحاضر تعتبر ميناء عمان كلها وتعتمد في عمرانها وتقدمها
على التجارة حيث الى الآن لم يعثر في اراضيها على البترول . وهي اماره
صغيرة المساحة ولكنها اكثر الامارات عمرانًا وسكانًا ويقدر عدد سكانها
بنحو ثمانين الف نسمة اكثرهم من غير السكان الاصليين . وتقع دبي
تحت الحماية البريطانية ويقوم فيها المعتمد البريطاني لكل امارات عمان .
ويحكمها الشيخ (راشد بن سعيد آل مكتوم) . ولون علم دبي احمر
وعند السارية شريط ابيض اللون . وتأتي دبي في الدرجة الثانية بعد
البحرين من ناحية التجارة والعمران وسيكون لها مستقبل عظيم ولا سيما
بعد ان يعثر فيها على البترول .

كانت دبي تعتمد في معيشتها على استخراج اللؤلؤ وكانت من مراكزه

المهمة في الخليج • ويشتهل الاهالي في التجارة والملاحة والرعي وصيد
الاسماك • وقد اخذت دبي تسير بسرعة فائقة في طريق التقدم والاقتصاد ،
فارتفعت في سمائها البنايات العالية والفلل فاخذت تحل محل البيوت القديمة
الصغيرة والذي لم ير دبي منذ عشر سنوات ويراها هذه الايام يشهده
العجب لظفرتها الكبيرة من جميع النواحي • ففي السنوات الاخيرة ظهرت
كثير من المشاريع الحيوية الى حيز الوجود • كالمطار وتأسيس بنك وطني
بالاضافة الى البنك البريطاني ، وانارة البلد في الكهرباء وتوصيل المياه
الحلوة الى البيوت ، واتشاء المستوصفات والمدارس للبنين والبنات ، وتعميق
(الخور) الذي يقسم مدينة دبي الى قسمين يسمى الاول (الشندفة)
والثاني (ديرة) وقد عمل جسر يصل بين البرين لعبور السيارات والمشاة
وكان قبل ذلك الاتصال بالقوارب وتسمى (العبرات) وللخور منظر
بديع جدا • والخور لسان من البحر يدخل في اليابسة ولهذا يسمى البعض
دبي (فينيسيا الخليج) والعبرات اشبه ما تكون بالجنود الايطالي والحقيقة
ان دبي من جهة الخور ذات منظر خللاب فالزوارق والسفن الكبيرة المحملة
بالبضائع تروح وتغدو في الخور فتجد السفينة المتوسطة الحجم بحملها
ملتصقة برصيف السوق فتجلس على السفينة وكأنك في السوق • والمسافة
بين البرين قصيرة وخصوصا في مدخل الخور وبامكانك ان تنادي على
الشخص الذي في البر الآخر • ويتسع الخور كثيرا في الداخل ولكنه
يقل عمقه كلما توغلت به •

تنصل دبي بالخارج بواسطة مطارها فيأتي اليها الطائرات كل ايام
الاسبوع محملة بالركاب • وترسو في مينائها الزوارق البخيرية ، والسفن
الشراعية ، والبواخر لنقل الركاب والبضائع وقلما يخلو ميناؤها من
باخرة • لان دبي اصبحت في السنين الاخيرة يقصدها رجال المال والاعمال
والتجارة ونحوها • والضريبة الجمركية قدرها ٤٪ وبلغت ميزانية دبي
للعام الماضي اربعة ملايين روبية اي ثلاثمائة الف دينار والعملة الرسمية
في دبي وامارات عمان والبحرين وقطر هي الروبية الهندية • وقد عملت

الكويت كثيرا على بذل المساعدات اللازمة لدبي وامارات عمان •

تقع في ضواحي دبي قرية صغيرة بنيت حديثا وبيوتها حديثة وتسمى (بورسعيد) باسم المدينة العربية الخالدة والعجيب في الامر ان اول منزل اقيم فيها كان يوم العدوان الفادر على بورسعيد فلذلك سميت باسمها تخليدا لها •

٨ - امارة الشارقة

تقع على ساحل الخليج بين دبي وام القيوين وعجمان • ولها اقسام اخرى تابعة لها ولكنها منفصلة عنها وتقع على ساحل خليج عمان ومنها بلدة (خورفكان) وبلدة (كلبا) • وتشتمل الشارقة على عدة قرى اكبرها الليلة ، وحيرة ، والخان • وتمتد حدودها الى الداخل نحو ٨٠ كم ويتبعها بعض الجزر اشهرها (ابو موسى) وتستخرج شركة انجليزية (المغربي) منها منذ مدة طويلة • والمسافر الى خورفكان يمر بسلطنة مسقط وعمان وبعض الامارات لان حدودها متشابهة ، وهذا مخطط استعماري رهيب للفرقة وايجاد الخلافات بين الحكام على الحدود ، ودائما ما تقع الخلافات بينهم • وتقع الشارقة تحت الحماية البريطانية ، وفي الشارقة بخور البلدة العاصمة تقع القاعدة البريطانية العسكرية الجوية • والمسافة قصيرة بين دبي والشارقة وسيارات الاجرة تسير بينهما وبين دبي والامارات كل وقت • ويحكم الشارقة الشيخ (صقر بن سلطان القاسمي) • ويتألف علمها من اللون الابيض وفي الوسط مستطيل ابيض نحو ربع مساحة العلم •

كانت الشارقة تعتمد في معيشتها على استخراج اللؤلؤ بالدرجة الاولى ولما كسدت تجارة اللؤلؤ اخذت الحياة الاقتصادية فيها تضمحل وفرق شاسع بين الحياة الاقتصادية والعمران في دبي وبين الشارقة • ويعمل الاهالي بالتجارة والملاحة والرعي والزراعة وصيد الاسماك • وفي الشارقة بعض المناطق الزراعية واهمها (خور فكان) و (الذيد) و (الفلج) وتنتب فيها الفواكه والخضروات والبرسيم ونحوها • ويبلغ عدد سكان امارة

الشارقة نحو ثلاثين الف نسمة • وتتولى التنقيب عن البترول شركة امريكية
واذا ما عثر عليه فسوف تبديل حالة الضنك التي تعيشها • ويرى البعض
ان شركات البترول لا تريد العثور على البترول لاغراض سياسية •

٩ - امارة عجمان

تقع على ساحل الخليج العربي وتحيط الشارقة بها من ثلاث جهات •
وهي اصغر الامارات واقلها سكانا ويبلغ عدد سكانها نحو خمسة آلاف
نسمة وتقع تحت الحماية البريطانية ويحكمها الشيخ (راشد بن حميد)
وعجمان مقسمة الى ثلاثة اقسام متباعدة ومنفصلة عنها ومنها (مصفوت)
وهي خصبة غزيرة المياه • و (المنامة) وفيها معسكر بريطاني لقوة
السواحل •

تمتاز عجمان بطيب هوائها ، وعذوبة مائها وتسمى مصيف الساحل
ويقصدها الناس هربا من الحر • وكانت تعتمد في معيشتها على استخراج
اللؤلؤ ويعمل اهاليها حاليا بالزراعة وصيد الاسماك • وعلمها يشبه علم
دبي تماما •

١٠ - امارة أم القيوين

تقع على ساحل الخليج العربي بين الشارقة ورأس الخيمة والشائع
ان معناها ام القوة لانها كانت اقوى الامارات يوما ما وكانت تجلب اليها
البضائع والتمور لتموين الساحل ولكن تبديل حالها وناء عليها الدهر بكللكه
والظاهر أنها هي جزيرة (ابن كاواه) التي كانت عامرة وورد ذكرها في
المراجع العربية القديمة •

ويبلغ عدد سكانها ستة آلاف نسمة وهي ثاني امارة في الصغر ويجلب
الماء اليها من الشارقة ورأس الخيمة • ولقرية ام القيوين العاصمة منظر
بديع جدا فهي شبه جزيرة واذا اقبلت اليها تحسبها جزيرة • وتقع ام
القيوين تحت الحماية البريطانية • ويحكمها الشيخ (احمد بن راشد المعلا)

وعلمها لونه احمر وفي وسطه هلال ونجمة وعند السارية شريط ابيض .
يكثر السمك في ام القيوين ومن اطيب الانواع . ولو كانت هناك
شركة لتعليب الاسماك ونحوها لامكن الاستفادة من هذه الثروة البحرية
الهائلة . ويتبع ام القيوين منطقة خصبة تبعد عنها نحو اربعين كيلومترا
تسمى (فلج المعلا) .

١١ - اماره رأس الخيمة

تقع على ساحل الخليج العربي بين ام القيوين وجبال عمان . وتبلغ
مساحتها نحو ٢٠ ألف كم ويبلغ سكانها نحو ثلاثين الف نسمة وسميت
رأس الخيمة نسبة لخيمة وضعها احد الرؤساء الكبار وكانت تسمى قبل
ذلك (جلفار) وهي مدينة قديمة وربما انها من مدن الفنيقيين ويكفيها
فخرا انها انجبت الملاح العربي الشهير (احمد بن ماجد) وهي موطن
قبيلة القواسم التي لعبت دورا مهما على مسرح الخليج وكان لها اسطول
حربي كبير بيد ان الانجليز قضوا على ذلك الاسطول كما انهم ضربوا
البلدة بمدافع اسطولهم سنة ١٨١٠م وفي سنة ١٨٢٠ عقدت معاهدات عامة
بين بريطانيا وامارات الخليج العربي وتقع رأس الخيمة تحت الحماية
البريطانية . ويحكمها الشيخ (صقر بن محمد القاسمي) ولون علمها
وشكله كعلم الشارقة من القواسم .

اكبر بلدة هي رأس الخيمة العاصمة ويخشى عليها ان يتآكل ساحلها
جهة الخليج من جراء الامواج وليس من عمل سوى نقل البلدة الى مكان
مرتفع . ورأس الخيمة خصبة وكثيرة الجبال . وفيها عيون حارة .
وتسمى (لبنان الخليج) وجوها بارد . ومرتفعاتها مغطاة باشجار مختلفة
ياتي اليها النحل ويستخرج منه العسل . ولرأس الخيمة منظر جميل
حيث الجبال والاشجار والبحر . ويشغل الاهالي بالزراعة والملاحة وصيد
الاسماك ونحوها . وتمون رأس الخيمة الامارات بالحطب للوقود والتمر
والخضروات والفواكه . وتشتمل على قرى عديدة اهمها (الرمس)

كما تتبعها بعض الجزر اشهرها (الجزيرة الحمراء) وتسمى ايضا
(زعاب) وهي عامرة •

١٢ - امارة الفجيرة

تقع على ساحل خليج عمان ساحل الباطنة عند مضيق هرمز ، ولا
تعتبر من امارات الخليج العربي ولكننا ادرجناها هنا لانها من امارات عمان
وقد اسسها الانجليز عام ١٩٥٢م • وتعد افقر الامارات ويعيش اهلها في
سبه عزلة عن العالم ويحيون حياة قاسية شديدة يتحملون المتاعب والضيق •
وارضها جبلية • ويعيش سكانها على الرعي والزراعة وصيد الاسماك
ويبلغ عددهم نحو عشرين الف نسمة ويمتازون بدقتهم في اصابة الهدف •
والفجيرة تحت الحماية البريطانية ويحكمها الشيخ (محمد بن حمد
الشرقي) • ولون علمها احمر خالص بدون اي شيء •

١٣ - سلطنة مسقط وعمان

وهي البقية الباقية من سلطنة عمان الكبيرة التي لعبت دورا مهما في
التاريخ الحديث فقاتلت البرتغاليين وفتحت شرقي افريقيا وبعض اقسام من
الهند وباكستان وايران وكانت لها صولة وجولة حتى قال فيها احد
المؤرخين (لم تقم للعرب قائمة بعد خروجهم من الاندلس الا في عمان)
وهو محق في قوله • ولكن الاستعمار البريطاني قضى عليها وجعلها في
الوقت الحاضر سلطنة صغيرة عاصمتها (مسقط) وسلطانها (سعيد بن
تيمور بن فيصل آل ابي سعيد) وتقع السلطنة تحت النفوذ البريطاني
وللمعتمد البريطاني السلطنة الكبيرة • وتعيش السلطنة عيشة العصور
الوسطى • وعلم سلطنة مسقط وعمان أحمر خالص •

١٤ - امامة عمان

تشمل القسم الداخلي من عمان وتمتد الى الربع الخالي وهي اخصب
بلاد عمان وفيها (الجبل الاخضر) مما يدعو للفخر والاعتزاز ان الجبل

الاخضر هو المنطقة الوحيدة في البلاد العربية التي لم يستول عليها احد من الغزاة والفاثحين سواء من المسلمين كالترك والعجم او من الغربيين وهو مركز (الآباضية) والحكم فيه جمهوري حيث ينتخب الامام وعلى الجميع طاعته ، وامام الجيل الاخضر الحالي هو (غالب بن علي) الذي يكافح الاستعمار الانجليزي وعاصمته مدينة (نزوى) وهي مدينة قديمة .
لولا البترول لبقى الجيل الاخضر على ما كان عليه . ولكن الاستعمار البريطاني يريد ان يستولي على الجيل الاخضر وما حوله فذرع بعدة اسباب وحرك سلطان مسقط زاعما ان الجيل الاخر يتبع لسلطته وكان ما كان من الحوادث مما هو معروف وتشره الصحف عن جهاد اخواننا العمانيين راجين لهم النصر والسداد . وعلم امامة عمان لونه أبيض وفيه سيف أحمر اللون وعلى العلم آية قرآنية كريمة وهي (نصر من الله وفتح قريب) .

١٥ - المدارس في امارات عمان

اوفدت الكويت اول بعثة لها الى ساحل عمان سنة ١٩٥٣م وكانت السبابة في ذلك ثم تلتها الجمهورية العربية المتحدة وقطر والبحرين . واعتذرت ابو ظبي عن قبول بعثات من قبل الاقطار العربية واحضرت هي نفسها خمسة معلمين من الاردن سنة ١٩٦٠م وأسست الكويت المدارس والمستوصفات في ساحل عمان واقامت لها مكتبا في دبي للإشراف على اعمالها . وفيما يلي احصائية بعدد المدرسين والمدارس في العام الدراسي ١٩٦٢ - ١٩٦٣م :

٦٢ مدرسا ومدرسة	بعثة الجمهورية العربية المتحدة
٤٨ مدرسا ومدرسة	بعثة الكويت
٣٢ مدرسا ومدرسة	بعثة قطر
١٠ مدرسين	بعثة البحرين
الجمع = مدرسا ومدرسة	

يضاف الى هذا العدد نحو خمسة وعشرين مدرسا تعينهم الحكومات المحلية بالاتفاق معهم وتوزيع المدارس في ساحل عمان فكما يلي :

١ - دبي ٤ مدارس بنين ٢ مدرستان للبنات عدد الطلاب والطالبات ٢٠٠٠
٢ - الشارقة ٤ مدارس بنين ٢ مدرستان للبنات عدد الطلاب والطالبات ١٣٥٠
٣ - رأس الخيمة ٤ مدارس بنين ٣ مدارس للبنات عدد الطلاب والطالبات ١١٠٠

٤ - ام القيوين ١ مدرسة بنين ٣ مدارس للبنات عدد الطلاب ٣٠٠ .

٥ - عجمان ١ مدرسة بنين ٣ مدارس للبنات عدد الطلاب ٣٥٠ .

٦ - الفجيرة ١ مدرسة بنين ٣ مدارس للبنات عدد الطلاب ١٠٠ .

كانت آخر الامارات التي فتحت فيها مدرسة هي الفجيرة سنة ١٩٦١م . ويبلغ عدد الطلاب والطالبات جميعا نحو خمسة آلاف طالب وطالبة . ونسبة عدد الطالبات الى الجميع يعادل تقريبا ٣٠٪ . وهناك مدارس اهلية وكتائب وبعض مدارس حكومية لم تنطرق اليها وخصوصا في دبي .
أرجو ان أكون قد وفقت في هذه المحاضرة الى تسليط الاضواء على الخليج العربي واماراته خدمة للمصلحة القومية والله ولي التوفيق .

والسلام عليكم

سيف مرزوق الشمالان
عضو وفد الكويت

المحتويات

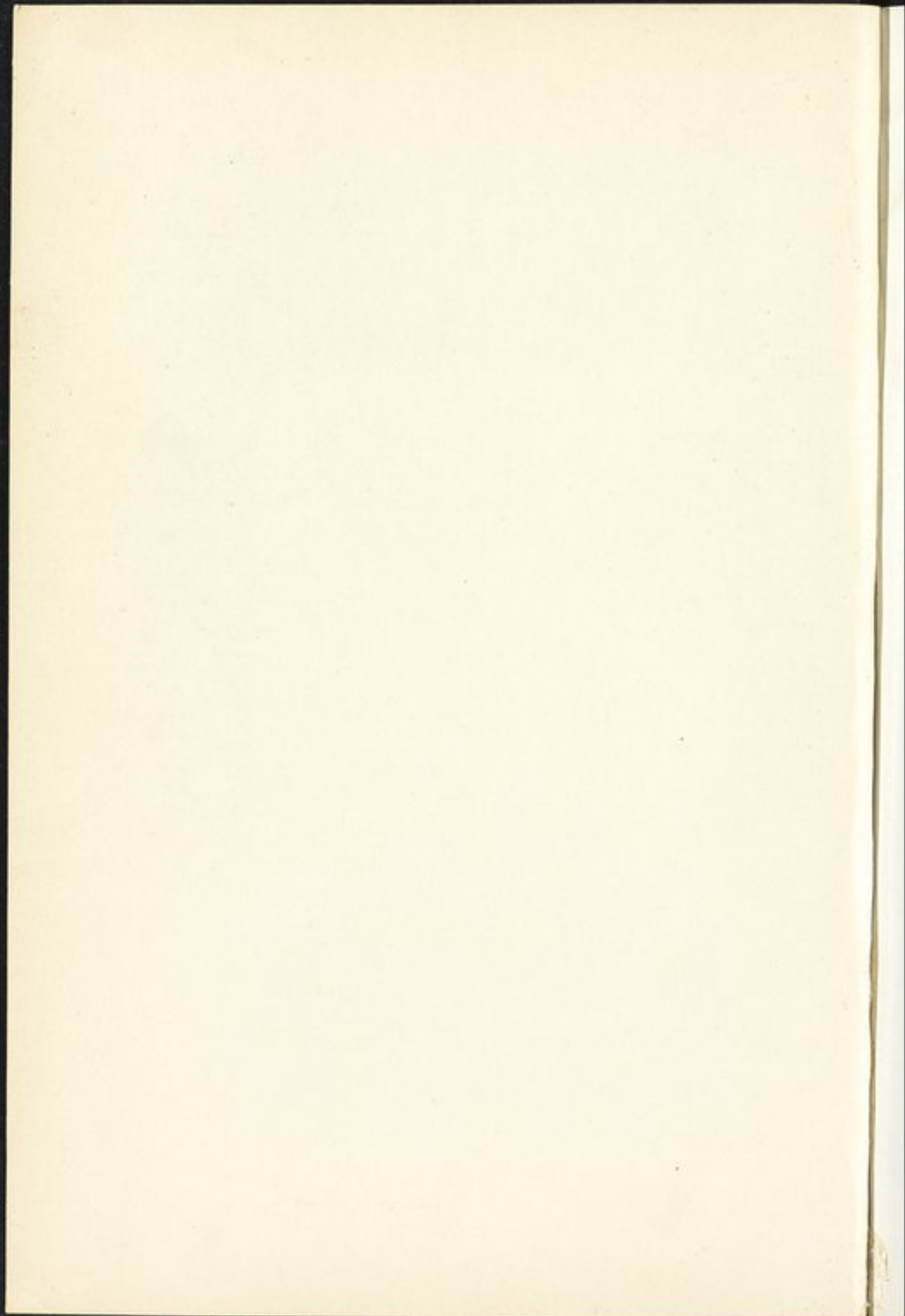
الادب والثورة :

- ١ - الثورة والادب ٩
 محمد سليم الحوت
- ٢ - الادب والثورة ٣٣
 عباس خضر
- ٣ - الثورة والمجتمع العربي الجديد ٤٣
 الدكتور محمد احمد خلف الله
- ٤ - الادب والثورة ٥١
 سعيد الشيباني ومحمد الشرفي
- ٥ - محمد العيد وملاح من المأساة الجزائرية ١٥٩
 صالح خرفي
- ٦ - الادب ومعركة التحرير ١٧٧
 علي صدقي عبدالقادر
- ٧ - دور الادب في معركة التحرر والبناء في الوطن العربي ١٩٣
 التيجاني عامر ومحمد المهدي المجذوب

الادب والبناء :

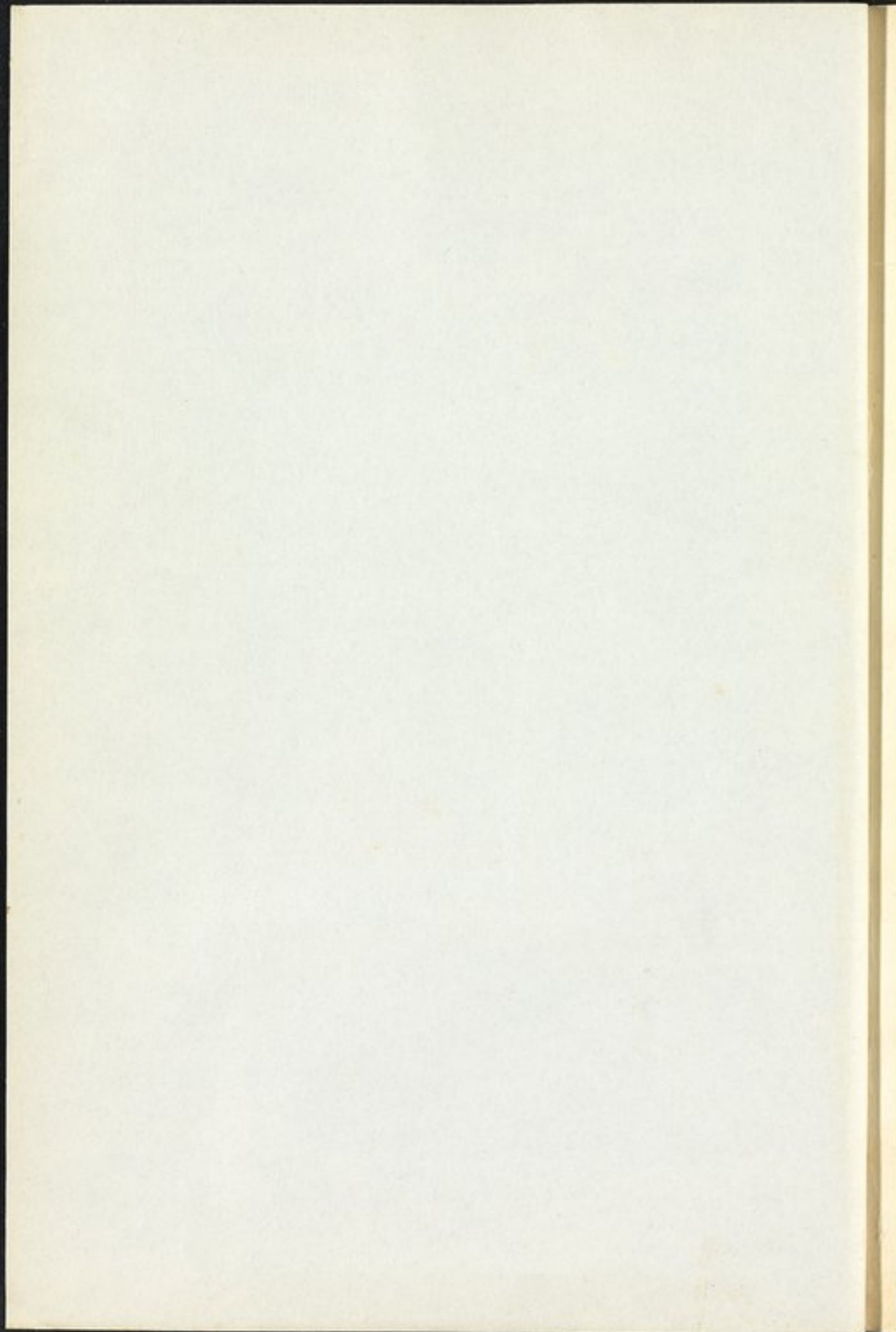
- ١ - القرآن والمفاهيم المثالية للاشتراكية ٢٢٧
 أمين الخولي
- ٢ - الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ٢٣٧
 عبدالعزيز الدوري
- ٣ - المفاهيم القومية الاشتراكية ٢٦٧
 الدكتور ياسين خليل
- ٤ - الادب والاشتراكية ٣٣٥
 مصطفى الفارسي
- ٥ - الادب والوحدة العربية ٣٤١
 الدكتورة سهير القلماوي

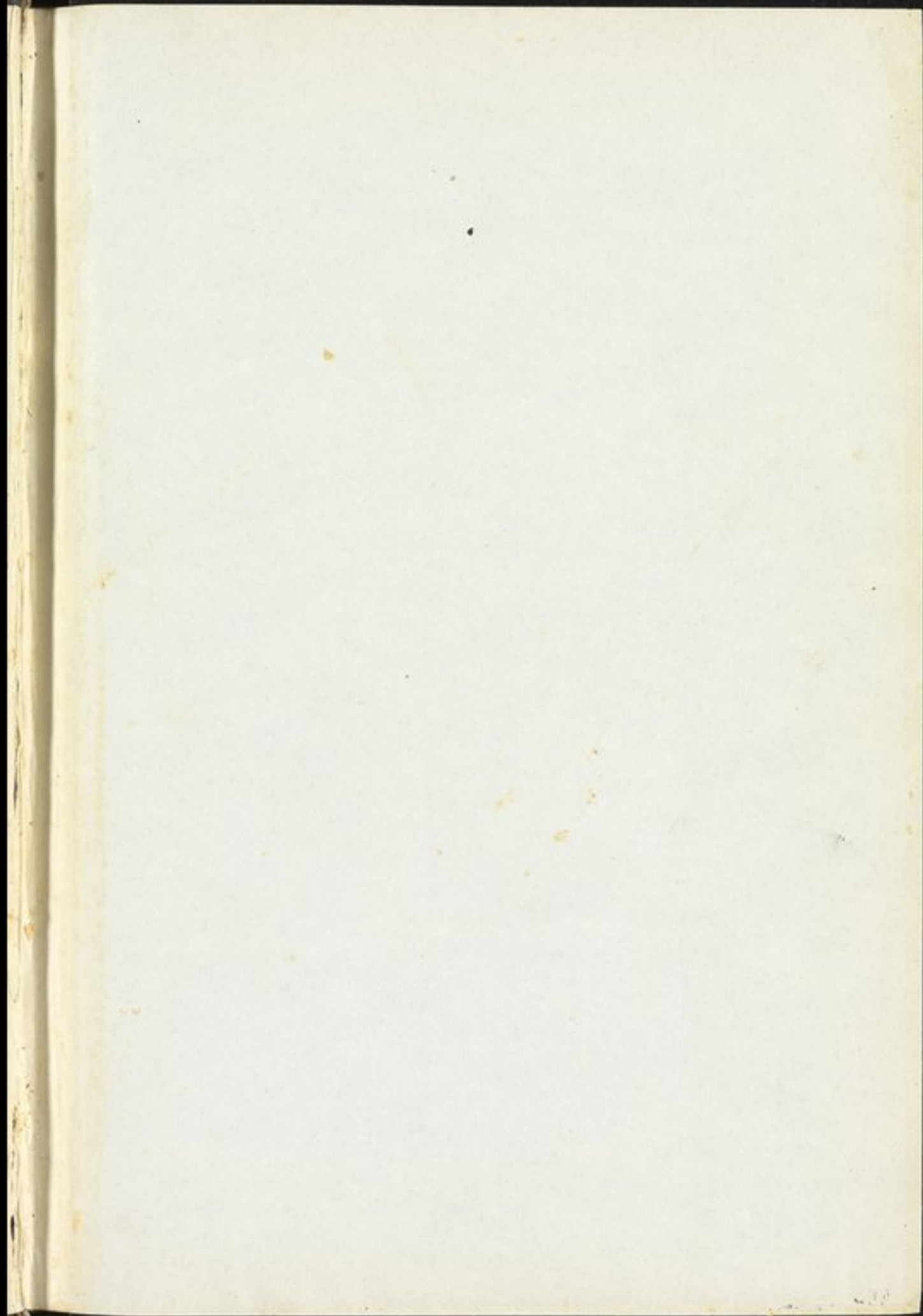
- ٣٥٣ ٦ - أدب الوحدة
فؤاد الشايب
- ٣٩٥ ٧ - الادب والوحدة العربية
محمود الروسان
- ٤٠٧ ٨ - الادب وحتمية الوحدة
عبدالرزاق البصير
- ٤١٥ ٩ - دور الاديب في دعم القومية والوحدة العربية
محمد خلف الله أحمد
- ٤٢١ ١٠ - الادب والقومية العربية
مصطفى البنداري
- ٤٣٣ ١١ - القومية العربية في شعر شوقي
الدكتور احمد محمد الحوفي
- ٤٥٣ ١٢ - الادب والبناء
الدكتور محمد مندور
- ٤٥٩ ١٣ - الادب والديمقراطية
حسن محمد كتبي
- ٤٧٧ ١٤ - تسمية الخليج بالخليج العربي
عبدالرزاق البصير
- ٤٨٣ ١٥ - دول الخليج العربي واماراته
سيف مرزوق الشملان



ثمن النسخة دينار واحد

دار العروبة





COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036760650

PJ
7501
.M8
5
1965
v.2



DEC 10 1969

AUG 22 1977

